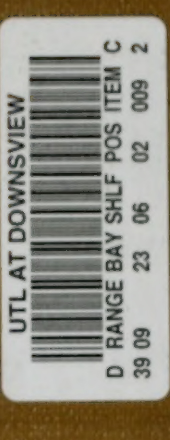

UTL AT DOWNSVIEW
D RANGE BAY SHLF POS ITEM C
39 09 23 06 02 009 2



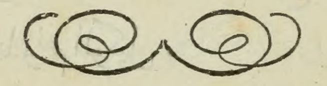






مواعظ

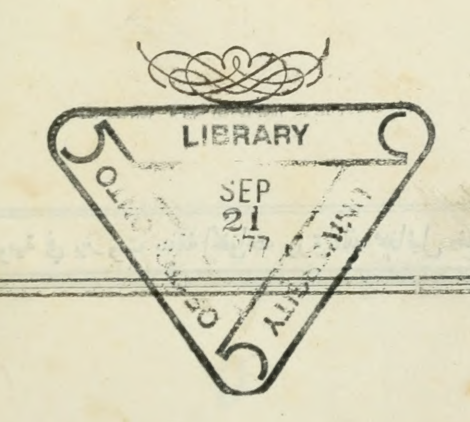
سيادة المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت
الكلي الشرف والاحترام



طُبع بالمطبعة العمومية في بيروت بنفقة الخواجه رزق الله ميخائيل خضرآء سنة ١٨٧٤

تنبيه من مدير المطبعة

لما كنا قبلاً طبعنا مواعظ سيادة راعينا المطران يوسف الدبس الكلي الشرف والاحترام التي القاها سنة ٧٢ وسنة ٧٣ وكانت النسخ المطبوعة اقل عدداً من الطالبين لها وقد نفدت وما زال طلبتها كثيرين فلهذا اخترنا بعض تلك المواعظ وجددنا طبعه وعلقناه في صدر هذا الكتاب جاعلينهُ قسماً اولاً منه وطبعنا اخص المواعظ التي القاها هذه السنة ٧٤ وجعلناهُ قسماً ثانياً من هذا الكتاب فجاءَ بعون الله كتاباً نفيساً جزيل الفوائد الادبية والدينية والروحية والعلمية وهو بمنزلة درياق موقٍ الشبان من سم الاضاليل المنتشرة في هذا العصر وبمنزلة كنز يجد فيهِ الكهنة فرائد الفوائد في الارشادات الروحية والادبية واسلحة البرهانات للمدافعة عن الحقائق الدينية الكاثوليكية فنسأله تعالى ان ينفع به مطالعيه وينير به افئدة راغبيه وهو حسبنا ونعم الوكيل .



خطبة

القاها في ٢ اذار يوم عيد القديس يوحنا مارون سنة ٧٢

مجد لبنان أُعطِي لهُ

ان هذا القول الالهي تخصهُ كنيستنا المارونية بالقديس يوحنا مارون وكثيرًا ما كتبتهُ على صوره وقد فرضت ان نعيد لذكره كل سنة في مثل هذا اليوم ولما كان هذا القديس المعظم البطريرك الاول لطائفتنا وقد اختارته لما فشا وباء الارطقات في البطريركية الانطاكية لتقي نفوسها من الضلال (كما حقق البابا بنديكتوس الرابع عشر في خطبتهِ بكردينا لية الكنيسة الرومانية في ١٢ تموز سنة ١٧٤٤) وتحافظ على الايمان الصحيح والاتحاد مع الكنيسة الرومانية امنا وام جميع الكنائس ومعلمتهنَّ. وكان لهذا القديس من الاعمال السامية ما يقصر اللسان وان فصيحًا عن بيانهِ قد تعيَّن عليَّ ان تكون مادة كلامي يوم عيده هذا بيان سمو فضائله وعظمة غيرته وقداسته. وحيث ان هذا القديس الجليل كان راهبًا في دير ابينا القديس مارون وهو من تلامذته وسمي مارون نسبةً اليهِ فلم يسعني المقام الان اعرض اولاً استطرادًا بذكر القديس مارون ابي طائفتنا الاول ومعلم بطريركنا هذا القديس وبثبات طائفتنا المارونية بشفاعتهما بل باعجوبة منهما على الايمان الكاثوليكي مدة اربعة عشر جيلاً مردفًا ذلك

بالحث لكم على الاقتداءِ بثبوت اجدادكم في الايمان القويم و بغيرتهم واعمالهم الحسنة . فهذا ملخص كلامي في هذا اليوم فاسألوا الهَ كل نور ليمدني بنوره لنوال مقصدي ويمدكم بالافادة بكلامي مستشفعين بالقديسين المعظمين مارمارون ومار يوحنا مارون .

قسم اول

ان القديس مارون ولد نحو اواسط القرن الرابع في جهات انطاكية ومنذ نعومة اظفاره عشق الفضيلة والتعبد لله وتراقى في سلم القداسة حتى بلغ قمتهُ وواظب العيشة النسكية والانفراد عن العالم في بلاد قورش واقام هناك مكبًا على التهجد والتورع والاماتات المتصلة الباطنة والظاهرة والصلوات العقلية واللفظية مروضًا روحهُ باسفار الله واعمال الفضائل حتى اضحى قدوةً ينضم اليه كل هائمٍ بالتقوى والتعبد فالف من عشاق الفضيلة رهبانية وشرع يرقي تلاميذه في مرقاة القداسة بتعليمهِ ومثال سيرته باذلاً من العناية غايتها في ارشادهم وتمليكهم الفضيلة وتفقد احوالهم وملافاة احتياجاتهم الروحية والزمنية وكان في القرب من محل نسكه معبد للاصنام فكرسهُ كنيسةً لله ونصب لهُ فيهِ كوخًا استوطنهُ مدة ونما عرف قداسته فتقاطرت اليه الناس من كل فجٍ لاستمداد دعائهِ والبرء من امراضهم واوصابهم فكان بصلاتهِ يشفي المرضى ويهزم الشياطين من المعترين ولم يكن يبرئُ الاسقام الجسدية فقط بل كان يبرئُ النفوس من الرذائل والمآثم بانذاره ومواعظهِ وتبكيتهِ الخطاة وصلاته عنهم .

وكثر رهبانهُ حتى اضحى جبل قورش روضة اينعت بها اشجار قداسة باسقة وكثيرة وقد روى كل ما ذكرناه العلامة توادوريطوس اسقف قورش الذي كان قريبًا من ايامهِ في كتابهِ في سير القديسين . وكان القديس يوحنا فم الذهب احد اعمدة الكنيسة صديقًا للقديس مارون وبعث اليهِ برسالةٍ هي السادسة والثلاثون بين رسائلهِ يحقق له بها محافظتهُ على صداقتهِ ويثني على فضائلهِ ويستميح صلاته ويستشفع بدعائهِ ولما اكمل القديس مارون سعيهُ المجيد رقد بالرب في مبادي الجيل الخامس وتبوأت نفسهُ الاخدار السماوية وازدحمت الناس للتبرك منهُ وتكريم دفنته والاستغاثة بهِ ففعل الله على يده عجائب جمة واختصم المجتمعون على مكان دفن جثتهِ المقدسة فخطف اهل حماه ذلك الجسد الذي هو افضل من كل كنز نفيس كما يقول تواودريطوس في المحل المذكور فدفنوه بين حماه وحمص على نهر العاصي وبنوا على اسمهِ هيكلاً كبيرًا وشرعوا من ذلك الحين يعيدون لهُ عيدًا حافلاً كما ذكر تواودوريطوس ايضًا وبني حذاء هذا الهيكل الدير الشهير المعروف باسمهِ في الرستن والمسمى دير البلور لانهُ اضحى شهيرًا واول اديرة سورية بكثرة رهبانه وبهاء فضائلهم وما برحت الكنيسة الرومانية والاحبار الاعظمون يعتبرونهُ قديسًا وقد منح البابا اكليمنضوس الثاني عشر في ١٥ نيسان سنة ١٧٣٤ غفرانًا كاملاً يغنمهُ من زار كنيسة من كنائس رهباننا يوم عيده ثم عمَّم البابا بنديكتوس الرابع عشر في ١٢ اب سنة ١٧٤٤ هذا الغفران الى جميع كنائس الطائفة المارونية . ولهذا البابا رسالة مسهبة الى

نيقولاوس ليركاري يثني بها على فضائل هذا القديس السامية ويثبت قداستهُ .

قد كثر رهبان القديس مارون بعد وفاتهِ وتعددت اديرتهُ وكان من تلاميذه قديسون وقديسات كثيرون روى سير اكثرهم تواذوريطوس منهم القديس يعقوب من قورش وتنسك في البرية لا ياوي منزلاً مجاهدًا ليلاً ونهارًا وقد زاره تواذوريطوس المذكور وقد كان لهُ في هذا الجهاد ٣٨ سنة وفعل عجائب منها اقامة ابن فلاح من الموت. ثم القديس ليميناوس الذي اقتدى بفضائل معلمهِ القديس مارون وحبس نفسهُ في حجرة لا سقف لها في جبل مصاقب لقرية تدعى جرجله ومنحهُ الله موهبة طرد الشياطين وشفا الامراض . ثم القديس يوحنا وقد نسك في الجبل المذكور ثم في جبل اخر الى الشمال من الاول حيث بقي تحت الجو خمسًا وعشرين سنة . ثم موسى الشائع ذكره ونسك في قمةٍ حذا قرية تسمى راماس ثم انطيوخوس وانطونينوس اللذان جاهدا بالسيرة الروحية على شيخوختهما. ثم القديس زابينا الشهير الذي كان في زمان القديس مارون وكان مثالاً للزهد والتهجد وقمع الجسد ومن تلاميذه بوليكرونيوس وموسى ودوميانوس . ثم القديس يعقوب الاخر الذي انفرد عن العالم وهو ابن تسعين سنة مثابرًا الصوم والصلوة والتحجب عن الناس . ومن النساء القديسة دومنينا التي قضت حياتها بالتقشف والاسهار والصلوات ثم اقتدت بها القديستان كورا ومارانا وغيرهما كثيرات وقد ذكر تواذوريطوس هولاء وغيرهم كثيرين وكان من بعده كثيرون ايضًا .

ولم يشتهر رهبان القديس مارون بالنسك والانفراد فقط بل اشتهروا ايضًا بالانذار والتعليم والمدافعة عن الايمان الصحيح مقاومة لارطقتي نسطور واوطاخي واثباتًا لما رُسم في المجمع الرابع الخلكيدوني المقدَّس خاصةً حتى دعاهم كثيرون من العلماء عمد الايمان الكاثوليكي في المشرق وحصنهُ وحرروا رسائل كثيرة انتصارًا للايمان بعضها للحبر الاعظم البابا هرمزدا وبعضها لاساقفة سورية وبعضها للملك يوستينيانوس واكثر هذه الرسائل معلقة في اعمال المجمع الخامس المسكوني وكل من ثبتوا على الايمان الكاثوليكي بارشادهم واتباعًا لهم سموا موارنة نسبةً اليهم والى ابيهم القديس مارون ·

فاحتدم الاراطقة غيظًا عليهم فاذاقوهم الامرَّين ومن ذلك ان ساويروس الملك الاراتيكي ارسل جحفلًا فدمر اديرتهم وقتل منهم دفعةً واحدة ثلاثماية وخمسين راهبًا تكرم الكنيسة الرومانية ذكرهم في ٣١ تموز كما في كنيستنا وقد شكوا هذه النازلة باحدى رسائلهم الى البابا هرمزدا المعلقة في اعمال المجمع الخامس ايضًا قائلين « بين نحن ماضون الى دير القديس سمعان لشاغل في الكنيسة اكمن لنا رجال اثمة فوثبوا علينا فقتلوا بعضًا وجرحوا بعضًا ولجأ بعضٌ الى المذبح المقدس فاماتوهم هناك واحرقوا الاديرة »

ان حدة هذا الاضطهاد لم تكف عزم رهبان القديس مارون عن الانتصار للايمان القويم وما نقص منهم عددًا ازدادوه غيرةً وبسالةً ورمَّ الملك يوستينيانوس الكبير اديرتهم التي حرقت . ثم ازداد عددهم

ونما فضلهم وتمَّ عبير قداستهم خاصةً اذ قام بينهم القديس يوحنا مارون الذي نعيد لذكره في هذا النهار

ان هذا القديس كان منشاه من قرية اسمها سروم في جهات انطاكية ولد في اواسط الجيل السابع من والدين تقيين حسيبين ارضعاه لبن الفضيلة مع الحليب وعكف منذ نعومة اظفاره على العلم فدرس العلوم الرياضية والالهية في انطاكية ثم في القسطنطينية ثم في دير مارمارون حيث لبس اسكيم الرهبانية وكرس نفسهُ لله وافادة شعبهِ وقد ظن بعض من علماءِ طائفتنا منهم البطريرك اسطفانوس الدويهي علامة دهرهِ وابراهيم الحاقلاني الشهير ان والدي القديس يوحنا مارون كانا من الافرنج المتوطنين في سوريا وان نسب هولاءِ يتصل ببعض ملوك افرنسا وظنا انهُ المراد بقول عبد يشوع الصوباوي في قصيدتهِ في المولفين يوحنا ابن الافرنج وانكر السمعاني العلامة الشهير ذلك .

ثم رقي القديس يوحنا مارون درجة الكهنوت فبلغ بها من الكمال غايتهُ ومن الكد والاجتهاد نهايتهُ فكان يصرف كل نهاره واكثر ليله بالصلوة والوعظ والارشاد والمدافعة عن الايمان الصحيح ضد الاراطقة والمبتدعين وفي تثبيت المومنين على ايمانهم فكم الف وصنف وافحم من المتعنتين ورد من الضالين وقاسى من المحن والاضطهاد وتسامى في الاجتهاد فكل ذلك يطول بي المجال وربما تملون اذا تصديت لتفصيلهِ

فذكرما الَّف من الكتب التي امكن عرفانها وابقتها صروف الزمان ينبئكم غزارة علمه وعظمة كدهِ . قد الف اولاً كتاب الايمان وهو رسالة

مسهبة بعث بها من دير مار مارون حذاء العاصي الى سكان لبنان جمع بها من البرهانات اللاهوتية والفلسفية وشهادات الوحي واكثر الاباء القديسين لاخص اسرار ايماننا التي خالفها اراطقة ذلك العصر ما يجعل هذه الرسالة حريةً ان يقال فيها لم تسمح قريحة بمثالها ولا نسج ناسج على منوالها · ثانياً كتاب في الكهنوت تكلم فيهِ فاعجب واغرب على كهنوت المسيح والكهنوت في العهد الجديد وفروض الكهنة وخدمتهم وهذا الكتاب ارتاب بعض بنسبتهِ اليهِ لكن حقق السمعاني العلامة الشهير وابراهيم الحاقلاني وغيرهما انهُ لهُ . ثالثاً كتاب في شرح الليتورجية اي رتبة القداس شرح بهِ معنى كل حركة ومقالة في القداس واستطرد بهِ الى اثبات عدة عقائد دينية خاصة في شرحه قانون الايمان والى مناضلة اكثر اراطقة عصره وافحامهم بسديد البرهان والتنديد بعاداتهم ومعتقداتهم السيئة وهذا الكتاب ادَّعى حاسد بغيض لطائفتنا انكار نسبته اليه ففندت مدّعاه في كتابي روح الردود الذي طبع بينكم في هذه الايام . رابعاً كتاباً خالف بهِ النساطرة الزاعمين ان في المسيح اقنومين وان العذراء لا تسمى ام الله وهو مبكم المتعنتين ايضاً . خامساً كتاباً قاوم فيهِ من زعموا ان في المسيح طبيعة واحدة وهذا ايضاً حوى من الفصاحة ما يخجل قسها ومن البلاغة ما يزرى بسحبان . سادساً نافور قداس من احسن النوافير وهو مطبوع في كتاب قداسنا ومعنون باسمهِ . سابعاً تنسب اليهِ رسالة في التقديسات اي قدوس الله قدوس القوي الخ . التي زاد عليها بطرس القصار يا من صلبت لاجلنا ارحمنا تمهيداً لزعمهِ ان الثالوث الاقدس كله

تالم فيفند القديس يوحنا مارون زعمه هذا لكننا للان لم نتحقق نسبة هذه الرسالة اليهِ . فهذا ما اعلمهُ من تآليف قديسنا هذا الجليل ولعل له كتباً اخرى حجبتها عنا يد نوازل الزمان وقدم الايام لكنَّ بما ذكرنا ما يغني للحكم بطول باعه وشديد اجتهاده وبانهُ بالهام الله تكلم رجال الله القديسون وانهُ لم يكن هو المتكلم بل روح القدس هو المتكلم فيهِ .

ولما كان في تلك الاثناء ارسل الحبر الاعظم القديس مرتينوس البابا يوحنا اسقف فيلادلفيا الى المشرق والقى اليه النيابة عنهُ في بطريركيتي انطاكية واورشليم اللتين كان العرب استحوذوا على اكثر مدنهما واحالوا هم من جهة والاراطقة من اخرى حالة سوريا الى الدمار وبلوها بالوبال والبلبال فكان لابد من رعاة اشداء حكماء علماء يحسنون الرياسة وتحمل مشاقها المضنكة ويقون شعبهم تمام الدمار ويصلحون حالهم فكان علم هذا القديس وفضائله السامية وغيرته المتقدة نبراساً يدل عليهِ لالقاء هذه الاعباء اليه فرسمهُ نائب البابا المشار اليه اسقفاً على البترون نحو سنة ٦٧٦ فعلت همته وزادت غيرته علو مرتبته وزيادة مهامهِ وجدَّ في تكميل فروضهِ وتخليص رعيتهِ وتدريجها في مرقاة الفضائل وتثبيتها في الايمان القويم وتشجيعها على تحمل النوازل ودفع كل مضر . وملم بها وزاد شعبه بانذاره وارشاده مسترداً كثيراً من الضالين والغير المومنين وحدث وباء في تلك الايام فكان القديس يطوف القرى مفتقداً المرضى وشافياً لهم بصلاتهِ ولهذا يقدس الكهنة الى الان ايام الوباء بالنافور الذي الفهُ

ولما كان المجمع القسطنطيني الرابع الذى عقد سنة ٦٨٠ عزل

مكاريوس البطريرك الانطاكي لالتطاخهِ ببدعة المشيئة الواحدة واصراره عليها وارسله الى رومة املاً باصطلاحه وخلف له توافان الكاثوليكي في الكرسي الانطاكي فتوفى سنة ٦٨٥ وكانت البطريركية الانطاكية حينئذٍ في اسوئ حال فان العرب من جهة اجتاحوا اكثر مدن سوريا والاراطقة اليعاقبة وغيرهم من جهةٍ اخرى كانوا يضايقون بني الايمان القويم والبطاركة الانطاكيين سلفاء تاوافان المتوفي اي مكاريوس وجرجس ومكدونيوس كانوا يعلمون ببدعة المشية الواحدة مقيمين في القسطنطينية مركز هذه البدعة يومئذٍ وينتدبهم ملوكها المويدون لهذا الضلال وكان يوحنا الفيلادلفي المذكور يرى انهُ قل من استمر على الايمان الكاثوليكي في بطريركية انطاكية غير الموارنة فاجمع نائب البابا ومطارنة الموارنة على انتداب يوحنا مارون بطريركاً انطاكياً اذ تفرد بالاهلية للقيام باعباء البطريركية الانطاكية وتجشم مشاقها وملافاة انحطاطها واحتياجاتها ومناصبة اعداء الايمان فيها .

واكثر علماء طائفتنا وغيرهم على ان القديس يوحنا مارون البطريرك الجديد مضى بنفسهِ الى رومة فعظم البابا سرجيوس الجالس وقتئذٍ على كرسي بطرس (كان اصله سريانياً) ملتقاه وكرَّم مثواه ومنحهُ درع التثبيت واتحفهُ بهدايا ثمينة واعاده الى لبنان لينصب فيهِ كرسي بطريركيتهِ وقال العلامة السمعاني ان هذا القديس لم يمضِ الى رومة بل ارسل اليهِ البابا سرجيوس درع التثبيت والهدايا المشار اليها الى لبنان

وقد شهد العمل ان انتدابه الى البطريركية كان بالهام الله مذ كان

المعد لسند بيعة الله في المشرق في ذلك العصر ولحفظ الاف لم تجثُ على ركبها لباعال فانهُ طفق يكد ويجد ليلاً ونهارًا في الوعظ والانذار ومناصبة الكفرة والمبتدعين بخطبهِ وتآليفهِ وبرد الضالين وتثبيت المومنين ونقوية الضعفآء وتعزية الحزانى والعناية بالفقرآء والايتام ودفع تسطي الملوك المضطهدين ونقوية سطوة شعبه وتشديد بأسهم حتى كان كانهُ قبس حكمة وعلم اضرمتهُ نار الغيرة وتاجج بلهيب المحبة لله والقريب ولاسيما رعيته او كانهُ احد الكاروبيم نزل الى الارض بحربتهِ النارية يقصد تنظيفها من الرذائل والاضاليل ودفع اصحابها عن المومنين ونصب اولاً كرسيه في قرية اسمر جبيل ثم نقله الى شرقي كفرحي حيث شيد ديرًا على اسم القديس مارون معلمه وحيث الان المدرسة البطريركية المعروفة باسم القديس يوحنا مارون ونقل اليهِ هام معلمه المذكور ثم نُقل من هناك الى مدينة فولينيو في ايطاليا سنة ١١٣٠ حيث بني على اسمه كنيسة وما برح جزءٌ من راسهِ محفوظًا فيها الى اليوم معروفًا باسمهِ .... قد ساعدت العناية الربانية القديس يوحنا مارون على ترقية شعبه في الدنيا ايضًا فان الموارنة في ايامه استحوذوا على كل المقاطعات التي من اورشليم الى انطاكية وكانوا يهاجمون العرب حتى اضطرت عساكرهم ان ترجع عن حصار القسطنطينية سنة ٦٧٦ بل اجبروا بعد ذلك معاويه ان يعقد الصلح مع الملك قسطنطين اللحياني على ان العرب يدفعون له مدة ثلاثين سنة كل سنة عشرة الاف ذهب ومائة مملوك وخمسين فرسًا اصيلاً بحيث يصد الملك غزوات الموارنة (الذين سموا لذلك مردة لبنان)

ثم جدد عقد الصلح بين الملك يوستينيانوس الاخرم وعبد الملك ابن مروان سنة ٦٨٦ على ان عبد الملك يدفع الى يوستينيانوس كل يوم الف ذهب وجوادًا ومملوكًا ليمنع الموارنة من مهاجمة العرب كما حقق ذلك توافان وشدرانوس وزاناراس وبولس الشماس من المتقدمين وغيرهم كثيرون من المتاخرين وكان للموارنة من قبل ذلك امرآء يلون امرهم ففي ابتداء دولة العرب كان الامير يوسف ملكًا على جبيل والامير كسرى واليًا على كسروان التي تسمت باسمه ثم خلفهما الامير ايوب ثم الامير الياس وهذا نجد هرقل الملك في محاربته للفرس ثم الامير ابرهيم ابن اخت القديس يوحنا مارون ثم الامير يوحنا الذي اقام في بسكنتا كما روى البطريرك اسطفانوس الدويهي نقلاً عن كتب قديمة التاريخ.

ان المسرة والمضرة متعاقبتان في كل حين فما سر القديس يوحنا مارون بسطوة شعبه الَّا احتاج فضيلة الصبر على النوازل التي حلت بهم. فان الملك يوستينيانوس الثاني الاخرم بعد اصطلاحه مع عبد الملك ابن مروان كما مر ارسل قائدًا وعسكرًا الى لبنان مظهرًا انه يريد قتال العرب ومبطنًا خديعة امير الموارنة يوحنا الذي كان قاطنًا في قب الياس فمكر القائد بالامير وقتله واخذ اثني عشر الفًا من الموارنة واقتادهم اولاً الى ارمينيا ولم نكن نعلم اين احلهم بعد ذلك وكان لعلمائنا في هذا الشان اقوال ومذاهب عديدة لكنني لما كنت في رومة سنة ١٨٦٧ وجدت في المجلد الرابع من مكتبة الناموس الشرقي للعلامة السمعاني ان هؤلاء الاثني عشر الفًا من شبان الموارنة حلوا في بمفيليا واقام قائدهم في

مدينة اضاليا وكانوا يسمون مردة كما كانوا يسمون عند انتزاحهم من لبنان. وانهُ كان في الاجيال التابعة الى سنة ١٤٥٣ لما افتتح العثمانيون القسطنطينية مرتبة في هذه المدينة الملوكية لكبير المردة واعتمد السمعاني في ذلك على عدة مولفين اكثرهم شهود عيانيون منهم قسطنطين ابن الملك لاون السادس من ملوك القسطنطينية

لكن الله الذي يردف تجارب مختاريه بتعزيات وذلهم بظفر عزى هذا القديس البطريرك بما ياتي وهو ان الملك يوستينيانوس الاخرم كان يؤيد بدعة القائلين بالمشية الواحدة وكان البطريرك القديس وشعبهُ يخالفونهُ في هذا الزعم فارسل يوستينيانوس سنة ٦٩٤ جحفلاً للقبض على البابا سرجيوس في رومة والاتيان به الى القسطنطينية وجحفلاً آخر الى لبنان ليقبض على القديس يوحنا مارون وينكل بالموارنة فاخرب العسكر دير القديس مارون على العاصي وقتل فيهِ نحو خمساية راهب ودمر قنسرين والعواصم التي كانت معمورة بتلامذة لاولائك الرهبان واتت العساكر فحلت كورة اطرابلس قاصدة كفرحي للقبض على البطريرك فثار بعناية الله لاونس احد قواد جيوش يوستينيانوس عليه فازاحه عن ملكه وجذع انفه (ولذا سمي الاخرم) وملك مكانه وارسل بيح الموارنة طرد عساكر يوستنيانوس فهبوا من الجبال مدافعين عن بطريركهم فشتتوا ذلك العسكر اي تشتيت وبددوا شمله اي تبديد وقتلوا قائديهِ واستتبعوا اثره الى معاملة عكار فنجى البطريرك القديس من يد اعدائهِ وحاز شعبهُ فخار الانتصار.

وما برح بطريركنا القديس مجدًا في تكميل فروض وظيفتهِ بالعناية بالنفوس والسهر على خلاص المومنين وإنذار الخاطئين والشاردين الى ان توفاه الله سنة ٧٠٧ في دير القديس مارون شرقي كفرحي و بوَّأهُ اسمى مرتبة بين قديسيه فاجتمع شعبه لتكريم دفنته واستمداد شفاعته كقديس عظيم وكُرِّس بعد ذلك محل دفنه وسمي دير القديس مارون باسمهِ وشرع شعبه يعيد منذ ذلك الحين لذكره كل سنة واجرى الله على يده عجائب جمة واشهرت الكنيسة الرومانية كونه قديسًا لاسيما بمنح البابا بيوس السابع في ٢٠ ك٢ سنة ١٨٢٠ غفرانًا كاملًا يكسبه من زار كنيسته في مدرسة ماري يوحنا مارون يوم عيده في الثاني من اذار كل عام ثم بتعميمه هذا الغفران في ٢٧ ايار سنة ١٨٢١ لمن زار اية كنيسة كانت من كنائس الموارنة يوم عيده كهذا النهار.

ان اكبر اعجوبة صنعها الله ويصنعها الى الان بشفاعة القديس مارون والقديس يوحنا مارون هي حفظ هذه الطائفة منذ اربعة عشر جيلًا الى الان على الايمان الكاثوليكي دون خلل فان طائفتنا والحمد لله ما برحت مذ كانت في مهدها الى الان متحدة وملتحمة التحامًا كليًا بالكنيسة الرومانية المقدسة ام جميع الكنائس ومعلمتهنَّ ولم يفصلها عن الايمان الكاثوليكي المقدس احداق الغير المومنين والاراطقة والمشاقين بها واجهاد نفوسهم مرات شتى على اطغايها واضطهادها وذلها فحبطت مساعيهم ولم يتمكنوا من اطغاء قسم منها حتى لم تقسم الى كاثوليكية ومشاقة خلافًا لباقي طوائف المشرق والمغرب والحال شاهد بل لبثت بعمومها في كل

عصر الاَّ افراداً اقل من ان يذكروا محافظةً على الايمان القويم وشهد بذلك كثير من الاحبار الاعظمين والمورخين المدققين والبرهانات الساطعة ومن اثر الاسهاب في ذلك فليطالع ما كتبتهُ في كتاب روح الردود المشار اليه قبلاً -

قسم ثانٍ

اولادي الاحبا ان اكبر فخر لكم المحافظة على فخر اجدادكم واول فخر لاجدادكم محافظتهم على الايمان الصحيح والاتحاد مع الكنيسة الرومانية المقدسة فان هذا الفخر هو الذي يبلغ من حازه حقيقةً الى المجد الثابت والراهن نعم قد حاز اجدادكم فخر الشجاعة والصولة حتى فخر العلم ايضاً فانهُ قد وجد في كل عصر لاسيما في الجيلين الماضيين علما مشاهير من طائفتنا اناروا المغرب بتواريخ المشرق وما زالت تاليفاتهم تسدينا اكبر فخر وتجدي علينا وعلى العالم كله بفوائد شتى يقر لهولآء العلماء بها كل عالم ومطالع ويعترف بانه لا سبيل الى الاستنارة بتواريخ المشرق وتعلقاته الاَّ بمصابيح تاليفاتهم الوضاحة فنعم الفخر الاقتدا بكل نوع من هذه المفاخر ايضاً واحضكم جهدي على الاقتدا بهم واقتفا اثارهم كل بحسب حالته ودعوته لكن الفخر الاحق بامتلاكهِ وتتبع اثارهم بهِ والذي هو الزم من كل شي هو المحافظة على الايمان الصحيح الجد في الاعمال الصالحة الكد في اكتساب الفضائل اجهاد النفس في الامتناع من الرذائل وحفظ شعائر الادب والتزين بالخلال الحميدة التي كانت ابهى حلى يتجمل بها

اجدادكم والاَّ فيصدق بكم ما يقول الشاعر

يتفاخرون باجدادٍ لهم سلفوا نعم الجدود ولكن بئس ما خلفوا

قد روى الاب ابرونيموس دنديئوس اليسوعي الذي كان قاصدًا من لدن الحبر الاعظم الى طائفتنا وعُقد بحضرتهِ سنة ١٥٩٦ المجمع المعروف بمجمع بقوفا انهُ اجتمع في تلك المدة ببعض معتبري الطائفة ومقدميها ولدى حديثهِ لهم في الطاعة للكنيسة الرومانية نهض احد المقدمين فقال « ما لك ابانا وازعاج نفسك بالبرهان ثق اننا متشبثون باذيال كنيسة رومية حتى لو نزلت الى جهنم والعياذ بالله فنحن لها تابعون » فانظروا اولادي ما كان عليهِ اجدادكم من الحماسة والحمية في امر ايمانهم حتى قد حملتهم هذه الحمية والغيرة مرات الى ما كانت احوال تلك الاعصار تبيحهُ وتوذن بهِ ومن ذلك ان اليعاقبة دخلوا مرة في جبة بشري فاستوطن اكثرهم قرية بقوفا وطفقوا يبثون سم ضلالهم فوثب عليهم الموارنة فطردوهم وشتتوا شملهم واخربوا قريتهم حتى لا يعودوا فيسكنوها ويطغوهم وكتبوا صكًا اتفقوا عليه بينهم ان لا يقبلوا في وطنهم من كان على غير الايمان الصحيح وان من ترك هذا الايمان منهم ملك الجمهور عقاره ومقتناه. لست اطالبكم بذلك بهذا العصر ولا ارشدكم اليه معاذ الله لكني اريكم ما كان في اجدادكم من الحمية والغيرة على الايمان اما يترتب عليكم ان تكون فيكم شرارة من نار هذه الغيرة لكي تسخن قلوبكم ليلا تفتر بالعبادة فهم كثيرًا ما عرضوا نفوسهم لمخاطر حبًا بايمانهم افما يتوجب على اولادهم لا اقول ان يطوحوا نفوسهم لخطر ولا ان يخسروا مالاً ولا ان يتنسكوا وينفردوا عن

العالم بل ان يعملوا باوامر ايمانهم ان يتقوا الله ان يجانبوا الرذائل ان يثابروا على الصلوة وتناول الاسرار بمقدار ما توذن لكل منهم حالته ومشاغله .

اين اعتصام اولئك القدماء بنطاق المحبة بعضهم مع بعض من نقسم الموازنة على بعضهم اليوم لاقل سبب اين فضلهم وفضيلتهم من تمدن بعض شباننا في هذه الايام حتي يخجلوا اذا قيل فيهم انهم من اصحاب الفضيلة اين حمية اولئك وغيرتهم على الايمان من برودة كثيرمنا في ايامنا حتي اذا أُزعج في اقل امر او فاته شي من الربح اسمعك قوله الخشن انه ليترك مذهبه . اين عفاف اولئك وحشمتهم رجالاً ونساءً من خلع بعض الشبان والنسا عذار الخجل والحيا في هذه الايام . اين ادابهم . اين صدق كلامهم . اين مسعاهم المستقيم . اين حبهم للخير وملافاتهم لحال الفقرا . كل ذلك قد استغرقهُ تمدن هذه الايام فنعم التمدن الذي ينسينا الفضائل وياتينا بالرذائل واسبابها ويعلم المكر ويفضي الى احتقار الفقرا ويمزق شعائر الحياء ويخل بالاداب ويورث الخلاعة .

فكن متمدنًا اذًا اولاً وقبل كل شي امام الله الذي بيده الحيوة والموت الابديين والذي اذا كنت متمدنًا على غير مسرته فيطردك من بيته ويلقيك الى الظلمة البرانية كن متمدنًا بموجب وصايا الله التي قيل فيها اذا حفظتها حفظتك وان خالفتها فالى دركات الجحيم . كن متمدنًا على ما تقتضيه سنة الطبيعة وفروض الانسانية من الصدق والاستقامة ومحاشاة المكر واجتناب المضرة للناس . ليس التمدن فتورك بالدين وامتهانك

بوصاياه وتنقيبك في امور الايمان وتنديدك بالاسرار الموحاة من الله وادعاك الحكم عليها بعقلك السخيف الضعيف كان الله عز وجل ليس اوفر منك حكمة او لاحق له ان يعلمك الاَّ ما يمكن عقلك ان يلقنك اياه فلوصح هذا لكنت غنيًا عن الوحي كله مكتفيًا بنور عقلك وحده والحال ان فلاسفة العالم الذين لم يشرق عليهم الوحي اوقعتهم فلسفتهم نفسها في اضاليل وغوايات يستحي بها الصبيان ولم يتمكن عقلهم وحده من ان يجمعهم على الصواب وناشدتك الله لوكان عقلك القاضي في امور الايمان فكم تابع تظن كان لك فيما تذهب اليه وتعتقده دينًا بل انت نفسك بكم مذهب كنت تمذهبت الى الان لانك لا تستطيع ان تنكر انك كثيرًا ما ترى الان حقًا ما كنت بالامس تراه باطلًا وغدا ترى الامرين باطلين والصحيح خلافهما ولك في ذلك امثلة وضاحة في من جعلوا عقلهم قاضيًا في دينهم وما هذا التمدن الذي نقر به اسرار الطبيعة ونحس بها ونتاوه الى ادراكها وتعترف بانها اعلى منك وتنكر اسرار الله وتريد ان تخضع الى عقلك كل ما اوحاه . فانت لا تدرك بما تقوم القوة الكهربائية وقوة الجذب والدفع في جميع الاجرام بل لا تعلم بالتمام كيفية النمو في النبات والحيوان وتعتقد ان في ذلك اسرارًا خفية بل تعتقد مثل هذه الاسرار في جسدك ونفسك ذاتها مثلًا لا تدرك قوة الحركة والحس فيك اين مركزها وكيف تنتشر في الجسد وكيف هذا الروح البسيط ينفذ امره بهذه السرعة العجيبة وكيف يطيعه هذا الجسد المادي العديم الحس والحركة والفهم اذا جردناه عن ذلك الروح انك نقر ان كل ذلك من الاسرار

الغامضة فلمَ فلسفتك اذاً على اسرار الله الدينية مع ان هذه الاسرار تفوق عقلك فقط ولا تضاده وما هذا التنكيت في امور الدين التي لا تفوق عقلك ايضاً بل يعرفها العالم و يثبتها با لبرهان العقلي نفسه خلافاً لكل متعنت ولكنك بجهلك تعيها وتناقش عليها فيصدق عليك ما قال الشاعر نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقعُ

ليس التمدن با لتبرغ والتوحل بملذات العالم الدنسة والعشق المعذب في الدنيا والاخرى . ليس التمدن بجعد الشعر ولا بتحسين المنظر والملبس ولا بالهندام المشكك المهيج الى الشر. كل هذا هو تمدن الاثم المودي الى الخراب الروحي والزمني احياناً والمعقوب بالهلاك الابدي ولم يكن عند اجدادنا هذا التمدن السيء وما نسميه فيهم عدم تمدن من سذاجتهم وعدم انتظام ملابسهم وسعيهم المخلص وادابهم الاصلية وما اشبه هو انفع كثيراً من تمدن ايامنا المشار اليهِ من اوجه شتى....

نعم اولادي ان العصر تغير وان بعض ما كان يستسير به اجدادنا من الملبس والماكل لم يعد له محل في هذه الايام وقد نسخه الزمان لكنَّ الخصال الحميدة والفضائل واوامر الدين هذه لا يعتريها غيار ولا تبدلها الايام فهي بجودتها ازلية في عقل الله مغروسة في الطبع السليم ابدية ما دام هذا العالم وما دام خليقة ناطقة فاجهدوا نفوسكم اذاً في اكتساب التمدن الحقيقي المرضي لله المطابق لسنة الطبيعة ولوصايا الله وهذا الزام على كل احد لكن الالزام فيكم مضاعف فان بيروتنا الان كمنبع اذا خرج منهُ سيئات طافت اولاً في شوارعها ثم امتدت الى كل جهة في سورية

واذا صدر عنه صالحات وتمدن حقيقي عمت فوائده كل مقاطعة من هنا يتوصل الفتور في الدين الى باقي مدن سوريه وقراها . من هنا تمتد الخلاعة الى باقي الجهات . ومن هنا المثل الصالح يعمر سكان المعاملات التي لها شي من التعاطي عندنا فحذار حذار ان تكونوا معثرة للهلاك والخراب الروحي لا لنفوسكم فقط بل لجماهير كثيرة ايضاً واساله تعالى بشفاعة القديسين مار مارون ومار يوحنا مارون المعظمين ان ينيلكم نعمة الثبات على الايمان القويم والنعم الفعالة لتصنعوا الاعمال الحسنة وترثوا اخيراً الملك المؤبد .....

عظةٌ

تلاها في الاحد الخامس من الصوم في ١٠ اذار سنة ٧٢

يا ابني مغفورة لك خطاياك مرقس ص ٢ عد ٥

قد اعتدت في عظاتي الماضية ان اجعل مستهل كلامي اية من الانجيل الذي يتلى في ذلك النهار لاعتباري ان الكنيسة خصت فصول الانجيل بهذه الايام ليكون لنا كل فصل في يومهِ مادة نتامل بها ونجني منها ثمرة الفضيلة المقصودة وعلى عادتي السالفة اجري اليوم فقد تلي على مسامعكم اليوم فصل الانجيل المنطوي على اعجوبة ابرا المخلص للمخلع الذي اتوا اليه بهِ محمولاً على سرير تحمله اربعة رجال اشارة الى ان تخلعه كان تاماً لا يمكنه من ان يخطو واراد من ذكر ذلك تحقيق الاعجوبة . ولما كان الجمع مزدحماً الى يسوع حتى لم يستطع من اتوا بالمخلع الدنو منهُ وكان

ايمانهم وثيقاً صعدوا على السطح وثقبوا سقف البيت حيث كان يسوع
ودلوا السرير الذي كان المخلع عليهِ فلما نظر يسوع الى ايمانهم قال للمخلع
يابني مغفورة لك خطاياك مبيناً ان السعي لنوال مغفرة الخطايا هو الزم
واهم كل امر ومقدم على كل شي وان الانسان اذا كان في خطية مميتة
لزمه ان يستغفر الله ذنبه قبل ان يخطو خطوة واحدة لانهُ يكون مخلعاً
بالخطية عن المشي في طريق الله المتوجب عليهِ سلوكه فيلزم ان يستميح
اولاً مغفرة الخطية التي هي كعقال لهُ فاذا حل مشي ولرغبة المخلص في
مغفرة خطايا الناس ومخاطبتهم في امرها ترك الكتبة والفريسيين يفكرون
في قلوبهم من هذا المتكلم بالتجديف من يمكنهُ ان يغفر الخطايا غير الله
وحده فعلم يسوع بروحهِ اي بقوة لاهوته ما كانوا يفكرون في نفوسهم فقال
لهم ... ايما ايسر القول للمخلع قد غُفرت لك خطاياك او القول قم احمل
سريرك وامشِ فغفران الخطايا بنفسهِ اعسر من القول قم وامشِ لانه اعلى
من امور الطبيعة كافة لملاحظتهِ مرتبة النعمة ولكن المسيح قال هنا ان
غفران الخطايا ايسر من القول قم فامشِ على موجب حكمنا البشري
الذي يعتبر الامور المحسوسة اكثر من الامور الروحية والادبية ثم ان
القول مغفورة لك خطاياك لايمكن سامعه ان يونب قائلهُ على الكذب
اذا لم يتم حقيقة لخفائهِ بخلاف القول قم فامشِ لان صحته او عدمها تظهر
لكل احد وعليهِ فقد برهن بالاعجوبة المحسوسة التي هي اعسر على رايهم
سلطانه على مغفرة الخطايا كما قال لتعلموا ان ابن البشر لهُ السلطان في
الارض ان يغفر الخطايا وان يهب هذا السلطان السامي الخاص بالله

وحده وبالمسيح من حيث هو انسان ايضًا للكهنة وان يوليهم اياه كنواب له كما فعل في كهنة العهد الجديد وتلك منة عظمى ورحمة كبرى جعل الله بها الناس يغفر بعضهم خطايا البعض تسهيلًا لخلاصهم ونقربهم منهُ وذلك بتوسط سر مغفرة الخطايا اي سر الاعتراف الذي هو مادة كلامي في هذا النهار حيث اولاً اثبت حقيقة وجود هذا السر في بيعة الله وامر المخلص للناس بممارسته . ثانيًا ابين عظمة احسان الله بانشائهِ واحض على تواتر الاعتراف ثالثًا اوضح كيفية التقدم اليهِ كما ينبغي فصلوا الى الله ليفيدكم بكلامي

قسم اول

ان في هذا القسم الاول اي في اثبات كون الاعتراف سرًا حقيقيًا مامورًا بممارستهِ قسمين من البرهان الاول للكاثوليكيين والثاني لمن ينكرون هذا السر ففي اثباتهِ للكاثوليكيين لا حاجة الى اكثر اسهاب من القول ان الكنيسة في كل جيل اعتقدت الاعتراف سرًا من الاسرار السبعة وامرت بممارسته وان المجمع التريدنتيني (في مجلس ١٤) حرم من لا يعتقد من الايمان ان الاعتراف سر حقيقي وانهُ يشترط للسر ثلاثة وهي رسم المسيح والاشارة المحسوسة والوعد بالنعمة والحال ان هذه الثلاثة موجودة في سر الاعتراف فان رسم المسيح ظاهر بقولهِ مهما حللتموهُ في الارض يكون محلولاً في السما ومهما ربطتموهُ الخ ... وقوله من غفرتم لهُ خطاياه غفرت ومن امسكتموها عليه مسكت . والاشارة المحسوسة هي الاعتراف

بالخطايا وحلة الكاهن . والوعد بالنعمة مصرح بقولهِ يكن محلولاً في السما وقوله غفرت فالكنيسة الكاثوليكية عرفت دائماً سبعة اسرار احدها هذا السر وامرت بمارسته وهذا يغني عن التطويل للكاثوليكيين

واما في اثبات هذا السر لمن ينكره فاقول ان هذا السر لم ينكره الاراطقة القدما بل المتجددون فان اتباع مونتانوس ونوفاسيانوس في الجيل الثاني للمسيح لم ينكروا كون الاعتراف سراً ابدعه المسيح بل ارادوا حصر سلطان الكنيسة على الحل من بعض الخطايا فقط وفكلافوس سابق البروتسطنت لم ينكر لزوم الاعتراف الاَّ اذا وجدت الندامة الكاملة كما يظهر من قضيته السابعة التي حرمها مجمع قوسطنسا حيث قال (اذا ندم الانسان كما ينبغي كان كل اعتراف خارج فضلة لهُ) ولوتاروس نفسه في كتابه في سبي بابل (الراس في التوبة) قال « ان الاعتراف السري كما يصنع يعجبني كثيراً وهو نافع بل لازم » الا انهُ قال لا يمكن اثباته من الاسفار المقدسة وليس ضروريا الاقرار بالخطايا الثقلية كلها وظروفها ثم تجاسر اكثر فقال ان الاعتراف جلاد الضمائر وصورة الايمان التي سنها البروتسطنت في اغوسطا قالوا فيها « ان الاعتراف في الكنائس لم يبطل عندنا » اما كلوينوس ففي ك ٣ من رسومهِ راس ٣ اقران استعمال الاعتراف قديم جداً لكنه كان قبلاً غير مامور وقرظ في راس ٤ عد ٣ الاعتراف بانهُ مفيد بقولهِ « من كان ضميره معرقلاً جنى من الاعتراف احسن ثمرة » لكنهُ في عدد ١٩ من الراس المذكور كانهُ سها عما كان كتب فحرم الاعتراف وفي درياق المجمع التريدنتيني

قال لم يكن في الكنيسة مدة الف سنة استعمال الاعتراف الى ان ادخل انيوشنسيوس الثالث هذه الاحبولة للشعب المسيحي» ولكن لنا البرهانات خلافًا لهولا من الكتاب المقدس والتقليد وبعض الاثار الكنائسية

واولاً ان الشريعة القديمة كانت ظلاً للمستقبلات فكان مناسبًا ان يظهر سر الاعتراف تحت ظلها وعليهِ فنجد اثارًا في العهد القديم تبين ان الاعتراف امام الكاهن بالخطايا كان دارجًا بل مامورًا فقد ورد في سفر الاحبار ص ٥ عد ١ « ان اخطيئت نفس ... فلتتب عن خطيتها ولتقرب رخلا من الغنم او جدية من الماعز ويستغفر لها الحبر ويطلب من اجل خطيئتها » وقد ورد في النسخة العبرانية مكان فلتتب فلتعترف بخطيئتها وكذا جاء في هذا السفر ص ١٦ عد ٢١ ان الكاهن « يضع يديه على راس الجدي ويعترف بخطايا بني اسرائيل وجهلهم وجميع اثامهم » وفي ص ٢٦ عد ٣٩ « ويعاقبون باثم ابائهم واثمهم حتى يعترفوا بخطاياهم » وفي سفر العدد ص ٥ عد ٦ ايما رجل اقترف شيئًا من جميع الخطايا ما يخطي بهِ البشر وغفل وجاز عن وصية الرب واثمهُ فليعترفوا بخطيتهم » وكان هذا الاعتراف يقترن مع الذبيحة وصلوة الكاهن عن الخطية ليظهر ان الخطية يلزم الاعتراف بها للكاهن ولهذا علم الربيون اليهود كابن عذراء وغيره سندا الى الاسفار المقدسة ان الاعتراف لازم وقالوا « ان الاسرائيليين لما كانوا يقدمون الذبائح فاذا لم يتوجعوا ويعترفوا اعترافًا مرتبًا مبينًا بالخطايا لم تكن لذبائحهم قوة البتة » وجا في التلمود « انهُ يظهر من التقليد ان الخاطي يلزمهُ ان يوضح في الاعتراف جميع اعمالهِ

فرداً فرداً » ومن كل ما مر يظهر ان اليهود كانوا يعتقدون ان الاعتراف بالخطايا امام الكاهن مامور في سنة موسى وهذا يظهر من الاسفار المقدسة نفسها . وقد جاء في سفر الامثال ص ٢٨ عد ١٢ « من اخفى اثامه لا ينجح ومن اعترف بها وتركها ادرك الرحمة فلا عجب اذاً من ان يوحنا المعمدان كان ينذر بالتوبة وكان يخرج اليهِ كل من في اورشليم وجوارها « ويعتمدون منهُ في الاردن معترفين بخطاياهم » فاذاً من حيث ان الاعتراف في العهد القديم كان دارجا بل ماموراً فقد كان ذلك بلا بد ظلاً ورسما للاعتراف السري في العهد الجديد كباقي رموز العهد القديم

الا اننا لا نكتفي بهذا البرهان ولا نعول عليهِ كل التعويل بل الاعتماد في ذلك على ما ورد في العهد الجديد وخاصة ما رواه يوحنا الانجيلي ص ٢٠ عد ٢٢ حيث قال ان المسيح نفخ في وجوه الرسل وقال لهم « اقبلوا الروح القدس من غفرتم لهُ خطاياه غفرت لهُ ومن امسكتموها عليهِ مسكت » ثم ما ورد في بشارة متى ص ١٦ وص ١٨ مما قالهُ المسيح لبطرس ثم للرسل "مهما ربطتموه على الارض يكون مربوطاً في السما ومهما حللتموه على الارض يكون محلولاً في السما » ليت شعري كيف كان يمكن الرسل او خلفاهم ان يغفروا الخطايا او يمسكوها وان يحلوا او يربطوا من الخطايا دون اعتراف الخطاة بها فالخطايا غالباً خفية فكيف يغفرون او يمسكون ما لا يعرفونه دون اقرار الخاطي فماذا هل جعل المخلص كهنته جواسيس للناس ليتجسسوا على اثامهم و يغفروها دون علمهم كلا لعمري بل جعلهم قضاة واطباء للنفوس ومن اين للقاضي ان

يحكم في الدعوى من غير ان يسمعها وينظر فيها وكيف يستطيع الطبيب ان يعالج مريضاً من غير ان يعلمه المريض بما يحس بهِ من الوجع والالم فاذاً بنفس اعطا الرسل وخلفائهم السلطان على غفران الخطايا ومسكها وحلها وربطها قدامر المومنين ان يكشفوا خطاياهم ويعترفوا بها امامهم والا فلا تكون منفعة من هذا السلطان ولا يمكن استعمالهُ البتة · وزد على ذلك ان نفس الهيئة التي منح المخلص بها هذا السلطان لرسله تبين انه يمنحهم سلطانا كبيراً على حل الخطايا ومسكها وهو خاص بهِ « من يمكنهُ ان يغفر الخطايا الا الله وحده » فالامَ يشير نفخه في وجوههم وما معنى قوله اقبلوا الروح القدس الا كانهُ يقول اقبلوا السلطان على حل الخطايا بواسطة الروح القدس كما فسر توافيلكتوس واوتيميوس · فما اصوب اذاً طعن المجمع التريدنتيني بالحرم من يزعم ان هذه الاية التى رواها يوحنا ليس المراد منها غفران الخطايا او مسكها في سر التوبة

نعم قد زعم كلوينوس ان المراد بالاية الانذار بالانجيل فكان المخلص يقول على زعمه من انذرتموه بالانجيل تغفر له خطاياه بنفس ايمانه ان امن ولكن من لا يرى ان هذا التفسير معوج ومضحك وفيهِ من التعسف كله فلو صح هذا لكان الرسل بل المومنون كافة قضاة لانفسهم ويغفرون خطاياهم لذواتهم وهو محال فما من احد يكون قاضياً في دعواه . ثم ان المخلص قال بالغفران والمسك فان تاولنا الغفران بمعنى الانذار فكيف نتاول المسك والمسيح امر الرسل ان ينذروا الخليقة كلها · ثم اين الانذار من غفران الخطايا ومسكها فهما امران مختلفان الاول عمل

رسول والثاني عمل قاضٍ ورئيس والمخلص صرح بذكر الانذار والكرازة كل التصريح فلمَ يبهمه هنا بتسميته غفرانًا ومسكًا والحاصل ان الاية نص صريح في اعطاء الرسل ومن يخلفهم السلطان على حل الخطايا وتعويج كلوينوس لها يفنده مجرد تلاوتها اكثر من البرهان في تفنيد تفسيره

وفيما كتبه الرسل اشارة الى اعتراف المومنين الاولين بخطاياهم للرسل او غيرهم من الكهنة فقد ورد في الابركسيس ص ١٩ عد ١٨ « ان كثيرًا من المومنين كانوا ياتون فيعترفون ويخبرون بافعالهم » وقد فهم فم الذهب وباسيليوس وغيرهما الاية بمعنى الاقرار بالخطايا امام الكاهن وايد هذا التفسير النص السرياني الذي يقرا فيهِ « ويخبرون باثامهم » وقد جاء في رسالة ماريعقوب ص ٥ عد ١٦ « اعترفوا بعضكم لبعض بخطاياكم » حيث يحرض المومنين على الاعتراف بالخطايا ولما كان قال في عد ١٤ « فليدعوا قسوس البيعة » فظهر انهُ يشير من غير التباس الى الاعتراف للكهنة نعم قد زعم بعض علمائنا الكاثوليكيين ان الاية ليست بينة قاطعة على الاعتراف ولكن قد جعلها غيرهم برهانا عليهِ حتى قال مورينوس (في ك ٨ في التوبة راس ٨) ان هذا تفسير الابا الاقدمين للاية . وينخرط في هذا السلك قول مار يوحنا في ص ١ من رسالتهِ الاولى عد ٩ « ان نحن اعترفنا بخطايانا فهو امين عادل ليغفر لنا خطايانا ويطهرنا من جميع الاثام » فان كلامه في الاعتراف الخارج للناس كما يظهر من سوابقه وفي الاعتراف الذي

وعد الله به بغفران الخطايا لارجاعه ذلك الى امانة الله وعدله فقد اتضح اذًا من الاسفار المقدسة ان الاعتراف بالخطايا للكهنة سر مامور بممارستهِ

فلنرَ كيف علم بهِ الاباء والعلماء منذ اجيال الكنيسة الاولى فصاعدًا فالقديس برنابا او مولف اخر قال في الرسالة التي كانت في الاجيال الاولى كثيرة الاعتبار ما نصهُ «اعترف بخطاياك ولا تقدم على الصلوة وانت في سوء الضمير فهذا طريق الخلاص» والقديس اكليمنضوس الروماني في الجيل الاول ايضًا قال في رسالتهِ الاولى الى القرنتيين «الاولى بالناس ان يعترفوا باثامهم وخطاياهم من ان تتصلب قلوبهم» وقال في رسالتهِ الثانية «ما دمنا في هذا العالم فلنرعوِ بكل قلبنا عن الشرور التي نصنعها في الجسد ليخلصنا الرب مادام لنا زمان للتوبة فاذا خرجنا من العالم لم يبقَ لنا ان نعترف هناك او نتوب» وفي الجيل الثاني روى القديس ايريناوس (في ك ا ضد الاراطقة راس ٦ عد ٢) ان بعض تباع والينتينوس افسدوا النسا اللواتي كنَّ يتعلمن منهم هذا التعليم... وبعد ارتداد النسا الى بيعة الله اعترفن بهذا الاثم مع باقي ضلالهن» وقد روى ايضًا (في الكتاب المذكور راس ١٢ عد ٥) ان مرقس الساحر مكر بامراة شماس فارتدت «فبقيت مدة حياتها لا تنكف من الاعتراف بالاثم الذي اقترفته ماحية الوصمة التي انزلها بها الساحر بدموعها» وفي الجيل الثالث قال ترتوليانوس (كتابه في التوبة راس ٨) «ان الاعتراف بالاثام بمقدار ما يثقلها المراياه فالاعتراف دليل الاسترضا والمراياه دليل العنا» وقال ايضًا في المحل المذكور راس ١٠ «ان كثيرين

ينتبهون الى الخجل اكثر من الخلاص فيهربون من هذا العمل (اي الاعتراف) سترةً لهم او ياخرونه من يوم الى يوم كمن اصابهُ مرض في الاعضا المستحي منها فاخفى على الاطبا مرضه فيباد بخجله .... فاذا اخفينا نفوسنا عن معرفة الناس هل نخفي عن الله وهل الاولى لنا ان نهلك وذنوبنا خفية من ان نحل وهي مكشوفة » وقال ترتوليانوس (في مقالة ٢ في سفر الاحبار) « واذا لم يخجل الخاطي من ان يبين خطيته لكاهن الرب ويستمد العلاج بحسب قوله قلت اعترف باثمي للرب وانت تغفر شر قلبي » وقال في المقالة الثانية في مزمور ٣٧ عد ٦٦ ما نصه كما ان « من بقي فيهم الطعام غير مهضوم او تثقلت معدتهم بخلط او بلغم فاذا تقاءوا استراحوا فهكذا من اخطاءوا فان اخفوا الاثم فيهم تضايقوا داخلاً وخنقهم بلغم الخطية وخالطها فان شكى احد نفسه فبشكايته واعترافه يتقاءا الاثم ونزول علة المرض كلها فلا خطر بتحرزمن يلزمك ان تعترف لهُ بخطيتك وامتحن اولاً الطبيب الذى تعرض عليهِ مرضك » وقال في مقالة ١٧ في لوقا فاذا صنعنا هذا وكشفنا خطايانا لالله فقط بل لمن يمكنهم ايضاً ان يطيبوا جراحنا وخطايانا فيمحي خطايانا من قال هوذا امحي كالسحاب اثامك وكالظلام خطاياك » وقال القديس كبريانوس (كتابه في الساقطين عد ٢٠) كم يكون اعظم ايماناً واحسن خوفاً من... يعترفون بتوجع وبساطة امام كهنة الله بما افتكروا بهِ من الاثم منقين ضميرهم. الى ان قال فليعترف كلٌ منكم ايها الاخوة الاحبا باثمهِ مادام من اثم في العالم وما دام ممكناً قبول اعترافه ومادام الوفاء والمغفرة بواسطة الكهنة

مقبولة عند الله .

واما في الجيل الرابع والخامس فشواهد الآبا والعلما في ممارسة الاعتراف وضرورته صريحة بينة قال اوسابيوس القيساري (في تفسير مزمور ٢٤) « قد اثبت لمن اثموا طريق الخلاص اي الارتجاع والتوبة والاعتراف » وقال القديس ايلاريوس في تفسير مزمور ١١٨ عد ١٩ « يلزم الاعتراف بالخطية لتنال المغفرة » وقال في تفسير مزمور ١٣٧ عد٣ يلزم الامتناع عن الخطايا بعد أعراضها في الاعتراف ويلزم الاعتراف من كل القلب لا بجزء من الخطايا المعروفة ومن دون ان يبقى شي منها » وقال القديس كيرللوس الاورشليمي في كتاب التعليم عد٥ « ان الزمان الحاضر زمان الاعتراف فاعترف بما ارتكبت قولاً او فعلاً ليلاً او نهاراً » وقال القديس اثاناسيوس « كما ان الانسان اذا عمده الكاهن اناره الروح القدس هكذا من يعترف بخطاياه للتوبة ينال غفرانها بواسطة الكاهن » وقال القديس باسيليوس في الجواب على سوال ٢٨٨ « من اللازم الاعتراف بالخطايا لمن سلم اليهم توزيع اسرار الله » وقال القديس امبروسيوس في خطبتهِ بعد الاحد الاول من الصوم « هوذا الان الزمان الذي بهِ يلزم ان تعترفوا بخطاياكم لله وللكاهن وتمحوها بالاصوام والصلوات والدموع والصدقات فلمَ يستحي الخاطي ان يبين خطاياه وهي مكشوفة لله وللملائكة وجميع نفوس المختارين . الاعتراف ينقذ من الموت الاعتراف يفتح الفردوس الاعتراف ينول رجاء الخلاص» فهل اوضح من هذه الشواهد ولنا مثلها شهادات لا تحصى نعدل عنها مجانبة

للملكم وكل هولآء الاباء من الاجيال الاربعة الاولى ويوجد غيرهم كثيرون من هذه الاجيال ومن الاجيال التابعة الى الجيل الثالث عشر فاي صدقٍ اذًا لقول كلوينوس ومن اتبعهُ ان الاعتراف ادخله البابا اينوشنسيوس الثالث في الجيل الثالث عشر

ثم ان الاثار الكنائسية تبين ايضًا كون الاعتراف سرًا مبدعًا ومامورًا من المسيح فقد شهد اوسابيوس (في ك٢ من تاليفهِ البرهان الانجيلي) ان الاعتراف كان دارجًا في عصر الرسل بقولهِ (قد كان تلاميذ مخلصنا اشداء يتركون في نفوس سامعيهم مناخس تدخل تعليمهم في صميم افئدتهم حتى يبرزوا الخفايا من مطاميرها ويعترفوا جهرة بقبائح سيرتهم الماضية) وروى القديس ايريناوس في الجيل الثاني ك ١ ضد الاراطقة راس ١٣ ان مرقوس الاراتيكي خدع بعض نسا فاعترفن باثمهنَّ وفي الجيل الثالث مدح القديس كبريانوس في كتابهِ في الساقطين عدد ١٤ من يوضحون خطايا الكفر ايضًا للكهنة وفي الجيل الرابع روى اوسابيوس في ك٦ من تاريخ الكنائس راس ٩ ان الثلاثة الذين اتهموا القديس نرسيس مات اثنان منهم بتعاسة والثالث اعترف بكلما جرى في التهمة وصنع توبة صارمة. وروى في راس ٣٤ ان القديس فابيانوس منع فيلبوس القيساري عن التقدم الى الاسرار المقدسة (قبل ان يعترف باثامه وينضم الى من سقطوا ودخلوا مصاف التائبين) وروى ايضًا ان سرابيون لما غلبه الاضطهاد ودنا من الموت دعا قسًا ليمنحه احسان المصالحة. وروى سقراط في ك٥ من تاريخهِ راس ١٩ (ان امراة شريفة

تقدمت الى الكاهن المعرف واعترفت بما ارتكبت من الخطايا بعد المعمودية بالتفصيل) وقد مدح بولنيوس الشماس غيرة القديس امبروسيوس في سماع الاعترافات . وفي الجيل الخامس قال مار اغوسطينوس في خطبة ٣٩٢ في لزوم تقدم الانسان الى التوبة ما دام على صحته مبرهنًا هكذا (لانهُ اذا اصر الى اخر حياته فلا يعلم ان كان يستطيع ان يصنع التوبة ويعترف بخطاياه لله وللكاهن) وفي الجيل السادس قد شهد بعادة المومنين على الاعتراف بالخطايا الثقيلة قبل الاقتراب من المناولة انسطاسيوس السيناوي في كتابه في المناولة المقدسة راس ٢ و بولينوس الاكوبلاوي في كتاب تحريضاته لانريكوس وغيرهما وفي الجيل السابع روى اورانوس الاسقف في كتاب ترجمته القديس اليجيوس (انه منذ صباه كان يعترف امام الكاهن بجميع افعاله) وتوادوروس مدح القديس بلانون على انه كان من صباه يعترف لراعي نفسه بافكاره ولو خفيفة . وفي الجيل الثامن روى بيدا المكرم في ك ٤ من تاريخه راس ٢٥ ان ارمانوس تقدم الى الكاهن فاعترف باثمهِ بل ان المرسلين الذين ارسلهم القديس غريغوريوس الكبير الى انكلترا عند رجوع اهلها الى الايمان ادخلوا الاعتراف واعتبر مامورًا بالناموس الالهي وقد برهن ذلك من اثار عديدة لينكرد الشهير في قدم كنيسة الانكليز ك ٣ راس ٢ ومابيلون في اعمال رهبنة مار بناديكتوس من سنة ٧٠٠ الى سنة ٨٠٠ بل كان دارجًا في ذلك العصر ان ينتخب للملوك كهنة معرفون وقد كان مرتينوس الراهب معرفًا لكرلوس مرتا لوس ملك افرنسا

والقديس اوسبارتوس في نورمانديا معرفًا لتودوريكوس الثالث ملك افرنسا ايضًا ولاحاجة الى اكثر اسهاب في ايراد الامثلة والشواهد للاعتراف ما بعد الجيل الثامن لان بعض البروتسطنت نفسهم لاينكرون ان الاعتراف درج من ذلك الجيل فصاعدًا .

لما كان من عادة المجامع ان تحد وتفصل ما وقع تحت الخلاف وقاومه بعض ولم يكن في اجيال الكنيسة الاولى من مخالف لوجوب الاعتراف فلا عجب اذا لم نرَ بين رسوم المجامع القديمة رسمًا يلاحظ الاعتراف على اننا مع ذلك نجد في رسوم هذه المجامع ما يتحصل منه لزوم الاعتراف فالمجمع اللاذقي الذي عقد سنة ٣٧٢ قال في القانون الثاني (اما من ارتكبوا اثامًا مختلفة ثم حصلوا على ارعواءٍ تام عن الشرور مثابرين على الصلوة والاعتراف والتوبة بحسب كيفية اثمهم فهولآء بعد انقضآء زمان التوبة يقبلون في الشركة لرافة الله وجوده) والمجمع القرطاجني الثالث الذي عقد سنة ٣٩٧ رسم في قانون ٣١ (ان زمان التوبة يعين بحسب اختبار الاسقف للتائبين بموجب تفاوت خطاياهم) فهذه القوانين وما اشبهها تفترض الاعتراف السرى او العلني والا فكيف يمكن مقايسة زمان التوبة على تفاوت الخطايا اذا لم تكن مكشوفة ومقرًا بها . ومجمع قصر الملك الذي عقد في القسطنطينية سنة ٦٩٢ قال في القانون ١٠٢ (ويلزم من قبلوا من الله سلطان الحل والربط ان يتاملوا بكيفية الخطية ورغبة الخاطي في الرجوع وهكذا يعينون لكل داءٍ دواءً يناسبه) وقال في مجمع ريم الذي عقد سنة ٦٢٩ قانون ٨ (لايسمع احد

اعترافات التائبين في ايام الصوم الأَ الراعي) ومجمع تورون الذي عقد سنة ٨١٢ قانون ٢٢ قال (يلزم الاساقفة والكهنة ان يمعنوا النظر كيف يعينون زمان الامتناع من الشركة للناس الذين يعترفون لهم باثامهم ليقاس الامتناع على نوع الخطية وقد اختلف بعض الكهنة في ابراز هذه الاحكام ولهذا نرى لازماً ان يتعين عند اجتماع الاساقفة اجمع في البلاط المقدس اي كتاب من كتب قوانين التوبة القديمة جدير بالاتباع) ومجمع نابيلون الثاني الذى عقد سنة ٨١٢ ايضاً قانون ٣٢ قال ونرى انهُ يحتاج الاصلاح الامر الآتي وهو ان البعض لما يعترفون للكهنة بخطاياهم لا يصنعون اعترافهم كاملاً فمن البين ان الانسان مولف من جوهرين النفس والجسد فياثم تارةً بحركة نفسهِ وتارةً بضعف جسده فيلزم الفحص الجهيد على الخطايا ليكون الاعتراف كاملاً بكلا نوعيها اي ان يعترف بما فعل الانسان بالجسد وبما اثم بهِ بالفكر) ومثل ذلك رسمت مجامع اخرى عديدة لا يحتمل خطابي الان كثرة الاسهاب في ذكر شواهدها .

لكن لنا برهاناً قاطعاً بيناً لا يمكن العدول عن ذكره وهو ان الكلدان النساطرة والسريان اليعاقبة والارمن البراصمة الذين بقيت للان جماعة منهم ولعل كثيراً منكم يعرف بعضهم فهؤلاء اجمع قد انفصلوا عن الكنيسة الرومانية منذ الجيل الخامس متبعين ضلال نسطور واوطاخي و يعقوب البرادعي و برصوم ثم الروم الذين انفصلوا عن الكنيسة الرومانية في الجيل التاسع فهؤلاء جميعاً يعترفون للكهنة كما نعترف ولا يمكن ان تكون الكنيسة

الرومانية ادخلت الاعتراف بعد انفصالهم عنها وقبلوه منها لما كان دائماً بينهم وبينها من البغضة والتنديد كما لا يمكن لهذا السبب نفسه وغيره ان تكون الكنيسة الرومانية انتحلت الاعتراف عنهم فاذاً ما هذا الاتفاق بين كنائس تضاد احداها الاخرى واي مرجع له الاَّ الى ان الاعتراف كان دارجاً قبل انفصال هولاء عن الكنيسة عند المسيحيين كافةً ولما انفصل هولاء اجمع عن الكنيسة الرومانية حفظوا الاعتقاد بهِ ولذلك لم نرَ هذه الكنيسة لامتهم عليهِ كباقي اغلاطهم ولم نرَهم لاموها عليهِ فهذا برهان مفحم المتعنتين ايضاً لاسيما من زعموا ان الاعتراف ادخلهُ اينوشنسيوس الثالث في الجيل الثالث عشر في المجمع اللاتراني الرابع الذي عقد سنة ١٢١٥ مع ان هذا المجمع لم يضع الاَّ وصية الاعتراف ولو مرة في السنة ووصية التناول الفصحي كل سنة لئلا يتاخر المومنون اكثر من سنة عن قبول هذين السرين المحييين .

ان لنا برهاناً اخر يثبت على الاقل مناسبة ابداع المسيح سر الاعتراف وعدم وجود مانع من ابداعه . فالمخلص جعل الاسرار لملافاة احتياجات الحيوة الروحية واشبهها بما يلزم للحيوة الجسدية فجعل المعمودية مولداً في الحيوة الروحية والتثبيت تقوية وتشديداً والافخارستيا قوتاً وغذاءً روحياً والمسحة معيناً في ساعة الموت وسر الدرجة لاقامة ولاة يسوسون الناس في الحيوة الروحية وسر الزواج واسطة لحفظ النوع للحيوة الروحية ايضاً ومعيناً لتحمل مشاق الزواج فلا يكون باقياً الاَّ ملافاة احتياج الانسان في هذه الحيوة الروحية الى طبيب يعالجهُ اذا مرض بالخطايا ويردهُ الى

طريق هذه الحيوة اذا ضل عنها ويتوسط الصلح بينهُ وبين مانح هذه الحيوة وينبوعها وهو الله فهذا ما نقول ان المخلص تلافاه بفرضهِ سر الاعتراف وجعلهِ الكهنة اطباء لامراض النفس ومرشدين للخطاة ووسطاء الصلح بين الله وبينهم

ثم ايما هو الاحسن للانسان الاعرج هل ان يمشي وحدهُ او ان يتوكا على آخر والمحتار في طريق هل ان يسلكه وحدهُ او ان يكون لهُ مرشد وللساقط هل ان يترك ليقوم وحده او ان يمد اخر اليهِ يدًا ويقيمهُ ولا شك ان الانسان اعرج في طريق الفضيلة كثيرًا ما يحتاج من يرشده ويساعده على السلوك فيهِ فلا ينبغي ان نتصور ان المخلص الراوف لم يتلافَ حالة الانسان هذه بمرشدي الاعتراف وعلى الاقل لايمكن تصور شائبة البتة في هذه الملافاة على هذه الصورة. وليت شعري في اية شريعة او مملكة في العالم كله سلم بان يكون الانسان قاضيًا في دعوى نفسهِ وعليهِ فكيف يقول المحدثون لنا فلنعترف لله نعم نعترف لله اننا فعلنا الاثم امامه ونتوجع لذلك امامه ونقر باحسانهِ ولكن هل نستغنى عن قاضٍ يبين لنا ما نوجب على اثمنا من الكفارات ومن التعويض عن اهانة او ضرر الحقناه بغيرنا ومن مرشد يدبرنا ويدربنا بهذا الامر المهم وعن طبيب يعالج جراح نفسنا ويامرنا بعمل ما يفيد ومجانبة ما يضر فان تركنا ليد ذاتنا كنا قضاة لنفوسنا فيما لنا وعلينا واطباء لامراضنا ولا مرشد لنا في حفظ الشريعة ولم نرَ سنة في العالم مثل هذه فكيف يكون هذا في سنة المسيح الكملى التي هي الروحية فقد اتضح اذًا من كل ما مر

ان الاعتراف سر حقيقي مامور بمارستهِ وقد استعملتهُ الكنيسة منذ ايام الرسل الى الآن وانهُ لا شائبة بافتراضهِ بل منه منافع كبرى لا غنى عنها

قسم ثاني

ان نعمان السرياني لما كان مبليًا بالبرص (ملوك ٤ ص ٥) ومضى الى اليشاع النبي ليبرئه من برصهِ فامرهُ النبي ان يغتسل بماء الاردن سبع مرات فاستهجن الامر وقال اليس انهار دمشق احسن من جميع مياه اسرائيل وذهب مغضبًا فقال لهُ غلمانهُ لو قال لك النبي امرًا كبيرًا لترتب عليك صنعه فكيف وهو لم يقل لك الاَّ اغتسل وتطهر فمضى واغتسل فطهر وعظم قدر الاعجوبة وسهولة العلاج . فليتني اعلم بل ليت العالم كله يعلم ما اسهل العلاج الذي افترضهُ المخلص لامراضنا الروحية ونجاتنا من الموت اذ جعلهُ مجرد الاقرار بمرضنا واشمئزازنا منه فتامل بانسان مبلي بداء عضال يعيي الاطباء فاتاه طبيب يقول لمرضك عندي علاج لا مرية بابرائهِ اياه وهو سهل لا ثمن له ومركب من شرحك لي المرض والسبب الذي اوقعك فيهِ واشمئزازك منه هل كان يتوقف ذلك المريض هنيئة عن هذا العلاج الاَّ لخبل او جنون فانت هو ذاك المريض المبلي بداء الخطية الذي يعجز اطباء العالم شفاوه اسيه غفران الخطية التي لا يغفرها الاَّ الله وحدهُ وقد منح سلطانهُ هذا الخاص بهِ لا ناس مثلك وهم من معارفك واقربائك اي الكهنة وجعل علاجك منهم اقرارك بامراض نفسك امامهم واشمئزازك منها فهل تريد

ان تموت بالخطية ولا تاخذ هذا العلاج السهل باعترافك بخطاياك ونداماتك عليها فان ابيت هذا العلاج ورغبت في الموت دونه فانت اقضينَّ على نفسك بما تكون وسمِّيها بما تستحق من الاسم

انا بالخطية نكون اعداء لله كقول الرسول اذا كنا اعداء لله بالخطية صالحنا معه بابنهِ الوحيد وما ارهب مجرد هذا اللفظ انا عدو لله القادر على كل شي وينبوع كل خير والاعتراف يصلحنا معهُ تعالى وقد راينا الملوك يصطلح احدهم مع الاخر بدفع مليارات من الفرنكات فكيف يشق عليك انت الانسان الحقير الصعلوك ان تصالح ملك الملوك ورب الارباب على اقرارك بخطاياك امام الكاهن والندامة عليها ووفاء قانون تجزه في ربع ساعة على الكثير

ان حالتك وانت على الخطية المميتة مرهبة مرعبة فانت في الاصل ابن لله ومعد لتشاركه في ملكهِ لكنك الان متمرد عليه بجهلك تارك حقك ...ك مبغوض منهُ تعالى ومن الملائكة وسائر سكان السماء متوقع ...ام منك ساعة فساعة لا يمكنك ضيانة نفسك من حلول النقمة ... واحدة معذب بمناخس ضميرك مجرب بامتحانات الله لك منهمك ...ل التوصل الى مقاصدك السيئة ضال في طريق الاثم معدم الراحة ...لام الحقيقي يوبخك كل ما تستخدمه من خيرات الله في هذا العالم ...اوتك على موجده ومانحه وغمطك نعمته وكفرك باحسانه فكل هذه ...ائب والمشاق ينجيك منها الاعتراف الاعتراف يردك الى بنوة الله الحاً الك معه الاعتراف يفتح بوجهك باب السماء ويحببك الى الله

والقديسين . الاعتراف يغسلك من اقذار الخطية . الاعتراف يقيك النقمة الاعتراف يوليك الطانينة وراحة الضمير والسلام الحقيقي ومع ذلك لاتريد ان تنجو من تلك المصاعب والمصائب وتستريح من تلك الشوون وتكسب هذه الفوائد الكبرى بنفقة يسيرة انت الذي تصرف مبالغ وافرة في كل سنة على ما يريحك من متاعب قليلة ويوليك مسرة وراحة عابرتين . ما اكثر التنبيهات والتحذيرات والاوامر التي جعلها الله لك لتتوب معترفًا اعترافًا حقيقيًا متطهرًا فهو يتهددك تارةً بقوله ان لم تتوبوا فجميعكم تهلكون وبقوله ها الفاس موضوع على اصول الاشجار فكل شجرة لاتثمر ثمارًا تليق بالتوبة تقطع وتلقى في النار وبقولهِ معبرًا عنك بشجرة تعطل الارض ولاتثمرها ثلاث سنين اجيء واطلب ثمرة من هذه الشجرة فلا اجد فاقطعها فلماذا تبطل الارض . ويخيفك تارةً اخرى لعدم معرفتك ساعة الموت لتسرع الى التوبة والاعتراف بقولهِ تيقظوا فان ابن البشر ياتي في ساعةٍ لاتخالونها ولا تعلمون متى ياتي السارق هل في نصف الليل او عند الصباح ويبين لك طورًا شدة الانتقام الذي يجريه عليك اذا لم تسرع بالتوبة بقولهِ ان العبد الذي يخالف ارادة سيده ياتي سيده في ساعة لايخالها فيشقهُ ويجعل حظهُ مع المرائين ويلقيه في الظلمة البرانية هناك يكون البكآء وصرير الاسنان ويتملقك طورًا اخر لهذه الغاية بقولهِ طوبى لذلك العبد الذي ياتي سيده ويجده يفعل هكذا اي يفعل ارادة سيده او يعود بالاعتراف الى فعلها فانهُ يقيمه على كل ما له ويشد السيد وسطهُ ويتكيهِ ويتردد في خدمتهِ فهلا تحركك هذه

التنبيهات ولا تخشى هذه التهديدات ولا توثر بك هذه المواعيد والتملقات فماذا يوثر بك اذاً وماذا تظن ايعجز الله عن الانتقام منك ان بقيت مصراً على اثمك هل تعوزه القوة او الواسطة لذلك اما يكفيه مونة معاقبتك مجرد ارادتهِ اما تعلم امثالاً لذلك فكل من ماتوا مصرين على اثمهم اصابهم ما يصيبك لا محالة من العذاب الفادح الخالد ان بقيت متقاعداً عن الاعتراف فماذا ماذا اذاً يوخرك عن عمل خلاصك الذي اولهُ للخاطي مثلك الندامة والاعتراف العلك تطمع برحمة الله وانهُ كما عاملك بالرافة في ما مضي يعاملك في ما ياتى ولكن الا ترى انك بذلك تستخدم رحمة الله لزيادة اهانته فكيف ترجو ان يحتملك وهل تحتمل انت غيرك لو صنع بك كذلك واما تراهُ قد تلافى طمعك هذا برحمتهِ باعلانهِ ان يوم نقمتهِ ياتي كاللص ليلاً في ساعةٍ لا تخالها واما هو القائل ملعون من يخطي متكلاً على الرجاء فلا وجه اذاً صوابي لتاخرك عن التوبة والاعتراف فاسرع اسرع اذاً الى محو اثامك بالاعتراف النقي وعمل خلاصك بالخوف والرعدة

ولكن واسفاه ان بعض شباننا المدعين التمدن يستخفون بسر الاعتراف وقلما يمارسونه ويكادون ان لا يعترفوا مرةً في الفصح زاعمين ان الاعتراف لا يليق بتمدنهم فاريد ان اعرف من اصحاب التمدن الفاسد هذا أهم نصارى يعتقدون بكلام الله الموحى او لا فان اعتقدوا ذلك لزمهم ان يامنوا باول العقائد وهو وجود الله وعقابه الخاطئين وثوابه الصالحين وبالتالي انهم ما داموا خاطئين فهم معدون لعقاب الله ونقمته في كل ساعة وهل يمكنهم تمدنهم من الفرار من وجه الله الذي

عيناه على الاشرار ليمحي من الارض ذكرهم افما يخيفهم هذا العلهُ حكاية او خرافة فان اعتقدوا هذا الاخير كانوا من القسم الثاني اي غير نصارى وغير معتقدين بوحي الله وان كانوا كذلك فلمَ لايجاهرون بهذا و يظهرونه بموجب مبادي التمدن نفسه لنا او لاحد الكهنة العلماء لنرشدهم سرًّا او جهرًا كما يحبون الى الحق فاذا اقمنا لهم الادلة القاطعة الواضحة على نفي ضلالهم فيذعنون و ينجون انفسهم من خطر الهلاك على الاقل الذي يعرضونها لهُ فهل من التمدن ايضًا ان يطوحوا نفوسهم الاثمن من كل العالم بهذا الخطر المبين وهم يابون تعريض نفوسهم لاقل خسارة ولادنى اذية

على ان البعض من هولاء وغيرهم يعتذرون عن الاعتراف بوفرة اشغالهم وتراكم مهامهم فليت شعري ما نفع هذه المهام وما نفع الغنى والعالم كله ان خسر هولاء نفوسهم ماذا يفيد الانسان ان ربح العالم كله وخسر نفسهُ او ماذا يعطيه الانسان فدا نفسه او ما يعلمون انهم مولفون من نفس وجسد والنفس هي الاهم والاولى فليسووا على الاقل بينها وبين الجسد او ما يعلمون انهم عبيد رب يطلب منهم ان يعبدوه ويخدموه فبلسان مثل هولاء يقول القديس بطرس غريسولوغوس « اعطينا الجسد سنة فلنعطِ النفس يومًا ولنعش لله قليلاً نحن العايشون بكليتنا للعالم» اولادي الاعزا اني لا تعجب كثيرًا من اني اراكم تعتبرون في اشغالكم من كان تقيًا بارًا يكثر الاعتراف وتركنون اليهِ وتسلمون لهُ مالكم وتفوضون اليهِ مشاغلكم وتحاشون التعاطي مع رجل عهدتموه غير دين وعرفتم انهُ لا يعترف ولا تركنون اليهِ بل تنفرون منه

فاريد ان اعرف منكم لمَ تحبون شيئاً في غيركم وتنفرون منه فيكم ولمَ تقيسون اعتبار غيركم واركانكم اليهِ على ديانتهِ وممارستهِ واجباتها واولها الاعتراف وتريدون ان يوفقكم الله ويرضي عنكم وان يعتبركم الناس وانتم على خلاف ذلك فحلوا لي هذا المشكل ان استطعتم واما انا فليس لي في حله الأَّ ان ابليس الذي هو منذ البدء قتال الناس يهتم بواسطة الكسل والاعذار الباطلة وتحسين مقالات الكفرة والضالين بان يقتل نفوسكم ويكسبها غنيمة لهُ فاهلعوا الى الالتجاء والتوسل لله لينقذكم من طغيانهِ ويوتيكم نعمة التوبة والاعتراف النقي فاننا من دون الله لا يمكننا ان نرجع عن الخطية اليهِ ولا ان نصنع شيئاً

قسم ثالث

اما كيف ينبغي التقدم الى الاعتراف فلا احتاج كثيراً الى تفصيلهِ لاني لست اخطب في قرية او في مزرعة اكثر اهلها سدج بل في بيروت حيث اكثر الجمهور خبير وبعضهُ عالم ولكن لا غنى لي عن ان اقول.من المعلوم ان الاجزآء التي يقوم بها الاعتراف من جهة المعترف ثلاثة الندامة والاقرار والوفآء . فالندامة تقسم الى كاملة وغير كاملة فالندامة الكاملة هي ما اصدرها الانسان حباً بالله المحبوب بذاتهِ للغاية وهذه تبرر حالاً مع قصد الاعتراف فيما بعد والغير الكاملة هي ما صدرت للتامل في قباحة الخطية او للخوف من جهنم او للطمع في الفردوس وهذه تبرر مع الاعتراف والاولى الاعتنآء بالحصول على الندامة الكاملة لانها اكثر

امنًا وهنا لا ينبغي ان اهمل ذكر ما سمعتهُ من بعض الشبان وهو انهم يتاخرون عن الاعتراف لعدم تمكنهم من الندامة الحقيقية ولرويتهم قلبهم مائلاً الى الخطية فلا يطمعون في ان يرتجعوا عن الاثم ارتجاعًا دائمًا ومخلصًا فاتعلمون ما معنى هذا الاعتذار معناهُ كقول من يقول اني مشعر بالبرد فلا اقترب من النار لاني متاكد باني مشعر بالبرد فالاعتراف هو الذي يمحو اثامك ويوليك النعمة التي تجعلك حارًا في العبادة ونقيك السقوط في الخطية فلا تطلبنَّ مفعوله قبل نواله والندامة نعمة من الله يكفيك ان تساله اياها وان تتقدم بها الى الاعتراف ولو لم تشعر حسًا بان قلبك متغير فيكفيك طلبك الى الله ان يمنحك نعمة التوبة وان تحرض نفسك الى الرجوع الى الله وهو يوليك باعترافك نعمة تقاوم بها التجارب وتجانب الاثم ونفس النعمة التي تنالها بالاعتراف هي التي تلين قلبك وتغيره فعليك فقط ان تتاسف عما اقترفت من الخطايا وتاهبه بقصدك الثابت لمجانبتها فيما بعد وترتجا ان الله يقيك السقوط بقوتهِ لا بقوتك وبذلك تكون مطمأناً على ان اعترافك صحيح واذا عاودت السقوط فلا تفشل ولا تأيس الآ من ذاتك والقِ اتكالك بجملتهِ على الله وبادر من غير ما تاخر الى الاعتراف بالاستعداد المار ذكره واستعمل العلاج الذي يعينه لك مرشدك الروحي مدققًا وكذا افعل كلما ارتكبت الخطية وكن مطمانًا على انك من الخالصين .

واما نظرًا الى الاقرار فيلزمك ان تعترف بكل الخطايا المميتة الموكدة والمشكوك بها وقد قسم علماء اللاهوت الادبي الخطايا بالنسبة الى لزوم

الاعتراف بها الى لازمة وكافية وهي الخطايا المميتة الموكدة والى لازمة غير كافية وهي الخطايا المميتة المشكوك بها والى كافية غير لازمة وهي الخطايا العرضية ولكن من حيث انهُ يحتمل ان لا تعلم ان تميز الخطايا المميتة من العرضية كما ينبغي فعليك ان تعترف بجميع خطاياك كما هي وان تبين الظروف التي يظهر لك انها تثقل اثمك مثلاً ان تبين انك معتاد على الخطية ان كنت ترتكبها عن عادة وتوضح شدة المضرة التي صدرت للغير منها وهل فعلتها في مكان مكرس لله ان كان الامر كذلك ويلزمك ان تقيس فحص الضمير على المدة التي بقيت بها دون اعتراف وعلى حالتك بالنظر الى تواتر سقوطك بالخطايا او ندرته وبالجملة ان تصنع ما يصنعهُ رجل حكيم بالفحص عن امرٍ مهم . ولا اظن انهُ يمكن رجلاً عاقلاً ان يستحي بالاقرار بخطاياه مهما كانت فظاعتها لكاهن يعلم انهُ اذا اشار الى اقل شي يتعلق بها ترتب عليهِ اعظم العقوبات والتاديبات وكثيرًا ما يفعل الخاطي الفظائع مع شريك لهُ على الاقل والشريك قد يقر لنفع يجر اليه او ضر يمسهُ خلافا للكاهن الذي يلزمهُ ان لا يقر ولو قاسى الموت اه

اما الوفاء اي القانون فامرهُ ظاهر ويلزم تكميلهُ باقرب وقت ممكنٍ ويكفي قبوله قبل الحلة . وتكميله بعدها بالنشاط والتورع ومهما زدت عليهِ عقابًا لنفسك عظم اجرك ونمت فضيلتك ومحا الله من العقاب الزمني المترتب على اثمك

فاولادي الاعزاء ها قد ابنت لكم بشي من الاسهاب كون الاعتراف

سرًا مامورًا بممارستهِ وقد واظب عليهِ المومنون في كل جيل وامتدحه الآباء واوضحت لكم احتياج الجميع لا سيما الخطاة اليه وذكرت بعض الاسباب التي تحملكم على صنعهِ بتواتر ولخصت عن كيفية مباشرته كما ينبغي فثابروا عليهِ ومن كان منكم على خطية مميتة فليعترف حالاً ويخلص نفسه على هذه الدفة بعد غرقه بالماثم فمن يعلم اولادي ان كلامي هذا لا يكون التنبيه الاخير لسامعيَّ من الخطاة واذا لم يعملوا به فيتركهم الله في اثمهم لازدياد عذابهم او يعاجلهم بالموت والهلاك والكلام الذي قلته الان هو يدينهم في اليوم الاخير افما يكفي اولادي الخطاة ان تكونوا على خطر الهلاك فقط ان لم ينجع كلامي فيكم واية مشقة عليكم من ملافاة هذا الخطر الكبير المبين بالتعب اليسير الذي تحتملونه للاعتراف بخطاياكم وما ضركم من هذا الاعتراف حتى لو فرضنا المحال وقلنا انه غير متوجب عليكم مع انهُ ليس اوجب منه ولا اسهل كما برهنت لكم فبادروا اذًا الى الاعتراف بتواتر لتسمعوا المخلص يقول لكلٍ منكم ما قاله للمخلع يا ابني مغفورة لك خطاياك قم واحمل سريرك اي اتعابك في طريق الفضيلة وامشِ الى بيت ابيك السموي حيث تملك معهُ الى ابد الدهور واسالهُ تعالى ان يسمعني ويسمعكم والبشر طرًا هذا القول العذب بنعمة الاب والابن والروح القدس امين .

عظةٌ

القاها في عيد القديس مار يوسف الخطيب في ١٩ اذار سنة ٧٢

اما يوسف خطيبها فكان صديقاً متي ص ٢

ان الكنيسة المقدسة فرضت علينا في هذا النهار تكريم القديس مار يوسف الاعذر فان لم اجعل تقريظه مادة كلامي الان لاني بمقصد الكنيسة التي رامت تكريمه ولا اجاوب رغبتكم والبي دعوتكم المضمرة واظهر على نفسي العجز نعم اني لمقر بعجزي عن استيفاء حق مدحه وبيان سمو فضائلهِ ورفعة مقامهِ لكنني لست بعاجز عن التعبير عن شيء من ذلك قاسماً كلامي الى بيان سمو مرتبتهِ وعظمة شانه والى بعض مباحث لاهوتية تلاحظهُ والى مدح طهارته والطهارة بالعموم وبيان قباحة خطية الدنس والاغراء بالفرار منها.

قسم اول

ان المهندسين اذا تعذر عليهم قياس جرم ما لجأوا الى مقايستهِ بظلهِ وفيئهِ ولا شك ان ما رواه الكتاب العزيز في يوسف بن يعقوب اسرائيل كان ظلاً ورسماً ليوسف خطيب مريم فقد روى ان يوسف اسرائيل كان عزيزاً لدى ابيه وانه راى في حلمهِ الشمس والقمر واحد عشر كوكباً تسجد لهُ وانهُ بعد ان باعهُ اخوته من التجار المصريين رحمة لسكان مصر وبعد مراودة امراة فوطيفار لهُ وتخليفهُ كم ثوبهِ في يدها حرصاً على

طهارتهِ قد خلص الله سكان مصر بواسطتهِ اذ جعلهُ فرعون ملكًا مسلطًا
على بلادهِ قائلًا لهُ انت تكون على بيتي وعلى فمك يقبل جميع الشعب ولا
اكون اعظم منك الّا بالكرسي انظر قد جعلتك مسلطًا على كل ارض مصر
وخلع فرعون خاتمهُ من يده وجعلهُ في يد يوسف والبسهُ ثياب بوص
ووضع طوق ذهب في عنقهِ واركبهُ في مركبتهِ الثانية ونادوا امامهُ اركعوا
وقال لهُ بدونك لا يرفع انسان يده او رجلهُ في ارض مصر. ولما مس
الجوع اخوة يوسف ونزلوا الى ارض مصر ليمتاروا لهم طعامًا وعرفهم يوسف
بحالهِ قال لهم ان الله جعلني ابًا لفرعون وسيدًا لكل بيتهِ ومتسلطاً على
ارض مصر كلها ونجا المصريين ومجاوريهم وبيت ابيهِ من الهلاك جوعًا
فكل هذا خلاصة ما اسهب الكتاب العزيز بشرحه في سفر التكوين
وهو ظل ورسم بلا مرى للقديس يوسف خطيب العذراء الذي اعزه
الله واكرمهُ حتى جعل شمس الكنيسة وكواكبها تسجد لهُ وتوقر ذكره في كل
جيل واقامهُ رئيسًا على بيتهِ ومدبرًا للابن المتجسد بل ابًا لهُ وزوجًا لوالدتهِ
وصيرهُ شفيعًا لا للمصريين فقط بل لابناء الكنيسة كلهم يقبلون اليهِ عز وعلا
على يده ويخلصهم من الجوع والقحط الروحي باستمداده لهم المواهب من الله.

على ان مار يوسف الخطيب هو اسمى شرفًا وارفع مقامًا من يوسف اسرائيل
من اوجه لانهُ اذا كان هذا سجد لهُ ابوه واخوته فيوسف الخطيب تسجد
لهُ البيعة كلها وكان الابن المتجسد نفسه يطيعهُ ويمتثل اوامره وان كان
يوسف اسرائيل سلطهُ فرعون على ارض مصر فيوسف الخطيب سلطهُ
الله وكرمهُ في العالم كله وولاه ولاية والدية على ابنهِ المتجسد نفسه وان

كان يوسف اسرائيل نجى مصراً واباه واخوته من الجوع الجسدي ورفدهم بالغلال فيوسف الخطيب نجى وينجي ابناء البيعة من الجوع الروحي والهلاك الابدي باستمداده لهم النعم . وان كان يوسف اسرائيل جعله فرعون مدبراً لبيته وجعله الله ابا لفرعون فيوسف الخطيب جعله الله حارساً ومدبراً واباً لابنه الاله المتجسد نفسه وان كان فرعون البس يوسف اسرائيل خاتمه واركبهُ مركبته وكساء بالبوص فالله وشح يوسف الخطيب بحلل نعمته واغناه بمواهبه السموية ونوبهُ عنه في تدبير عائلته وبالجملة ان يوسف الخطيب يفوق يوسف اسرائيل فووق الحقيقة للظل وفووق المرسوم للرسم والمصور للصورة وتعلمون كم يفضل الانسان صورتهُ

ان للشرف ثلثة اصول النسب والمقام والخصال اما نظراً الى النسب فيوسف هو ابن يعقوب بن ماتان بن ... سليمان .... بن داود بن... ابرهيم كما روى متى في ص ١ من انجيله ولوقا في ص ٣ اي انهُ من النسل الملوكي الذى باركه الله واكثر لهُ وعوده والمعلوم نسبه بالهام الله متصلاً الى ادم الاب الاول ومن الفرع المتوجب لهُ الملك ليكون للمسيح من قبل ابيه الملك الداودي نسباً ايضاً . اما نظراً الى المقام فاي مقام اسمى من مقام يوسف الذي كان اباً لابن الله واميناً لله الاب على ابنه وحارساً لهُ وزوجاً لوالدة الله ومساعداً عن قرب على سر الفداء وهذا المقام لم يتصل ولن يتصل اليه احد الرجال غير هذا القديس العظيم بل لا يمكن التوصل الى مقامه لانه للفوز بذلك يلزم ان يتجسد ابن الله ثانية ويتخذ له ابا والحال ان هذا مستحيل . اما نظراً الى الخصال فيكفينا موونة البرهان على تفرده بها

انتداب الله له الى المقام المار ذكره واتحافه بنعم توهله وناهبه له واذا كان المسيح ينبوع النعم ومانح المواهب ابنا له فاية نعمة او موهبة يحق لنا ان نفتكر انه بخل بها عليهِ وتكفينا ايضاً اشارة الانجيل الى مجمل محامدهِ وفضائلهِ بقولهِ اما يوسف خطيبها فكان صديقاً او باراً حال كان البر يراد بهِ مجموع الفضائل كلها وقد كان نديم الملائكة حتى ان مار متى في الاصحاحين الاولين من بشارتهِ ذكر ظهور الملائكة ليوسف ثلث دفعات الاولى اذ قال لهُ يا يوسف بن داود لاتخف من ان تاخذ مريم خطيبتك والثانية اذ قال لهُ قم فخذ الصبي وامه واهرب بهِ الى مصر والثالثة اذ قال لهُ قم فخذ الصبي وامه وامضِ الى ارض اسرائيل فقد مات الذين يطلبون نفس الصبي ويسوغ لنا ان نفتكر ان الله ارسل ملائكته الى يوسف دفعات اخرى شتى لم يذكرها الانجيليون فانهم لم يدونوا كل شي وشاهده ما قالهُ يوحنا الانجيلي من ان يسوع فعل اموراً اخرى كثيرة لو تكتب واحدة فواحدة ظننت العالم لم يسعها صحفاً مكتوبة ؛

ان حر النار يكون اكثر اشتداداً بمقدار الاقتراب منها والماء يكون اكثر صفاءً بمقدار قربه من الينبوع وعليهِ فالنعم التي حازها ماري يوسف الاعذر يلزم ان تكون اكثر فاعلية وسمواً من النعم التي حازها غيره من الانام بالنظر الى اقترابهِ من النور الذي هو كلمة الله الذى جاء الى الارض ليضرم نار المحبة ومن ينبوع المواهب الذي هو ابن الله المتجسد

قال ماري برنردوس اعتقد ان القديس يوسف كان كلي الطهارة

والعفة كلي التعمق بالتواضع كلي الحرارة في حب الله كلي الرفعة في التامل. وقد خال السواري ان يقدمهُ على الرسل بالنعمة والمرتبة والمجد. ومن اشتهت الملوك والانبياء ان يروهُ فلم يروهُ قد راه ماري يوسف وحمله على ذراعيهِ وعانقه وقبله وعاله واهتم بهِ وكان مطيعاً له طاعة ابنٍ لابيهِ فتعال داود وانظر من وُعِدت بهِ مولوداً من بنتك يربيه ابنك

ان المخلص قال في يوحنا المعمدان انهُ لم يقم في مواليد النسا اعظم منه لكننا اذا اعتبرنا حقيقة الامر وجدنا ماري يوسف في بعض الاعتبارات اعظم من المعمدان واولاً ان المعمدان لم يشترك بسر الفدا الاّ بالاشارة الى الفادي والتبشير بهِ وماري يوسف كان ابًا للفادي ثانياً ان المعمدان قال عن نفسهِ انهُ لا يستحق ان يحل سير حذا المخلص وكان يشير اليهِ عن بعد قائلاً هذا هو حمل الله واما ماري يوسف فكان يضمه الى صدره ويقيته ويهتم بهِ ولايخفى ان شرف خدامة الملوك يقاس بزيادة التقرب اليهم واى تقربٍ الى المسيح الملك اكثر من كون ماري يوسف ابًا لهُ

ان ما يبين لنا شرف القديس يوسف اجلى بيان اعتبارنا كونهُ ابًا للاله المتجسد لا من حيث التسمية واعتبار الناس فقط ولا من حيث انهُ كان يقيته ويهتم بهِ لاغير بل من قبل الحق ايضاً فاننا سوف نبرهن ان العقد الذى كان بين يوسف ومريم لم يكن عقد خطبة مجردة بل عقد زواج صحيح وان غير مكمل وعليهِ فكان ليوسف الحق على جسم مريم زوجته وكلما وُلِدَ من هذا الجسم المملوك ليوسف فليوسف الحق بهِ كما

برهن ماري اغوسطينوس في ك ٢ من توفيق الاناجيل فاي شرف يساوى شرف من كان ابا شرعيا لابن الله واية مرتبة ساوية رفيعة لم ينول المخلص اباه اياها ولاسيما باعتبار سمو فضائلهِ التي اهلتهُ ان يختاره ابًا ومربيًا لهُ وكم تكون شفاعته مقبولة لديهِ وهو الآمر باكرام الوالدين وسندًا الى هذه الاعتبارات قد جعل البابا بيوس التاسع المالك سعيدًا براي المجمع الواتيكاني هذا القديس المعظم شفيعًا للكنيسة كلها ومحاميًا لها محرضًا العالم الكاثوليكي كله على الالتجاء الى شفاعتهِ والاستنجاد بها لانتصار الكنيسة

قسم ثانٍ

ان العقد الذي كان بين ماري يوسف الاعذر ومريم العذراء لم يكن خطبة مجردة بل زواجًا صحيحًا شرعيًا ولذلك ادلة عديدة منها ان النسخ اليونانية واللاتينية والسريانية حتى بعض النسخ العربية ايضًا واكثر الباقي من الترجمات تسمي يوسف رجل مريم ومريم امراة يوسف في ص ١ من بشارة متى عد ١٦ و ١٩ و ٢٠ و ٢٤ ومنها ان مار متى ذكر في ص ١ عد ١٩ ان ماريوسف همَّ بتخلية مريم سرًا فكيف يهم بتخليتها اذا لم يكن بعد اتخذها امراةً ومنها ان العذراءَ لو لم يكن بينها وبين يوسف زواج لاعتبرها اليهود زانيةً لدى رويتهم كبر بطنها وحكموا عليها بالرجم بموجب سنتهم . ومنها انهُ كان الاولى بالمخلص ان يولد من مزوجةٍ ليلا يعتبره اليهود نغلًا وكذا راي اكثر الاباءَ منهم ايرونيموس وفم الذهب

وامبروسيوس وتوافيلكتوس على ان الزواج لا يشترط لصحتهِ مباشرة فعله بل يجعلهُ صحيحًا مجرد رضى المتعاقدين الثابت ولا يضر بصحتهِ نذر العفة ايضًا كما كانت مريم صنعت ويقرب من الحق انها كشفت ليوسف قبل زواجها هذا النذر فرضيه وسر بهِ لانهُ كان محبًا للعفة محبة مريم لها حتى قال مار برنردوس «ان يوسف صنع على شبه مريم» اي انهُ كان يشبهها بخصال له كايمانهِ ورجائهِ ومحبتهِ وعفتهِ وباقي الفضائل وقد سمت بعض النسخ زواجه لمريم خطبةً تادبًا واشارةَ الى حفظهما العفة ولكن قد زعم البيديوس في الجيل الرابع ان مريم ويوسف لم يحفظا عفتهما بعد مولد المخلص بل قد تعارفا وولدا اولادًا هم على زعمهِ من يسميهم الانجيل اخوة الرب وقد اتبع البيديوس في هذا الضلال بونوسوس اسقف سرديكا في الجيل المذكور ذكره القديس امبروسيوس في رسالتهِ الخامسة ولحق بهما اونوميوس ويوفينيانوس وبعض المحدثين في الجيل السادس عشر الا ان زعم هولاء جميعًا باطل ويثبت خلافه براهين قاطعة فقد ذكر بعضهم لاثبات دوام بتولية العذراء ومار يوسف قول حزقيال ص ٤٤ عد ٢ من نبوتهِ «ان هذا الباب يكون مغلقًا لا يفتح ولا يجوز فيهِ رجل من اجل ان الرب اله اسرائيل جاز فيهِ ويكون مغلقًا» وقد خص كثير من الآباء القديسين هذه الاية بمستودع العذراء منهم القديس امبروسيوس في كتابهِ في البتولية راس ٧ حيث قال «ما هو هذا الباب الا مريم وقد كان مغلقًا الباب الذي دخل المسيح فيهِ الى العالم لان امهُ عذراء» وقال القديس ايرونيموس في تفسير قول حزقيال المار ذكره «ما

احسن ما فهمه بعضهم بالباب المغلوق مريم العذراء التي استمرت بتولاً قبل الولادة وبعدها ... فهي عذراء الى الابد لاجمال من زعموا انها والدت بعد مولد المخلص اولاداً من يوسف » وقال القديس اغوسطينوس (او مولف اخر من الاقدمين) في خطبة ١٤١ في مولد الرب « ما هو الباب المغلق في بيت الرب سوى ان مريم ستكون غير ممسوسة ابداً وما معنى قوله لايجوز فيه رجل سوى ان يوسف لم يعرفها ... وما معنى قوله ويكون مغلقاً الى الابد الاَّ ان مريم عذراء قبل الولادة وعذراء حين الولادة وعذراء بعد الولادة » ومجمع مديولان في رسالته المجمعية الى البابا سيريكوس قال « ما هو باب المقدس الباب الخارج الى المشرق الذي يبقى مغلقاً ولا يدخل بهِ احد بل دخل فيهِ اله اسرائيل وحده .... ان هذا الباب هو مريم التي كتب عنها ان الرب يجوز بها وتكون مغلقة بعد الولادة » . وكذا فهم مار توما هذه الآية (بحث ٢٨ جزء ٣) وقد روى مار لوقا في ص ١ عد ٣٤ من انجيلهِ ان مريم اجابت الملاك الذي بشرها قائلة « كيف يكون لي هذا وانا لا اعرف رجلاً » تعني بذلك انها ممنوعة من ان تحبل وتلد ابداً وهذا المانع لايمكن ان يكون الاَّ نذرها حفظ العفة ابداً فكما ان الاعمى يقول انني لا انظر نور السماء ويعني انهُ لا يستطيع ان ينظر وكما نقول اننا لا ناكل اللحم في الصوم ونعني انهُ لايجوز لنا اكله هكذا عنت العذراء بقولها لا اعرف رجلاً فكانها تقول انه لايحل لي ان اعرف رجلاً من قبل نذري حفظ العفة ما حييت ولهذا قال مار اغوسطينوس مفسراً قول العذرا المذكور في كتابهِ في العذرية

راس ٤ « لعمري انها لم تكن تقول ذلك لولا انها نذرت لله ان تبقى ابدًا
عذرا » وقال القديس غريغوريوس نيصص في خطبتهِ على مولد المسيح متكلمًا
بلسان مريم « حرمت نفسي ان أعرف رجلًا فكيف يكون لي هذا وانا لا اعرف
رجلًا . . . فان جسدي المكرس لله يلزم ان اقدمهُ كاملًا غير ممسوس بمنزلة هدية
مقدسة ولهذا وان كنت ملاكًا وان نزلت من السمآء وان كان ما تبينهُ يفوق
الطبع البشري فمع هذا كلهِ لا يحل لي ان اعرف رجلًا » فاذًا قد اتضح
ان العذرا كرست نفسها لله بنذر العفة وقد كشفته ليوسف ورضيه
وحافظت على نذرها ابدًا وان كان هذا كلامها قبل ان تلد المخلص فمن
يظن انها اخلفت نذرها وولدت اولادًا من مار يوسف بعد ان علمت
انها حبلت وولدت ابن الله ومن يظن ان خطيبها الصديق يحملها بعد
ذلك على مخالفة هذا النذر ويمس جسمها بعد ان عرف انه زاد قداسة
وتكريسًا بولادة ابن الله منه ويؤيد ما مرّ قول المخلص لامهِ وليوحنا عند
موتهِ يا امراة هذا ابنك ويا يوحنا هذه امك (يوحنا ص ١٩ عد ٢٦) فلو
كان يوسف ولد اولادًا منها لما قال المخلص لامهِ ان يوحنا ابنها بل لأمر
اولادها بما أمر بهِ يوحنا .

قد علم الاباء القديسون ببقآء مريم بعد ولادتها عذرآء وبالتالي ان
يوسف لم يلد منها اولادًا بل بقي اعذر ايضًا ومنهم اوريجانوس الذي قال
في تفسير بشارة متى « ان مريم استمرت دائمًا عذرآء ولم يكن لها ولد الاَّ
يسوع » وقد سمى من يقولون الخلاف مجانين اذ قال في خطبة ٧ في لوقا « لا
اعلم من اتصل الى هذا المقدار من الجنون حتى يزعم ان المخلص انكر امه

مريم لان يوسف عرفها بعد ولادتها له » وباسيليوس الذي قال في خطبة ٢٥ في نسب المسيح « ان محبي المسيح لا يطيقون ان يسمعوا ان والدة الله بطلت حيناً ما ان تكون عذراء » والقديس ايلاريوس الذي ونّب في بشارة متى ص ١ « من يزعمون انه كان لربنا اخوة كثيرون » داعياً اياهم « اشراراً للغاية » والقديس غريغوريوس نيصص الذي قال في خطبته في الميلاد ان الله اراد ان تخطب مريم لرجل « يكون مع ذلك اهلاً لحفظ بتوليتها فقط » والقديس امبروسيوس الذي قال في كتابه في العذرية راس ٦ « لم يكن ممكناً ان من حملت الله يظن بها انها تحبل انساناً ولم يتصل يوسف الرجل الصديق الى هذا الجنون حتى يعرف ام الله معرفة لحمية » والقديس ايرونيموس الذي كتب كتاباً برمته لمخالفة البيديوس مثبتاً ان مريم بقيت دائماً عذراء قال في راس ١٩ عن مار يوسف « كان حارساً لمريم احرى من ان يكون زوجاً فينتج انه استمر اعذر مع مريم » والقديس اغوسطينوس الذي قال في كتابه في تعليم السذج عد٤ « ان المسيح ولد من ام حبلت ولم يمسها رجل واستمرت دائماً لم تمس فحبلت وهي عذراء وولدت وهي عذراء وماتت وهي عذراء » وقال القديس ابيفانيوس ارطقة ٧٨ « توصلوا الى هذا الحد من الجسارة حتى قالوا ان مريم الكلية القداسة بعد ان ولدت المسيح عرفها زوجها يوسف » ويطول بي المجال وتملون ان اسهبت في ايراد الشواهد من الاباء. وقد وافقت المجامع راي الاباء فان مجمع كابوا الذي عقد سنة ٣٨٩ حرم بنوسوس لانه انكر بقاء مريم عذراء

وكذا فعل مجمع تسالونيكي سنة ٣٩٠ والمجمع الروماني والمجمع المديولاني سنة ٣٩٠ حرما يوفينيانوس لانه قاوم عذرية مريم في الحبل وبعد الحبل واباء المجمع الخلكيدوني في خطبتهم للملك مركيانوس مدحوا العذراء « حبًا بمن منحها العذرية بعد الحبل ايضًا وحفظ مستودعها كي لا يحتمل اهانة ويكون اهلاً لله » والمجمع الخامس العام سماها في الراس الثاني العذراء الغير المدنسة ابدًا والمجمع اللاتراني الذي عقد في ايام البابا مرتينوس سنة ٦٤٩ قال في القانون الثالث « من لا يعترف بالخصوص والحقيقة ان مريم والدة الله المقدسة والعذرا الغير المدنسة ابدًا حبلت في اخر الايام من الروح القدس دون زرع وولدت دون فساد واستمرت عذراء قبل الولادة وبعدها دون انفكاك فليكن محرومًا » والمجمع السادس العام سنة ٦٨١ قرظ في عمل ١١ « بتولية مريم الغير المدنسة التي استمرت قبل الولادة وحين الولادة وبعد الولادة » ومن كل ما مر يظهر انهُ لا يمكن الريب بان بتولية العذرا الدائمة تنسب الى عقائد الايمان ويؤيد ذلك تسمية الخلاف راي حماقةٍ كما سماه اوريجانوس ونفاقًا كما سماه امبروسيوس وتجديفًا كما سماه ايفانيوس وكفريًا كما سماه ايرونيموس والحال ان من ينكرون بتولية ماريوسف ايضًا يقولون انهُ ولد من مريم اولادا فاذًا كل ما مر مما يثبت دوام بتولية العذراء يثبت بتولية مار يوسف الاعذر ايضًا وما احسن برهان مار توما بهذا الشان اذ قال في قسم ٣ بحث ٢٨ (لاريب البتة بوجوب رذل ضلال البيديوس الذي زعم ان ام المسيح عرفها يوسف معرفة الزواج بعد ولادتها واستولدها اولادًا

اخرين فان هذا اولاً يخالف كمال المسيح فانه كما هو وحيد الاب بحسب الطبيعة الالهية...هكذا وجب ان يكون وحيد امه. ثانياً ان هذا الضلال يهين الروح القدس الذي كان مستودع العذراء مكرساً له اذ صوّر به جسد المسيح ولذا لم يكن يليق ان يعتدى عليه بجماع رجل. ثالثاً يخالف مقام ام الله وقداستها اذ تظهر على ذلك ناكرة الاحسان جداً اذا لم ترتضِ بابن هذا عظم شانه واذا ارادت ان تضيع بمعرفة لحمية العذرية التي حفظت فيها بالاعجوبة . رابعاً ان هذا يحسب في يوسف نفسه تكبراً فظيعاً ان كان حاول ان يدنس من اوحى اليه الملك انها حبلت بالله من الروح القدس ولهذا يلزم ان نرى بالاطلاق ان ام الله حبلت وهي عذراء وولدت وهي عذراء واستمرت بعد الولادة عذراء الى الابد

هلمَّ نرى الان ما يعترض بهِ من ينكرون هذه الحقيقة ان لهم في ذلك اربعة اعتراضات خاصة وكل منها باطل لا يبرهن ما يدعون . فالاعتراض الاول قولهم ان متى الانجيلي روى في ص ١ عد ١٨ ان مريم ويوسف (قبل ان يتعارفا وُجدت حبلى من الروح القدس) فاذاً قد تعارفا بعد ذلك . ففي رد اعتراضهم هذا لا ارى انسب ولا اولى من ذكر رد مار ايرونيموس لهُ في كتابهِ ضد البيديوس عد ٣ فقد قال هذا القديس الملفان (لو قلنا ان البيديوس قبل ان يتوب عاجله الموت هل ينتج انهُ تاب بعد موتهِ مع انهُ لا محل للتوبة هناك لقول الكتاب مزمور ٦ واما في الجحيم فليس من يعترف لك)... فاذاً الانجيلي دل بقولهِ قبل ان يتعارفا على زمن الزواج الذي كان قريباً ليشير الى ان من كانت خطيبة

صارت امراة ولا ينتج من ذلك البتة ان يوسف عرف مريم بعد الولادة)
وقد رد القديس اعتراض البيديوس بنوع اخر قائلاً لو قلت اني قبل ان
اتناول الطعام في المينا سافرت الى افريقيا فهل ينتج اني تناولت الطعام
بعد ذلك في المينا كلا لعمري فاذاً كما ان قولي قبل ان اتناول الطعام
معناه دون ان اتناول الطعام هكذا قول الانجيلي قبل ان يتعارفا الخ
معناه دون ان يتعارفا وجدت حبلى من الروح القدس وهذا هو المعنى
الذي يستلزمهِ مقصد الانجيلي في ان يبين ان مريم حبلت وولدت وهي
عذراء بموجب نبوة اشعيا .

الاعتراض الثاني استشهادهم باية الانجيل في الاصحاح المذكور عد ٢٥
وهي (واخذ امراته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر) قائلين اذاً يوسف
عرف مريم بعد ان ولدت . فلنا في رد هذا الاعتراض وجهان وكل منهما
ثابت مبرهن الاول ان فعل عرف لم ياتِ دائماً في الكتاب المقدس بمعنى
مباشرة الزواج بل ورد على الاكثر بمعنى العلم بالشي وهو المعنى الاصلي
والاول له ولهذا فهم بعضهم قوله (ولم يعرفها حتى ولدت) بمعنى ان
يوسف لم يعرف استحقاق مريم وشرفها وسمو مرتبتها حتى ولدت ابنها البكر
وراى اجواق الملائك ترتل عند مولده ودعت اسمهُ يسوع اي المخلص
وعمنوئيل فحينئذٍ عرف انها المقال عنها بالانبيا وام المخلص المنتظر المستوجبة
كل التوقير والاجلال وهوذا ما قالهُ فم الذهب او الاولى صاحب
التاليف الناقص في خطبة ١ في بشارة متى (لم يعرفها يوسف قبل ان
تلد اى لم يعرف مقامها لكنه بعد ان ولدت عرفها حينئذٍ لانها بولادتها

صارت اعلى مقامًا وارفع رتبة من العالم كله لان من ضاق العالم كله عن ان يسعه قبتله في مستودع حشاها الضيق (ويزيد ذلك ظهورًا سوابق هذه الاية من اهتمام يوسف بتخليتها كانهُ غير عارف انها حبلى بابن الله ومن توابعه اذ قال الانجيلي ودعت اسمه يسوع كانهُ يقول ان يوسف لم يعرف علوّ مقامها الا لما راها قد ولدت على غير عادة النسآء وراى الملائكة يرتلون ويسبحون ورآها دعتهُ يسوع اي المخلص المنتظر والموعود به

نعم ان القديس ايرونيموس وغيره من الآباء القديسين فهموا فعل عرف بمعنى باشر الزواج الّا انهم قالوا ان حتى في الاية لاتدل على ما اراد البيديوس ان يستدل عليهِ بها اي ان يوسف عرف مريم بعد ذلك وقد برهن القديس ايرونيموس خاصة على ان حتى وردت في الكتاب المقدس مرات مرادًا بها زمان غير محدود تابع لما قبله في الحكم فمن ذلك قوله في اشعيا ص ٤٦ انا هو الله وحتى تشيبوا انا هو الله فهل يبطل الله ان يكون بعد ان يشيبوا . وقول المخلص لرسله في متى ص ٢٨ ها انا معكم كل الايام حتى انقضاء العالم فهل يبطل المخلص ان يكون مع تلاميذه بعد انقضاء العالم . وعلى حد ما مرّ قول المرتل في مزمور ١٠٩ « قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اضع اعداك موطأ تحت قدميك » فهل ينكف الابن ان يجلس عن يمين الآب بعد ان يخضع اعداءه تحت قدميه ومثله قوله تعالى في سفر الملوك الثاني ص٢٣ « ولم يتجد ابن لميخال ابنة شاول حتى يوم موتها » فهل وجد لها ابن بعد موتها . ومثله قوله على الغراب الذي ارسلهُ نوح من السفينة « ولم يرجع حتى نشفت المياه »

اي لم يرجع البتة . وقد اختتم القديس ايرونيموس كلامه قائلاً ان حتى تفهم بهذا المعنى فيما قيل عن يوسف من انه لم يعرفها حتى ولدت ابنها اي لم يعرفها البتة « فان الانجيلي اراد ان يبين ما كان يمكن ان يحصل منهُ معثرة اي اراد ان يقول ان رجلها لم يعرفها حتى ولدت لنفهم منهُ باولى حجة انه لم يعرفها بعد ان ولدت اذ امتنع من معرفتها عند ما كان متردداً بامرها.... لانهُ كيف يجسر يوسف الذي كان راى حنة النبية والمجوس والكوكب وهيرودس وابصر عجائب كثيرة ان يمس هيكل الله وكرسي الروح القدس وام ربه » لعمركم اولادي الاحباء ان برهان القديس ايرونيموس هذا وما ذكرته من غيره هو بينة قاطعة في تفنيد زعم البيديوس ومن اتبعهُ فان لم يرد هولاء ان يفهموا عرف بمعنى علم فليفهموا ان حتى تكون لادخال ما بعدها في حكم ما قبلها كما وردت مراراً في الكتاب واذا جاءت تحتمل الامرين فلا يكون لهم برهان منها .

الاعتراض الثالث قولهم ان الانجيلي قال ولدت ابنها البكر والحال ان لفظة البكر تدل على وجود اخوة بعدهُ . فهذا الاعتراض باطل كالاعتراضين السابقين لان لفظة البكر في الكتاب المقدس يراد بها من وُلد اولاً سواءٌ وُلد بعدهُ اخوة او لا وقد اثبت مار ايرونيموس ذلك من الكتاب المقدس نفسهِ فانهُ قد امر في ص ١٣ من سفر الخروج ان يتقدس لله كل بكر ومن البين انهُ يراد بذلك الوحيدون ايضاً والاَّ للزم ابا الاولاد في تقديس ابكارهم ان ينتظروا ليروا هل يكون لهم ولد اخر او لا وهذا لم يقلهُ ولم يصنعه احد من اليهود وهوذا كلام مار

ايرونيموس (في كتابهِ ضد البيديوس عد ٩) « قد حد كلام الرب من هو البكر اذ قال انهُ كل فاتح رحم ... فلو لم يكن بكرًا الّا من اعتقبهُ اخوة لما لزم الكهنة تقديس الابكار قبل ولادة اولاد اخرين لئلا يكون المولود وحيدًا لابكرًا اذا لم يعقبهُ اخوة له » هذا امرٌ واضح فلا يحتاج الاسهاب

الاعتراض الرابع قولهم ان الانجيل المقدس ذكر للمسيح اخوة وقد فاتهم ان الكتاب المقدس يسمى اخوة لامن ولدوا من اب واحد وا واحدة فقط بل الاقارب الادنين ايضًا ففي التكوين ص ١٢ عد ١٢ وص ٢٠ عد ١٢ سمى الكتاب ساره امراة ابراهيم اختًا لهُ ولو كانت اخته حقيقة لما اتخذها امراة · وفي ص ١٣ عد ٨ قال ابراهيم للوط ابن اخيهِ « لاننا اخوة » وفي ص ٢٩ عد ١٥ قال لابان ليعقوب ابن اخته « من حيث انك اخي فتخدمني مجانًا » وامثال كثيرة في العهدين القديم والحديث وقد دعى متواترًا يعقوب اخا الرب مع انهُ ليس في الانجيل الّا ذكر يعقوبين اي يعقوب بن زبديَ ويعقوب بن حلفي فالكتاب المقدس من عادتهِ ان يسمى اخوة اولاً الاخوة الطبيعيين حقيقة . ثانيًا من ولدوا من امة واحدة كما دعا الرسول (في رسالته الى الرومانيين ص ٩ عد ١) اليهود اخوته · ثالثًا من ارتبطوا بالمحبة كما حرص المخلص والرسل تلاميذه متواترًا ليكونوا اخوة بعضهم لبعض رابعًا من كانوا اقارب ادنين كاولاد العم والخال واولاد الاخ ومن اشبه كمن استشهدنا بهم انفًا وكمن سماهم الانجيل اخوة ليسوع فان يعقوب ا مار يوسف الاعذر كان اخا حنه والدة سيدتنا مريم العذرا واخا صوبا ا

ليصابات والدة يوحنا المعمدان. فولد يعقوب مار يوسف الاعذر واكلاوبا او حلفى وهذا تزوّج بمريم التى يسميها الانجيل مريم اكلاوبا او مريم حلفي فولد له منها صالومي امراة زبدي والدة يعقوب ويوحنا الرسولين ومريم التي ورد ذكرها في متى ص ٢٨ عد ١ ويعقوب الصغير اسقف اورشليم ويوسي الذي ذكره متى ص ٢٧ ويهوذا الرسول الملقب تادي وسمعان الذي خلف اخاه في اسقفية اورشليم فهولآء جميعاً كانوا اولاد عم المسيح اي اولاد حلفي اخي مار يوسف الاعذر وهم على الاصح الذين يسميهم الانجيل اخوة يسوع بدليل ما ورد في متى ص ١٢ عد ٥٥ « اليس امهُ تدعى مريم واخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا » فاذاً الايراد باخوة يسوع اولاد ولدهم يوسف من مريم بعد مولد المخلص ولا من امراة اخرى بل يراد بهم ابناء عمه ومن هذا ومن كل ما مر بهذا الشان يظهر جليًا ان مار يوسف استمر اعذر حياته كلها كمريم امراته وحافظ على عفتها وعفته ابدًا اىّ محافظة

قسم ثالث

ان مار يوسف بمحافظتهِ هذه على عفتهِ وعفة مريم قد علمنا سمو هذه الفضيلة ووجوب الاقتدا بهِ فيها فانها لعمرى فضيلة لايعاين الله احد من دونها كما يقول الرسول وقد كان حب العذراً لها فائقاً بهذا المقدار حتى قالت للملك المرسل اليها من العلا ليبشرها بمولد المخلص منها كيف يكون لي هذا وانا لا اعرف رجلاً اي وقد نذرت عفتي لله كما مر فكانها تقول ان

احب اليّ ان احافظ على العفة والطهارة من ان ارتفع الى هذا المقام السامي حتى اكون امًا لله ولم يقدر الملاك ان يقنعها بان تفضل كونها امًا لله الاَّ بايضاحه إِن الروح القدس يحل عليها وقوة العلي تظللها حتى تصير امًا لله ولا تفقد طهارتها فمن بعد ذلك كله نطقت بالجواب المبين اذعانها قائلةً ها انا امة للرب فليكن لي كقولك وخطيبها مار يوسف لم يكن اقل حبًا للطهارة منها والاَّ لما اختارته زوجًا لها فهذا يبين لنا جليًا عظمة هذه الفضيلة ووجوب السعي في امتلاكها ومجانبة كل ما يشين الطهارة فينا .

اولادي لاتجهلون ان هذا العصر قد طمى بالرذائل المضادة للطهارة وقد كثر الدنس وسهلت وسائطه في هذه الايام ولاتجهلون ايضًا انهُ لما استحوذت هذه الرذيلة على ابناءَ جيل نوح قد ارسل الله الطوفان فغرق جميعهم الاَّ نوحًا واهل بيتهِ ولما كثرت في صادوم وعموره ارسل نارًا فاحرقهما وكل سكانهما الاَّ لوطًا وبعض اهل بيتهِ فكيف لانخشى في هذا الجيل الشرير الملتوي الطامي بهذه الرذيلة من ان يسكب الله جامات نار غضبه على البشر انتقامًا منهم لدنسهم اذا كانوا لا يرعوون عن شرهم

اولادي الاعزا ان الله عز وعلا لم ينهَ عن اقتراف هذه الخطية الدنسة فقط بل نهى عن كل ما يقود اليها ايضًا بيانًا لشدة حرمتها ولزيادة التحذير من شرها فقد نهى عن النظر الى المراة ايضًا مع الشهوة وجعله في مقام الزناءِ نفسه حيث قال من نظر الى امراةٍ واشتهاها فقد زنى بها في قلبهِ ونهى ايضًا عن تتبع الفكر بها حيث قال لاتتبع شهوات قلبك وقد روى القديس يوحنا الانجيلي في رؤياهُ انهُ لما راى الشيوخ المقربين من كرسي

الحمل قال له الملك هولآء الذين لم يدنسوا اثوابهم مع النساء فلاحظوا قوله الشيوخ وقوله اثوابهم فلم يسم هولآء شبانًا بل شيوخًا اشارة الى قضاء عمرهم الى اخره دون تدنس ولم يقل لم يتدنسوا مع النساء بل لم يدنسوا اثوابهم مع النساء كانهُ يقول ان اثوابهم نفسها لم تمس اثواب النساء بيانًا لحرصهم من الدنس وتحريضًا على الابتعاد من كل ما يقرب اليه ايضًا او يقرب الانسان منه فانتبه الى هذا يا مَن ساقتهُ التعاسة الى التوحل بهذه الرذيلة والتمرغ بوحولها واعلم انك لساقط في حفرة عميقة تتوصل منها الى وهدة جهنم الابدية وتذكر قول الله ان الزانية لحفرة عميقة ومن يغضب الله عليهِ يسقط فيها وكن موقنًا ان ارتكابك هذه الخطية السمجة وكل شي منها لا يستجلب غضب الله عليك فقط بل يحط من مقامك ويخل بانسانيتك ويسقطك الى مصاف الحيوانات الغير الناطقة مع انك بالطهارة ترتفع الى مقام الملائكة فالانسان مركب من جزئين جوهريين هو باحدهما اشبه بالملائكة وذلك من حيث النفس وبالاخر اشبه بالحيوان الغير الناطق وذلك من حيث الجسد فمن قمع جسده واستعبده كما كان يصنع الرسول وابعده عن الشهوات والملذات المحرمة كان اشبه بالملائكة وهو انسان ومن ملك الشهوة في قلبهِ وانقاد لامرها كان اشبه بخنزير يحب التمرغ بالوحول القذرة فاختر لنفسك بمن تريد ان تتشبه أبملك ام بخنزير.

ان رذيلة الدنس كبيرة الشر جدًا بل هي ام شرور كثيرة حتى نرى غالبًا من اعتاد هذه الرذيلة يلتطخ برذائل اخرى ايضًا فقد راينا داود الملك

لما هام قلبه بامراة اوريا حمله هيامه الدنس الى القتل ايضًا ورأينا ابنه سليمن الحكيم لما علق قلبه بنساء وثنيات بنى اخيرًا مرتفعات لآلهتهنّ ورأينا كثيرًا من المبدعين كانت علة اختراعهم البدع ونفيهم سلطة الكنيسة حبهم اطلاق عنان شهواتهم وتوحلهم برذائلهم ونرى اكثر كفرة ايامنا انما يقودهم الى مذاهبهم الكفرية او يمسكهم بها اباحة هذه الملذات سرًا على الاقل في تلك المذاهب فمن اعتاد اذًا هذه الرذيلة لزمه ان يخاف لا من شرها وعقابها فقط بل من شرور اخرى كثيرة وكبيرة ايضًا فان نفس ارتكاب الانسان هذه الخطية يجعله اولاً فاترًا في عبادته ثم يبرد فيهِ حرارة ايمانه شيئًا فشيئًا حتى يطفيها اخيرًا فيخدر ضميره ويبدأ يستصغر الشر الكبير ثم يتعامى حتى لايعود يرى شرًا فيتطرق سبل الخطايا ايها عنّ له السلوك به فيسلك دون مبالاة الى ان يفاجيه الموت بغتةً في ساعةٍ لايخالها فيتهور في دركات الجحيم معذبًا ما دام الله الهًا معتاضًا عن ملذات سموية ابدية بلذة دقيقة لايعلم كيف انقضت ولو كان قضى فيها كل عمره الى الان وتامل بها قليلاً في هذه الساعة لما وجد منها اكثر مما يجد من حلم .

اولادي ان هذه الرذيلة ليست مهلكة فقط في الاخرة بل هي مضنكة معذبة في هذه الحيوة ايضًا فمن كان منغمسًا بهذه الرذيلة كان في اول الامر معذبًا بمناخس ضميره فاذا ارتكبها مرة عذبهُ ضميره مدة الى ان يعترف اعترافًا نقيًا ويطمأن على ان الله غفرها له فاذا تناهى بالانغماس بها نعم يقل ويخف تعذيب ضميره لسوء بختهِ واشارةً الى انكفاف نعم الله عنه لكنه

يتعذب كثيرًا بالتوصل الى مرغوباتهِ فقد يعرض له ان يكد اياماً لينال مرغوبه دقيقة ويسهر ليلاً ليصرف منه هنية في منام او في ما هو اسرع من منام في زوالهِ وما اكثر من بددوا غناهم لمقاصد حيوانية كهذه وما اكثر من عجلوا خسارة حياتهم نفسها لسعيهم في هذه الطريق الوخيم وكل من عُرف بهذه الرذيلة اضاع شرفه واعتباره فهذا بعض مضارها في هذه الحيوة واعظم منها بلا تناهٍ مضارها في اهلاك النفس في الحيوة الاخرى وتعذيبها موبدًا في جهنم حيث النار التي لا تطفى والدود الذي لا يموت حيث دقيقة واحدة في العذاب تالم اكثر مما تلذ ملاذ اهل العالم الدنسة من ادم الى اليوم.

فحذار حذار اولادي من هذه الرذيلة الممقوتة امام الله والملائكة وامام الناس اجمع بدليل الاستحياء بها وبدليل ان من اعتاد عليهِ نعم يميل اليها ويهيم بها لكنه يشناها في غيره وفي نفسهِ ايضًا . وجدّوا في اثر الطهارة المحبوبة امام الله والملائكة والناس واقتدوا بطهارة العذراء ومار يوسف الاعذر لتتنعموا بمشاهدتها ورويه الله وسائر سكان السماء وتكونوا بين مصافهم في تلك الملذات التي لا تزول ولا يكدرها مكدر واخص ما يساعدكم على النجاة من الدنس انما هو الفرار من اسبابهِ ففي كل الحروب الظفر للشجاع ما عدا الحرب مع الشهوات اللحمية فالظفر فيهِ للجبان الذي يهرب من الاسباب فالانسان يميل بطبعهِ المفسد بالخطية الى هذه الرذيلة وابليس يبذل اكثر جهده لايقاع الناس فيها لانه يعلم انها حفرة عميقة توقع الانسان في شرور اخرى كثيرة كما مر وتغلله بقيود يتعسر عليهِ

انحلاله منها متى تطوق بها فاذا اجتمع لمحاربة الانسان جسده نفسه وابليس عدوه وقرب السبب تحقق غالبًا انغلابه لانه هل توضع النار في الحرج فلا يحترق فالفرار الفرار اذًا ان شئت ان تنجو ومما اشور بهِ على من بلي بهذا الداء العضال المهلك هو ان يستنجد الله والعذراء مريم ومار يوسف الاعذر عند وثوب التجارب وان يعتاد على ان يتلو كل ليلة عند رقاده السلام الملائكي ثلث مرات حبًا بطهارة مريم فهذه العبادة الوجيزة قد ظهر لكثيرين ان الله يتقبلها وينجي بشفاعة والدته من أُسر بهذه الرذيلة واسأله تعالى اخيرًا ان يمنح جميعكم نعمة العفاف والطهارة وينعمكم في الملكوت السموي مع والدتهِ سيدة الطهارة ومار يوسف الصديق الطاهر. انتهى

موعظة في الايمان خلافًا للكفرة

القاها في الاحد الثاني من الصوم في ٢ اذار سنة ٧٢

وبدون الايمان لا يستطيع احد ان يرضي الله عبرانية ص١١ عد٦

قد شكوت قبلًا واشكو الان حالة عصرنا التي لا توذن بان يكون الوعظ وخاصةً في محل كمدينتنا هذه روحيًا محضًا داعيًا الى حفظ وصايا الله ومجانبة مخالفتها والاهتمام بخلاص النفس بمجرد ايراد بعض الايات الكريمة والاشارة الى بعض البرهانات العقلية التي يطابق العقل الوحي بها بل صار مستلزمًا في نفس الانذار على المنابر اقامة البرهان على صحة الحقائق الدينية واكثار الادلة العقلية تمكينًا للمعتقد الصحيح في عقول

السامعين وابعاداً لهم عن ان توثر بهم اضاليل العصر الحاضر التي كثر اصحابها ومذاهبهم وجدهم في تعرية الناس من شعائر الدين ومن الرغبة في التقوى والتعبد وجعلهم على الاقل فاترين قليلي الممارسة لواجبات دينهم ولا يخفى ان كل دين يقوم بامرين المعتقد العقلي وهو الاساس والعمل بموجب ذلك المعتقد وهو البناء عليهِ وان من بنى اما من دون اساس واما على اساس غير ثابت ولا مكين لم يثبت بناوه ولهذا كان لازماً لكل من اتخذ الوعظ في محل كمدينتنا هذه في هذه الايام ان يوطد اساسات الايمان والدين في عقول سامعيه حتى اذا زادت تمكنا فيهم ووقيت مما يمكن ان يكون اعتراها من مقالات اصحاب المذاهب الفاسدة حرضهم على البناء عليها اي على ممارسة ما يفترضه علينا الايمان والعقل النطقي نفسه من التعبد لله والاعمال الصالحة المرضية له وهكذا عزمت الان ان اصنع مبرهناً اولاً ان لابد لكل انسان من دين وعبادة . ثانيا ان الدين الكاثوليكي هو الدين الصحيح والاس الوطيد للخلاص . ثالثاً ان وجودنا على هذا الدين يستلزم منا العمل بفروضهِ والطاعة لاوامره على انني لا اجهد نفسي بتبيان ما ذكرت لظني انهُ يوجد بينكم ايها الاولاد الاعزاء من هو على غير الايمان الصحيح بل جل ما اقصده هو انه قد يمكن ان يكون تعلق بفكر احد منكم اثر من مقالات اصحاب المذاهب الفاسدة حتى جعله فاتراً فاريد محو ذلك الاثر وتحصينكم في المستقبل من الضلال وتعليمكم ما تجيبون بهِ المتعنتين وتمكينكم في الايمان القويم الذي لنا الفخر والحمد لله بان اجدادنا حافظوا عليهِ ابداً من اول اعصر الكنيسة الى

اليوم وتلك نعمة من الله نشكركم عليها فاصغوا الى ما اقول واسالوا الله ان ينيرني وينير ضمائركم لتجنوا من كلامي الثمرة المفيدة في امر خلاصكم.

قسم اول

ان كل انسان منا ايها الاولاد الاعزاء اذا نظر الى نفسهِ وجد انهُ مولف من نفس وجسد ومزين بقوى روحية وجسدية من عقل وارادة ورغبات وقوة على الحركة وما اشبه واذا نظر الى ما حوله وجد بيتاً كبيراً فسيحاً جداً مزيناً بانوار دائمة ليلاً ونهاراً الشمس والقمر والكواكب وبجنات حسان وامواه وطيور واسماك اعني كل ما في الارض ووجد لهُ اخواناً وعشراء ورفقاء هم كل الناس في العالم واذا تامل بنفسهِ او بشيءٍ من كل هذه الموجودات علم انهُ لم يوجد من نفسهِ وان كل هذه الموجودات كذلك واذا شاء ان يستتبع البحث عن ذلك الى مبتدئهِ لايمكنه ان يجد اخيراً الاَّ علة وحيدة كلية القوة والحكمة اوجدت الانسان وكل موجود غير تلك العلة التي هي الله لهُ المجد الواجب الوجود والذي لايحتاج ذو عقل سليم الى برهان وجوده بل يستدل عليهِ كل عاقل بنظرهِ الى نفسهِ او الى اقل شيء من موجودات العالم ومتى حكم الانسان هذا الحكم الضروري البديهي راى بلا شك ان هذا الاله الذي خلقهُ وزينهُ بهذه القوى الروحية والجسدية واتحفهُ بكل هذه الاحسانات والمواهب التي يشعر بها في كل دقيقة يلزمهُ ان يعتقد ويعترف بانهُ حكيم ومحسن ومحبوب للغاية وينبوع كل خير ونفس هذا الاعتقاد والاعتراف هو من

العبادة لهُ ويستلزم الانجاه اليهِ عز وعلا بالمحبة والشكر والطاعة والتوسل اليهِ ليحفظ لنا تلك الخيرات وينعمنا بها وبغيرها مما يرضيه ومن هذا التامل البسيط نفسه يظهر واضحًا ان الدين والعبادة شي مؤسس على الطبع البشري نفسه ويلزم كل انسان ان يكون لهُ دين وعبادة .

اننا نجد فينا قوة الفهم اي العقل وان وظيفتها البحث عن الحق واكتساب المعارف لاسيما النافعة واللازمة لنا واي حق او اية معارف انفع او الزم للانسان من الله الذي هو الحق وينبوعه ومن معرفة كمالات الله واحساناته واعماله وشرائعه لنعتبر كمالاته ونقتدي بما امكن منها ونشكره على احساناته ونندهل من اعمالهِ ونتهيب ونطيع شرائعه فاذًا اول عمل للعقل فينا واهم وظيفة له من نفس الطبع هما اشغاله بعبادة الله في الدين الصحيح

ثم اننا نجد في نفوسنا قوة الارادة ايضًا وان وظيفتها ان نسعى بها في طلب الخير والنفع لنا واي خير اعظم من انجاهنا الى ينبوع كل خير واصله وعلته ومصدره وهو الله واي نفع اكبر من اجلالنا لهُ والسلوك بموجب ارادتهِ وطاعة اوامره فاذًا اول وظيفة للارادة ايضًا في كل انسان بمقتضى الطبع نفسه هي التعبد لله وبالتالي انهُ لابد لكل انسان بمقتضى طبعه نفسه من دين يعبد الله فيهِ .

ان الله هو كلي الكمال بل لا يوجد كمال الاَّ وهو اصله وعلته والحال ان العقل النطقي نفسه يعلمنا ان نحب ونعتبر كل موجود بحسب مقامهِ وكمالهِ فاذًا العقل نفسه يلزمنا ان نحب الله ونتعبد لله فوق كل شي وان

نخضع له قوانا ورغباتنا .

ان في طبعنا نفسه ما يحملنا على معرفة الجميل وعلى عدم غمط النعمة والاحسان حتى نرى عامة الناس تشمأز وتنفر ممن يهين والديه او يكافي عن الاحسان بالاساة والحال اننا نعرف بموجب عقلنا النطقي نفسه ان الله هو خالقنا وحافظنا والمسخر لنا كل ما في العالم في سمائهِ وجوهِ وارضهِ وبحره لخدمتنا وتنعيمنا فكيف لا يتوجب علينا ان نعرف احسانه وان نوديه افعال شكرنا وان نعمل مرضاته فكل ما لنا هو منهُ فيلزمنا ان نوجه كلنا اليه وما احسن ما قاله احد العلماء (هو الجنوانسي في الهياتهِ قسم ٧ راس ٥) بهذا الشان « ان العلاقة بيننا وبين الله تجعل نسبة لازمة توجب علينا له العبودية والتعبد فكما لا يمكن ان يكون انسان الاَّ من الله فهكذا من المحال ان يحيى انسان دون معرفة صانعه والتعبد له وبالايجاز اقول ان تعبدنا لله يستلزمهُ طبع الله وطبعنا ضرورة » لعمركم قد اصاب لان الخليقة لا بد لها من تعلق بالخالق ولو لم يكن لها هذا التعلق لاضحت مستقلة لا تحتاج الله ومما ينافي طبع خالق الكون ومدبره ان تكون خليقته لا تتعلق بهِ بل ان تلك الخليقة نفسها لا يمكن ان توجد دون هذا التعلق اذ ليس لها وجود الاَّ من ارادة الله واذا بطلت ارادة الله بوجودها بطل وجودها فاذاً لا بد من هذا التعلق والموجودات الغير الناطقة تبديه باظهارها مجد الله بنفس وجودها وبالتامل في غرائب صنعه بها واما الخليقة الناطقة المبروة على صورتهِ ومثالهِ فيلزمها أن تودي بادعها وحافظها المجد بالتعبد لهُ باعتقادها تعاليمه ومحبتها وشكرها

لهُ وتوسلها اليه . وكما ان جميع القبائل والامم اجمعت على القرار باله وان اختلفت في ما اعتقدته الهًا هكذا لم تكن قبيلة الاَّ وكانت تتعبد للاله الذي تعتقدهُ حتى قال شيشرون الخطيب الوثني نفسه « ان لكل جماعة ديانة فان الطبيعة تعرف ان تكرم الله ولا يوجد انسان البتة خالٍ من الشريعة التي تامر بهذا » واتفاق جميع الامم على ان يكون لهم دين وعبادة لم يكن له مصدر الاَّ الطبيعة نفسها فكل ما قدمتهُ الى الان يصلح ان يكون برهانًا مفحمًا لمن لا يعتقد شيئًا من الوحي ايضًا فان جميعهُ برهانات عقلية موسسة على نفس الطبع يدركها كل متبصر باقل تكلف واما انتم ابناء الايمان القويم المعتقدون الوحي وكلام الله المنزل لارشادنا وهدايتنا فهل تحتاجون برهانًا من الوحي وايراد شواهد من الكتاب العزيز لاقناعكم بان الدين والعبادة لابد منهما لكل انسان فطالعوا اي سفر كان من الكتاب المقدس بل اي اصحاح شئتم فتروا ان ليس للوحي غاية الاَّ هذه ولم يوحِ بهِ الله الاَّ ليعلمنا ان نعتقد بهِ ونحبه ونعبدهُ . فها قد ظهر ان كل انسان لابد من ان يكون له دين بموجبهِ يعرف الله ويعتقد بهِ وبصفاتهِ ويتعلق بهِ بالتعبد له اي بمحبتهِ وتمجيدهِ وتسبيحهِ وشكرهِ والابتهال اليهِ فلنرَ اي دينٍ هو دين الحق بين الاديان والمذاهب الموجودة في العالم وهذا ما ينطوي عليهِ القسم الثاني .

قسم ثانٍ

اننا نقول ان مذهبنا الكاثوليكي هو الدين الصحيح ولنا في ذلك ادلة

قاطعة وبرهانات ساطعة ونتوصل الى اثبات هذه الحقيقة بان نثبت اولاً
كون الوحي ممكنًا وضروريًا وموجودًا فاذا اثبتنا هذا الاساس بنينا
عليهِ وعلى غيرهِ برهانات مقصدنا فما الوحي الاَّ اظهار الله لنا بعض الحقائق
ولاشك ان هذا الوحي ممكن لان الله القادر على كل شي يقدر ان يظهر
بعض الحقائق لعبادهِ واذا كان الانسان يستطيع ان يظهر تصوراته فلم
لا يستطيع الله ان يظهر للناس حقائق طبيعية وفائقة الطبيعة ولا مانع
من قبل الانسان من هذا الاظهار لانهُ مزين بالفهم فيمكنه ان يفهم تلك
الحقائق بوحي الله كما يفهم من باقي الناس ولا مانع ايضًا من قبل ما يوحى
لان ذلك يكون آيلاً لمعرفة الله ومجده ولنفع الانسان فاي مانع من اظهار
الله له والوحي ممكن ايضًا ولوكان موضوعهُ امورًا تفوق الفهم البشري لان
عقلنا البشري ضعيف قاصر عن ادراك حقائق كثيرة طبيعية ايضًا ونرى بيننا
تفاوتًا بالفهم فيدرك واحد ما لا يدركه الاخر ويفهم العالم علة اشياء كثيرة
حال كون الساذج لا يعرف علتها ولا يصدقها اولاً ايضًا وجميعنا نوكد
امورًا نراها في الطبيعة وفي جسمنا دون ان نعرف علتها وكيفية فعلها
فاننا نعلم مثلاً اننا مولفون من نفس وجسد متحدين اتحادًا طبيعيًا ولا نعلم
كيف نشأ هذا الاتحاد ونعلم ان نفسنا تامر يدينا او رجلينا بالحركة ولا نعلم
كيف ينفذ هذا الروح البسيط امره بهذه السرعة العجيبة في هذا الجسد
الهيولي ونعلم ان فكرنا ينتقل عن شي الى اخر بسرعة دون ان نشعر بكيفية
انتقاله ولا نعلم كيف يخطر عليهِ بغتةً فكر قد طرا عليهِ من مدات طويلة
بل من سنين احيانًا دون واسطة خارجية ونعلم ونرى القوة الكهربائية

والقوى الجاذبة والدافعة ولا نعلم كيفيتها ولا بما تقوم ومثل ذلك كثير مما نوكد وجوده ونجهل كيفيته وحقيقته فان كان في الطبيعة وفي الانسان اسرار تفوق عقلنا ولا ندرك كنهها وحقيقتها ومع ذلك نعتقد وجودها فكيف لايمكن الله ان يوحي الينا شيئًا فوق عقلنا لنعلم انهُ كذلك وان لم نعلم كيف هو كذلك ونلتزم ان نعتقده وما كان فوق العقل لايمكن ان يكون بهذا نفسه مضادًا للعقل والاَّ لكانت كل الحقائق التي اشرنا الى انها موجودة وظاهرة ولكن كيفيتها خفية تضاد العقل ايضًا ولا شي من ذلك لان نفس روية مفاعيلها تقنع العقل بانها لا تضاده وان جهلها .

ثم ان هذا الوحي كان لازمًا وضروريًا من اوجه عديدة منها ان العقل البشري بنفسهِ ضعيف كثير التقلب والتغير كما نرى بالاختبار في اعمالنا اليومية نفسها وفي اشغالنا البيتية عينها فان نرى مثلًا احيانًا اليوم امرًا صوابًا وفي الغد نراهُ غير صوابٍ ولا معقول وفي المسآء نراهُ مضرًا وفي الصباح التالي نراهُ نافعًا فان كان هذا فعل عقلنا فينا في الامور الدنية نفسها فكيف كان يمكن ترك هذا العقل ونفسه ليتدبر في امر الاداب والمعتقد خاصةً وان الجهل يعميه والملذات تقوده وتسبيه وهو ميال الى الشر فقد كان لازمًا بلا مرى اذًا ان باري الطبيعة يتلافى حاله باظهاره له حقائق يعتقدها وقواعد يسلك بموجبها ولهذا نرى القبائل والامم التي تركت بلا وحي إلهي قد تسكعت باضاليل وغوايات ينفر منها الطبع ولا يقبلها عقل سليم ولو كانت تلك القبائل في اسمى درجة من العلم والصنائع فاننا نرى عبدة الاوثان اتصل بعضهم الى ان يعبد لا البهائم والحيوانات

فقط بل نبات الارض ايضاً حتى قال فيهم الشاعر اللاتيني متهكماً «التوم والبصل حرام ان تلعسوهما وتمضغوهما فيا لها من قبيلة مقدسة تنبت آلهتها في البساتين» واليونان والرومانيون كانوا متسامين بالمعارف والصنائع ومع ذلك كان لهم من الغوايات ما يستحى بهِ كنسبتهم الى آلهتهم الفسق والفظائع الدنسة وتاليههم ابطالهم ومشاهيرهم وكان الفرس يحللون تزوج الرجل بامهِ وكان الوثنيون على عمومهم يبيحون اموراً فظيعة وكانت معابدهم نفسها مركزاً للادناس ومراسحهم مدرسة للفحشاء والفلاسفة انفسهم مع ما كانوا عليهِ من التفرغ للعلم والبحث عن الحقائق لم يكن يمكنهم ان يقتادوا الشعوب الى عبادة تليق بالله والى معرفة حقائق راهنة في امر المعتقد وذلك لنقص الاتحاد بينهم اذ كان كل منهم يعلم مذهباً يرضيه ويقيم مدرسة تتبع تصورات فكره ولنقص السلطة اذ لم يكن لاحد منهم سلطة ليامر الاخرين باتباع تعاليمه ولو وضعت هذه السلطة في ايدي الحكومات لتصرفت بالدين طبق مآربها الدنياوية . واكابر الفلاسفة انفسهم قد جهلوا حقائق كثيرة وعلموا خرافات عديدة مثلاً سقراط علم ان الله غير ممتاز عن هذا العالم وارتاب بعدم ميتوتة النفس ومدح البغضة للاعداء وامر عند موتهِ ان يضحى بديك كان عنده لاسكولابيوس وافلاطون الذي سمي الالهي جعل الله بمنزلة نفس للعالم وزاد على الاله السامي الهة اخرين واعتقد التناسخ واباح السكر في بعض الاعياد وقتل الاولاد القبيحي المنظر وارسطو علم بكون المادة ابدية وحصر العناية الالهية على السماويات فقط وارتاب بعدم ميتوتة النفس واشار الى ان الفضائل سياسية لا ادبية

و بيتاغوروس اوجب عبادة النجوم ودافع عن التناسخ وجعل لتلامذتهِ اجتماعات خفية تضاد الديانة وهلمَّ جراً في باقي الفلاسفة حتى قال شيشرون انه لا يوجد راي ولو مهما كان مستحيلاً الاَّ واعجب بعض الفلاسفة فان كانت هذه حال الفلاسفة فكيف تكون حالة العامة وما اكثر ما تكون الاضاليل والانقسامات في المذاهب اذا لم يكن الوحي فينتج من ذلك نتجاً واضحاً ان الاله الرؤوف الحكيم لم يترك الناس دون ايحاء حقائق دينية وادبية هدايةً لهم وبالتالي ان الوحي كان لازماً وضرورياً .

ان جميع القبائل عرفت ضرورة الوحي ولزومه ولذلك تباهت جميعها بوحيٍ لها وهذا ما يؤيد مقصدنا ويلجئنا الى التمييز بين الوحي الصحيح والغير الصحيح ولا بد لهذا التمييز من علامات الهية يستدل بها على كون ذلك الوحي الهيًا وصحيحًا وغيره ليس بالهي ولا صحيح واخص هذه العلامات العجائب والنبوات فمن حيث ان الاعجوبة حدث غريب يفوق قوة الطبيعة ولا يقدر على صنعهِ الاَّ الله باري الطبيعة فلهذا كل وحي اثبتتهُ عجائب حقيقية كان موكداً انهُ الهي وصحيح لشهادة الله له بالعجائب وكذا النبوة من حيث هي انذار بمستقبل غير ممكن الاستدلال عليهِ الاَّ بالعلم الالهي فالوحي الذي تثبته نبوات حقيقية يكون الهيًا وصحيحًا لشهادة الله له بالهام الانبياء النبوة ولا يمكن الله ان يشهد للكذب بالعجائب او النبوات .

فاذا فحصنا كتب العهدين القديم والحديث وجدناها مفعمة من ذكر العجائب الحقيقية والنبوات الصادقة التي تمت في اوانها واستدللنا

بذلك على ان الله نفسه شاهد لصحة الوحي المسيحي ومثبت لها بما لا يقدر عليهِ غيره ولا يمكنه هو نفسه ان يشهد للكذب او ان يعلمنا غير الحق مسجلاً له بختم عجائبه ونبواته فيبقى علينا فقط ان نبرهن كون ما تدون في اسفار العهدين صادقاً وغير مزور ولا محرف فنظرًا الى اسفار العهد العتيق يكفينا بالنظر الى الايجاز المندوبين اليهِ في هذه المادة الوسيعة ان نقول ان اسفار هذا العهد موجودة عند اليهود كما هي عندنا نحن النصارى ولا يخفى ما كان في كل عصر من الخلف والخصام بين النصارى واليهود كما لا يخفى ان هذا الانقسام بين النصارى واليهود قد كان منذ ايام المخلص فان كنا نحن النصارى زورنا او حرفنا اسفار العهد القديم فكيف امكن ادخال هذا التزوير او التحريف عند اليهود وكيف امكن بقاء الكتب التي في يدهم والتي في يدنا على المطابقة التامَّة الَّا في بعض اختلافات القرآت وفي اعتبار بعض اسفار كونها قانونية او لا وكذا لو كانوا هم حرفوا او زوروا فكيف امكن ادخال ذلك عندنا وبقائه الى الان ثم ان العهد الجديد الاتي اثباته يستشهد ايات ومواقع عديدة من اسفار العهد العتيق ويؤيدها . والمورخون العالميون الاقدمون قد ذكروا اكثر الحوادث المذكورة في العهد القديم وهذا كافٍ بالنظر الى العهد القديم وان كان موجزًا .

واما اسفار العهد الجديد فهو ذا البيان على كونها غير مزورة ولا محرفة ان الله يصدر من الشر خيرًا ومن ذلك وجود الاراطقة والمشاقين في بيعتهِ في كل جيل من الجيل الاول الى هذا الجيل فقد وجد في الجيل

الاول تباع سيمون الساحر وميناندروس وكيرينتوس وابيون والنيقولاويون وغيرهم وفي الجيل الثاني تباع كربوكرات وولنتينوس وابيفان وتاسيانوس وشردون وغيرهم . وفي الجيل الثالث تباع سابيليوس وبولس السميساطي وماني وترتوليانوس واوريجانوس وغيرهم . وفي الجيل الرابع الدوناتيون والاريوسيون والمكدنيون وغيرهم . وفي الجيل الخامس النساطرة والاوطاخيون وهلم جرًّا في باقي الاجيال فوجود هولاء الاراطقة والمشاقين قد ساعد على اثبات الاسفار المقدسة من وجهين الاول هو انهُ لما كان الكاثوليكيون يعترضونهم ويحجونهم بايات الاسفار المقدسة لم يقولوا قط كون تلك الاسفار مزورة وغير صحيحة مع انه لو كان في ذلك ادنى محل للريب لاجابوا الكاثوليكيين بان تلك الاسفار مزورة ولا صحة لها ولم يكتبها رسل المسيح وتلاميذه والثاني ان هولاء الاراطقة حفظوا الاسفار المقدسة عندهم وهي تطابق ما عندنا منها بالتمام فلو كانت مزورة او محرفة كيف كان يمكن قبولهم لها من عندنا او قبولنا لها من عندهم مع انشقاقهم عنا وخصامهم لنا وقد بقي منهم الى اليوم النساطرة واليعاقبة والبراصمة وها كتبهم المقدسة وبينها وبين كتبنا المطابقة التامة . ثم لو كانت اسفار العهد الجديد مزورة او محرفة لكان هذا التزوير والتحريف اما قبل موت الرسل واما بعده ولا يمكن القول باحدهما فلا قبل موت الرسل لانهُ اي جسور كان يمكنه ان يزور انجيلاً او رسالة باسم رسول او مبشر في ايامهِ وتجاه عينيه وكيف يمكن ذلك الرسول او المبشر ان يسكت على ذلك وكيف يحتمل ان ينشر احد باسمهِ تعليمًا مخالفًا لما علمه معلمه الالهي وكيف

يختفي ذلك عليهِ ولو فرضنا انهُ خفي عليهِ فكيف يخفى على تلاميذهِ الذين يكون عليهم الخلاف . ولا يمكن ايجاد هذا التزوير او التحريف بعد موت الرسل والمبشرين لانهُ كيف يمكن مثلاً اهل غلاطية ورومية وقرنثية وغيرها ان يصدقوا ان ماري بولس كتب اليهم رسائل اذا لم تكن وصلت اليهم في ايامهِ وكيف يمكن ان يقرأوا هذهِ الرسائل خلوة او جهاراً كأن يد الرسول كتبتها لهم مع انهم لم يقبلوها منهُ ولا سمعوا شيئاً عنها . ثم ان الناس في كل عصر لا يموتون سوية بل بعضهم بعد بعض ويبقى في كل عصر اناس من العصر السابق لهُ فالجيل الثاني مثلاً كان فيهِ اناس شبوا في الجيل الاول والجيل الثالث كان فيهِ اناس شبوا في الجيل الثاني وهلم جرًّا فلو فرضنا هذا التزوير او التحريف وقع في الجيل الثاني فحيث كان فيهِ اناس شبوا في الجيل الاول وتذكروا ما كان فيهِ فيصرخون بابناء الجيل الثاني قائلين اننا لم نسمع شيئاً من هذا او سمعنا ما يخالفهُ فلا يمكن ادخال اسفار مهمة بهذا المقدار ولا يمكن ادخال تحريف جوهري فيها ولا سيما ان نسخ هذهِ الاسفار المقدسة انتشرت منذ عهد كاتبيها في الآفاق وكتبت وترجمت الى لغات عديدة فكيف امكن تواطؤ الممالك الشاسعة واصحاب اللغات المختلفة على تزويرها وتحريفها حتى تكون كل نسخها كأنها واحدة ولِمَ لم يبين كل من يقاومون هذهِ الاسفار المقدسة وقتاً جرى فيهِ اختراعها او تزويرها او تحريفها واضف الى ذلك ان هذا التزوير لا يخلو من ان يكون اوجدهُ اليهود او الوثنيون او النصارى والحال ان اليهود لا يمكنهم ذلك لان النصارى مضادون لهم ولان هذهِ الكتب تحوي ما يضادهم

ويشجبهم صراحةً فلو زوروا هم هذه الكتب لرفعوا منها ما يخالف زعمهم على الاقل . ولا يمكن ان يكون الوثنيون زوروها لان في هذه الكتب ما يلاشي الوثنية ويضادها على خطٍ مستقيم كالتعليم باله واحد وما اشبه فلو زوروها او حرفوها لرفعوا ذلك على الاقل منها . ولا يمكن ان يكون النصارى زوروها او حرفوها لان هولآء اما كاثوليكيون او غير كاثوليكيين وقد وجدوا في كل عصر كذلك كما مرّ فايهم زوّر او حرّف احتجّ عليهِ الفريق الاخر وقاومهُ والحال ان لاشي من ذلك فاذًا الاسفار المقدسة اي الوحي المسيحي صحيح سالم خالٍ من كل تزوير وتحريف والعجائب والنبوات المذكورة فيهِ صحيحة اكيدة وهي بمنزلة شهادة من الله ليكون الوحي المسيحي اي الكتاب المقدس وحيًا الهيًا صحيحًا . وهذا البرهان لمن لايعتقد شيئًا من الوحي واما عندنا نحن الكاثوليكيون فشهادة الكنيسة هي اقوى برهان على صحة الكتب المقدسة وعدم تزويرها او تحريفها .

ومن حيث ان هذا الوحي الالهي الصحيح هو الاساس الاول للمذهب المسيحي والدين الكاثوليكي فينتج نتجًا ضروريًا كون الدين الكاثوليكي الموسس على هذا الوحي والمنطوي عليهِ هو الدين الحقيقي والصحيح ولنا في ذلك ادلة عديدة قاطعة نقتصر على بعضها فقط

الدليل الاول من عجائب المسيح والرسل ان اسفار العهد الجديد التي اثبتنا انفًا صحتها وسلامتها من كل تزوير وتحريف تنبئنا بان المسيح صنع عجائب كثيرة هي عجائب حقيقية لا يقدر على صنعها الاَّ الله منها انهُ امر المآء فاستحال خمرًا في عرس قانا الجليل وانهُ قال للابرص قد شئت

فكن طاهرًا فشفي وطهر كما سمعتم في الانجيل الذي تلي عليكم في هذا النهار
وانه ابرأَ الامراض والاسقام بالامر فقط ورد على العميان البصر وانطق
البكم واشفى المخلعين وطرد الشياطين واقام الموتى كالعازر وابنة يايروس
وابن الارملة واكثر الخبز حتى اشبع الوفًا بخمس خبزات ورفعوا من كسرها
زنابيل مملوة وعند موتهِ شق حجاب الهيكل وتزلزلت الارض وتصدعت
الصخور وتفتحت القبور وقام بعض الموتى وكسفت الشمس لغير علة
طبيعية والمسيح نفسه قام من الموت والقبر وصعد الى السماءَ تجاه جمٍّ غفير
واحل الروح القدس على تلاميذهِ فنطقوا بلغاتٍ لم يكونوا قبلاً يعلمونها
وقد اصطنع رسله من بعدهِ عجائب عديدة باسم المسيح منها ان ماري بطرس
اقام طابيتا من الموت واشفى مخلعًا ملقي من ثماني سنوات وعاجل حنانيا
وصافورا بالموت بغتة لكذبهما وكان يبري المرضى من امراضهم بظل ثوبه
الى غير ذلك مما صنعهُ المسيح والرسل من العجائب وكل منها لا يقدر
عليهِ الاَّ الله وحدهُ وكل منها على حدة شهادة صريحة من الله بكون الدين
المفعولة بهِ هو الدين الصحيح الذي يشهد الله له بعجائبهِ ليدعوا الناس الى
التمسك بهِ ولم يكن صنع هذهِ العجائب خلوة بل امام جموع غفيرة وفي
محلات الاجتماع وامام المنددين والحاسدين والباحثين عن حقائقها
والمفحمين بصدقها وان قال الجاحدون ان هذهِ العجائب صنعها المسيح بعلل
مجهولة في الطبيعة قلنا ان المسيح صنع العجائب في اماكن وازمنة مختلفة
وابا ليب متنوعة فيلزم ان يكون ادرك هذهِ العلل الخفية حتى الان في
الطبيعة وان تكون الطبيعة خاضعة لامرهِ والحال ان هذهِ المعرفة وهذه

القدرة هي اعجوبة حقيقية وتدل على ان للفاعل اشتراكًا حقيقيًا بالالوهية فيكون مقصدنا بقي ثابتًا .

الدليل الثاني من النبوات فان في اسفار العهد الجديد المار اثباتها (لنتغاضى عن ايراد نبوات العهد القديم) قالها المسيح وبعضها تم قبلاً وبعضها نرى تمامه في ايامنا ايضًا فقد تنبأ لتلاميذه بانهُ سوف يتالم في اورشليم ويسلم الى الامم فيجلدونه ويهزأون بهِ ويصلبونهُ ويموت ويقوم في اليوم الثالث وقد تم كل ما قاله حسبما قال ولم يكن انسان ولومهما كان حاذقًا يستطيع ان يرى هذه الحوادث وينبي بها بل كان ينتظر العكس فان المخلص لم يكن يصنع ما يستوجب الاهانة والعذاب بل كان يصنع ما يستوجب عرفان الاحسان والمدحة إذ كان يحفظ شريعة موسى ويحرض على حفظها وكان نبيًا شهيرًا باقوالهِ وافعالهِ وكان يصنع العجائب لنفع معذبيهِ من اشفاء مرضاهم واقامة موتاهم وسد اعوازهم وهلم جرًا وقد قال ذلك في اثر دخولهِ اورشليم بالتسبيح والتهليل فلم يكن يخطر على قلب بشر انهُ يحل بهِ ما تنبأ عليهِ ومع ذلك قد كان بحسب قوله وقد تنبا على خراب الهيكل قائلاً انهُ لا يترك بهِ حجر على حجر الا سينقض حال كون الهيكل كان موقرًا معتبرًا مزدانًا بالهدايا والنذور وقد تم ما قال كما شهد المورخون الصادقون من النصارى وغيرهم وقد تنبا على خراب اورشليم مبينًا كيفيته وظروفه وزمانه قائلاً الحق اقول لكم ان هذا الجيل لا يزول حتى يكون هذا كله وبالحقيقة انهُ بعد سنة ٣٦ او سنة ٣٨ قد جرى على اورشليم وسكانها كل ما قال وقد تنبا لتلاميذه بانهم يقامون امام الملوك والولاة

ويهينونهم ويقتلونهم وكان كذلك وتنبا بان انجيله يكرز بهِ في العالم كله وهوذا الحال كذلك وان الامم يخضعون لسنة الانجيل وكان كذلك وان تلاميذه يصنعون العجائب والايات وكان كذلك وانه يكون مع بيعته كل الايام والى انقضاء العالم ولا يدع ابواب الجحيم ان تقوى عليها وهاك الحال كذلك وحيث ان هذه النبوات الحقيقية لا يمكن ان يوتيها الاَّ الله فهي شهادة اخرى من الله ايضًا على كون الدين الذي فعلت بهِ انما هو الدين الصحيح

الدليل الثالث من قيامة المسيح . ان المسيح قام من القبر بعد ثلاثة ايام كما كان تنبا وهذا امر كلي التاكيد لان من شهدوا له لا يمكن ان يُغشوا ولا يريدون ان يغشوا ولو ارادوا لما قدروا ان يغشوا . فلا يمكن شهود القيامة ان يُغشوا لان المسيح تراأى مرات بعد قيامته لكثيرين منهم وخاطبهم وكلفهم ان يجسوا يديه ورجليه واكل معهم وظهر لاكثر من خمساية اخ معًا وهم كانوا يرتابون اولاً بقيامتهِ ولم يكونوا يصدقون الى ان افحموا بنظرهم اياه وجسهم له وسماعهم كلامه فاذًا شهود القيامة ما كان ممكنًا ان يُغشوا . ولم يريدوا ان يغشوا غيرهم لانهم كانوا سذَّجًا ولانه واضح انهم لم يصدقوا القيامة اولاً ولانهم احتملوا بسبب تبشيرهم بها الآماً وعذابات قاسية حتى الموت ولم يغير احد شهادته ولان ذلك لم يكن يكسبهم من قِبل الله الاَّ الاثم ولا يجر لهم نفعًا من قبل البشر بل ضرًا وعذابًا واضطهادًا وموتًا فلم يريدوا اذًا ان يغشوا بل لو ارادوا ان يغشوا لما استطاعوا لانه كان لازمًا لغشهم الناس ان يرفعوا جسد المسيح من

القبر والاَّ فيظهر اليهود هذا الجسد ويكذبونهم والحال ان القبر كانوا دحرجوا عليهِ حجرًا كبيرًا وختموه واقاموا جنودًا لحراستهِ بتحرز والرسل والتلاميذ كانوا متبددين كخرافٍ ضرب راعيها مرتعدين مختفين فكيف كان يمكن الرسل والحالة هذه ان ياخذوا جسد المسيح هل بالقوة فمن تركوه وهو حي وهربوا من اين الشجاعة والقوة لهم بعد موتهِ لياتوا فياخذوه رغمًا فضلاً عن ان اليهود لم يقولوا هذا بل علموا الحراس ان يقولوا ان تلاميذه سرقوه ولكن كيف كانت هذه السرقة ممكنة والحراس كثيرون ولابد فيها من دحرجة الحجر الكبير فيستيقظ الحراس وان كانوا نيامًا فمن اعلمهم ان تلك سرقة وان كانوا متيقظين فلمَ لم يمنعوهم منها فاذًا لو اراد شهود القيامة ان يغشوا لما استطاعوا وما كان شهوده لايمكن ان يغشوا ولا يريدون ان يغشوا ولو ارادوا لما قدروا ان يغشوا كان لهُ اعظم ثبات وكانِ موكدًا كلي التاكيد فقيامة المسيح كذلك وهي وحدها كافية للبرهان على صحة المذهب المسيحي لانها اعجوبة باهرة من جهة وتمام نبوة المسيح عليها بظروفها من جهة اخرى ولهذا قال الرسول ان كان المسيح لم يقم فنداونا باطل وايمانكم باطل .

الدليل الرابع من انتشار الدين المسيحي . لايخفى ان الدين المسيحي يضاد الملذات والرغبات الجسدية ويامر بقمع الشهوات واستعباد الجسد وكان في بدايتهِ خاليًا من المساعدات البشرية بل كان العالم كله مقاومًا له الاَّ اثني عشر رسولاً وعددًا يسيرًا من التلاميذ وكان مخالفًا لمعتقدات الوثنيين بل آيلاً الى استيصالها ومضادًا رتب اليهود وطقوسهم وناسخًا

لها ومع هذا كله انتشر في المسكونة كلها بسرعة عجيبة عند كل امة وشعب وقبله فلاسفة وعقلاء واراكنة وولاة فكيف كان هذا ممكنًا لو لم تكن يد الله هي الناشرة له فهذه خلاصة هذا البرهان وهاكم تفصيله.

ان الدين المسيحي يضاد الملذات فلا يبيح رذيلة بل ينهي عن كل شر ويفترض وصايا صارمة ثقيلة ككبح افكار الانسان نفسها عن اشتهاء ما يلذ للجسد واحتقار التنعمات والغنى ومحبة الاعدا ومغفرة الاهانات والنهي عن التزوج بغير امراة واحدة ما دامت حية والكفر بالذات وحمل الصليب وما اشبه ويعد بخير لمن تمسك بهِ لكن ذلك الخير مستقبل وغير منظور فاي شي اكثر مضادة لاميال حواسنا من كل ما ذكر ومع كل هذه المضادة انتشر بتلك السرعة العجيبة لا دون مساعدات بشرية كافية فقط بل مع مقاومات شديدة وكبيرة فالمساعدات البشرية في امرٍ كهذا تكون حذاقة الدعاة وباسهم وغناهم ثم الوعود المرجحة على الاقل بمنافع زمنية ثم سطوة الملوك . والحال ان انتشار الدين المسيحي كان مجردًا عن كل ذلك فدعاته كانوا اناسًا صيادين سذّجًا لا شهرة لهم قبل ذلك في العالم او في وطنهم نفسه ولا باس ولا سلطة ولا قوة ولا غنى لهم ولم يعدوا من بشروهم الابا لتزامهم ان يتحملوا التعيير والاهانة والاضطهاد من اجل المسيح في هذه الحيوة وقد تحمل مثل ذلك المبشرون انفسهم تجاه من يدعونهم ولم يغروهم بغنى بل كانوا يطلبون منهم ان يعيشوا من عندهم لفقرهم ولا بملاذ بل كانوا يامرونهم بالابتعاد عن كل ملذ حرام ولم يكن لهولاء المبشرين ادنى سطوة تسندهم من قبل الملوك والولاة بل كانوا يقاومونهم كل المقاومة

ويضطهدونهم كل الاضطهاد ويعذبونهم ويميتونهم ومن اتبع تعليمهم .

ان الدين المسيحي لم يكن مقاوماً اللذات والرغبات الجسدية فقط ولا مخالفاً لرضى الملوك والولاة فقط عند انتشاره بل كان ناقضاً وناسخاً الاعتقادات المذهبية السابقة له اذ كان مقاوماً الفلاسفة بتعاليمهم وملزماً الوثنيين ان يكسروا اصنامهم التي عبدوها من قديم الايام وان يقوضوا هياكلهم وينكفوا عن ذبائحهم واعمال ديانتهم ويعتقدوا المسيح الذي صلبه اليهود الهاً ورباً حقيقياً وكذا كان يامر اليهود بان يتركوا رتب الشريعة الموسوية وطقوسها التي كان تبجن في عقولهم اعتبارها وان يعتقدوا ان من حسبوهُ مضلاً واثيماً وصلبوهُ كان الههم والمسيح الذي وعدوا بان يكون مخلصاً لهم وللعالم وان يجاهروا بالخزي والعار لامتهم وبالجملة ان الدين المسيحي كانت تقاومه اقلام الفلاسفة وحكمتهم وسيوف الملوك والولاة وبطشهم واعتقادات الامم ومنافعهم وفخرهم ولذاتهم وحسد الكهنة وخبث اليهود وقساوة الظالمين ومع كل هذه المقاومات ومع خلو دعاته من كل المساعدات البشرية قد انتشر هذا الدين باقرب حين في اصقاع العالم حتى استطاع مار بولس نفسه ان يقول في رسالتهِ الى الرومانيين (ص ١ عد ٨) « ان ايمانكم ينادى بهِ في كل العالم » واجبر بلينيوس ان يكتب الى ترايانوس الملك في المسيحيين قائلاً ليس المدن فقط بل القرى والمزارع ايضاً امتلات من هولاء (ك ١٠ رسالة ٩٧) وهل يمكن اولادي مع هذا كله ان لا نرى ان يد الله نفسه هي التي نشرت الدين المسيحي وهي التي غلبت الفلاسفة والملوك والولاة والشعوب

واخضعتهم لهذا الدين الظاهر كونه الهيًا ظهور النهار بشمسهِ وما احسن ما قال ماراغوسطينوس (في ك ٢٢ في مدينة الله راس ٥) « اذا كنتم لا تعتقدون ان العجائب صنعت . فتكفي هذه الاعجوبة الباهرة وحدها وهي ان تومن المسكونة كلها دون اعجوبة »

الدليل الخامس من شجاعة الشهدآء اذا اعتبرنا ما قاساه شهداء الدين المسيحي من العذابات المتنوعة ووفرتها وعدد الشهدآء الكثير راينا ان ذلك ليس من فعل الطبيعة بل من فعل النعمة والقوة الالهية فان هذه البسالة لم تظهر في قلائل جعلتهم الطبيعة شجعانًا اشدآء بل في جم لا يحصى من كل سن وحال ومقام من رجال ونساء وشيوخ وشبان من اشراف وعامة من علماء وسذج يمكن ان تعد الاضطهادات ولا يمكن ان يعد المضطهدون ففي ايام الملوك الوثنيين مدة الاجيال الثلثة الاولى كانت ثورات الاضطهاد عشرًا واكثرها عم المغرب والمشرق وكثيرًا ما جرى فيها التعذيب والقتل لا على الافراد فقط بل على جماعات متعددة حتى كان عدد الشهدآء ملايين كثيرة وبعد ان امن قسطنطين الكبير الكنيسة قد اجرى سابور ملك الفرس على المسيحيين قساوة لا تنقص عن قساوة ديوكلتيانوس حتى كان في ايامهِ عدد الشهدا الذين حفظت الكنيسة اسمآهم ستة عشر الفًا واما من لم تحفظ اسماءهم فلا يحصون كما روى زوزمانوس المورخ (في تاريخهِ ك ٢ راس ١٤)

ان ما قلناه في عدد الشهدا الغير المحصى تثبته بينات لا سبيل الى تكذيبها فان ذلك بين من مراسيم الملوك ضد المسيحيين ومن سجلات

اعمال الحكومات التي كانت تجري هذه الاضطهادات ومن مكاتبات حكام الجهات الى ملوكهم ومن شهادات المومنين الذين كانوا يرون تعذيب الشهداآء ومن كتب مدافعة الاباآء الاولين عن الدين المسيحي وقد بقي من هذه البينات والاثار ما يجعل ما قلناه حقيقةً منزهة عن كل ريب

اما انواع العذابات فلا تعد ايضًا فان المضطهدين ما لاح في مخيلتهم نوع من التعذيب والتنكيل الاَّ واجروهُ على الشهداآء فما تركوا صلبًا ولا تقطيعًا بالاتٍ مرهفة ولا حريقًا ولا غريقًا ولا تفسيخًا ولا القاآء للوحوش الضارية ولا تكسير اعضاآء ولا شق احشاآء ولا قطع راس وبالجملة ان تحمل المسيحيين وتشبثهم بالدين كان يكيد الظالمين ويشحذ افكارهم لاختراع انواع من العذاب والقتل فكلما تصورت افكارهم المتوحشة القاسية اجروهُ على الشهداآء فتحملهُ هولاآء بصبر وكثيرًا ما تقدموا اليهِ بسرورٍ وبهجةٍ ايضًا وكيف كان يمكن مقاساة كل هذه التعاذيب على اختلاف انواعها واختلاف الشهداء الغير المحصين سنًّا وحالاً ومقامًا لولا ان يد الله تسعف هولاآء وكيف لم يمكن كل هذه الصرامة والاجتهاد في استئصال هذا الدين ان توثر بهِ الاَّ زيادة النمو والانتشار وكثرة عدد المسيحيين حتى قال ترتوليانوس ان دم الشهداء بذار للمسيحيين وبمقدار ما كنا نحصد كان يزداد عديدنا لعمركم اولادي ان ذلك اعجوبة باهرة شهد الله بها للدين المسيحي انهُ الدين الذي اراد ان يعبدهُ الناس بهِ وان قوة البشر ولو مهما اجتهدت نفسها فهي لاشي بازاء قوة الله التي

ارادت ان تحفظ هذا الدين بوسائل وبينات من كل نوع حتى ان من لم يذعن لهذا الايمان طاعةً لشهادة الله الغير المنظور يساعد على هذا الاذعان بشهادة اناس مثله كثيري العدد زكوا شهادتهم باراقة دمهم وايدهم في ذلك ايد الله الذي شاء استحواذ هذا الدين في العالم رغم انوف الملوك والولاة المضطهدين واعداء الله المتكبرين

قسم ثالث

قد اتضح اولادي اذاً انه لا بدَّ لكل انسان من دين وعبادة وان الدين الصحيح هو المذهب الكاثوليكي بمقتضى الادلة التي ساعدني الوقت الان على اقامتها من اثبات امكان الوحي ولزومهِ ووجودهِ واثبات ان ما تضمنتهُ كتب العهدين القديم والحديث هو الوحي الالهي الصحيح الغير المزور والغير المحرف وهو ينطوي على شهادة الله لصحتهِ وصحة المذهب المؤسس عليهِ بواسطة العجائب والنبوات التي لا يمكن ان يصنعها غير الله وحده ومن العجائب انتشار هذا المذهب مع وفرة المقاومات التي تصدت لمنع انتشاره وبسالة الشهداء بالموت حباً بهِ وهذا كلهُ يجعل كل انسان رغب في الحق يذعن لايماننا الكاثوليكي المقدس ان شاء مطاوعة نعمة الله واما انتم الثابتون والحمد لله على هذا الايمان القويم فيلزمكم ان تؤدوا الله شكراً لا ينتهي على هذه النعمة التي خولكم اياها

على انهُ لا يكفي مجرد اعتقادنا الايمان الكاثوليكي وشكرنا لله لانهُ جعلنا نتمسك بهِ بل يلزم العمل ايضاً بموجب هذا الايمان وطاعة ما

يامرنا بهِ . كما لا تكفي انسانًا قطن في مملكة معرفة شرائع تلك المملكة بل يلزمهُ العمل بها واذا خالف عوقب . وكما لا يكفي الخادم ان يعرف من يخدمهُ سيدًا له بل يلزمهُ ان يقيم بخدمتهِ . ليس الذين يسمعون الناموس ابرار امام الله بل العاملون بالناموس يتبررون (كما يقول الرسول) ولو كان الوحي والوصايا التي يشتمل عليها لمجرد العلم بها لما كانت حاجة اليها فماذا يفيد علمك ان الله اوحى ان لا تسرق ان كنت تستبيح السرقة حقيقية كانت كاخذ مال الغير خفيةً او مأولةً كاخذهِ بواسطة المصانعة والمكر. وما الفائدة من علمك الوصية لا تزنِ ولا تشتهِ ان كنت تطلق العنان لشهواتك . بل لو لم تكن تعلم الوصية لربما لم تكن لك خطية او لكان اثمك اقل في ما يحتمل الجهل بهِ . قال المخلص لو كنتم عميانًا لم تكن لكم خطية ولكن حيث تقولون انكم تبصرون فخطيتكم ثابتة . ثم ماذا يفيدك مجرد عرفانك وجوب العبادة لله ان كنت كسلان هيهات ان تتلو بعض مرات ابانا والسلام فلم يوحِ الله وجوب العبادة له ولم يفترض علينا وصاياه لنتفقه بها فقط بل لنعمل بها ايضًا ونوديه ما يوجبهُ علينا ايماننا الصحيح المقدس الذي اوجدنا بنعمتهِ عليهِ . اني لاعلم ان كثيرين من شباننا خاصةً يحسنون المعتقد ويدافعون عن الدين الكاثوليكي ويحبونه ويتعصبون له ايضًا ويساعدون على زيادة انتشاره ونعم ما يفعلون ولكن ليس هذا الكل بل يعوزهم شيءٌ اخر جوهري كثيرًا وهو العمل وهو الممارسة لفروض دينهم والاَّ فتكون حالهم حال خادم يحب سيده ويعتبر باطنًا صفاته

لكنهُ لا يشاء القيام على خدمتهِ ولا طاعة اوامرهِ بل كل ما امرهُ بشي صنع خلافهُ فمن منكم يرتضي بخادم كهذا فكيف يرضى الله عمن يقول منكم انهُ كاثوليكي ويغار على الايمان الكاثوليكي وهو يسخط الله ويحتقر وصايا هذا الايمان الكاثوليكي باثامهِ وهو فاتر في عبادة الله بل كانهُ لا عبادة له لست اطلب من احد هولاءَ ان يترك العالم او اشغاله ويتجرد في دير او في بيتهِ للنسك والتعبد كلا ثم كلا بل المطلوب منهم ومن كل احد حفظ وصايا الله والامتناع من الآثام والتعبد لله ولو في قيراط او نصف قيراط من النهار الذي يصرف باقيه في خدمة الجسد وخدمة العالم . وهذه المحافظة على وصايا الله وهذه العبادة اليسيرة تقي من سخط الله ومن العذابات الابدية المتوجبة على من يسخطهُ وتبلغ الى السعادة الخالدة التي يعدنا لها الايمان الصحيح والعمل بهِ واساله تعالى ان ينعمنا جميعًا بهذه السعادة غاية وحيه وايماننا صحبة سيدة العالمين وملايكتهِ ومختاريهِ بنعمة الاب والابن والروح القدس امين . اه

خطبة

القاها في الاحد الثالث من الصوم في ٩ اذار سنة ٧٢

خلافًا لمن شذوا عن معنى الوحي الصحيح

ويقوم انبياءَ كذبة كثيرون ويطغون الكثيرين متى ص ٢٤ عد ١١

اني في خطبتي الاحد الماضي برهنت لكم حقيقة ايماننا الكاثوليكي

خلافاً لمن لم يكن عندهم الوحي الصحيح فيلزم ان ابرهن الان حقيقتهُ خلافاً لمن اعتقدوا الوحي الحقيقي لكنهم شذوا عن معناه الصحيح وضلوا عن مفهومهِ الحقيقي وعلموا الغلط مدعين الاسناد الى وحينا المقدس ايضاً وهم من يتحقق فيهم قول المخلص انهُ يقوم من بعدهِ انبياءَ ومسحاءَ كذبة ويطغون الكثيرين .

اني لا اقصد الان في كلامي ان اتعقب كل الفرق المسيحية المنفصلة عن مذهبنا الكاثوليكي المقدس فاني كما علمتم احب المصافاة والاخاءَ مع الجميع دون استثناءَ في كل ما لايمس ايماننا القويم وقد حرضتكم واحرضكم على ذلك في كل معرض واعلم ان افرق بين ما يوجبهُ علينا الدين وبين ما توجبهُ علينا الهيئة الاجتماعية والالفة الوطنية فاحرص على تادية واجبات الدين واحرص ايضاً على تادية واجبات المحبة التي يامرنا الله ان نحب الجميع بها وعلى القيام بفروض الانسانية والالفة حتى لا اشاء في امر الدين نفسه ان اتعقب احدى الفرق الاَّ لضرورة ولرجاءَ نفع روحي كما اذا اضطرنا الامر الى المدافعة عن ايماننا الصحيح او استدعتنا الواجبات الدينية نفسها الى برهان حقيقةٍ من الايمان تمكيناً لها في عقول المومنين او ردًّا لبعضهم عن خلافها او افادةً لسائل عنها .

على ان اصحاب المذهب الابروتسطنتي في مدينتنا هذه قد اكثروا من الافتراء على مذهبنا الكاثوليكي بكلامهم وتاليفهم وجدوا وكدوا هنا وفي لبنان بجذب ابنائنا الى مذهبهم واطغاءَ اولادنا السدج بتعاليمهم

السفيهة وحيث لم يتمكنوا من اقناع الناس باتباعهم عدلوا الى تخميد
حرارة الفروض الدينية فيهم فتراهم يسمون متواترًا الكنيسة الكاثوليكية
زانية ويدعون بانها بطلت ان تكون مسيحية وطورًا يعيبوننا لمحافظتنا
على ايماننا ويسمون فخرنا بالتمسك بالايمان عارًا وعبودية عمياء وطورًا
يهيجون الشعب على الاكليروس ويغرون العامة باختلاس املاك
الاوقاف وتارةً يقبحون سمعة روساء المذهب الكاثوليكي من البابا الى
اخر قس او راهب داعين اياهم بغالاً وما اشبه وقد طالع او سمع
كثير منكم مثل هذه التجنيات منشورة في صحيفتهم المسماة النشرة
الاسبوعية والتي يظهر ان جل ما انشئت له الطعن بالكاثوليكيين
والمذهب الكاثوليكي فضلاً عن كراساتهم وكتبهم التي قل ما وجد منها
ولم يحوِ طعنًا فاحشًا بالكنيسة الرومانية وابنائها فاذا كانوا يبيحون
انفسهم كل هذا الطعن بنا والتجني علينا وعلى كنيستنا فهل لا نُباح
المدافعة عن انفسنا وعن مذهبنا واذا كان يحق لهم ان يحاولوا خطف
اولادنا من بين ايادينا فهل لايحق لنا ان نحافظ على اولادنا من
خطفهم ونحصنهم بتبيان التعليم الصحيح من الفاسد واذا كانوا كما
رايتموهم مرات يعظون في الازقة والساحات ويتطفلون على البيوت
نفسها احيانًا ليعظوا سكانها اما يحق لنا ان نبين في كنائسنا فساد
تعليمهم أَوما يحق لي بالخصوص من حيث انى استقف ان اظهر من على
هذا المنبر بطلان ازعامهم لا شك في ذلك . وهم انفسهم اذا انصفوا
وتاملوا بما يصنعون كانوا لنا من العاذرين وقد كنت اود ان لايكونوا

اجبرونا على الكلام في بيان فساد مذهبهم علانيةً ومع ذكر اسمهم ولكن ما الحيلة في المدافعة عن الحق وفي منع تمادي تعليمهم الكاذب وتحصين اولادنا من اطغائهم وفي رد اسهم طعنهم وتذفهم الذي استطرقوه فاضحى كانه ملكة فيهم فللانسانية والرغبة في الالفة البشرية محل وللمدافعة عن صحة المذهب ورد الافتراء الديني محل ايضًا فبمقدار ما يصافوننا في الامور المدنية نحن لهم مصافون وبمقدار ما يحاولون اضرارنا في الامور المذهبية نحن لهم مقاومون وعن مذهبنا مدافعون على انني لا اقصد الان ان افند كل اضاليل المذهب البروتسطنتي فردًا فردًا ولا ان اثبت كل قضايا الايمان التي يجحدونها فان ذلك يحتاج الى مجلدات كبيرة بل انكم تستمعون مني في هذا المساء بعض مبادي عامة اذا صغيتم لكلامي فيها على عادتكم الحميدة التي اشكركم عليها رايتم ببديهي النظر ان المذهب البروتسطنتي ساقط باطل فاسال واسالوا الله معي نعمة التنوير لي ولكم فانهُ النور الذي ينير كل انسان اتٍ الى العالم

قسم اول

قد فهمتم ما قلتهُ في عظتي الماضية عن ضعف العقل البشري وعجزه عن ان يقيم للانسان دينًا لتغيره ولاختلاف عقول الناس في النظر الى الامور الواضحة ايضًا في بعض الاحيان وكيف ان القبائل التي تركت من دون وحي تسكعت في الضلال والفلاسفة انفسهم جهلوا

امورًا ادبية واضحة وعلموا احيانًا اضاليل بينة يستحى منها وكل ذلك لان العقل بنفسهِ قاصر عاجز متغير ميال الى الشر ولهذا تلافى الله حالة البشر بتنزيل الوحي فالبروتسطنت يعترفون بكل هذا ويعظمون قدر الوحي المقدس لكنهم عادوا فابطلوا هذه الملافاة وجعلوها كانها لم تكن بالمبدا الذي وضعهُ لوتاروس امامهم واتبعوه جميعهم فيهِ وهو مبدأ حرية الفحص لعقل كل فرد عن صحة كل سفر من اسفار الوحي او عدم صحتهِ وعلى معنى كل اية من الكتاب المقدس وجعلوا العقل البشري قاضيًا وحاكمًا في كل ما يتعلق بالدين والوحي بنوع انهُ يطلق لكل انسان ان يعتقد مثلاً كون هذا الانجيل صحيحًا او مزورًا وهذه الرسالة من الوحي او ليست منهُ وهذه الاية بهذا المعنى او غيره ولا يقدر واحد ان يحج الاخر بما يعتقده على هذه الصورة ولو اعتقد محالات فظيعة لان لكل منهم الحق المتساوي بالحكم على صحة الاسفار المقدسة وعلى فهم معانيها ومن ذلك نشأت وتنشا بلا بد الاختلافات المذهبية حتى يكون لكل دينٌ فتكون الاديان بعدد العقول بل ربما كان لعقل عدة اديان لانهُ يرى اليوم مثلاً الصواب ان هذه الاية الملاحظة عقيدة دينية بهذا المعنى والغد يراها بمعنى يخالفهُ وبعد غد بمعنى ثالث بحسب تقلبات العقل البشري الضعيف حتى في الامور البيتية كما قلت في خطبتي الماضية فاين تكون ملافاة ضعف العقل البشري بواسطة الوحي اذا جعلنا عقل كل فرد قاضيًا في الوحي مستقلاً وكيف يمكن عقل الاميين الذين هم الاكثر في العالم ان يقضي في اسرار الوحي

التي لا ينكرها البروتسطنت وفي بعض عباراتهِ العويصة المربكة التي اتعب تفسيرها العلماء ولهذا قد اتصل بعضهم الى فهم بعض ايات بمعنى مضحك .

ان جعل العقل البشري قاضياً في الوحي وعقائد الدين موصل بلا مراء الى مذهب البرهانيين الذين ينكرون الوحي ولا يسلمون الاَّ بما يدركه عقلهم بل ان الجزء الاكثر من اصحاب هذا المذهب اصلهم من البروتسطنت وطريق انتقالهم طبيعي فانهُ اذا كان كل انسان يطاق له ان يفحص بحريتهِ على صحة الاسفار المقدسة ومعانيها وان يقضي لنفسهِ فيها فيتوصل طبعاً الى ان يرفض اولاً بعض ايات لا تعجبه او لا يدركها ثم يرفض اسفاراً الى ان يتناهى برفضهِ الكتاب العزيز برمتهِ كما عرض لكثيرين من البروتسطنت الذين اجتازوا الى مذهب البرهانيين فعلى مذهب كنط يلزم التمييز بين الدين الحقيقي والدين الكنائسي فالدين الحقيقي هو دين العقل الذي وحده يمكن التسليم بهِ والدين الكنائسي هو المسند الى حقائق الوحي وقاوم سيملر وحي الكتاب المقدس ونفى اسفاراً كثيرة منهُ وعلم كرونر ان المذهب المسيحي فسد في اواخر الجيل الاول ولهذا رفض الاسرار المسيحية وقد اتصل بعضهم الى ان يقولوا دون حياء ان يوحنا المعمدان ويسوع المسيح تواطئا على ان يجعل احدهما نفسهُ سابق المسيح والثاني المسيح نفسهُ ومن هولاء بيكر في المجلد ٣ من تاريخهِ العام لاستعمال الشبان وكتب بعضهم محاماةً عن يهودا الاسخريوطي بها يونب المولف المسيح على اصحابهِ يهودا ويبري

هذا من كل خيانة وكذا انكروا شيئاً فشيئاً اسفار العهدين حتى اصبح اكثرهم برهانياً لا يعتقد شيئاً من الوحي ولعمري ان المذهب الابروتسطنتي كان في بدئهِ بمنزلة تفاحة نخرها داخلاً سوس مذهب البرهانيين لكن خارجها كان يرى اولاً جميل المنظر فلما طال الوقت كاد الان هذا السوس يفني التفاحة .

ان كل ما قاله البروتسطنت في رد ما يعترض عليهم بهذا الشان هو ان الروح القدس يلهم عقل كل مومن ان كان ذلك الكتاب من الاسفار المقدسة او لا . ونظراً الى التفسير يقولون بهذا الالهام وبان الكتاب المقدس واضح لا يحتاج تفسيراً او يفسر بعضه بعضاً فليتني اعلم كيف الهم هذا الروح القدس المتناقضات لاناس يعتبرهم البروتسطنت كثيراً مع انهم يعلمون الواحد خلافاً للاخر مثلاً علم لوتاروس بوجود جسد المسيح في الاوخارستيا مع جوهر الخبز وانكر كلوينوس وجود جسد المسيح اصالةً والاثنان من ايمة البروتسطنت فلايهما الهم الروح القدس ومن نصدق منهما وبمن نكذب وقد انكر لوتاروس كون رسالة مار يعقوب وغيرها من الاسفار المقدسة واوجب ذلك كلوينوس فهل تجزَّي هذا الروح القدس او علم الضدين معاً او تغير فكره مرة بعد مرة وكذا قل نظراً الى الاختلافات في التفاسير الملاحظة الايمان

واما نظراً الى وضوح الكتاب المقدس وتفسيره لنفسهِ حتى لا يحتاج تفسيراً بل للعقل وحده ان يفسر ويقضي فادع جانباً شهادات الوحي التي تبين ان في الاسفار المقدسة ما هو صعب ويحتاج التفسير

كقول مار بطرس عن رسائل مار بولس وادع كلما رُدَّ بهِ هذا الزعم من البرهانات واريد الاختبار في ان يسلم هولآء الكتاب المقدس لا اقول لاميٍّ بل لمتضلعٍ في العلم ايضاً ويكلفوه تفسير الاصحاح الاول من التكوين او اصحاحاً ما من نبوات الانبياء او اصحاحاً من رؤيا يوحنا لكن هذا الاختبار لا نحتاج الى صنعهِ بل قد صنع من اول الكنيسة الى الان فمن اين اكثر الارطقات والانشقاقات الاَّ من الاختلاف على تفسير ايات واي رئيس بدعة لم يويد زعمهُ بشهادة من الوحي واي اراتيكي لا يتمسك بايات مدعياً انها تفسر مقصده وكم وكم من الاختلافات في التفاسير بين العلماء الكاثوليكيين انفسهم في ما لا يمس الايمان وبين علماء البروتسطنت فلو كان الكتاب واضحاً بهذا المقدار حتى يستطيع العقل وحده وعلى مجرد هواه ان يفسره ويقضي بتفسيره لما كان محل لشي من ذلك فهذا عمل مقرر واضح وزعم الابروتسطنت بذلك هو ضد عمل حاصل وله في كل يوم شهود ويقرب من ان يكون كمن يحب ان يجادل هل يموت الناس او لا

ويوجد بهذا الشان ما هو اعظم من ذلك وهو ان الابروتسطنت الذين يبيحون كلاً الحق على فحص الاسفار المقدسة هل هي صحيحة او لا وعلى تفسير اياتها باي معنى عنَّ للواحد ان يفسرها ينكرون هذا الحق لا على كل منا فقط بل على مجموعنا نحن الكاثوليكيون في العالم اجمع لا في هذا الجيل فقط بل في جميع الاجيال من المسيح الى اليوم فنحن نحو مايتي مليون في العالم وقد كنا في هذا العدد في اكثر الاجيال وكلنا متفقون

على اسفار واحدة كونها صحيحة وقانونية وكلنا متفقون على تفسير الايات التي تثبت عقيدة دينية فان كان لكل واحد منهم الحق على الحكم بذلك دون ان يقدر احد ان يحاجه فلماذا لايكون لكل واحد منا مثل هذا الحق ايضاً بل اما يتنازلون الى ان يعطو مايتي مليون في كل جيل اي نحو ثلاثة الاف مليون كاثوليكيين في كل الاجيال الحق الذي يسلمون بهِ طائعين الى كل منهم وان اميًا ومن قال منهم قولاً بهذا الشان لزمهم بموجب مبدئهم ان لا يعارضوه فلماذا اعتراضهم لنا نحن الوفير عديدنا بهذا المقدار مع اجماعنا على الكتب القانونية وتفاسيرها الدينية فهل اعطاهم الله وحدهم الكتاب المقدس أَليس لنا نفس الحق الذي لهم وبمَ يمتازون عنا فاذًا ان كان لكل ان يحكم ويفسر فلنا مثل هذا الانعام وعلى الاقل فليسلموا لمجموعنا العديد بما يسلمون بهِ لكل فرد منهم فهل من شي اكثر محالية من زعمهم هذا وهل من شي اكثر وضوحًا من حقنا ومع هذا فالابروتسطنتي الذي يصم الاذان من الهتاف الكتاب المقدس الكتاب المقدس حرية الفحص حرية العقل فاذا قلت شيئًا انت او كل الكاثوليكيين مخالفًا لزعمهِ لم تكفهِ نار العالم لاحراقك ولا جهنم لتعذيبك ولا الكلام لتونيبك وتعييرك فاين حرية الفحص اين حرية العقل التي نادي بها فما هذا التناقض ما هذا التجني

ان لهذا المبدأ البروتسطني غوائل اخرى ايضًا منها انهُ لاتكون قاعدة راهنة للمعتقد ولا قانون للعقائد الدينية لانهم لما كانوا يسلمون بهِ ان لعقل كل الحكم على الكتاب المقدس وتفسيره وعلى العقائد الدينية وكان

العقل البشري متقلبًا طبعًا متغيرًا ضعيفًا يختلف في كل واحد بنظره على
الاقل في الامور المشكلة كانت قاعدة المعتقد العقل وكانت هذه القاعدة
مضطربة متغيرة وكانت العقائد مختلفة اختلاف العقل واختلاف فهمه
الايات الكريمة ولا قاضي عندهم يفصل الخلاف وايات الكتاب قاضٍ
ميت فتنشا كما نشات اديان على عدد العقول بل اكثر لان العقل
الواحد قد يختلف رايه في وقت بعد وقت فيكون للعقل الواحد اديان
كثيرة ولهذا قد حصل الخلاف بين الابروتسطنت على وضع قانون ايمان
وقد حاولوا الاتفاق عليهِ مرات فلم يكن ممكنًا الا بحصر عقائد الايمان على
التعليم بامور يسيرة العدد وجعلوا باقي العقائد عرضية لاطائل لها هذا
في من بقي منهم محافظًا على الوحي ولم يصل بعد الى مذهب البرهانيين او
غيره من المذاهب الكفرية ومع هذا فاي قانون اتفقوا او يتفقون عليه
لا يمكن ان يسمى قانونا ولا يكون فحواه لازمًا الاعتقاد بهِ لانهُ كيف يتفق
ان يكون لازمًا وان يكون لكل فرد الحق على ان يختار و يرفض ما يترای
لعقله من قواعد الدين فالاقرار بهذا الحق هو نفس الاقرار بعدم التزام
اثنين باعتقاد حقيقة واحدة او اعتقاد احدهما اياها دائمًا فاذا كان
عقل كل انسان مستقلاً طبعاً وغير متعلق بعقل انسان اخر فلا يمكن
احدًا ان يجبر اخر على ان يعتقد ما يعتقد هو تبعًا لعقله فكيف يمكن
والحالة هذه وضع قانون يلزم الجميع الاعتقاد بهِ فاللوتاري مثلاً يرى
بعقله حقيقة حضور المسيح في الاوخارستيا مع جوهر الخبز سندًا الى الكتاب
والكلويني يرى الخلاف سندًا اليه فلا يلزمه ان يعتقد ما اعتقد اللوتاري

بحسب مبدئهما العام وكذا يعتقد اللوتاري والكلويني لاهوت المسيح سندًا الى الكتاب ولكن السوشيني لايعتقده زاعمًا انهُ كذافهم من الكتاب بمقتضى عقله وليس لاحد ان يطالبه بالخلاف ويمكن كل لوتاري ان ينتقل الى مبدأ السوشيني وبالعكس دون ان يكون عليهِ الزام بالخلاف ودون ان يكون خالف قانون الايمان بل يكون صنع طبق مبداء الابروتسطنت تابعًا حكم عقلهِ .

وما احسن ما قاله بهذا المعنى السيد لافال الشهير الذي كان خادمًا ابروتسطنتيًا فارتد الى الايمان الكاثوليكي وكتب رسالة الى الابروتسطنت ينشدهم بها الرجوع نظيره ويبين اسباب رجوعهِ ومما قاله فيها « كنت اسال عقلي فكان عقلي المسلم الى يد نفسهِ يحمل بي من ريب الى اخر وكنت اسائل الكتاب المقدس فما كان يمكنهُ ان يقرر ايماني لان عقلي الضعيف والمرتاب كان لي بمنزلة مفسر وحيد واذ كنت منتحبًا لعدم وجداني في حكمي الخاص قاعدة موكدة للايمان كنت اطلبها خارجًا عني فالمذهب الابروتسطنتي لم يكن يقدم لي من احدى الجهات الا تشوشًا مهولاً في اراء متناقضة طوحت بي الى ارتيابات لا قرار لها ومارست هذا البحث في افرنسة والسويس والمانيا وانكلترا فرايت الابروتسطنت في كل محل لاسيما خدمتهم مائلين مع كل ريح غير مستطيعين على القرار والاتفاق الا على الريب فهناك حالة شاقة اوصلني اليها هذا المذهب ففي نفسي لم اكن اجد الا الريب وخارجًا عني لم اكن ارى الا الريب الاعظم » الى ان يقول » اي نعم ايها الاخوة

ان المذهب البروتسطنتي ليس في باطنهِ سوى مذهب كفر حقيقي راكز علي اساس الضلال كباقي المذاهب المضلة وانتشاره التام يفضي الى هوان المذهب المسيحي . . . ان المبدا الاساسي للمذهب الابروتسطنتي وان عقل كل انسان هو القاعدة الوحيدة للايمان بتفسيره الكتاب العزيز فالابروتسطنتي لا يعرف قاعدة غير هذه لان ما يحدد له معنى الكتاب العزيز انما هو عقله ليس الا والحال من حيث انهُ ليس لاحد ان يعتقد عصمته من الخطا ولا يطمان بالتالي على ايمانهِ فليس احد يمكنهُ الحصول على ايمان اكيد . لاحظوا ما احوج العقل القابل الغلط الى الحصول على قاعدة اكيدة لتحديد معنى الكتاب والحال انه اذا ولي عقل كل انسان القضاء في الحق فكل ما يتوصل اليهِ من القواعد يرجع الى هذه « كل ما يتضح جليًا لعقلك فهو صحيح » ولكن من لا يرى ان الكلام هنا بالحصر لنعرف كيف يطمان الابروتسطنتي بانهُ غير مخدع بقوله ان اعتقادًا كذا بموجب حكم عقلهِ وحده يحتوي في الكتاب المقدس وهذا الاعتقاد الاخر ليس بمحتوٍ فيه هل يدعي ان كل خداع غير ممكن بذلك فليجاهر اذًا بعصمتهِ من الغلط ولكن من حيث انهُ لا يبلغ هذا الحد من الجنون فيلجئه الامر الى ان يقر انهُ غير موكد ايمانه لانه لا يستند الا الى عقلهِ وحده الذي يحتاج قاعدة وهذه ليست عقله الخاضع للضلال واضف الى ذلك ان التفاسير الفردية للكتاب المقدس تكون ضرورةً مختلفة اختلاف حكم كل فرد فيكون الحاصل ان تفسير كل ابروتسطنتي يكون مخالفًا تفسير غيره ممن يفهم الكتاب خلاف ما يفهمهُ فهذه التفاسير

لا يكون الصحيح منها الاَّ واحداً ان كان احدها صحيحاً فعلى اي اس يدعم كل ابروتسطنتي ليعتقد انهُ خص بوجدان هذا التفسير الصحيح فتفسير الكتاب الذي يظنهُ عقله صحيحاً تجد ضده احتمالات كثيرة بمقدار ما يوجد من التفاسير المخالفة له المسلم بها من عقول اخرى فردية فباية علامة راهنة يعرف صحة تفسيره فيجيب انه قد فحص نصوص الكتاب وقابلها مفسراً بعضها ببعض فليكن كمقاله غير ان كلاًّ يقول هذا المقال وله البرهانات نفسها في تصديق فحصهِ .... اخيراً اذا لم يكن لكل ابروتسطنتي ما يضاد تفسيره للكتاب الا تفاسير كل ابروتسطنتي اخر فيلزمهُ الحق ان يستمر على ريبهِ ومع هذا من حيث ان تفاسير غيره من الابروتسطنت تستند كتفسيره الى عقولهم فتكون ايضاً غير موكدة بل متغيرة ومخالفة غيرها ولا تقيم برهاناً يوذن الصواب بالاعتماد عليهِ فالابروتسطنتي بتسليمه ان عقله الفردي قاضٍ سامٍ للايمان يجاهر بانه يعتقد نفسه اكثر اهلية لفهم معنى الكتاب الحقيقي من الكنيسة كلها وان تفسيره الخاص يفوق التقليد الثابت والعام وعبثاً تستشهد الكنيسة ضده بايمان جميع الازمنة فهو يحتقر شهادتها ويقول لها متشبثاً باعتماده المخيف على افكاره « انتِ منخدعة والكلام كلامي » فهذا ما قاله هذا العالم الابروتسطنتي وليس اوضح منه في رد هذا المذهب كله ولو من هذا الوجه وحده

ان المذهب الابروتسطنتي بوضعه هذا المبدا لا ينقض قواعد الدين فقط بل قواعد الاداب ايضاً الموسسة على الايمان فكما يباح

كل ابروتسطنتي ان يعتقد ما يراه عقلهُ مسندًا الى الكتاب المقدس هكذا يباح له ان يعمل ما يراه عقله غير محرم ولا يمكنه ان يضع قواعد موكدة للاداب لان عقل كل فرد هو القاضي الوحيد لها ولا قواعد عامة لاختلافها اختلاف ارآء كل انسان ولا قواعد ثابتة لاتباعها اختلافات الارآء الفردية ولا قواعد ملزمة لان عقل كل انسان مستقل عن غيره وغير خاضع له فلا يمكن الواحد ان يلزم الاخر بما يراه صوابًا في الاداب لان ذاك الاخر يجيب باني ارى الصواب خلاف ما تزعم ولي مثل حقك باستقلال عقلي . مثلاً هذه المسألة هل القتل اثم ينفي من السعادة الابدية اجاب بعض البروتسطنت نعم واجاب السوشينيون لا بحيث لا يضحى القتل عادة مستطرقة فمن القاضي بينهم ا يقضي العقل فكلٌ منهما يستشهد عقله ا يقضي الكتاب فكلٌ منهما له الحق ايضًا ان يفسره على هواه ويعتقد ما يرى . وقال بادع مذهب الفاميليين الابروتسطنت « انهُ لمن الحسن الاستمرار في الاثم لتتفاضل النعمة » وقال الانتينوميون « ان الزناء والفجور والقتل تجعل الانسان اوفر قداسة على الارض واكثر سرورًا في السمآء » فلمن من الابروتسطنت الحق ان يقاوم هولآء فهم يدعون ان هذا ما فهموه من الكتاب كما فهم غيرهم من الابروتسطنت الخلاف وهو طبق المبدا العام فاذًا كما ان قانون الايمان ياول على هذا المبدا الى هذه القضية « اني اومن بكل ما اراه صحيحًا » هكذا قانون الاداب ياول الى هذه القضية « يلزمني ان اصنع كل ما اراه حسنًا » فقانون الاداب هذا يرضي كل انسان مهما

كانت امياله وقانون الايمان ذاك يرضي كل انسان مهما كانت اضاليله فكل هذا من خلاصة برهانات السيد لافال ايضاً

ا فما هذا المبدا وحده وقد اطلت الكلام فيهِ ايها الابناء الاحبا كافٍ لنقض المذهب الابروتسطنتي كما انهُ كافٍ لنقض كل ايمان وادب لعمري لا يوجد منصف الا ويرى كذلك

ثم من الواضح ان المسيح اقام لنفسهِ جماعة هي الكنيسة عمود الحق وثباته كما يقول الرسول واراد ان تعلم الحق ويخلص الناس بها ومن مجرد هذا يظهر جليًا انهُ لم يشاء حصر كنيسته في جيل معين بل اراد ان تبقى ما بقي اناس يتعلمون الحق ويخلصون اي الى نهاية العالم ومن البديهي ايضًا ان كنيسة هذه غايتها والمسيح موسسها يلزم ان تبتدي من ايام المسيح وتستمر دون انقطاع الى نهاية العالم ولايمكن ان يعتريها فساد وتصير عروس المسيح زانية لان هذا الاستمرار تستلزمه غايتها نفسها وحكمة موسسها الذي صرح كل التصريح بانهُ لا يوذن ان يعتريها الفساد بوعده انهِ يكون معها كل الايام والى انقضاء العالم . وان ابواب الجحيم لن تقوى عليها . وانه بعد صعوده عن الارض من حيث الجسد يرسل اليها الروح القدس فيمكث معها الى الابد معلمًا الحق ومن طبع كنيسة المسيح ومن مواعيد المسيح الواضحة يتضح جليًا ان كنيسة المسيح لا يمكن ان تفسد حتى انهُ متى سلم لكنيسة ما بانها كانت كنيسة المسيح الحقيقية ولو يومًا واحدًا وجب التسليم لها بانها تبقى كذلك بمعونة الله ابدًا والاَّ لاوجبنا على المسيح اخلاف مواعيده وعلى الله تغيير ما صرح بانه يكون

على وجه مخصوص وكل كنيسة لم تبتدي من ايام المسيح لايمكن ان
تكون حقيقية اذ لايكون موسسها المسيح ولا بانيها رسله كما يستلزم
نفس طبعها بل تحقق فيها نبوة المسيح انهُ يقوم انبياء اي معلمون كذبة
ويطغون كثيرين. فصارى الامر ان الخاصة الجوهرية والعلامة الاكيدة
لكنيسة المسيح الحقيقية انما هي كونها من ايام المسيح والرسل وهذا مما يشوشه
البرهان اكثر من ان يبينه لزيادة وضوحه بنفسهِ فكنيستنا الكاثوليكية
ذلك ظاهر فيها لكل ناظر حتى ما قدر احد الاخصام ولن يقدر
احد ان يعين لها بداية من غير المسيح والرسل وحتى يقدر كل
ذي المام بالتاريخ ان يعد رعاتها وروساءها واحدًا بعد الاخر من
ايام المسيح الى اليوم ومن مار بطرس الى بيوس التاسع وكل ما تعلمه
اليوم تريهِ طبق تعليمها في الانجيل واعمال الرسل ورسائلهم وطبق
ما علمتهُ في الجيل الاول والثاني والثالث الى اليوم مقيمة على ذلك
بينات لاسبيل الى نقضها. اما كنيسة الابروتسطنت فهل فيها هذه
الخاصة الجوهرية او لها هذه العلامة الاكيدة التي لا بد منها فهم لايقدرون
ان ينكروا وكل خبير يعلم ان كنيستهم ابتدات في الجيل السادس عشر
فليت شعري كيف اتى المخلص ليوسس كنيسة ويترك رسله وتلاميذه
يبشرون فيها فلم تظهر الاَّ من بعد الف وخمساية وعشرين سنة ومن
يصدق ان كنيسة نشات بعد خمسة عشر جيلاً من ايام المسيح هي
كنيسة المسيح الحقيقية وينكر ذلك على كنيسة انشاها المسيح ودبرها رسله
ويُعرف روساوها بسلسلة متصلة غير منفصمة الى اليوم واذا طالع

كتب تعاليمها عند اول وجودها واليوم رأى معناها واحدًا لا يتغير في اقل شي من العقائد . اليس الاولى والاحق ان نرى والحالة هذه ان منشي كنيسة الجيل السادس عشر هم ممن تنبأ المسيح على قيامهم من بعده ليطغوا كثيرين

فيقول بعض الابروتسطنت ان كنيستنا الرومانية الكاثوليكية فسدت في الجيل الرابع وبعضهم في الجيل الخامس وبعضهم في الاجيال التابعة وكثير منهم في الجيل الخامس عشر عند انتشاء كنيستهم فاين ذهبت اذاً مواعيد المسيح انهُ يبقى كل الايام مع كنيسته وانهُ يرسل الروح القدس فيمكث معها الى الابد وكيف غفل الابن والروح القدس عن الكنيسة حتى فسدت هذا الفساد الذي هو مع ذلك دعوى بلا بينة وزعم بلا حجة ثابتة وقد تبرهن خلافه الوف مرات واقيمت البينات القاطعة على ان التعاليم الاعتقادية التي كانت في ايام المسيح والرسل وفي الاجيال الاول والثاني والثالث هي الباقية في سائر الاجيال الى اليوم . فينثنون قائلين ان تعاليمهم ايضا كانت منذ ايام المسيح والرسل وفي باقي الاجيال الى السادس عشر. فنسالهم اين كانت فيقولون كانت في الاناجيل ورسائل مار بولس . ولكن كيف بقي معناها خفيًا لم يدركه احد ولم يعلم بهِ احد ولم يظهر لهُ اثر يوثق بهِ فهل شاء المسيح اضلال كنيسته لتفهم هذه الاقوال الالهية بغير معناها الصحيح خمسة عشر جيلاً ولم يهدها الصواب الاَّ الى ايام لوتارس وكلوينوس . فيجيبون كلا بل فهم هذه الايات بهذه المعاني كثيرون فنبحث من هم هولاء الكثيرون فنجد انهم كل الاراطقة بالنظر

الى سلطة الكنيسة الكاثوليكية ونرى ان هولآء علموا تعاليم سقيمة تخالف تعاليم الابروتسطنت ايضاً فحرمتهم الكنيسة و بينت فساد معتقدهم بموجب وظيفتها التي اولاها المسيح اياها فاذعن بعضهم لحكمها وارتد اليها وانكر بعضهم سلطتها اذ لم يبق لهم مفر غير هذا فالتقف الابروتسطنت هولآء الجاحدين في كل جيل وجعلوهم على اختلافهم عمدة وان كنيستهم كانت تقوم بهم وكذا زعموا ان كنيستهم كانت قائمة بالاراطقة اخرين بالنظر الى قضايا اخرى يعلمها الابروتسطنت فليت شعري هل يصدق الابروتسطنت كل ما يقوله هولآء الاراطقة فلا يبقى لهم مذهب بل مخلوطة مذاهب متناقضة مضادة فان الاراطقة لم يضادوا الكنيسة الرومانية فقط ولا اتفق بعضهم مع بعض بل كثيراً ما ضاد بعضهم بعضاً في العقائد على خط مستقيم كما يعلم كل من له المام بتاريخهم فكيف يمكن الابروتسطنت ان يصدقوا كل مقالات هولآء او يجمعوا بينها وان قالوا نصدق بعض اقوالهم اي ما وافق منها تعليمنا وخالف التعليم الكاثوليكي ونكذب بالباقي قلنا اذاً تعترفون انتم ان تعاليمكم كانت عند اناس كذبة مضلين اقله في بعض العقائد وتجعلون هولآء الكذبة بموجب اقراركم نفسه عمدة لكم وانكم اخذتم تعليمكم عنهم وان تعليم المسيح الصحيح كان موجوداً فيهم جيلاً بعد جيل على اختلافهم العديد الفروع فانتحلتموه عنهم ونعم المصير. فهل اوضح من هذه البرهانات اولادي الاعزاء وهل للبروتسطنت مفر من قوتها الاّ بالتمويه والتعسف والقذف كما اعتادوا ان يصنعوا وكما ربما يصنعون بعد بلوغ كلامي هذا اليهم

ولننظر في مذهبهم من وجه اخر ايضاً ان اكثر علمائهم قد اقروا ويقرون بان ابناء الكنيسة الكاثوليكية يمكنهم الخلاص في معتقدهم الكاثوليكي فكذا اقر بيزا تلميذ كلوينوس في جداله مع القديس فرنسيس سالس وكذا اقر علماء الابروتسطنت في الجمعية الشهيرة التي عقدت بحضرة انريكوس الرابع ملك افرنسة مصرحين بان الكاثوليكيين يمكنهم ان يخلصوا في مذهبهم الكاثوليكي . وهم طلباً لانضمام بعض فرقهم الى بعض لكثرة الخلافات بينها قد حصروا العقائد الدينية وقللوا عددها ليمكنهم الاتفاق وان لم يمكن بالتمام وجعلوا المعتقد الجوهري الايمان بالتثليث والتوحيد والتجسد وبعض ما يتعلق بهِ وببعض عقائد اخرى قليلة كابدية النفس وما اشبه وقالوا ان كل ما سوى ذلك حتى وجود المسيح في الاوخاريستيا او عدم وجوده من الاعراض الغير الجوهرية في الدين ولا لوم على من لم يعتقد تلك الاعراض ولا دينونة ولا يكون خارجاً عن مذهبهم وهم انفسهم لا ينكرون ان الكنيسة الكاثوليكية تحسن اعتقاد التثليث والتوحيد والتجسد وعدم ميتوتة النفس وما اشبه مما يسمونه جوهرياً ولا يمكن تعيينه اذ ليس عندهم قانون ايمان ثابت مقرر كما مر فاذاً الكنيسة الرومانية ذات ايمان صحيح بموجب مباديهم وابناوها يخلصون بموجب اقرار الابروتسطنت او الاكثيرين منهم واذا كان الامر كذلك وكان مذهبنا يخلصنا فما لهم وكل هذه المتاعب والخسائر في اضلال اولادنا فليجدوا بارشاد الوثنيين وغير المسيحيين ليعرفوهم بايمان المسيح فهم يعيروننا كثيراً باننا لا نحتمل الاراطقة فعلى فرض صحة تهمتهم هذه فلها فينا وجه وهو اننا نقول ان

الذين يموتون بعيدين عن كنيستنا بذنب يهلكون واما هم الذين يقرون بانا نخلص في مذهبنا الكاثوليكي فلمَ كل هذا الجهد في اخراج اولادنا من مذهبنا وادخالهم في مذهبهم بوسائط وطرق كثيرمنها لايليق بمبشرين انجيليين كما يحبون ان يسموا نفوسهم

وبالحقيقة اولادي ما الذي يونبنا عليهِ الابرتسطنت واي شي منهُ يستوجب هلاكنا فليت شعري هل يهلكني الله العادل لاني اميت نفسي بالصوم او اقمع جسدي بالانقطاع عن اكل اللحم في ايام القطاعة اليس الاماتة فضيلة فقد امنا ان الله يهلكنا للاثام والرذائل واما انه يهلكنا للفضائل فهذا لانعرفه في الهنا. او لعل الله يهلكنا لاننا نعمل الاعمال الصالحة ولم نسمع اقوال الابروتسطنت بان الايمان وحده يكفي للخلاص ولو مهما اقترفنا من المآثم فما هي الاعمال الصالحة الااتمام وصايا الله او مشورات او عمل الفضيلة فهل يهلكنا الله لاننا نطيع وصاياه او نسلك بما اشار بهِ الفادي اذ نصنع الفضائل التي يقر الوثنيون انفسهم انها حسنة ويثني الابروتسطنت كثيرًا عليها وعلى الاعمال الصالحة وان انكروا لزومها للخلاص وقولهم بهذا الشان اننا ندعي الخلاص باعمالنا تهمة محضة فاننا نعتقد ان خلاصنا وعملنا الاعمال الصالحة من نعم المخلص او تظنون ان الله يهلكنا لاننا نحيي مريم العذراء بقولنا السلام لك يامريم ياممتلية النعمة الرب معك فان كان الله نفسه عز وعلا ارسل رئيس ملائكته من السماء الى الارض فاهداها هذه التحية نفسها من قبله فهل يدينا الله لاقتدائنا بهِ في تحيتها او ما يحق لكل منا ان يقول لله معتذرًا كيف تدينني

لاني قلت لمريم ما ارسلت رئيس ملائكتك فقال لهُ لها . اولعل الله يهلكني لاني اكرم صورتها توقيرًا لها لا للقماش والالوان فان صح هذا فباولى حجة يهلك الابروتسطنتي لتوقيره صورة ملكه او احد علمائه او احد اصدقائهِ او احد اقربائهِ . ونظرًا الى الاعتراف نفسهِ فهل ترون ان الله يهلكنا لاننا نعترف باثمنا متذللين امام الله وامام من نعتقد انه جعله مرشدًا لنا في الارض طالبين منهُ ان يرشدنا وعاملين بما يفرضه علينا كنارة عن اثمنا فاقراري على نفسي بالاثم وتذللي بسبب ارتكابهِ أَما هو اماتة اما هو تواضع وبالجملة فضيلة تستوجب من الله الثواب لا العقاب . فاي منصف بل اي عاقل يتامل بهذه المبادي الموجزة في خطبتي هذه ولا يرى فساد مذهب الابروتسطنت

قسم ثانٍ

ان الابروتسطنت اينما وجدوا اذا لم يمكنهم اغواء الناموس بمذهبهم حاولوا بكل جهدهم جعل الكاثوليين فاترين في العبادة لله خاصةً في اتمام وصايا الكنيسة المقدسة التي اثبتنا ان فيها لا بمذهبهم التعليم الصحيح وان نفس اقامة الله لها محافظة للوحي وقاضية فيه . وذات سلطة يستلزم الطاعة لرسوها خاصة وان المخلص قال ان من لم يسمع لها فليكن عندك كوثني وعشار وقال للرسل ولروساء الكنيسة بواسطتهم من سمع منكم فقد سمع مني ومن اهانكم فقد اهانني فيكثر الابروتسطنت القول للكاثوليكيين لِمَ الصوم والقطاعة واية منفعة

منها وقد راينا من علمائهم من الاعتراضات على ذلك ما يضحك المطالع والسامع فيقولون ان صوم المسيحيين اربعين يومًا كل سنة تحفظ باطل لان المسيح صام مرة واحدة وان التشبه بالمسيح جسارة عظمى وإدراجه بالصوم معنا اهانة فيالهم من اناس يهمون بشرف المسيح فان كان صوم الاربعين يومًا تحفظًا باطلاً فليصوموا خمسين وان كان ما عمله المسيح مرة لا يجب ان نكرره كل سنة فلماذا يعيدون احد القيامة كل سنة ويصنعون العشآء الرباني كما يسمونه هم متواترًا وان كان الاقتداء بالمسيح جسارة فماز بولس الذي يسمي نفسهُ مقتديًا بالمسيح ويقول انهُ يتمم نقص آلام المسيح بجسده هو اكثر جسارة ولماذا امرنا المسيح ان نقتدي بهِ ونكون كاملين كما ان اباه السموي كامل وهل نهينه اذا جعلناه قائدًا لنا واقتفينا اثاره وهو القائل من لا يحمل صليبه ويتبعني فلا يستحقني

كلا يا اولادي ما هذا الا مماحكات باطلة من الابروتسطنت يريدون بها ان نحتقر وصايا كنيستنا المقدسة وان نفتر في عبادة الله وان كان المسيح نفسه صام ليستعد بالصوم الى محاربة ابليس له بتجاربهِ وهو غير محتاج الى ذلك فما احوجنا نحن الى الصوم للتطهر من اثامنا السالفة وعمل الكفارة عنها ولوقايتنا من الآثام في ما بعد فالصوم عبادة كبرى لله قد مارسها لا ابناء العهد الجديد فقط بل ابناء العهد العتيق ايضًا فموسى قد صام على الجبل اربعين يومًا فاستحق ان يكتب له الله لوحي الوصايا ويسلمه اياها بواسطة ملكه . والشعب اليهودي

كان يصوم في معرض كل طلب وتوسل الى الله . صام ايليا النبي فاستحق ان يصعد الى السماء بالعجاج حيًا . صام اليشع تلميذه ففعل الله العجائب على يده . صام اهل نينوى فنجوا من قضاء الله عليهم بخراب مدينتهم كما انذرهم يونان . صام اليهود في ايام استير في سبي بابل فانقذهم الله من حكم احشورش عليهم بابادة امتهم ثم ان الانجيل المقدس لما اراد ان يعظم عبادة حنة النبية التي رات المسيح في الهيكل قال كانت عابدة بالصوم والصلوة مقدمًا ذكر الصوم على الصلوة ايضًا والمسيح ابان عظم ثواب الصوم لما اراد تلاميذه ان يخرجوا شيطانًا من معترٍ فاستعصى عليهم فاخرجه هو وقال ان هذا الجنس لا يخرج الاَّ بالصوم والصلوة مبينًا عظمة فاعلية الصوم حتى يطرد اكبر الشياطين

فحافظوا اولادي الاحبا اذًا على حفظ الصوم فالصوم يكون كفارة عن خطاياكم الماضية ويقيكم السقوط بغيرها في ما بعد ويوليكم نعم الله وقد علمنا المسيح طريق الصوم مكررًا بقولهِ اذا صمتم فلا تكونوا مقطبي الوجه بل اغسل وجهك وادهن راسك لئلا يظهر للناس صيامك لان الفريسيين كانوا يتباهون بصومهم ويقطبون وجوههم ليظهروا للناس انهم صائمون وكانوا يمتنعون ظاهرًا عن كل محرم واما نحن فاذا صمنا فلنا ما هو جوهري اكثر فيقتضي ان يصوم لا فمنا فقط عن الاكل بل قلبنا ايضًا عن ملذات العالم وشهواتهِ وارادتنا عن حب المكاسب المحرمة ولساننا عن المسبات والتجاديف والنميمة والاَّ فهل يقبل الله منك صومًا وقلبك مدنس بالعشق وافكارك مشتغلة بما

يغيظ الله ويداك تدب الى مال حرام ورجلاك تسعى الى مضرة قريبك والانتقام منهُ واما اذا كنت تصنع هذه ايضًا ولا تصوم فذلك شرٌّ على شر بل شر وترك علاج الشر حتى تباد فيهِ فان الصوم احسن علاج للاثم من وجه انهُ يقمع الجسد ويميتهُ فتخمد بهِ الشهوات اللحمية ومن وجه انهُ وسيلة تستعطف رضى الله عن الاثيم وتستمطر له غوث نعمتهِ كما نرى امثلة لذلك في الكتاب المقدس فلا تستخفنّ اذًا بهذه الوصية وتقول انها وصية كنائسية فمخالفتها اثم ثقيل كوصايا الله نفسها ولا تقل ما منفعتها فمنافعها كبيرة كثيرة وكل ما اقترفت من الآثام وانت تقبحها ووفرة عددها ادرى اما يتوجب عليك ان تصنع كفارة عنهُ بصومك بل قد يتوقف خلاصك على الصوم لانهُ قد يكون سببًا لنوالك نعمة تخلص بها فتخسرها بتركك له ولا تجعلنّ لنفسك اعذارًا غير ثابتة للاعتفاء من الصوم والقطاعة فيهِ فان كان الصوم لا ينقص شيئًا من راحتك وتنعمك ولا يزعجك قليلاً فعلام تطلب الاجر وترغب الثواب واين الاماتة وهذا نفسهُ اقوله في الانقطاع عن اكل اللحم والبياض ايضًا الاَّ لضرورة داعية ثابتة براي الطبيب فاني اعني بالصوم لا مجرد الامتناع عن الاكل فقط من نصف الليل الى نصف النهار بموجب طقسنا بل الانقطاع عن اكل اللحم والبياض واساله تعالى ان يجزيكم عن صومكم بنعمهِ الفعالة وبالملكوت السموي . اه

عظة

القاها في الاحد الرابع من الصوم في ١٦ اذار سنة ٧٢

واذ ظنوا بنفوسهم حكماء جهلوا رومية ص ١ عد ٢٢

تد اثبت في الموعظتين السابقتين صحة الوحي المقدس خلافاً لمن لم يعتقدوهُ وخلافاً لمن فهموه بغير مفهومهِ الصحيح وتلك برهانات عامة لصحة المعتقد الكاثوليكي بعمومهِ فوجب الان ان اخذ باقامة البرهان على بعض العقائد الخصوصية فاتكلم هذا المساء في عقيدة جوهرية كثيراً في ايماننا لا يخالفها الاَّ من كفر واحتقر الوحي كل الاحتقار وهي عقيدة ابديةُ النفس البشرية خلافاً لاصحاب مذهب الماديين الذين زعموا ان الانسان ليس الا الة ليس فيهِ نفس بسيطة ولا ابدية وبالتالي لا ينبغي ان يحفل بعقاب او ثواب ومخالفو هذه العقيدة يصدق بهم قول الرسول اذ ظنوا نفوسهم حكماء جهلوا

وحيث اثبت الوحي قبلاً وجميعكم تعتقدونهُ والحمد لله فيحق لي حتى لو كنت اخطب على وثني ان اعتمد شهادة الوحي ومع هذا فاعتمد في هذا ايضاً كثيراً على البرهان العقلي وعلى الوحي ايضاً ومن خال في عقلهِ ادنى تردد في شهادتهِ فيراجع بفكره ما جئتُ به من اول الامر وكل هذا اقوله لتبقى قوة البرهان دايماً نصب عيونكم فاصغوا الى ما اقوله واسالوا الله الخ

قسم اول

ان انكار ابدية النفس لا يقدم عليهِ انسان مومن نظيركم ولكن قد يخطر هذا الضلال على فكر الفاتر من قبل اقوال اصحاب المذاهب الكفرية فلا يريد ان يعتقد الآن هذا يشجعهُ على عمل الشر ولربما ابدى هذا الانكار ساخرًا قايلاً من عرف ما يكون بعد الموت من رجع من الموتى فاخبر وكانهُ بذلك يريد ان يقول او يلذ له ان تكون النفس تموت مع الجسد فيلزم ان امكن في عقولكم اعتقاد عدم ميتوتة النفس باثبات هذه العقيدة وذلك يستلزم اولاً اثبات بساطة النفس وروحيتها لنتوصل منهُ الى اثبات عدم ميتوتها فهاكم الاثبات

اولاً اننا نرى النفس تفتكر والحال ان ما يفتكر من لازم الضرورة ان يكون بسيطًا وروحيًا لان الفكر لا يمكن ان يكون في شي مركب لانهُ لا يخلو ان يكون الافتكار اما في كل جزء من اجزاء المركب واما بعض الافتكار في جزء من المركب وبعضه في الجزء الاخر واما كل الافتكار في جزء واحد من المركب وكل ذلك محال فلا يمكن ان يكون الافتكار في كلٍ من اجزاء المركب لان الفكر واحد والاجزاء متعددة فلو ارتبت مثلاً بشي على هذا الافتراض لوجب ان تكون في ارتيابات ومبادي مرتابة بمقدار عدد اجزاء المبدا المفتكر فيَّ وهذا محال فاذًا لا يمكن ان يكون الافتكار في كلٍ من اجزاء المركب كما لا يمكن ان يكون بعض الافتكار في جزء من المركب وبعضهُ في الجزء الاخر لان الفكر غير

متجزىءٍ فاما ان يكون كله واما لا يكون شي منه ولانهُ لا يكون جزءٌ من المبدا المفتكر عالمًا بكل الفكر لتقسمه بين اجزاء لا شي يقرنها فلا يمكنه ان يتصور مثلاً مثلث الزوايا كاملاً لان كل زاوية من المثلث تكون على جزء من المركب ولا شي يقرن جزءًا مع جزء فيبقى تصور كل زاوية وحده فلا يمكن تصور المثلث الزوايا كما نرى نفوسنا نتصوره فاذًا لا يمكن ايضًا ان يكون بعض الفكر في جزء من المركب وبعضهُ في الجزء الاخر. ثم من المحال ايضًا ان يكون كل الفكر في جزء واحد من المركب لانه لم يفتكر جزءٌ دون جزء ومن اين لذلك الجزء هذا الانعام وهذا الجزء ما دام ماديًا لا بد ان يكون مولفًا من اجزاء ولو بالقوة فاذًا الثلثة محالات وبالتالي ان الفكر لا يمكن ان يتصور في شي مركب فاذًا نفسنا المفتكرة هي بسيطة خالية من الاجزاء

ثانيًا نرى ان المبدأ المفتكر فينا القوة على ان يحكم مثلاً تحكم نفسنا ان الخير يحب ويلزم لهذا الحكم ان نتصور نفسنا الخير وحده والمحبة وحدها وان تحكم كون المحبة توافق الخير وكذا في حكمها ان الشر لا يحب يلزم ان نتصور الشر وحده والمحبة وحدها ثم تحكم بان الشر لا لا توافقهُ المحبة فلو كانت هذه النفس جسدية ومركبة لما امكنها ان تحكم باتفاق هذين التصورين او عدم اتفاقهما فان جزءها الواحد يتصور حينئذٍ الخير مثلاً وجزءها الاخر يتصور المحبة وذلك يكون في لحظة واحدة فلا يكون لجزء علم بما عند الاخر لان احدهما ممتاز عن الاخر فيكون الجزءان المفتكران في الانسان بمنزلة نفسين تصورت احداهما الخير

والاخرى المحبة فلا يمكن اذاً المبدا المفتكر في الانسان ان يقابل تصوراً مع اخر و بالتالي لا يمكنه ان يحكم بموافقة تصور لاخر او بمنافاتهِ له . وهذا خلاف ما نراه في كل دقيقة فينا من احكام نفسنا فاذاً المبدا المفتكر في الانسان بسيط وخالٍ من الاجزاء

ونرى لذلك برهاناً في ما اذا كنا مثلاً جالسين في روضة ازهار نسمع الغناء فيمكننا ان نحكم هل يلذ لنا الغناء اكثر من روية ازهار الروضة او العكس ولو كانت النفس جسدية مركبة من اجزاء لما امكن ذلك لان جزء النفس الذي يلتذ بالغنا يكون غير جزئها الذي يتنعم بروية الزهر فلا يمكن النفس ان تقابل الامرين وتحكم ايهما اكثر ملذة لها والحال انها تحكم فاذاً هي بسيطة

ثالثاً اننا نرى المبدا المفتكر فينا حراً مطلقاً وولي اعماله فان كلاً منا يشعر باطناً بكونه يطلق له مثلاً ان يمشي او لا يمشي ياكل او لا ياكل. والحال ان ما كان كذلك يلزم بالضرورة ان يكون بسيطاً وروحياً لانهُ ما من خبير عاقل يقول ان احد الاجرام حرٌّ وولي افعالهِ فلو كان كذلك لاعطى نفسهُ الحركة او السكون او ابطال احدهما بارادتهِ والحال ان الجسد او الشي المادي لا يمكن ان يقال عنه شي من ذلك فاذاً المبدا الحر والمفتكر في الانسان هو ممتاز عن الجسد والمادة وبالتالي هو بسيط وروحي

رابعاً انكم جميعاً تعلمون ان العقل البشري يتذكر الامور القديمة ويجول في الاعصار السالفة وينظر في الحوادث الماضية ويدرك

مبادئ العلوم العامة ويفهم حقائق لا تعلق لها بالحواس البتة فكيف يمكن ان يكون للمادة قوة على ذلك ولو مهما كانت دقيقة ولو مهما اعطيتها من الحركة السريعة فان المادة والحركة يمكنهما ان تفعلا في ما كان حاضرًا ومحسوسًا لا في ما كان غائبًا وغير محسوس فاذًا النفس البشرية ممتازة عن كل مادة وجسد وبالتالي بسيطة وروحية

خامسًا اذا اعتبرنا نفس الانسان جسدية فلا تكون افكارهُ واحكامهُ واعتقاداتهُ الا حركات الية كحركة الساعة او مركب البخار والحال ان المبداء في الحركة الالية ان الحركة يلزم ان تكون مطابقة لعلتها مثلاً قوة كذا من البخار تحرك جرمًا كذا وزنبرك الساعة يحرك دولابًا كذا ورمي حجرٍ يبعد قدر شدة القوة في رميهِ الخ والحال اننا نرى في افكار نفسنا واحكامها ما يخالف ذلك بالكلية مثلاً اني اقول لخادمي بصوت منخفض امضِ فادعو فلانًا اليَّ فهذا الصوت المنخفض ربما جعل الخادم يجول النهار كله مفتشًا على ذلك الرجل فاين المناسبة بين العلة التي هي صوتي والمعلول الذي هو جولان الخادم لو كان ذلك كحركة الالة. ثم ان الانسان يخشى احيانًا خطرًا فهذا الفكر الصغير يجعله يولي هاربًا اياما عديدة معانيًا اسفارًا طويلة فاين المناسبة بين قوة فكر الخطر وهذا العمل الطويل فالنفس البسيطة اذًا هي التي تبدي هذه الاعمال لا حركة الية

سادسًا من الواضح ان الناس يمكنهم ان يعبروا عن افكارهم بالالفاظ وبعلامات اخرى اختيارية فحركة المادة لا يمكنها ان تصنع ذلك لانهُ

اذا لفظت كلمة على مسمع اناس من امصار مختلفة فتاثيرها في اذن الجميع يكون واحدًا ومع ذلك لا يفهمها الاَّ من كانت تلك الكلمة من لغته او من تعلم المراد بها ولو كانت افكار النفس من جملة الحركات الالية لوجب ان توثر تلك الكلمة في عقول الجميع بنوع واحد كما هو واضح فاذًا النفس مجردة عن كل شيء من المادة والحركات الالية وهي بالتالي بسيطة

سابعًا اننا نرى احيانًا عصا في الماء فنرى جزءها الداخل الماء معوجًا وملتويًا عن جزئها الخارج ومع ذلك نحكم انها كلها مستقيمة ونرى الشمس كطبق صغير ومع ذلك نوقن انها اكبر من العالم ونرى في التياتر ومثلاً رجلاً ذبح ابنه ومع ذلك نوقن بانه لا شيء من ذلك فلو لم يكن فينا الا الجسد الذي يرى الخارج فمن هو الذي يصلح فكرنا باطنًا ويرينا غير الواقع تحت حواس الجسد فما هو الا النفس التي هي خلاف طبع الجسد وبا لتالي بسيطة واظن هذه البرهانات زادت عن المطلوب لاثبات بساطة النفس وروحيتها.

فلنرَ هل هذه النفس البسيطة مايتة كما يقول بعض الكفرة او ابدية باقية لسعادة موبدة او تعاسة خالدة فاقول اذا برهنت ببينات سديدة كون النفس يمكنها ان توجد وتحيى بعد الانفصال عن الجسد وانه لا توجد قوة مخلوقة تقوى على ان تعدمها الوجود والحيوة وان الله لا يريد ان يعدمها الوجود والحيوة فهل يبقى لاحد من مجال الى انكار ابدية النفس. لالعمري فهوذا البينات اولاً ان النفس بعد انفصالها من

الجسد يمكنها ان توجد فقد اثبتُّ لكم انفًا ان النفس جوهر ممتاز عن الجسد وليست عرضًا له او شيئًا متعلقًا بهِ بل جوهر بسيط خلاف الجسد فلا يتعلق وجودها اذًا بالجسد فلها اذًا ان توجد بعد الانفصال من الجسد كما ان عناصر الجسد الاصلية تبقى موجودة بعد انفصال النفس عنه ويمكن النفس ان تحيي ايضًا لان حيوة النفس قائمة بافعال العقل والارادة والحال ان هذه قوى ترافق النفس بعد الانفصال ايضًا ولا يمكن ان تفترق عنها وتكون لها موضاعات عديدة تبرز فعلها بها ولو جسدية وان تعرت من الجسد اذ تتامل ما كانت فيه فالله نفسه روح ايضا عري من كل جسد ومع ذلك هل لا يعرف الله الجسديات وللنفس موضوعات اكثر شرفا تبرز فعلها بها وهي الحقائق والفضائل والله وتصوراتها واميالها وسعادتها او تعاستها وليست حيوة النفس الا ابراز افعال العقل والارادة كما مر

ان النفس لا توجد وتحيي بعد الانفصال فقط بل لا يمكن قوة مخلوقة ان تعدمها الوجود والحيوة ففقدان الوجود والحيوة لا يكون الا اما بالفساد والانحلال واما بالملاشاة فقد برهنت ان النفس بسيطة لا اجزاء فيها وما ليس لهُ اجزآء لايمكن ان ينحل ويفسد لان الانحلال والفساد يعتريان ما تركب من اجزآء لا ما خلا عنها فلا تفسد النفس اذًا ولا تنحل اذ لا اجزآء لها فينبغي ان تفقد وجودها بالملاشاة والحال ان الملاشاة كالخلق من العدم لا يقدر عليها الا الله لانهُ الخالق والحافظ فلا تقدر اذًا قوة مخلوقة ان تعدم النفس الوجود والحيوة

ولنرَ هل يريد الله ملاشاة وجود النفس وحياتها . ان كل التغيرات والتبدلات التي تطرأ على الموجودات الجسدية لا يلاشي فيها الله اقل شي من اجزاءِ المادة الاصلية فنرى مثلاً ان انساناً كان طفلاً ثم شاباً ثم شيخاً ثم يموت وبعد مدة لاتجد منه الاغباراً فليت شعري هل تلاشى شي من الاجزاءِ التي كان مركبًا منها كلا بل عاد بانحلال جسده كل عنصر اجتمع في تركيبه الى اصله وكذا نرى شجرة صغيرة قد كبرت ونمت ثم قطعت وحرقت فمادة نموها التي اخذتها من العناصر التي في الارض والهواء عادت بعد احتراقها الى عناصرها الاصلية بنوع اننا لو امكننا ان نزن الارض عند اول وجودها وان نزنها الان فلا نراها زادت درهماً ولا نقصت درهمًا عما كانت عليهِ في البداية فان كانت الموجودات الهيولية لا يرد الله شيئاً منها الى العدم فكيف يلاشي الله و يرد الى العدم النفوس البشرية التي هي اشرف موجودات الارض .

ثم اذا قلنا ان الله يلاشي شيئاً ما خلق فيلزمنا ان نقر انهُ لا يصنع ذلك الا لداعٍ كبير يليق بحكمته الغير المتناهية فاي داع ليلاشي الله النفوس ويخرق شريعة الطبيعة العامة فلا داعي لذلك لا من قبل طبع النفس لاننا قدمنا انها يمكن ان توجد وتحيى بعد الانفصال ولا من قبل نظام العالم لانهُ يقتضي بالاولى حفظ النفوس ولا من قبل نقص الغاية لان النفس يمكنها ان تدرك غايتها الاخيرة بعد الانفصال بتنعمها بالله والقيام بمجده اذ تبقى لها قواها كما برهنا آنفًا فاذًا لا وجه ولا داعٍ لله ليلاشي النفس وهي بنفسها غير قابلة الفساد والانحلال فاذًا النفس ابدية

وهوذا برهانات اخرى على ابديتها وعلى عدم ارادة الله ان يلاشيها

البرهان الاول من عناية الله وعدله هل يشك احد منكم بان هذا العالم يسوسه ويعتني بهِ الله العادل فان كان بينكم من يشك بذلك فليرجع الى ما برهنته قبلاً وان لم يكن بينكم من ينكر الشمس مع كونها في رابعة النهار فليوقن بانه اذا لم يكن للنفس حيوة اخرى فلا يكون الله عادلاً ولا معتنيا بالعالم فاخص ما يقوم بهِ عدل الله وعنايته الثواب للفضيلة والعقاب على الرذيلة فاذا لم تكن حيوة اخرى نجت غالبًا الرذيلة من العقاب ولم تفز الفضيلة بثواب كما ينبغي فكثيرًا ما نرى فضلاء تحيطهم المصائب والنكبات ورذلاء يتنعمون بالغنى والملذات والمسرات فعدل الله وعنايته يستلزمان وجود حيوة اخرى للنفس تنال بهِ الفضيلة ثوابها والرذيلة عقابها

البرهان الثاني من حكمة الله ماذا تقولون اولادي في شارع يهمل شرائع سنها حتى يعامل بالسواء من خالفوها ومن عملوا بها لا شك تسمونه مشترعاً غير حكيم لان ذلك يفضي الى الاستهان بهِ وبشرائعه فالله يكون كذلك ان لم يحافظ بما ذكر على سننه في حيوة اخرى ففي هذه الحيوة قل ما امل من حفظ الشريعة وقل ما خاف من خالفها فتستلزم اذاً حكمة الله ان تكون للنفس حيوة اخرى يعد بها للبعض الثواب والبعض العقاب

البرهان الثالث من قداسة الله لا شك ان الله قدوس بل ينبوع القداسة وكونه كذلك لا يحتمل الرضى بالرذيلة وعدم الرضى بالفضيلة

وكثيرًا ما نرى الاثم في هذه الحيوة غير معاقب والفضيلة غير مثابة فاذا لم تكن حيوة اخرى بعد هذه يكافي بها الله الابرار بالثواب ويجزي الاشرار بالعقاب فكيف تبرأ قداسة الله من الرضى بالرذيلة وعدم الرضى بالفضيلة فمن لازم الضرورة ان تكون حيوة اخرى ينتقم بها الله من الاثام بيانًا لمقته لها ويثيب الفضايل بيانًا لمسرته بها واثباتًا لها

البرهان الرابع من جودة الله السامية من المعلوم ايضًا ان الله الكلي الجودة لم يكن ليبدع نظامًا للعالم بهِ يكون عدم الوجود لكثيرين احسن من الوجود والحال انهُ اذا لم تكن حيوة اخرى بعد الانحلال من الجسد حيث ينال ثواب الفضيلة وعقاب الرذيلة فيكون عدم وجود كثيرين من الناس كاوليك القديسين الذين عانوا الاستشهاد والنساك الذين قمعوا اجسادهم والانقياء الذين عانوا نوازل ومحنًا واتعابًا بحفظ شرائع الله احسن من وجودهم فاذا جودة الله ايضًا تستلزم وجود حيوة اخرى تثاب بها الفضيلة وتعاقب الرذيلة

البرهان الخامس من رغبة كل انسان في السعادة ان كلًا منا يشعر في نفسه برغبة دائمة في السعادة اوجدها بنا الطبع نفسه بل بادع الطبيعة ويرى سعادة هذه الحيوة مهما تعاظمت ولو صار الانسان ملكًا او حاز غنى العالم جميعه لا تروي قلبه بل يبقى متطلبًا راغبًا في امور اخرى خائفًا من فقدان ما حصل عليهِ ساعيًا لتابيد نفسه باولاد او ذكر عمل كبير خيري وبالجملة يرى ابدًا قلبه غير ممتلي وبهِ خلاء فهذه الرغبات والاميال لا يمكن ان تكون غرست عبثًا في عقل كل من الناس

لانهُ لا يليق بالخالق السامي ان يغرس في قلبنا رغبات كهذه لا تروي ولا يتوصل اليها بل يكون على ذلك اراد ان يخادع خلايقه ويسخر بها فاذا لم تكن النفس تبقى حية حيوة اخرى بعد انفصالها من الجسد فيكون الله جعل عبثًا هذه الرغبة في الطبيعة إذ لا توجد في هذه الحيوة سعادة حقيقية وكاملة تروي بها كل قوى النفس كما يشتهي كلٌ منا اضطراريًا ايضًا فان السعادة الكاملة تستلزم نفي كل شر وامتلاك كل خير يوافق الطبيعة والطمانينة على ثبوت هذه الحالة والحال انه لا يمكن وجود سعادة مثل هذه في هذا العالم فمن الضرورة اذًا ان تكون حيوة اخرى تحصل بها النفس على ما كانت ترغبه طبعًا او تُحسر وتتعذب لانه كان لها ان تحصل عليهِ فاضاعتهُ . وما احسن ما قال مار توما بهذا المعنى (في ك ٢ ضد الامم راس ٤) « ان كل موجود ناطق يرغب طبعًا ان يكون موبدًا . . . فالموجودات التي لا تعرف الوجود الا كما هي موجودة ترغب ان توجد كما هي موجودة لا ان توجد دايمًا لانها لا تعرف الوجود الدايم . واما الموجودات التي تعرف الوجود الدايم وتدركه فترغب فيه رغبة طبيعية وهذا يصدق على جميع الجواهر الناطقة فاذًا جميع الجواهر الناطقة تشتهي برغبة طبيعية ان توجد موبدة فاذًا من المستحيل ان يبطل وجودها »

البرهان السادس لو لم تكن حيوة اخرى للنفس الناطقة بعد الانفصال لكانت البهايم احسن حظًا من الانسان واكثر راحة وهذا لا تحتملهُ حكمة الله وجودته . فالبهايم ترغب في الخير المحسوس فقط ولا

تحتاج كثيرًا وما تحتاج اليهِ تدركه بسهولة فالطبيعة تمنحها كل شي فاضلاً
من اعشاب وغيرها فتشبع كل الشبع واما الانسان فلا يرغب في الخير
المحسوس فقط بل يطلب خيرات اسمى منهُ كالشرف والعلم والفضيلة
وسكينة النفس وراحة الضمير وبالجملة يشتهي سعادة كاملة من كل وجه
وهذه السعادة لا يدركها في هذه الحيوة كما مر وتلك الخيرات لا يحصل
عليها معًا وبالتمام ولا يحصل على شي منها الا بمتاعب ومصاعب وكثيرون
يستحيل عليهم طبعًا ان يدركوا شيئًا من ذلك فاكثر الناس مرضى وفقرا
وسدج واذلاء ومضنكون بالاتعاب والمشاق ومبلون بالاوجاع والاحزان
فاذا لم تكن حيوة اخرى كانت البهايم احسن حظًّا منهم ثم ان البهايم
لا تعرف حالة احسن مما هي عليهِ فلا تاسف على شرٍ ماضٍ ولا تهتم
للمستقبل ولا تخاف الموت قبل وقتهِ فتعيش دون هم وغم وعناية وطمع
وحسد . اما الانسان فيقابل ابدًا الخير الذي يتمناه بالمصايب النازلة بهِ
ويتبصر بما لغيره وبما يخلو هو عنه ويتامل بما يستحقهُ وبما هو حاصل
عليه ويحزن لتذكره اهانات سالفة ويعذبه شوقه الى امور ينتظرها
ويقلقه الخوف ويغتم لاهله وعايلته واصدقائه ووطنه ويرتعد لافتكاره
من اقبال الموت عليهِ وبالجملة يقضي اكثر اوقاتهِ معذبًا منكدًا ولا شي
من ذلك في البهايم فلو لم تكن حيوة اخرى لكان اقل حظًّا وراحةً وتنعمًا
من البهايم وهل يحتمل الله الحكيم والجواد هذا . فاذًا لا بد للنفس من
حيوة اخرى ابدية

البرهان السابع ان جميع القبائل اعتقدت دايمًا وجود حيوة اخرى

ولم تكن ديانة الاَّ وكان هذا سندها حتى ولو انكر بعض الفلاسفة او الكفرة هذه العقيدة فلا يمكن ان يطمأن ضميرهم الى الاعتماد على انكارهم لان الرغبة في عدم الميتوتة موسسة على نفس الطبع وهي اضطرارية فلا يمكن ملاشاتها وان امكن اخمادها بالانعكاف على ملذات هذه الحيوة وهوذا ما قاله شيشرون الفيلسوف والخطيب الوثني « ان البرهان الاعظم على عدم ميتوتة النفوس تورده الطبيعة نفسها وهي صامتة لاهتمام الجميع واي اهتمام بما يكون بعد الموت . . . فلمَ يرغب الانسان في الاولاد لِمَ نشر الاسم لِمَ اتخاذ اولاد بالتبني لمَ الجد على الوصايا عند الموت لمَ اقامة المدافن لو لم نكن نفتكر بالمستقبلات ايضاً

ان لي برهاناً اخر لعله اكثر فاعلية مما مرَّ فنحن الذين نعتقد عدم ميتوتة النفس لو فرضنا المستحيل وكانت النفس مايتة فاية مضرة لنا او اي اذى يلتحق بنا واما الكفرة الذين ينكرونها فاذا صح معتقدنا بها كما هو صحيح بكل ما اتى وياتي من البرهان فما يكون حالهم وفي اي خطر يكونون طوحوا نفوسهم . كل هذا برهانات العقل وحده . لعلكم تحتاجون اولادي الى ان ابين لكم ذلك من الوحي فاياته المثبتة ذلك اكثر من ان تحصى منها كل الايات التي اتى بها بذكر الحيوة الابدية والعذاب الدايم والنار التي لا تطفى والدود الذي لا يموت ومنها قوله لا تخافوا ممن يقتل الجسد ولا يستطيع ان يقتل النفس ومنها قوله انه اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب وانه اله احياء لا اله اموات ومنها قوله عن نفسي العازر والغني ومالي وتعداد الايات فالوحي المقدس

كله يفترض عدم ميتوتة النفس ولو رفعت هذه العقيدة لاضحى لا معنى لاكثر اياته حتى انه لا يوجد من يعتقد الوحي وينكر ابدية النفس فالتوصل الى هذا الفكر ينبغي رفض الوحي بالكلية

فلنرَ الان ما يقوله من يدعون انكار بساطة النفس وما يلفقونه خلافاً لابديتها مدعين اسناده الى الوحي او الى العقل فجل ما اوردوا من ايات الوحي قول الجامع في ص ٣ « ما يحدث للانسان يحدث للبهيمة موت هذا كموت ذاك ليس للانسان مزية على البهيمة لان كليهما باطل يذهب كلاهما الى مكان واحد كان كلاهما من التراب والى التراب يعود كلاهما ومن عرف ان كان روح بني ادم تصعد الى فوق وروح البهيمة تنزل الى اسفل الارض»

فلو عنت هذه الاية ما يريد ان يفهمه منها من ينكرون بساطة النفس او ابديتها لكانت مخالفة ايات لاتحصى من الوحي ومنها اقوال الجامع نفسه فانه قال في ص ١٢ عد ٥ « لان الانسان ذاهب الى بيته الابدي » وفي عد ٧ « فيرجع التراب الى الارض التي كان منها وترجع الروح الى الله الذي اعطاها » بل لو صح ما يدعون لكان ما يعترضون بهِ ناقضاً مقصد الله من الوحي وغايته كلها فلا بد اذاً من ان يكون للاية المعترض بها معنى غير ما يدعون وقد قال بعض الاباءِ والمفسرين ان اقوال الجامع المذكورة قالها بلسان الجاهل ساخراً بهِ فكأنهُ يقول ان الجاهل يقول بلسانهِ او عملهِ ان موت الانسان وموت البهيمة واحد ومن قام من الموت فاخبر ان نفس الانسان تصعد الى

فوق ونفس البهيمة تهبط الى اسفل فيورد الحكيم قول الجاهل مزدريًا بهِ وموبنًا له عليهِ وتدل على ذلك قراين كلامهِ وما رويناه آنفاً وقال غير اوليك من الاباَء والمفسرين ان الكلام كلام الجامع وقد اراد بهِ جسد الانسان وجسد البهيمة وسوّى بينهما في الموت نظرًا الى الجسد لانهُ لا فرق حقيقةً بينما يحدث لجسد الانسان ولجسد البهيمة بالموت فموت هذا كموت ذاك وليس مزية لجسد الانسان على جسد البهيمة بهذا المعنى فان كليهما من التراب ويعود اليهِ واذا نظرت الى مجرد جسد الانسان والبهيمة فلا تعلم ان روح هذا تصعد الى فوق وروح تلك تهبط الي اسفل وهذا التفسير ظاهر من كلام الجامع ومطابق له كما رايت فاذًا ان كان كلام الجامع على روح الانسان فهو محمول على انهُ مقال بلسان الجاهل وان كان على جسمهِ فلا خلاف فيهِ لباقي الوحي ولا اعتراض به على حقيقة ابدية النفس·

ثم ان اخص ما يعترضون بهِ من جهة العقل خلافًا لهذه العقيدة هو قولهم كيف يمكن النفس البسيطة الخالية من الاجزآء ان توثر في الجسد الهيولي وكيف يمكن الجسد الهيولي ان يوثر بالنفس البسيطة ويفعل بها فاين المماسة التي يفترضونها لازمة لتعدي الفعل من شي الى اخر اي اين اجزاء النفس لتماس اجزآء الجسد واين تقع اجزآء الجسد من النفس التي لا اجزاء لها فهذا ما يتباهون بهِ ويفترضونه عقدةً لا تحل مع انهُ لا يعسر حله على العقل نفسه

نعم انهُ قد كان للفلاسفة المتقدمين والمتاخرين اختلاف اقوالٍ في اتحاد النفس والجسد وتاثير احدهما بالاخر وذهبوا في شرح ذلك مذاهب

مخلفة وعديدة فقال بعضهم ان الله هو مصدر التاثرات التي تحصل في النفس بسبب التاثرات التي تطرأ على الجسد وهو مصدر الحركات التي تحصل في الجسد بسبب اميال النفس وانفعالاتها الاّ ان هذا القول يخالف الاتحاد الطبيعي بين الجسد والنفس ولا يجعل الانسان مبدأً عاماً لافعالهِ ويجعل الله فاعلاً كل ما تريده انفسنا وكل ما ياثر بها والحاصل انهُ لا يعول عليهِ . وقال اخرون ان كل حركة او تاثر عرض في الجسد او في النفس كان سبباً لما يليه من الحركة والتاثر وان حركات النفس تطابق حركات الجسد وعكسه لان الله بعلمهِ السابق اقرن هذه النفس مع هذا الجسد وربط كل حركة في احدهما على حركة تطابقها في الاخر لكن هذا القول ايضا تصلح خلافاً لهُ البرهانات المار ذكرها فلا يعتد بهِ ولا يعول عليهِ ايضاً . وقال اخرون ان النفس تفعل بالجسد فعلاً طبيعياً والجسد يفعل بها كذلك لكن هذا نفس ما يرفضهُ من ينكرون بساطة النفس وابديتها ويشكل عليهم فهمه الى غير ذلك من الاقوال والازعام في شرح كيفية فعل النفس بالجسد والجسد بالنفس فاننا لا ننكر ان هذه المادة عسرة الفهم مشكلة الاّ ان اشكالها لا ينبغي ان يحمل احداً على انكار حقيقة راهنة وعقيدة ثابتة كابدية النفس التي هي اس الاداب واس كل اهتمام بخلاص النفس فكم وكم من الحقائق التي نعتقدها ولا ندرك كنهها وشرح كيفيتها كما ذكرت في خطبتي الاولى هذه السنة في الوحي المقدس .

على ان اشكال شرح هذه الحقيقة اي شرح كيفية فعل النفس بالجسد

والجسد بالنفس لايجعلها مخالفة للعقل ولا يصيرها عقدة يستعصي كل حل لها وهوذا ما اراه تبعاً لبعض الفلاسفة المتجددين في حل هذه العقدة . اما فعل النفس بالجسد فغير مشكل فان الارواح البسيطة ذات فاعلية ولا يمكن ان تتصور دونها واذا لم تكن لها قوة وفعل فلا يمكنها ان تنتقل من محل الى اخر ثم ان الله روح بسيط فهل ينكر عليهِ الاخصام الفاعلية ايضاً وقد ابدع كل ما في العالم من العدم الى الوجود افلا يمكنه ان يحرك بعض هذه الموجودات واذا كان يستطيع ان يحركها وذلك امر منزه عن كل ريبة فاين الاجزاء بهِ التي تماس اجزاء الاجرام لتحركها فاذا كان فعل النفس البسيطة بالجسد الهيولي يحمل الاخصام على انكار بساطتها وبالتالي ابديتها فيفضي بهم الامر الى انكار قوة الله او انكار بساطتهِ ولا مناص من احد الطرفين فان النفس من حيث بساطتها اشبه بالله من حيث بساطتهِ . ثم ان من يستطيع الاكثر يستطيع الاقل والحال ان اصدار النفس الافكار البسيطة هو اكثر واكبر من تحريكها الجسد الذي هي صورتهُ ومدبرة اعمالهِ وحركاتهِ فكما تصدر الافكار تصدر الامر للجسد ان يتحرك خاصةً اذا اعتبرنا ان الله اقرن النفس بالجسد وهو لا يعلم ما يفيد ويلزم لحفظهِ وما يضر بهِ فان لم يكن للنفس فعل باعضايه فكيف تستطيع النفس ان تجانب ما يضر الجسد وتسعى لما يفيده فاذاً للنفس من ذات طبعها ان تفعل حقيقة بالجسد ولا اشكال من هذه الجهة ولا اعتراض خلافاً لبساطتها وابديتها ولا لزوم البتة في فعلها الى المماسة التي يفترضها الاخصام لازمة .

واما فعل الجسد بالنفس فاذا اعتبرت النفس صورة جوهرية للجسد وقد جعلها الله متحدة بهِ لتوليه الحيوة والحركة وتحافظ عليهِ من كل مضر وتسعى لكل مفيد له فيظهر لك سهلاً شرح تاثرات النفس عندما يتاثر الجسد فان الحركات التي تطرأ على الحواس من الموضوعات الخارجة لا تخلو من ان تكون اما مطابقة لمحافظة النفس على الجسد واهتمامها بهِ او مخالفة لذلك ففي الاول تجعل تلك الحركات النفس متاثرة بالسرور والرضى والعذوبة وفي الثاني تجعلها متالمة مشمأزة كارهة فهكذا يفعل الجسد بالنفس لا كأنهُ ينزل بها فعلاً وضعياً بل من حيث ان ما يطرأ على الجسد يجعل النفس تشعر بهِ وتتاثر منهُ بحسب نوعهِ من حيث انها حاضرة دائماً في الجسد ومتحدة بهِ طبيعياً ويتعلق بها حفظه وراحته ولا لزوم من هذه الجهة ايضاً الى المماسة والى وقوع اجزاء الجسد على النفس الخلية عن الاجزاء فهذا النوع يحل الصعوبات التي يتوهمها الاخصام في فعل الجسد بالنفس والعكس ولو فرضنا بقاء صعوبة ما افليس في مذهب الماديين صعوبة ما وكيف ينقضون كل البرهانات التي اقمناها على بساطة النفس وروحيتها وابديتها افما يقيم ذلك صعوبة في اذهانهم تقابل ما يحتجون بهِ على بساطة النفس او لعلهم يدركون او ادركوا كلما في الطبيعة من الاسرار او ينكرون كلما لا يدركه عقلهم في اسرار الطبيعة فان كانوا لا يصنعون ذلك فيما يتعلق في العلم والمعرفة فقط فلما يصنعونهُ فيما يتعلق بالخلاص وابدية النفس .

قسم ثانٍ

قد اتضح اذاً اولاً وتاكد ببرهانات لا تنقض ان نفوس البشر بسيطة خلية عن كل شي من المادة وغير مايتة ولا متلاشية وابدية تدوم ما دام الله موجوداً اي لا نهاية لوجودها وظهر بطلان اخص ما يورده من ينكرون هذه الحقيقة الاساسية الراهنة خلافاً لها ومن الحقائق البديهية والعقائد الدينية الاساسية التي تعتقدونها جميعكم والحمد لله ان النفس الابدية تكون في ابديتها اما سعيدة اما تعيسة ابداً وان هذه السعادة المؤبدة والتعاسة الخالدة تتعلقان بافعال الانسان المطلقة فمن احسن المسعى وعمل الخير وارضى الله بحفظ وصاياه فاز بالسعادة الخالدة والنعيم الدايم ومن اساء المسعى واقترف الشر واسخط الله بتعدي اوامره فلهُ التعاسة الدايمة والجحيم المؤبد والعذاب الاليم وهذه الحقيقة يثبتها الوحي كائنةً في كل صفحة ويؤيدها العقل اذ يقتضيها عدل الله وحكمتهُ وجودته كما مر ويقتضيها سن الشرائع وحفظ نظام العالم واداء كل انسان حقوق فروضهِ وواجباتهِ . وبالجملة حيث ان ذلك من عقائد الايمان فهو صادق اكثر ما لو قام ميت من القبر فاخبرنا بهِ واكثر مما تراه اعيننا وتجسهُ ايدينا لان ما نراه ونجسهُ والميت الذي يقوم من القبر يحتمل ان تخدعنا حواسنا بهِ واما ان يخدعنا الله بما اوحاهُ في كلامهِ وعلمتنا اياه الكنيسة وارشدنا اليهِ عقلنا الذي جعلهُ مرشداً لنا فذلك ضرب من المحال وبعيد عن الاحتمال مقدار بعد الكذب والغش عن

الله الصادق في كلامهِ ومواعيده.

ان الفوز بتلك السعادة الخالدة او الوقوع في تلك التعاسة الابدية قريب من كل واحد منا لانهُ يمكن حدوثه في كل دقيقة من دقائق حياتنا وكثيرًا ما يفاجي بغتةً واذا حصل مرةً امتنع التغيير ابدًا اي ان فزت بالسعادة كنت سعيدًا ابدًا وان هلكت كنت تعيسًا سرمدًا كما هو واضح فنفسك اذًا معلقة بخيط حياتك السريع الانقطاع بين ابديتين وفي كل دقيقة يحتمل وصولك الى احداهما حتى انك لا تستطيع ضمانة البقاء لنفسك من هذه الدقيقة التي تسمع بها عبارتي هذه الى الدقيقة التالية لها وقد نبهنا المخلص مراتٍ بان وقت هذا الفصل ياتي بغتة وكاللص ليلاً وفي ساعةٍ لا نخالها.

فانت اذًا قايمٌ في هذه الدقيقة التي ينبغي منك ان تحسب ان ليس لك غيرها بين ابديتين الاولى مجموع الافراح والتنعمات لم ترَها عين ولم تسمع بها اذن ولم تخطر على قلب بشر لا حاجة فيها ولا تعب ولا حزن ولا ضجر بل هي ملك سرمدي كل ما فيهِ للمسرة ولا شي للغم ملك يهتم الله نفسه بتنعيم خلانهِ بهِ ملك لا يقرضه زمان ولا تدور عليهِ دائرة ولا يزاحم عليهِ مزاحم ولا يخشى فيهِ من سقوط او انحطاط. ملك اعظم من ملك البشر وسلطتهم بلا تناهٍ بمقدار ما الله اعظم من الانسان بغير تناهٍ ملك نعم ان بابهُ ضيق لكن طريقهُ سهل رحب من جانبيهِ تعزيات ومقويات ومساعدات وملافاة اعوازٍ ومسرات وانجاد في ضيقات. والابدية الثانية تعيسة موعبة نارًا لا تطفى ودودًا لا يموت

ومواقيد ابدية وعذاباً كل عذاب هذه الحيوة لا يكفي ان يكون صورةً له لانه من صنع الله وعذاب هذه الحيوة من صنع الناس وكم تفوت قوة الله قوة الناس لا شي هناك من المسرة والفرح بل الغم الدايم لا كسرة خبز بل الجوع الكلبي لا نقطة ماء بل اللغب الذي لا ترويه امواه الارض مدى الابدية كلها. الحاكم هناك غضب الله المنتقم القاضي عدله الجنود الابالسة السجن جحيم النار التعزية لا اسم لها الاَّ الياس وقطع الرجاء مدة السجن والتنكيل الابد الابد باب هذه الابدية رحب واسع طريقها اشواك حادة في كل خطوة منه مصاعب وتنكيدات هيهات ان يذوق الانسان فيهِ كاس ملذة بيد الاَّ وفي اليد الاخرى كاس مرارة كل ما يترای فيها من الحلاوة يكون حلواً في الفم مرًّا في الفواد والحاصل ان حقيقة طريقها العذاب الزمني ونهايته العذاب الابدي لدى من يعقل ويبصر.

فنفسك بين هاتين الابديتين ولك الاختيار احداها الدقيقة الحاضرة فاختر ايها تشاء واذا كان فيك شي من العقل او قليل من الصواب في امر مستلزم كهذا وكنت سالكًا في طريق الابدية التعيسة فهل يمكنك ان لا تتركه مذ الان وتجد السعي في طريق الابدية السعيدة لانك اذا كنت عاقلاً حقيقةً فكيف تعتاض عن ابدية سعيدة بتعاسة موبدة وعن ملك سرمدي جامع كل خير بشي لا تعيض قيمته عن ثمن ثوب او كيف تعتاض عن تنعمات دايمة بلذة دقيقة يتبعها للحال تعذيب الضمير او كيف تعتاض عن مسرات ابدية بكلمة مسبة او كلمة تجديف

او كلمة يمين كاذبة وهلمَّ جرًّا في ما يبدل فيهِ الاثيم سالك طريق جهنم الفضيلة بالرذيلة والسعادة بالتعاسة وما تراه الان صوابًا اجزم عليه ليكون منهاج عملك ابدًا .

اني لاتعجب اولادي من ضعف طبعنا البشري ومن كوننا نحمل بالمنافع الجسدية اكثر كثيرًا ما بالمنافع الروحية فلو اقمت لاي كان منكم برهانًا مثل هذه البرهانات على مصلحة جسدية لاملاء عقله وطار بهِ حالًا الى العمل برائي وهوذا كل هذه البرهانات المفحمة على امر ليس اهم منهُ في الكون امر خلاصهِ مدى الابدية كلها او هلاكه مدى الابدية كلها ولا سبيل لاحد الى انكار شي من هذه البرهانات او التردد بصوابيتها ومع هذا كله فكان كلامي وقلوب اكثركم ضرب في حديد بارد فانما العلة في ذلك عندي قلة الافتكار بخلاص النفس وابديتها ولو في كل يوم مرة وقد كان واجبًا الافتكار بذلك كل دقيقة ثم الانصباب على الشر وتقييد الارادة باغلال الميل اليه فاقطع هذه الاغلال اقطعها والقها عنك واظفر بنفسك واميالك واكثر الاهتمام بامر الابدية وخلاص النفس ولا يغفلك عن السعادة الابدية حب الغنى والمال وملذات العالم التي تزول كالظل ولا يرافقك منها شي الى القبر وتامل هل يصنع المجنون بنفسهِ شرًا ما يصنعهُ الاثيم بها واساله تعالى ان ينول جميعكم والناس كلهم الابدية السعيدة ويقيكم ويقيهم عذاب الابدية التعيسة بشفاعة من لا ترد شفاعتها سيدة العالمين وبنعمة الاب والابن والروح القدس امين .

عظة

القاها في عيد مار يوسف ١٩ اذار سنة ٧٣

سبحوا الله في قديسيهِ مزمور ١٥٠ عد ١

ان اسلوب خطبتي الماضية وتعمدي لاثبات اخص حقائق ايماننا يوجب عليَّ الان اثبات احدى العقائد الدينية واحتفال عيد القديس يوسف الاعذر في هذا اليوم يستدعينا الى تكريمنا له بخطبتنا في هذا المساء وبما اني في السنة السالفة قد جئت في مثل هذا النهار ببيان سمو فضائلهِ وببعض مباحث دينية تلاحظه خاصةً اثبات كونه استمر اعذر مع مريم العذرآء ولم يعرفها قبل ان ولدت ابنها البكر ولا بعد ذلك فبقي لي الان ان اغريكم بتكريمهِ والالتجآء الى شفاعتهِ وحيث ان الابروتسطنت يطعنون بنا نحن ابنآء الكنيسة الكاثوليكية لتكريمنا القديسين واستشفاعنا بهم وتوقيرنا ذخايرهم وصورهم داعين ايانا والكنيسة الرومانية امنا عبدة اوثان لذلك فلم يكن لي بد في هذا المعرض من ان ارد طعن الابروتسطنت هذا اولاً مثبتًا لتعليم الكنيسة الكاثوليكية خلافًا لهم لاتوصل بذلك الى اغرائكم بالتكريم والاستشفاع بالقديس يوسف وسائر القديسين لاسيما سيدتنا مريم العذرآء فاصغوا الخ

قسم اول

قبل ان ناخذ برد طعن الابرتوتسطنت بنا لتكريمنا وتعبدنا للقدسين

يقتضي ان نشرح بعض ما يلاحظ مقصدنا الحاضر فنقول ان التكريم والعبادة لواحد يراد بها الاقرار بسموه ولذا كانت العبادة بعمومها فعل نشهد بهِ لسمو غيرنا ولخضوعنا له اجلالاً لرفعتهِ . وتشتمل العبادة على ثلثة افعال فعل العقل الذي نعرف بهِ رفعة من نكرمه وفعل الارادة الذي بهِ نصنع فعلاً داخلاً او خارجاً نقرّ فيه برفعته وخضوعنا له والفعل الخارج الذي بهِ نطاطى براسنا او نحني ركبنا او نبدي علامةً اخرى لاجلالنا له

قد اعتادوا قسمة العبادة اولاً الى عبادة سامية يعبرون عنها بلفظٍ يوناني "لاتريا" ونوع هذه العبادة يختص بالله وحده ولا يجوز ان نشرك احدًا من المخلوقات بهِ والى عبادة عبروا عنها بلفظ دوليا وهذا النوع هو الذي نكرم بهِ القديسين وهو عبادة نقدمها لهم اقرارًا برفعتهم وبكونهم مكرمين عند الله ومرجعها الى الله الذي هم خدامه ومقربون اليه . ثانياً الى عبادة مطلقة واضافية فالمطلقة هي التي تلازم المقدمة له ولا تنسب الى غيره باحد الانواع وبهذا المعنى تكون نفس عبادة اللاتريا وتقدم لله وحده والاضافية هي التي تقدم الى العذراء والملائكة والقديسين لسموهم الذي منحهم الله اياه ومرجع هذه العبادة اليه تعالى ومنها توقيرنا الذخائر والصور لنسبتها الى القديسين لان ذلك التوقير يعود الى من تذكرنا بهم وان امكن ان يقال ان تكريم القديسين اذا لوحظ منسوبًا اليهم وغير متجاوز لهم يمكن ان يسمى مطلقا . ثالثًا الى عبادة داخلة وخارجة فالداخلة ما كانت في النفس وحدها كالاعتبار والتعجب والاقرار

الباطن بالفضل . والخارجة ما بدت في الجسد ايضاً كاحناء الراس ورفع الايدي والسجود وعلامات العبادة الخارجة بعضها خاص بالله وحده كالذبائح والنذور والايمان وتشييد الهياكل وما اشبه وبعضها عام يشمل الخالق وخلائه كالسجود والانحناء والتوسلات وما اشبه وليكن معلوماً ان الكنيسة الرومانية لا تعلم بان العبادة للقديسين والاستشفاع بهم ضروريان للخلاص بل تعلم ان ذلك جائز وحميد بنوع انهُ يمكن كلاً ان يخلص ولو لم يستشفع بالقديسين او يكرمهم اما الابروتسطنت فينكرون جواز ذلك ويقولون انهُ عبادة وثنية ولنفحص الان هذه الامور ونتبصر بها بعينٍ خلية من الغرض لغير الحق

قد اعتدت ان اسند كلامي الى البرهان العقلي ايضاً فيما للعقل ان ينظر فيهِ فالبرهان العقلي مويد لما نعتقد من جواز تكريم القديسين ومخالف لما يزعم الابروتسطنت فالعقل يرشد الى ان كل موجود يلزم ان نعتبره ونجله ونكرمه بحسب مقامه وهذا المبدا المطابق وصية الرسول اعطوا لمن لهُ الكرامة كرامته (رومية ١٣ عد ٧) لا ينكره فلاسفة الابروتسطنت بل يجعلونه مبدا للاداب وبحسب هذا المبداء يكرم عندهم تكريماً مدنياً اصحاب الفضيلة والحكمة والشرف والقوة الخ فاذاً باي حق ينكرون التكريم الديني لاصحاب الفضائل والمزايا الفايقة الطبيعة كما هم القديسون وان كان الانسان البار يكرم بحسب هذا المبدا ما دام في الارض متعرضاً للتجارب والنقايص والاخطار ويلزم ان نحبه ونكرمه اكثر ممن تساموا بالمزايا الطبيعية وحدها فباولى حجة يجب ان نعتبر

ونكرم القديسين الذين جاهدوا وأكملوا سعيهم وحفظوا ايمانهم وادركوا اكليل البر.

ثم ان العقل يعلم انه لا ينبغي تكريم الملك او صاحب السلطة فقط بل اعوانه و وزراه والمقربين اليهِ ايضاً بحيث يكرمون لاجل الملك وعلى حسب استحقاقهم ولا يعطون من الكرامة ما للملك وتعليم العقل هذا طبيعي حتى نراه جرى في كل اصقاع العالم وفي كل جيل ولم نرَ الى الان مملكة اوامة او شعباً امرت او اصطلحت ان المتقربين الى الملوك لا يودون الكرامة اللائقة بهم او حرمت الالتجاء اليهم او ارتأت ان ذلك يخل بشرف الملوك. فاذاً تكريم القديسين والالتجاء اليهم يطابق العقل والصواب وليس فيهِ ما يخل باللياقة. ثم اذا كان الابروتسطنت يونبون كنيستنا لانها توذن بتكريم القديسين وخاصةً صورهم وذخائرهم بالعبادة السامية المختصة بالله او بالعبادة المطلقة اي بتكريم تلك الصور لاجل نفسها فهم على ضلال مبين فان كنيستنا تعلم ان يكرم القديسون التكريم اللائق بهم لا بالله وتنهي شديد النهي وتحرم كل الحرمة تكريمْ الصور والايقونات بالعبادة المطلقة اي بتادية العبادة لذلك القماش او الخشب المصور عليهِ فلا وجه لملامهم واتهامهم لها بعبادة الاوثان واذا كانوا يلومونها لانها توذن بتكريم صور القديسين بالعبادة الاضافية اي بتكريم تلك الصور لاجل من تصورهم فلا وجه لملامهم ايضاً لانهم هم ايضاً يكرمون صور ابائهم وعلمائهم وملوكهم ومشاهيرهم بعد موتهم ايضاً ولا يرون بذلك عبادة وثنية فلماذا يرونها فينا فان قصدوا تحريم

العبادة المطلقة للصور فهي اشد حرمة عندنا مما عندهم والتكريم الاضافي هم لنا بهِ موافقون . واما ما يعترضون بهِ خلافاً لذلك من البرهانات العقلية فنرده في اخر كلامنا في هذا الشان فاذاً ارشاد العقل مويد لراي كنيستنا بهذا المقصد والامر واضح بنفسهِ .

فلنرَ اذا كان الله اثبت بالوحي ما اثبته لنا بارشاد العقل واولاً نظراً الى تكريم القديسين ثم الالتجاء اليهم ثم توقير صورهم وذخائرهم . اننا نرى في الكتاب المقدس ان الملائكة قدمت لهم العبادة الدينية فلم يرفضوها ولم يرذلها الكتاب فقد قال في التكوين ص ١٨ عد ٢ ان ابراهيم اسرع الى لقاء الملائكة وسجد لهم الى الارض وقال في هذا السفر ص ١٩ عد ١ انه اتى ملاكان الى صادوم مساءً وكان لوط جالساً في باب المدينة ولما راهما نهض فالتقاهما وسجد منحنياً الى الارض . وقال في سفر العدد ص ٢٢ عد ٣١ ان بلعام لما نظر الملك قائماً سجد له خاراً على الارض وفي سفر يشوع بن نون ص ٥ عد ٣ انهُ لما كان يشوع في مدينة اريحا راى رجلاً قائماً تجاهه وبيده سيف جرده فتقدم اليهِ وقال . . . . انهُ رئيس جنود الرب قد اتى حينئذٍ فخر يشوع الى الارض ساجداً له وقال ماذا يخاطب سيدي عبده فقال انزع خفيك من قدميك لان المكان القايم انت فيه مقدس . وكل هذا التكريم كان دينياً لان الآباء الذين ظهروا لهم كانوا يعرفون انهم ملئكة ورسل الله وقد حرض الله الاسرائيليين على تكريم الملائكة بقولهِ في الخروج ص ٢٣ عد ٢٠ لشعبه « هانذا ارسل ملكي امامك . . . فطعهُ واسمع صوتهُ

ولا تهنهُ . . . واسي فيهِ » فان كان جائزًا وحميدًا تكريم الملايكة فلِم لا يكون كذلك تكريم القديسين وقد قيل فيهم انهم يكونون كملايكة الله (متى ص ٢٢ عد ٣٠) بل ان في العهد القديم نصوصًا على تقديم الاكرام الديني لرجال قديسين فقد كتب في سفر الملوك الثالث (ص ١٨ عد ٧) » انهُ لما كان عبديا في الطريق فالتقاه ايليا فلما راه خرّ على وجههِ وقال هل انت ياسيدي ايليا وهذا التكريم لم يكن مدنيًا لان عبديا كان من اعز اعوان اخاب الملك واعظم كثيرًا من ايليا في الحال المدنية وورد في سفر الملوك الرابع (ص ٢ عد ١٥) ان ابناء الانبياء الذين كانوا في اريحا قالوا ان روح ايليا حلت على اليشاع · فاتوا لاستقبالهِ وخروا ساجدين له على الارض . ولِمَ ذلك الاَّ لانهم راوا اعجوبته لما انشقت امواه الاردن ليعبر اليشاع · وجاء في سفر الملوك الرابع ص ٤ عد ٣٧ ان المراة السونامية حال رويتها اعجوبة اليشاع اذ اقام ابنها من الموت » اسرعت الى رجليه وسجدت على الارض» ولم تعطهِ كرامة رجل اعتيادي بل كرامة رجل قديس صانع عجائب بالتالي كان هذا التكريم ايضًا دينيًا ولم يرفض القديسون هذا التكريم ولا عابهُ الكتاب بل ان الكتاب يحقق لنا ان الله انتقم ممن انزل الاهانة بقديسيه كما انزل نارًا من السماء فاحرق بطلب ايليا رئيسي الخمسين ومن كانوا معهما لانهم لم يتقدموا الى النبي بالاحترام اللازم ولما تقدم اليهِ رئيس الخمسين الثالث » وجثا على ركبتيه امام ايليا وتضرع اليه » فوقي من النار. وكذا صبيان بيت ايل لما عيروا اليشاع النبي مزقتهم

الدباب (ملوك ٤ ص ٢ عد ٢٣) وقد دل الله بذلك انهُ يروم تكريم خدامه ولهذا فاذا لم نقل ان هولآء الرجال الموسومين بالتقوى دنسوا نفوسهم بعبادة الاصنام اذ كرموا الملائكة والاناس القديسين او ان الله اثبت عبادة الاصنام بعجائب وايات فيلزم ان نقول ان تكريم القديسين بالعبادة جائز وحميد ولا رايحة فيهِ من عبادة الاوثان واذا كان جاز تكريم القديسين وهم بعد في الارض فيجوز باولى حجة تكريمهم وهم مالكون في السمآء .

ان تكريم القديسين كان في الدين المسيحي منذ بدايتهِ وليس لذلك شهود فقط بل اعمال بينة لا تقبل الاعتراض وبينات وكيدة للغاية . منها اولاً احتفال الاعياد تكرمةً وذكرًا للشهدآء القديسين ففي الرسالة العامة التي كتبتها كنيسة ازمير في استشهاد القديس بوليكربوس اسقفها تلميذ يوحنا الرسول يقال انهُ يلزم ان يجتمع ابناء هذه الكنيسة الى المحل الذي تالم فيهِ القديس بوليكربوس « ليحتفلوا بالفرح والسرور عيد استشهاده ذكرًا لمن ماتوا بالجهاد المجيد وتذكرةً وتثبيتًا للخلف بمثال كذا » وقد قيل في هذه الرسالة ايضًا « اننا نكرم المسيح من حيث هو ابن الله ونوقر الشهدآء بالصواب من حيث هم تلاميذ ربنا لاجل محبتهم السامية لملكهم ومعلمهم » وقد ورد ذكر هذه الاعياد في الكتاب الثامن من المراسيم الرسولية التي اثبت كثير من المحققين انها في الكنيسة من الجيل الثالث حيث قيل في راس ٣٣ عن الايام التي يمتنع بها الخدام من العمل « فليمتنعوا من العمل ايام اعياد الرسل .... وفي عيد

اسطفانوس اول الشهداء وفي اعياد باقي القديسين الشهدآء الذين فضلوا المسيح على حياتهم » ثانيًا من هذه الاعمال الوكيدة تقدمة الذبائح لله في اعياد الشهداء منذ اجيال الكنيسة الاولى وقد شهد بها ترتليانوس وكبريانوس منذ الجيل الثالث فقال ترتليانوس في كتابهِ في الاكليل راس ٣ « اننا نصنع التقدمات في كل سنة عمن ماتوا توقيرًا للاعياد » وقال القديس كبريانوس في رسالة ٤٢ « اننا نقدم الذبائح عنهم كما تعلمون كلما صنعنا الاحتفال لآلام الشهداء واعيادهم في الذكر السنوي» « وفي رسالتهِ ٣٧ امر ان تكتب الايام التي ينتقل فيها ابطال المسيح » ليمكن التعييد لذكرهم بين تذكارات الشهداء « ومثل ذلك قال فم الذهب في خطبة ٢١ في اعمال الرسل والقديس اغسطينوس في خطبة ٢٧٣ راس ١٢ ثالثًا من هذه الاعمال تشييد الكنائس والمذابح والمعابد على اسم الشهداء وتكريمًا لهم فقد روى اوسابيوس في تاريخهِ ك ٢ راس ٢٥ فقرة من كتابٍ كتبهُ غايوس القس ضد بروكلوس الاراتيكي في القرن الثاني حيث يزجره هكذا « انا استطيع ان ابين لك المعابد المشيدة على اسم الرسولين فانك ان مضيت الى الوتيكان او الى زقاق استيا فتجد معابد مشيدة على اسم من اسسا هذه الكنيسة » وذكر هذا المورخ في ترجمة قسطنطين الملك عظمة الهيكل الذي شيده ذكرًا للرسل وقال في هذا الهيكل « قدمت الصلوات والتضرعات تكرمةً للرسل وقد شيد وكرس هذا الهيكل اكرامًا وذكرًا لجماعة الرسل » رابعًا ومن هذه البينات الاستغاثات والاستشفاع بالقديسين الاتي ذكرها ولنا بينات وشواهد

لاتحصى من الجيل الرابع فصاعدًا نغتني عنها بما اوردناه من الاجيال الاولى خاصةً وان الابروتسطنت لكثرة افحامهم بهذه الشواهد يقول بعضهم انه منذ الجيل الخامس فسدت الكنيسة بعبادة الاوثان وحيث اني خطيب لامولف الان فلا يناسب ازعاجكم باكثر من هذا الاسهاب

الا انه لا يمكنني الغنى عن القول ان علماء الابروتسطنت الاكثر فقاهة قد سلموا بجواز تكريم القديسين واغتني بايراد بعض كلمات لبنيس الابروتسطنتي الشهير عن ايراد غيرها فقد كتب في كتاب مذهبه اللاهوتي « ولهذا اذ يكرم القديسون فيجب ان نفهم ذلك بالمعنى الذي قيل به في الكتاب المقدس » ان خلانك مكرمون يا الله وسبحوا الله في قديسيه » وقال ايضًا هناك « من الموكد انه كان في الجيل الثاني في الكنيسة يحتفل لاعياد الشهداء وتحصل اجتماعات مقدسة عند مدافنهم » وقد نتج من ذلك هناك ايضًا . ويخشى من ان الذين يرون كذلك (اي ان تكريم القديسين عبادة وثنية) ينهجون سبيلاً الى قلب الديانة المسيحية كلها . وقد قيل في المدافعة عن صورة الايمان التي صنعها الابروتسطنت في اغوسطا « ان قانون اعترافنا يثبت تكريم القديسين فان هذا التكريم يمكن اثباته من ثلثة اوجه الاول ان التكريم شكر لله لانه ابدى امثالاً لرحمته وابان انه يريد ان يخلص الناس وانه جعل ملافنة بين اصحاب باقي المواهب في الكنيسة وهذه المواهب من حيث هي عظيمة فيلزم تعظيمها ومدح القديسين الذين استعملوها . الثاني ان التعبد هو اثبات لايماننا اذ نرى ان بطرس غفر المسيح له انكاره

فنتقوى نحن في الايمان ونرى ان النعمة تتفاضل على الاثم . والثالث ان العبادة اقتداء بفضيلة الايمان اولاً ثم بباقي الفضائل التي يلزم كل انسان ان يقتدي بصانعيها بحسب دعوته » فهذه برهانات وضيحة من بعض الابروتسطنت على صحة ما نثبته .

فلنرَ بايجاز ما يقولونه من الاعتراضات خلافاً لما اثبتنا فيقولون من جهة البرهان العقلي ان العبادة للقديسين تنقص من مجد الله الذى لا يريد ان يعطي غيره مجده فليت شعري اي انتقاص يكون في مجد الله اذا اكرمنا خلانه لانه اظهر فيهم مواهبه ولانهم تساموا بخدمته وبالجملة حباً بهِ وهل يهان الملوك لتكريم اعوانهم لتقربهم اليهم فاذا كان الابروتسطنت يريدون ان يجعلوا الله حسوداً بغيضاً غيوراً يحسد خديميهِ على مجد يسير يعطونه بسبب مواهبه وحباً بهِ فنحن الكاثوليكيون لا نعرف في الهنا حسداً ونعتقده حكيماً لا يحسد على ما هو علتهِ ومصدره ومرجعه فان شاء الابروتسطنت الههم حسوداً بغيضاً غير حكيم فليبصروا

وجل ما يعترضون بهِ من ايات الوحي هو للرب الهك تسجد وله وحده تعبد (تثنية ص ٦ عد ١٣ ومتى ص ٤ عد ١٠) فنقول ان هذا يمنع تادية العبادة السامية المتوجبة لله لغير الله لكنه لا يمنع من تقديم عبادة اقل من الاولى لخلان الله وخدامه لان تكريمهم يكون لاجل الله ولا ينقص شيئاً من مجده واعتباره السيد السامي ويدلنا على ذلك كل ما قدمناه من الشواهد المصرحة بان الله اذن وامر احياناً بتكريم ملايكته

وقديسيه و بان الاباء والانبياء كرموا الملايكة وسجدوا لهم ولم يذم الكتاب المقدس عملهم بل نقول ان تكميل تكريمنا لله في كل شي يقتضي ان نكرم من يسميهم خلانه وقديسيه واصفياءه حتى ان شريعة التثنية المشار اليها لم تنهَ عن تكريم الاشياء الغير المتنفسة المنسوبة لله فانه امر بتكريم تابوت العهد والقبة والمقدس والهيكل وقال المرتل مزمور ٩٨ عد ٥ « سبحوا الرب الهنا واسجدوا لموطأ قدميه لانه مقدس » فليس من الصواب ان نتمسك باية ونترك باقي الايات الصريحة المفسرة تلك الاية هذا وانه واضح من المقصد في الاية المعترض بها ومن سوابقها ولواحقها ان الكلام في العبادة السامية وحدها فانه قد قيل في سفر التثنية نفسه (ص ٥ عد ٧ « لا يكن لك الهة غرباء قدامي » والعبادة التي نقدمها نحن للقديسين ليست بشي من ذلك ولا نقدمها لهم الاَّ بالنظر الى الله وحبًا به فاذا اراد الابروتسطنت فايدة من هذا الاعتراض لزمهم ان يبرهنوا اما ان التكريم الذي يقدمه الكاثوليكيون للقديسين هو العبادة السامية والكنيسة الكاثوليكية تحرم ذلك قطعًا اما ان تكريم القديسين ينقص عبادة الله السامية وهذا قد برهنا انفًا خلافه وما احسن ما قال كتاب التعليم الروماني بهذا الشان « من يجن بهذا المقدار حتى اذا امر الملك بان لا يعتبر احد نفسه ملكًا او يدعي بان يقدم له الاكرام الواجب للملك يظن ان الملك يريد ان يعدم اعوانه ووزراه كل اكرام »

ثم يعترضون ايضًا بان يوحنا الحبيب لما اراد ان يسجد للملك الذي ظهر له فمنعه من ذلك قايلاً انظر لا تصنع هذا فاني عبد مثالك

واسجد لله رويا ص ١٩ عد ١٠ وكذا منع بطرس كرنيلوس عن السجود له ابركسيس ص ١٠ عد ٢٥ فنقول ان المراد بذلك ايضاً وبكل ما ورد على مثاله منع تقديم عبادة الله السامية لاحد المخلوقات والا للزم ان نحكم على الرسول الحبيب بعبادة الاوثان او بالجهل الفاحش حتى لم يعلم هل السجود للملايكة حلال ام حرام ولو علمه حراماً فكيف اقدم عليه فهو عدا سجوده المشار اليه في الاية المذكورة قد خرّ مرة اخرى بعد ذلك على رِجلي الملاك ليسجد له كما يظهر من ص ٢٢ هناك عد ٩ فاذاً المتلخص من ذلك ان الملاك و بطرس منعا من السجود لهما اتضاعاً او تلطفاً فكان الملاك يقول ليوحنا وبطرس لكرنيلوس ما يقوله رفيق لرفيقه لا تصنع هذا بل احفظ هذا السجود للملك اي للمسيح الذي هو سيد جميعنا او نهيا عن ذلك خشيةَ ان يقدم لهما سجودٌ سامٍ للظن ان فيهما شيئاً من الالوهية وليت شعري هل لم يكن الملاك الذي ظهر ليوحنا يعلم ان ابراهيم ولوطاً وغيرهما من الاباء سجدوا للملايكة ولم ينهوهم عن هذا السجود او لعل هذا الملاك لم يكن من اولايك الملايكة او كان اقل او اكثر فهماً منهم

قسم ثانٍ

ان كل ما مر يلاحظ تكريم القديسين وعبادتهم فلنرَ ما يلاحظ شفاعتهم والاستغاثة بهم ان الاستغاثة بالقديسين لا نعتقدها ايضاً ضرورية بل جائزة ومفيدة فقط والخير الذي نطلبهُ لا نترجاه من

القديسين بل من الله وباستحقاقات المسيح بشفاعتهم

وفي اثبات جواز الاستشفاع بالقديسين نقول ان الاستشفاع بالقديسين فرع من التكريم والعبادة لهم لان من جملة ما نكرمهم بهِ الالتجآء والتضرع اليهم .وعليه فكلما مر من اثبات التكريم لهم يثبت ايضًا الاستشفاع بهم ونزيد ذلك اثباتًا بقولنا اذا كان الكتاب المقدس يعلمنا ان اناسًا من خلان الله كانوا يستشفعون بالملائكة والقديسين في السمآء وان ملائكة وقديسين يشفعون بالناس ويجيب الله طلباتهم افما ينتج ضرورةً ان الاستشفاع بالملائكة والقديسين جائز ومفيد اي نعم وهل تبقى للابروتسطنت حجة او حيلة كلا لعمري فهاك البينات ان لوطًا استشفع بالملايكة ان لا تحرق مدينة صوغر بالنار المرسلة من السمآء فنال ما طلب (تكوين ص ١٩ عد ١٨) ويعقوب طلب البركة من الملاك معاركًا فنالها (تكوين ص ٣٢) ولما بارك حفيديه افرام ومنسا قال « ملاك الرب الذي نجاني من جميع الشرور هو يبارك هذين الولدين ويدعي عليهما اسمي واسم اباَءي ابراهيم واسحق ليكثرا على الارض » (تكوين ص ٤٨ عد ١٦) وموسى قد تضرع الى الله (في الخروج ص ٣٢ عد ١٣) قائلاً « اذكر ابراهيم واسحق ويعقوب الذين اقسمت لهم بذاتك قائلاً اني اكثر زرعكم » فموسى يسال الله هنا ان يعفو عن شعبهِ بالنظر الى الاباَء الاولين فادرك ذلك لانه قيل بعد هذا فارتضى الله . وكذا ورد في دانيال ص ٣ عد ٣٥ فقد قال رفقاَء دانيال « ولا تنزع رحمتك عنا لاجل ابراهيم خليلك واسحق عبدك واسرائيل

قديسك ، وقد سال دانيال الملك ان يعطي قوة ليسمع له وفي سفر الملوك الرابع ص ١٩ عد ٣٤ قال الله « اني أحمي هذه المدينة واخلصها لاجلي ولاجل داود عبدي » وقد جاء في نبوة زكريا ص ١ عد ١٢ ان الملك كان يتضرع الى الله من اجل الشعب الاسرائيلي قائلاً « ايها الرب اله الجنود الامَ لا تتراف على اورشليم ومدن يهوذا المغضب انت عليها » وقد نال الملك ما طلبه من الله اذ قيل في الاية التالية (فاجاب الرب الملك الذي كان يتكلم بي كلمات صالحة كلمات تعزية. . . ولهذا يقول الرب ارجع الى اورشليم بالرحمة ويبنى بيتي فيها) وما لنطون نفسه قد افحمه هذا البرهان حتى قال في قانون الايمان الذي الف في اغوسطا (نسلم بان الملايكة يصلون عنا فان لنا في ذلك شهادة زكريا حيث الملك صلى قائلاً (ايها الرب اله الجنود) الخ الى غير ذلك من الشواهد ونظرًا الى القديسين المنتقلين فمن الواضح ايضًا من الكتاب المقدس انهم يشفعون بالناس فان ماري بطرس قد وعد صراحةً بانه بعد موته يشفع بالمومنين عند الله اذ قال في رسالته الثانية ص ١ عد ١٥ (اني اجتهد بعد موتي لتتذكروا بهذه الامور كل حينٍ) وكذا ورد في الرويا ص ٥ عد ٨ ان الاربعة والعشرين شيخًا جثوا امام الخروف (ولكلٍ منهم قيثارات وجامات من ذهب مملوة بخورًا هي صلوات القديسين) وكذا ورد في ص ٨ عد ٣ (وجاءَ ملك اخر ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب واعطى بخورًا كثيرًا لكي يقدمهُ مع صلوات القديسين . . . وصعد دخان البخور مع صلوات القديسين) وقد استشفع

يوحنا الحبيب هذا نفسه بسبعة ارواح كنايس اسيا قائلاً (النعمة معكم والسلام من الذي هو والذي كان والعتيد ان ياتي ومن السبعة الارواح القايمة امام عرشه (رويا ص ١ عد ٤) واعدل عن قول الملك رافايل لطوبيا ص ١٢ عد ١٢) اذ كنت تصلي بالدموع وتدفن الموتى . . . فانا كنت اقدم صلاتك الى الله (وعن سوال طوبيا للملاك ان يرافق ابنه في الطريق واجابة طلبه ص ٥ كما اعدل عن شهادة سفر المكابيين الثانى الواضحة ص ١٥ عد ١٢ حيث راى يهودا المكابي حونيا عظيم الكهنة الذي توفي باسطاً يديه يصلي عن شعب اليهود كلهِ وقال حونيا ليهودا عن ارميا النبي الذى كان توفي قبلاً (هذا محب الاخوة وشعب اسرائيل هذا الذي يصلي كثيراً عن الشعب والمدينة كلها ارميا نبي الله) وقد اعطى ارميا يهودا سيفاً علامةً لانتصاره فكان له النصر .

قلتُ اعدل عن هذه الشهادات لان الابروتسطنت لا يسلمون بان سفر طوبيا وسفريّ المكابيين من الاسفار الملهمة وان كان ذلك مخالفاً لكل حقٍ وصواب كما اقيم البرهان الجلي على ذلك مراتٍ لا تحصى فهل اوضح من هذه الايات بان الملايكة والقديسين يشفعون بالبشر وان الكتاب المقدس يبيح الاستشفاع بهم اي دعوتهم والاستغاثة بهم ونزيد كلامنا تائيداً ان الاستشفاع بالابرار الاحيا قد ورد مرات في الكتاب المقدس فقد جاء في التكوين ص ٢٠ عد ٧ ان الله قال لابيمالك الذي اخذ ساره (رد امراة الرجل فانه نبي فيصلي من اجلك فتحيي) وقال في عد ١٧ (وصلى ابراهيم فاشفى الله ابيمالك وامراته)

وجاء في سفر ايوب ص ٤٢ عدد ٨ « ان الله قال لاليفاذ التيماني وصاحبيه « امضوا الى عبدي ايوب وقدموا ذبيحة عن نفوسكم فيصلي ايوب عبدى لاجلكم فارفع وجهه ولا احسب لكم حماقتكم » فمن ينكر ان الاستشفاع جايز والله يامر المستحقين الغضب ان يصنعوه . وقد ورد في سفر الملوك الاول ص ٧ عد ٨ ان الاسرائيليين قالوا لصمويل « لا تنكف من ان تتوسل لاجلنا الى الله الهنا ليخلصنا من يد الفلسطيين » وقال بعد ذلك (وتوسل صمويل الى الله من اجل اسرائيل فاستجاب الرب) وفي العهد الجديد الرسل نفسهم قد طلبوا صلوات المومنين واعلنوا ان هذا الاستشفاع جايز فقد كتب مار بولس الى الرومانيين ص ١٥ عد ٣٠ (اسالكم ياخوتي بسيدنا يسوع المسيح ومحبة الروح القدس ان تساعدوني بصلواتكم لاجلي الى الله) وقال في رسالتهِ الى اهل افسس ص ٦ عد ١٨ (كونوا ساهرين بكل طلبة وصلوة لاجل جميع القديسين) وفي رسالتهِ الى اهل كولوسايس ص ٤ عد ٢ (واظبوا على الطلبة مصلين لاجلنا نحن ايضاً ليفتح لنا باباً للكلام لنتكلم بسر المسيح) وفي رسالتهِ الاولى الى اهل تسالونيكي ص ٥ عد ٢٥ (صلوا لاجلنا ايها الاخوة) الى غير ذلك من الايات .

فاذاً اذا لم ينكر الابروتسطنت الايات الكريمة المشرقة بوضوحها فلا مناص لهم من الاقرار بان الاستشفاع بالابرار الاحياء جايز ونافع بل هم يقرون بذلك واذا اقروا بهذا فلا يمكنهم ان ينكروا ان الاستشفاع بالقديسين المالكين في السماء جايز ومفيد اولاً لاننا اثبتنا آنفاً انهم

يشفعون بنا بايات عديدة وصريحة . ثانيًا لانه اي فرق بين الاستشفاع بالابرار الاحياء والقديسين في السماء حتى يجوز الالتجاء الى الاحياء ويحرم الالتجاء الى القديسين المالكين مع الله ولمَ الالتجاء الى الاحياء لا يخل بمجد الله ويهين استحقاق المسيح ووساطته والالتجاء الى المالكين معه يخل بمجده ويهين استحقاقه ووساطته بل من البين ان الاستشفاع بالقديسين المالكين في السماء اولى كثيرًا من الاستشفاع بالناس المتعرضين في الارض للتجارب والخطايا فماذا يريد الابروتسطنت اكثر من هذه الشهادات الصريحة العديدة لعلهم يريدون ان يسمعوا شيئًا من شواهد التقليد لانهم يحجونا بهِ احيانًا وان لم يسلموا بهِ فهوذا بعض الشواهد

قد اعلمنا التقليد القديم جدًا ان الالتجاء الى الملائكة والقديسين تقوى ومفيد . فان اوسابيوس القيساري الذي نعم كان في القرن الثالث لكنه يتكلم في الالتجاء الى القديسين كانه عادة مستطرقة في الكنيسة قال متكلمًا في مدافن القديسين ك ١٢ من الاستعداد الانجيلي راس ١١ (لاننا اعتدنا الاجتماع عند مدافنهم وتقديم الصلوات والنذور هناك وتكريم نفوسهم الطوباوية وقد اصبنا في رسم ذلك) ولعمري انه توجد بينات واعمال وكيدة من القرن الثاني والثالث تثبت مقال اوسابيوس فقد جاء في اعمال القديس اغناتيوس ان هذا القديس ظهر بعد استشهاده (الذي كان سنة ١١٢ او سنة ١١٦) « مصليًا في العلا عنا » وفي اعمال شهداء شيليتا الذين استشهدوا سنة ٢٠٠ هذا ختامها « قد كمل شهداء المسيح في شهر حزيران في السابع عشر منه ويشفعون بنا عند ربنا يسوع

المسيح » وكذا جاء في اعمال كثير من الشهداء في الجيلين الثالث والرابع وقال اوريجانوس في الجيل الثالث من ك ٨ ضد جلسوس متكلماً في الملائكة والنفوس المالكة مع الله « انهم يساعدون من يريدون ان يعبدوا الله السامي ويسترضونه عنهم ويقرنون صلاتهم مع صلوات اوليك اذ يسالون لهم شيأً » وقال القديس كبريانوس في هذا الجيل ايضاً بين ما كتبه الى كرنيلوس « فليذكر بعضنا بعضاً ويصلي بعضنا عن بعض دايماً . . . واذا سبق احدنا الاخر من هنا الى الحيوة الاخرى فليواصل محبته عند الله ولا ينكف عن الصلوة من اجل الاخوة والاخوات لدى رحمة الاب » وقد اختتم كتابه في حلة العذرية هكذا « فاذكرننا ايتها العذارى متى ابتدا فيكنَّ تشريف العذرية في السمآء » وقال القديس اتناسيوس في القرن الرابع في خطبتهِ في الانجيل عن والدة الله « ايتها السيدة والملكة وام الله اشفعي بنا » واقوال القديس افرام السرياني في الاستشفاع بالقديسين اكثر من ان تعد وكذا اقوال باسيلوس ولا نكثر ايراد الشواهد بعد القرن الرابع فصاعداً لان اخصامنا يقرون جبرًا بان التعليم بجواز الالتجآء الى القديسين كان في الجيل الرابع فصاعداً عاماً في الكنيسة بل نقول فقط ان جواز هذا الالتجاء بيّن من رسوم المجمع الخلكيدوني والمجمع القسطنطيني الثالث ومن كتب القداس التي كان يستعملها الغطط والفرنك ومن جميع نوافير القداس التي ولو سلمنا على راي بعضهم بانها كتبت في الجيل الرابع فمع ذلك لا ينكر احد انها قبل كتابتها كانت مسلمة

بالتقليد الشفاهي منذ مبادي الكنيسة ولا يخلو نافور منها من ذكر القديسين والاستشفاع بهم

ان جل ما للابروتسطنت من الرد بهذا الشان قولهم ان القديسين لا يوجدون في كل مكان فلا يمكن ان يسمعونا بل يجهلون صلواتنا فهذا هو الدفع الذي اعتادوا التعلل بهِ فنرده بانه بين من الوحي نفسهِ بان الملائكة والقديسين يعلمون صلواتنا واستشفاعنا بهم فان الملك عرف مصيبة الشعب اليهودي فشفع بهِ . زكريا ص ١ عد ١٢ وقال المخلص في بشارة لوقا ص ١٥ "هكذا اقول لكم يكون فرح لملائكة السماء بخاطي واحد يتوب" فكيف يفرح الملائكة وسكان السما بخاطي واحد يتوب اذا كانوا لا يعرفون ذلك . ويظهر من ص ١٤ هناك ان ابراهيم عرف حسنًا بحالة الغني والعازر اذ كانا على الارض وقال الرسول في قرنثيه اولى ص ٤ "صرنا مشهدًا للعالم والملائكة والناس" فاذًا من المحقق ان الملائكة والقديسين يعرفون استغاثتنا بهم واما كيف يعرفون ذلك فنقول لا تنقص الله الوسائط وليس عنده امر عسير فيمكن ان يعرفوا ذلك بايحاء الله لهم من دون واسطة ويمكنهم ان يعرفوا ذلك بواسطة المشاهدة الطوباوية فان الطوباويين لحصولهم على هذه المشاهدة يمكنهم ان يروا في الذات الالهية كلما يأول لشرفهم ومسرتهم وسعادتهم ويمكنهم ان يعرفوا ذلك بواسطة الملائكة الحراس ويمكن الله ان يجيب عنهم تكريمًا لهم ويوحي اليهم ذلك لزيادة سرورهم فهل من قدر الانسان ان يتفلسف على

مقدرة الله خاصةَ وانه لاشي من المحال او الغريب في كل الطرق المذكورة .

قسم ثالث

ان تكريم ذخائر القديسين وصورهم ليس الّا نوع من التكريم العام لهم والاستشفاع بهم وغايته فكل ما مر من البراهين على كون تكريم القديسين والاستشفاع بهم جائزًا وحميدًا يثبت كون تكريم ذخائرهم وصورهم كذلك ومع هذا لا نكتفي بتلك البرهانات العامة بل نؤيد ذلك ببرهانات خاصة فنقول ان الابروتسطنت يوقرون ويعزون اثار وصور علمائهم وولاتهم ومشاهيرهم فلمَ لا يحق لنا ان نوقر كذلك ذخائر وصور من تساموا بالفضيلة والجهاد الخلاصي ونعتقد انهم متنعمون بمشاهدة الله ومجده ومكرمون لديه فيقول الابروتسطنت ان توقيرهم المار ذكره مدني وتوقيرنا ديني والحال انهُ لا فرق بين التكريم المدني والديني الامن وجه نسبة التكريم الديني الى الله والخلاص فهل يقر الابروتسطنت ان الفضائل الدينية لا تستحق الاعتبار الذي تستحقه الفضائل المدنية او يقولون ان نسبة هذه الفضائل الى الله والخلاص تجعلها اقل اعتبارًا واستحقاقًا من الفضايل المدنية فيقولون كلا لا نعتقد ذلك بل نعتقد ان الله نهى عن هذا التكريم ولماذا ليلا ينتقص مجده او نعبد المخلوقات وقد فندنا في القسمين السابقين دعواهم هذه وبينا ان كنيستنا تنهي عن عبادة المخلوقات بالعبادة الواجبة لله اكثر من

الابر وتسطنت وتوذن بتكريمهم وصورهم وذخائرهم لاجل الله والله لم يحرم تكريمهم كذلك بل حرم اتخاذ الهة غيره واعطاهم مجده نفسه ونحن نعتبرهم عبيدًا له وخدامًا امناءَ ونقر بمجدهم الصادر منه ونوقرهم وما ينسب اليهم تمجيدًا له وهذا لا يسبب ادنى انتقاص في مجد الله كما مر.

وهوذا بينات الوحي نظرًا الى الذخائر اولاً اننا نقرا في سفر الخروج ص ١٣ ان موسى اخرج عظام يوسف معه من مصر تبركًا بها وتنفيذًا لوصيتهِ ونرى في سفر الملوك الرابع ص ١٣ ان قومًا طرحوا جثة رجل ميت في قبر اليشاع فلما مست الجثة عظام اليشاع عاش الرجل وقام على رجليه فلمَ صنع الله هذه الاعجوبة الباهرة ولمَ ذكرها الكتاب المقدس لو كان الله لا يشاء ان نكرم اثار قديسهِ وقد ورد في هذا السفر ص ٢٣ ان يوسيا الملك راى منصبًا مشيدًا فقال (ماهذا المنصب الذي ارى قال لهُ سكان تلك المدينة هذا قبر رجل الله الذي جاء من ارض يهوذا ... فقال اتركوه ولا يحرك انسان عظماً من عظامه وخلصوا عظامه مع عظام النبي الذي اتى من سامره) افما هذا توقير من يوسيا الملك لعظام النبيين اي ذخائرهما ولمَ تشيد المنصب لرجل الله لو لم يكن دارجاً من ذلك الوقت تكريم القديسين هذا ونعدل عن ذكر ايات اخرى كثيرة من العهد القديم وناتي الى ذكر بعض ايات من العهد الجديد

فمن الواضح في الانجيل (متى ص ٩) شفاء المراة النزيفة عند لمسها طرف ثوب المخلص . ومن البين من اعمال الرسل ص ٥ عد ١٥ انهم كانوا يطرحون المرضى في الاسواق حتى اذا اقبل بطرس يظلل ظله على

أحد منهم فيبرأون من امراضهم وقد ورد في ص ١٩ عد ١٢ (ان الله كان يجري على يدي بولس عجائب ليست بيسيرة حتى كان يوتي بالمناديل والازر التي كانت على جسده فيضعونها على المرضى فتفارقهم الامراض وتخرج الارواح الردية فهذه الايات الوجيزة تغنينا صراحتها عن التطويل بذكر ايات الكتاب المثبتة تكريم ذخائر القديسين لانهُ اذا كان في ذلك شي من عبادة الاوثان او كان الله لا يريد ان نوقر اثار رسله وقديسيه فلمَ اثبت ذلك بصنع العجائب بواسطة مس طرف ثوبه واثواب مار بولس ومرور ظل مار بطرس .

ولهذا فمنذ مبادي الكنيسة كان المومنون يوقرون ذخائر الشهداء والقديسين فانك تجد في اعمال استشهاد القديس اغناطيوس الذى كان سنة ١٠٧ في الراس ٦ ما نصه « لم يبقَ منهُ الَّا عظامهُ المقدسة التي اوتي بها الى انطاكية فوضعت في خزانة بمنزلة كنزٍ لا يوازيه ثمن ترك الى الكنيسة المقدسة .... وقد عينا لكم الزمان واليوم حتى اذا اجتمعنا يوم استشهاده نشهد لاشتراكنا مع هذا المجاهد الكريم وشهيد يسوع المسيح » وفي اعمال استشهاد القديس بوليكربوس الذي جرى سنة ١٦٩ قيل في الرسالة التي كتبتها كنيسة ازمير بهذا الشان في راس ١٧ « ان ابليس افرغ مجهوده في منعنا من اخذ ذخائره وان رغب كثيرون في صنع ذلك وفي الاشتراك بجسده المقدس فقد لقن خزاه الله نيقيطا ليمنع الوالي من اعطائنا جسده لندفنه قائلاً انهُ يخشى ان يترك المسيحيون المصلوب ليعبدوا هذا . . . فهم لم يكونوا يعلمون اننا لا يمكن ان نترك

قطعاً يسوع المسيح ولا ان نعبد غيره عوضاً عنه وبالحقيقة اننا نسجد له
بما انهُ ابن الله ونوقر بحقٍ وصواب الشهداء بما انهم تلاميذ المقتدون بهِ
راس ١٨ ومع هذا قد اخذنا عظامه التي هي اثمن من الذهب والجواهر
ووضعناها في مكان يليق بها فاذا اجتمعنا في هذا المكان متى استطعنا
منَّ علينا الله ان نعيد ليوم مولد شهيد حفظاً لذكر من تالموا لاجاله
وايقاظاً للغيرة والشجاعة في غيرهم » فهل اوضح من هذه الاقوال والاعمال
التي كانت في الجيل الثاني في الكنيسة على سبيل عادة مستطرقة منذ
ايام الرسل فانه لواضح مما مر وغيره ان المسيحيين الاولين كانوا حرصى
كثيرًا على جمع ذخائر القديسين وتكريمها وكانوا يشيدون على محلها
مقامات ومذابح ومعابد وقد اسهب في شرح هذه الامور الكردينال
بارونيوس في تاريخ سنة ٢٢٦ ومن هذه المساجد والمعابد ما اقيم في
رومية تكريمًا للرسولين بطرس وبولس فان المسيحيين كانوا يظهرونها
من ايام القديس سافرينوس البابا في الجيل الثاني اجلالاً للاراطقة كما
شهد اوسابيوس في تاريخهِ الكنائسي ك ٢ راس ٢٥ وكان للمسيحيين
الاولين رغبة شديدة في تمييز اثار الشهداء من اثار باقي المومنين وتمييزاً
لاجساد الشهداء كان من عادتهم ان يضعوا على مدافنهم صورة نخل
او سمكة او حمامة مع آنية مملوة من الدم وقد وجد كثيرٌ من
هذه الاثار في رومية في الخبايا الارضية وقد اورد ذكر كثير منها
بوسيوس في كلامهِ على خبايا رومية ك ١ راس ٢٠ وارينكيوس في
كلامهِ على ذلك مجلد ٢ ك ٤ راس ٤٨ وبولداتوس في ملاحظاتهِ

على مدافن القديسين الشهداء ك ١ راس ٣٨ وراس ٤٥ وقد بقي في رومية كثير من هذه الآثار ترى الى اليوم وكان المسيحيون الاولون يكرمون كثيرًا ذخائر القديسين حتى كانوا يقدمون الذبائح لله على مدافنهم تكرمةً لهم كما اثبت المولف الاخير راس ١٠ وتظهر اثار بينة لهذه العادة من اعمال القديس اسطفانوس البابا ومن كتاب المراسيم الرسولية كما رواها كوتيلاريوس مج ١ ك ٦ ومن جملة هذا التوقير قبلة عظام القديسين وسلاسل وثاقهم حتى كان بسبب قبلة عظام شهيد لم تثبت قداسته بعد انشقاق الدوناتيين في الجيل الثالث كما روى ابطاطوس الميلاوي في الكتاب الاول من تاريخ انشقاق الدوناتيين والحاصل من كل ما ذكر وما اهملت ذكره طلبًا للاختصار انه اما ان كنيسة المسيح منذ ايام المخلص والرسل كانت عابدة الاوثان وهذا لا يقوله الابروتسطنت بل يقولون ان تكريم الذخائر والصور ابتدأ في الجيل الرابع او الخامس وكل ما رويناه قبل هذين الجيلين اما ان تكريم ذخائر القديسين الذي كان منذ مبادي الكنيسة هو امر تقوى وحميد ومفيد وهذا ما نثبتهُ واملنا ان الابروتسطنت لا ينكرون علينا في هذا المعرض استشهاد التاريخ لانهم يعترضوننا بحجة سلبية قائلين انهُ لم يكن اثر في اجيال الكنيسة الاولى لتكريم ذخاير القديسين فيحق لنا باولى حجة ان ندفع حجتهم السلبية (وان لم تحتج الدفع لان السلب لا ينتج منه ايجاب) بشهادات التاريخ والاثار الباقية الى الان وهم لا يمكنهم في مثل هذه المدعيات ان يستندوا الّا الى التاريخ فلم لا نباح الاستناد اليهِ

واما نظراً الى تكريمنا صور المخلص والقديسين فاذكر اولاً كلام المجمع التريدنتيني بهذا الشان ليكون بينا ما تعلمه كنيستنا بهِ ولتكون مادة جدا النامع الابروتسطنت محددة وهوذا كلمات هذا المجمع (في مجلس ٢٥) في مادة تكريم الصور اننا نكرمها « لا لاننا نعتقد فيها الوهيةً ما او قوةً ينبغي بسببها توقيرها او لانهُ ينبغي ان نستمد منها شيأً او لانهُ يلزم ان نضع رجانا في الصور كما كان يصنع قديماً الوثنيون اذ كانوا يضعون رجاهم في اصنامهم بل نكرمها لان التكريم الذي يتقدم لها يعود على من صورت على مثا لهِ بنوع اننا بواسطة الصور التي نقبلها ونكشف روسنا ونحني امامها نسجد للمسيح ونكرم القديسين الممثلة لهم » فهذا شرح تكريمنا للصور فاية شايبة فيه

وهوذا البرهان على انهُ جائز وتقوى . ان استعمال الصور كان في العهد القديم بامر الله نفسه فانهُ قد جاء في سفر الخروج ص ٢٥ عد ١٨ و١٩ « واصنع كاروبين من ذهب سبيك على جانبي الغشآء وليكن الكاروب الواحد عن يمينه والاخر عن يساره » وكذا قد ورد في سفر العدد ص ٢١ عد ٨ « قال الرب لموسى اصنع حية من نحاس واجعلها آية لمن لسبتهُ حية فينظر اليها فيحيى وصنع موسى حية من نحاس وجعلها علامة فكل رجل لسبته حية كان ينظر الى حية النحاس فيعيش » وقد اوضح المخلص نفسه ان الحية النحاسية كانت صورة لهُ مرفوعاً على الصليب اذ قال (في يوحنا ص ٣ عد ١٤) « كما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي ان يرتفع ابن البشر » فان كان جايزاً وخلاصياً استعمال صورة تدل على الام المسيح المقبل فلماذا يكون استعمال صورة المسيح بعد الامه

وموته في الصليب مضرًا وغير جائز

ان الاسفار المقدسة تبين بغير ما مر ايضًا كون تكريم الصور والايقونات حميدًا ومفيدًا فان ثابوت العهد الذي كان صورةً لحضور الله كان له عند العبرانيين القدماء ارفع منزلة من التوقير والتكريم فان يشوع بن نون لما انتصر سكان مدينة غاي على الاسرايليين « مزق يشوع لباسهُ وخر بوجههِ على الارض امام ثابوت الرب هو وجميع مشايخ اسرائيل حتى المساء » وكانوا ينقلون هذا الثابوت باحتفال عظيم ورهجة كبرى من مكان الى اخر خاصةً اذ نقله داود من بيت ابينا داب الى بيت عوبيد ادوم ومن هذا الى قرية داود حينئذ كان داود يقدم الذبائح ويرقص متباهيًا امام ثابوت الرب كما في سفر الملوك الثاني ص٦ بل يظهر من الزبور مزمور ٩٨ عد ٥ ان هذا التكريم لثابوت الرب كان مامورًا بهِ اذ قيل « ارفعوا الرب الهنا واسجدوا لموطأ قدميه لانه قدوس » ويظهر من سفر الايام الاول ص ٢٨ عد ٢ ان المراد بموطأ قدمي الرب ثابوت العهد اذ قال داود عن نفسهِ « قد عزمت ان ابني بيتًا يستريح بهِ ثابوت عهد الرب وموطا قدمي الهنا » واكتفي بهذه الايات الوجيزة قائلاً اما ان الله اذ امر موسى بعمل الكاروبين واقامة الحية النحاسية وتكريم ثابوت عهده اذن بل امر بعبادة الاوثان وهذا محال اما ان توقير صور المسيح والقديسين امر حميد ومفيد وهذا لا مناص منه .

واذا شاء الابروتسطنت ان يسمعوا شيئًا عما كان في اجيال

الكنيسة الاولى لانهم يحاجونا بانه لم يكن في القرون الاولى اثر للصور ولا لتكريمها فاقول ان احتجاجهم بذلك يستحق الازدرآء في هذه الايام اكثر من التفنيد والرد فان الاثار القديمة منذ اجيال الكنيسة الثلاثة الاولى جعلت بطلان احتجاجهم بينًا كالشمس في رابعة النهار وقد ذكر علماء الامور القديمة كثيرًا من هذه الاثار التي يشاهد بعضها ايضًا الى اليوم خاصةً في مدينة رومية ومن هذه الاثار الخواتم المصور عليها صورة سمكة او حمامة والتي كان المسيحيون القدماء يستعملونها كما شهد اكليمنضوس الاسكندري في ك ٣ من مولفهِ المعنون معلم الاولاد للاشارة الى امواه المعمودية التى كسبوا بها الحيوة بيسوع المسيح كالسمك بالماء وقد اشار الى ذلك ترتليانوس ايضًا في كتابهِ عن المعمودية . ومن هذه الاثار ايضًا الصور التي توجد في حجارٍ وجواهر وعلى مدافن ممثلة اخص حوادث العهد العتيق وقد ذكر اخصها ماماكيوس في تاليفهِ على اصل الدين المسيحي وقدمه وغيره كثيرون وتوجد في المدافن القديمة صور كثيرة دالة على حوادث العهد الجديد كصورة المسيح قائمًا على جبل تصدر منه اربعة انهر وصورة المخلص حاملاً صليبًا وصورتهُ بهيئة راعٍ يرعى قطيعًا او يحمل خروفًا وقد ذكر كثيرًا من هذه الصور بوتار يوس (في كتابهِ على الكتابات والصور المقدسة الماخوذة عن مدافن رومية) وكاسيليوس (في كتابهِ في طقوس المسيحيين القدماء) وغيرهما كثيرون وقد ذكر ترتليانوس عادة تصوير المسيح على الكاسات قائلاً في كتابهِ في العفة راس ٧ « تدل على ذلك الصور نفسها التي على كووسكم اذ

يظهر منها ما يدل عليهِ ذلك الخروف » وقال في راس ١٠ « اذا كان يائده الراعي الذي تصوره على الكاس « ومن هذه الاثار القديمة الصور التى صور بها المسيحيون الاولون المسيح واعماله والعذراء الطوباوية والملائكة والقديسين وقد ذكر كثيرًا منها عدا العلماء المار ذكرهم بلكينيوس في حواشيه على مقدمات ترجمات الاحبار الرومانيين لانسطاس صاحب المكتبة وفبريتوس في الكتابات القديمة وغيرهما كثيرون فاذًا من الواضح ان المسيحيين الاقدمين في الاجيال الثلاثة الاولى كانوا يستعملون الصور.

ومن استعمالهم الصور ينتج نتجًا مستقيمًا انهم كانوا يكرمونها فلما كان تكريم الصور اضافيًا اي بالنسبة الى من تصورهم وكان المسيحيون الاولون يكرمون المسيح والقديسين فينتج من ذلك نفسه انهم كانوا يكرمون صورهم فان هذين الامرين متحدان وهيهات ان يمكن فصل احدهما عن الاخر والابروتسطنت انفسهم لما ابطلوا تكريم صور القديسين ابطلوا تكريم القديسين انفسهم لكن لنا بينات وضعية ايضًا على ان تكريم صور القديسين كان معتادًا في الاجيال الاولى فانهُ واضح ان الوثنيين شكوا المسيحيين متواترًا بانهم يسجدون للصلبان كان فيها على راي الوثنيين شيأ من الالوهية فان شيشيليوس الوثني على ما روي مينوشيوس فالبكس كان يقول ان المسيحيين يعبدون انسانًا عوقب بعذاب اليم لاثمه فيعبدون ما يستحقون اي الصليب وكان يقول ايضًا « هوذا قد اعدت لكم العقوبات والعذابات والصلبان لا لتعبدوها بل لتتحملوها اه » وبمثل ذلك اعترض بوليانوس كما روي

القديس كيرللوس في ك ٦ من رده لاقواله حيث يقول يوليانوس انكم تسجدون لعود الصليب وترسمون علامته على جباهكم وتنقشونها على اعتاب بيوتكم » وكذا كان يعترض شلسوس كما روي اريجانوس ك ٢ عد ٤٧ ويدل على تكريم الصور في الاجيال الاولى حفظها في الكنايس او في مخادع المدافن فان في المدافن القديمة في رومية مخادع كانوا يباشرون الاسرار فيها وفيها صور وفي اعلاها صورة المخلص وقد وجدت صور على زجاج منذ الجيل الثالث صورت بها العذراء مع الطفل يسوع وعليها تيجان واكاليل كان المسيحيون الاولون يظهرون تكريمهم للعذراء بها وليس محل الان لزيادة الاسهاب في ذكر هذه الاثار بل نكتفي بما ذكرناه لنستنتج ان الايات المقدسة وعادة المسيحيين القدماء تبرهن خلافاً للابروتسطنت ان تكريم الصور جائز وحميد

ولننظر في اخص ما يعترض بهِ الابروتسطنت خلافاً لهذه الحقيقة فيقولون ان استعمال الصور وتكريمها قد نهى الله عنهما في سفر الخروج ص ٢٠ حيث قال « لا تتخذ لك صورة ولا تمثالاً لما في السماء من فوق وما في الارض من اسفل ولا في الماء من تحت الارض ولا تسجد لهن ولا تعبدهن » فنقول لو كان كلام الله هذا بالمعنى الذي يتاوله الابروتسطنت لكان ناهياً لهم عن اتخاذهم صور مشاهيرهم وملوكهم ايضاً والحال انهم كثيراً ما يستعملون هذه الصور وبعضهم يبيح استعمال صور القديسين ايضاً ويحرم توقيرها والحال ان ظاهر الاية المقدسة ينهي عن الامرين كليهما فلينظروا في توفيق اقوالهم واعمالهم على ان الله لم ينهَ عن اتخاذ

الصور والتماثيل مجردًا ومطلقًا بل نهى عن اتخاذها والتعبد لها بمنزلة الهة وهذا واضح من سوابق الاية الكريمة ولواحقها فانهُ قبل الاية قال «اني انا الرب الهك الذي اخرجتك من ارض مصر...لا يكن لك اله غيري. لا تتخذ لك الاية وقال بعدها « فاني انا ربك العزيز الغيور المعاقب اثم الاباء في البنين الى الجيل الثالث والرابع لاعداي » فالواضح اذًا ان الكلام في الصور والتماثيل المصورة الهة كاذبة او المعبودة بمنزلة الهة ولا شي من ذلك في الكنيسة الكاثوليكية التي تبيح بنيها تادية اكرام اضافي فقط للصور . واذا كان تفسير علمائنا هذا لا يرضي الابروتسطنت فنقول لهم ان لوتاروس نفسه فسر اية الخروج المعترض بها قايلاً ان المراد بها النهي عن عبادة الاصنام والاوثان كما روي اودينوس في تاريخ حيوة لوتاروس مج ٢ وجه ١٩٤ وهوذا ما قال في تفسيرها روزنموليير العالم الابروتسطنتي في حواشيه على العهد القديم حيث كتب على هذه الاية « ان الله اراد ان يبين بهذه الفريضة لليهود انه لا يريد اختلاط الاديان المختلفة ولا العبادة لالهة غيره . فانه كان من معتقدات الناس العامة في تلك الاعصار ان يظنوا انهم يستطيعون ويلزمهم ان يعبدوا باقي الالهة عدا اله الارض التي يقطنونها » وقال هذا العالم على قوله تعالى لا تتخذ لك تمثالاً ما ترجمته « انهُ يفهم بسهولة ان ليس المراد تحريم كل الصور كما زعم بعض المفسرين بل صور الله الحق وباقي الالهة اذ كان في الهيكل نفسه صورتا الكاروبين » وقال على قوله لا تسجد لهنَّ « يعني لا تعبدهنَّ ليلا تخالف السنة . . . اذ قال انا الرب الهك الغيور الذى

لايحتمل ارتكاب الاثم خلافاً له فان لفظة الغيور يوصف بها الزوج الذي يغار على امرانه فهكذا الله لايحتمل شريكاً له في العبادة التي يطلبها من الناس وهذا ما اراد ان يبينه هنا لليهود فانهُ لم يامر ان يعبد فقط بل ان يعبد وحده ايضاً ويابي اشتراك الهة اخرين معه بعبادتهِ او تقديم جزء من العبادة المتوجبة له لتماثيل الهة اخرين » وهذا طبق ما تعلم الكنيسة الكاثوليكية التي تحرم تكريم الصور بالعبادة الواجبة لله ثم لو كان الله نهى في الاية المعترض بها عن استعمال كل صورة وتكريمها فلماذا امر بعمل ثابوت العهد والكاروبين والحية النحاسية ولماذا اباح شعبه السجود امام الثابوت وتكريمه بزياحات حافلة وكيف صور سليمان في هيكل الرب كارويم واسوداً وثيراناً واغصاناً وغيرها من النقوش ولم يرذل الله عمله بل املا الهيكل مجداً وعظمةً كما نرى في سفر الملوك الثالث ص ٦ و٧ وفي سفر الايام الثاني ص ٧ واذا اعتبرنا ان الله نهى اليهود حينئذٍ عن اتخاذ الصور بالاطلاق فيكون نهيهُ موقتاً بالنظر الى امتداد عبادة الاوثان في تلك الاعصار وشدة ميل اليهود اليها كما جرى لهم في مدة غيبة موسى عنهم في الجبل وفي مواقع عديدة ولكي لا يظن الوثنيون ان اليهود يعبدون الصور كما يعبدون هم الاوثان على ان هذا النهي لم يكن دايماً كما يظهر مما صوره موسى نفسه وسليمان من بعده كما مر.

ان جل ما يعترض بهِ الابروتسطنت من التقليد والتاريخ هو انهُ لم يكن في الاجيال الثلاثة الاولى اثر للصور والايقونات لكن هذا يكذبهُ كل

ما اوردناه آنفاً من هذه الاثار من الاجيال المذكورة فيوردون هم بعض اقوال للاباء القديسين والمجامع لكن كل ما يوردونه اما انهُ يراد بهِ النهي عن تقديم العبادة السامية او المطلقة للصور او ينفون بهِ كونهم يعبدون الصور كما يعبد الوثنيون اصنامهم وبعض تلك الاقوال مزور او محرف او مفهوم بغير معناه الصحيح وقد فتح السبيل الى القول بان المسيحيين في الاجيال الثلاثة الاولى لم يستعملوا الصور من ان المسيحيين في تلك الاجيال لم يكونوا يستطيعون المجاهرة ببعض معتقداتهم وطقوسهم وكانوا يتحاشون خاصة ان يكرموا الصور تكريماً مشتهراً ليلا يظنهم الوثنيون يعبدونها عبادتهم لاصنامهم فكانت الصور غالباً خفية وقليلة لكنها كانت موجودة ومكرمة كما اوردنا آنفاً

والحاصل انهُ قد ثبت ببرهان العقل والوحي ان تكريم الملايكة والقديسين والاستشفاع بهم وتوقير صورهم وذخائرهم جايزة وحميدة ومفيدة وكانت في الكنيسة منذ الاجيال الاولى ولم تزل الى اليوم خلافاً لما يزعم الابروتسطنت الذين لا ينبغي ان نحفل بشقشقاتهم وتهماتهم لنا باننا نعبد الاوثان لاننا نكرم من كرمهم الله في الارض وهو يمجدهم الان في السماء بل نجد اولادي الاحباء في تسبيح الله في قديسيه وفي توقيرهم والاستشفاع بهم وتكريم صورهم لانها تمثلهم لنا ونكرم بالخصوص القديس يوسف الاعذر ونحتفل لعيده في هذا اليوم الذي عينتهُ الكنيسة المقدسة لذلك مقدمين لله على يده الصلوات والابتهالات ومستمدين من مراحمهِ تعالى بشفاعتهِ النعم اللازمة لخلاصنا ولمجانبتنا الاثام في هذه الحيوة المملوة من الاخطار

والتجارب فان شفاعتهُ مقبولة غايةً لدى الله وله الدالة واسفرار الوجه امام المخلص الذي كان ابًا له وكان يعيله ويخدمه ويهتم بهِ ويهرب بهِ من اعدائهِ الذين يطلبون نفسهُ وبالجملة هو اول المقربين الى الله بعد خطيبته مريم العذراء التي اخذ المخلص جسده المقدس من جسدها الطاهر الذي كان مملوكًا ليوسف البتول بعقد الزواج معها كما برهنت في خطبتي السنة الماضية في يوم عيده واذا كان مخلصنا يريد توقير مختاريه الذين تفضل عليهم بمواهب ونعم فكم يريد توقير من تفضل عليهِ باتعاب واسهار وعناية وتقديم قوت وكسوة مدة نحو ثلثين سنة فباقي اصفياء الله اعزاء لديه لانه اتحفهم بنعم طاوعوها وتحملوا حبًا بهِ جهادًا والامًا ومشاق واما مار يوسف فصنع ما صنعوا ونال ما نالوا ويفضل عليهم بانهُ خدم شخص المخلص بالذات وكان له عليهِ حق الوالد على الولد ولذا يكون تكريمهُ اكثر ارضاءً لله وشفاعتهُ اوفر قبولاً لديه وعلى هذا جعلهُ البابا بيوس التاسع الحبر الاعظم شفيعًا للكنيسة كلها واغرى المومنين اجمع بالتعبد له وتقديم التوسلات لله على يده فاتخذوا اولادي هذا القديس المعظم شفيعًا لكم ومحاميًا امام المخلص الذي هو الوسيط الاول الوحيد بين الله والناس وقد اصلح بدمهِ العالم مع الله ونقض العداوة والسياج المتوسط ويريد ان نستشفع لديه بمختاريه لانهم اعزاء لديه ويرغب تكريمهم ويقبل شفاعتهم خاصةً من له عليه حق الابوة فعينوا لهُ عبادة ولو وجيزة في كل يوم متوسلين اليهِ ليستمد لكم من سخاءِ الله الوقاية من الاثم والنجاة من التجارب ونعمة الطهارة التي

كانت اخص فضايله والصبر على المصائب وما يوافق خلاصكم من الخيرات الزمنية وتوسلوا اليه ايضاً ليشفع بالكنيسة ورئيسها المنظور الحبر الاعظم ليخلصها الله من الضيق المستحوذ عليها في هذه الايام من الغير المومنين واصحاب المذاهب الكفرية والاراطقة والمشاقين ويحفظ بنيها في الايمان الكاثوليكي المقدس طريق الخلاص الابدي الذي ارجوه لكل العالم ولجميعكم ولحقارتي بشفاعة القديس مار يوسف المعظم الخ .

عظة

الاحد الخامس من الصوم في ٣٦ اذار سنة ١٨٧٣
في الخطية الاصلية

بانسان واحد دخلت الخطية الى هذا العالم ودخل بالخطية الموت رومية ص ٥ عد ١١

لما كنت اتخذت على نفسي ان ابرهن لكم بخطبي في هذا الصوم بعض حقائق ايماننا المقدس و برهنت بعضها الى الان وكانت حقيقة الخطية الاصلية وانتشارها في الناس اجمع من العقائد الكبرى ويتاسس عليها عدة عقائد دينية وخاصةً انها اس لمعتقدنا بتجسد المخلص وسر الفداء حملت نفسي في هذا المساء اقامة البرهان على وجود هذه الخطية وعلى انتشارها في الناس وعلى كون ذلك لا يخالف العقل والصواب الى غير ذلك من متعلقات هذه الحقيقة تمكيناً لايمان من يطالعون هذيانات

اصحاب المذاهب الكفرية بهذا الشان او يسمعون كلامهم فاصغوا الخ

قسم اول

ان كلامي الان في خطية الابوين الاولين كان يستلزم بالنسبة الى النظام الذي سلكت بهِ الى الان ان اقدم عليهِ الكلام في كون العالم مخلوقًا وكونه لم يوجد منذ الازل وكون الانسان اوجدهُ الله لم يوجد نفسه ولم توجده الطبيعة ولكن من حيث ان كفرية هذه المذاهب اظهر من ردها وتفنيدها ولا اعتقد ان هذا الجنون (كما تستحق هذه المذاهب هذا الاسم حقيقةً) اصاب احدًا منكم فلم اشا ان اصرف الوقت الثمين ضياعًا في تفنيد ما هو اكبر مفند لنفسهِ لكني اذكر استطرادًا كلمة في كل منها تقوية لما ياتي من البرهان . ففي كون العالم مخلوقًا يكفينا مؤُونة البرهان ان نرى انهُ كان يمكن ان يوجد والا يوجد وما كان كذلك لايمكن ان يكون واجب الوجود بل لا بد له من علة خارجة عنه توجدهُ او تخلقهُ وان بهِ نظامًا فلا بد له من منظم وان بهِ حركة فلا بد له من محرك اذ لا يملك ذلك من نفسهِ فاذًا هو مخلوق لا محالة . وفي كون العالم لم يوجد منذ الازل يكفي للبرهان كونه محدثًا اي مخلوقًا كما مر وما كان كذلك لايمكن ان يكون ازليًا لان الخلق الوجود في زمان وهذا ينافي الازلية . ثم لو وجدت الشمس اول مرة في برج الحمل فعند الرجوع السنة الثانية الى هذا البرج يقال قد مضى عام منذ خلق العالم وما كان زمانه محدودًا لايمكن ان يكون ازليًا وفي العالم دقائق وساعات وايام واشهر

وسنون فلوكان العالم ازليًا كانت كلها غير متناهية وكان بعض هذه الغير المتناهيات اطول من بعض وكيف يقال ذلك في الغير المتناهي الذي لا يمكن ان يكون الاَّ واحدًا ولا يمكن ان يساويه او يزيده شي. واما في كون الانسان اوجده الله فيصلح برهانًا كل ما مر وما قلتهُ في خطبة اخرى من انهُ يستحيل على المصادفة ان توجد عملاً منظمًا كل هذا النظام وهي لم توجد في كل مدة العالم شيئًا اقل من الانسان ايضًا وما يضحك منهُ قول بعض الكفرة ان الانسان نبت من الارض فلم عقمت ولم تنبت انسانًا فقط بل ولا جرذًا ولا دبابة صغيرة فيما بعد وعلى حد القول ان الانسان كان بريًا فاستانس وذلك البري من خلقه ولمَ لم يعد يستانس حيوان اخر حتى يصير انسانًا فلندع هذه الشعبذات ومن يقول بها ونأتي الى ما يستحق ان يسمعه انسان مومن عاقل موقنين ان الله خلق العالم والانسان .

زعم البرهانيون والسوشينيون وغيرهم ان الانسان خلق دون نعمة ودون خطية لينتجوا من ذلك انه لاحاجة الى نعمة ولا وجود للخطية الاصلية وبالتالي لافداء . وقال اللوتاريون والكلوينيون ان الحال التي خلق فيها الانسان كانت طبيعية ومتوجبة له لينتجوا ان سقوط الانسان اعدمه الحرية والصحيح المتوسط بين الضلالين اي ان الله خلق ادم وحوا وجملها بنعمة لم تكن طبيعية لهما بل مجانية فخسراها بمخالفتهما وصيته · ولهذا نقول ان الابوين الاولين خلقا مجملين بالنعمة والقداسة ولنا على ذلك ادلة قاطعة من الوحي منها قول الله في سفر التكوين

(ص ١ عد ٢٦) فلنصنع انساناً على صورتنا ومثالنا وقد علم الآباء ان المراد بصنع الانسان على صورة الله تحليه بالعقل والمعرفة والمراد بصنعهِ على مثالِهِ اشتراكه ببر الله والمشابهة له بشي من قداستهِ ونتجوا من ذلك ان الانسان خسر بالخطية شبهه بالله ولم يخسر صورة الله ومنها قول الجامع ص ٧ عد ٣٠ وجدت هذا فقط اي ان الله خلق الانسان مستقيماً فيريد بالاستقامة لا الاستقامة الادبية فقط بل البر والقداسة الفائقة الطبيعة ايضاً فذلك على حد قول المرتل مزمور ٧ عد ١١ « يخلص المستقيمة قلوبهم » ومنها قول الرسول (في رسالة افسس ص ٤ عد ٢٣) « البسوا الانسان الجديد الذي خلق على شبه الله وبالبر وقداسة الحق » وقوله (في كولوسايس ص ٣ عد ٩) « اخلعوا الانسان العتيق والبسوا الجديد الذي يتجدد بالمعرفة بحسب صورة الله خالقه » فما يتجدد في شي يلزم ان يكون قبلاً على ما يتجدد بهِ . وذلك نص بين والآباء مجمعون عليه بهذا المعنى .

ان الابوين الاولين كانا مزينين عدا البر والقداسة بمواهب سامية نفسانية وجسدية وهي العلم وخضوع الارادة للعقل من جهة النفس والعصمة من المصائب والاوجاع وعدم الميتوتة من جهة الجسد. اما تجملهما بالعلم فبين من قول ابن سيراخ ص ١٧ عد ٦ « خلق فيهما علم الروح واملا قلبهما فهماً وبين لهما الخير والشر » والعقل ينبي بذلك ايضاً فان ادم كان معداً لان يكون اباً ومعلماً لذريتهِ فكان يلزمهُ ان يرشد اولاده ويعلمهم ما يتوجب لله وما يوافق من الخصال والتعاطي وكيف

يتمكن من ذلك من دون علمٍ فائق. واما خضوع الارادة للعقل اي
عدم اشتهاء الجسد ما يضاد الروح والروح ما يضاد الجسد فبين
ايضًا فقد جاء في التكوين ص ٢ عد ٢٥ ان ادم وحوا «كان كلاهما عريانين
ولا يستحيان» وفي ص ٣ عد ٧ قيل فيهما بعد ارتكاب الخطية «وانفتحت
اعين كليهما اذ علما انهما عريانان» وفي ص ٤ عد ١ قال ادم لله خفت
لاني عريان فقال الله له من اعلمك انك عريان لولا انك اكلت من
الشجرة التي قلت لك ان لا تاكل منها فاذًا لم يكونا قبل الخطية يشعران
بالشهوة جبرًا عليهما بل كانت الشهوة فيهما خاضعة للعقل فلا تشتهي
الارادة ما يخالف العقل وكان ذلك موهبة خاصة
واما العصمة من المصائب والاوجاع فنتيجة عدم الميتوتة وعدم الميتوتة بين من
تهديد الله ادم بقوله اي يوم اكلت منها اي من شجرة معرفة الخير والشر
موتًا تموت ومن نسبة الكتاب المقدس الموت الى الخطية كقوله «بانسان
واحد دخلت الخطية الى هذا العالم ودخل بالخطية الموت» وكقول
الحكيم ص ١ عد ١٣ ان الله لم يصنع الموت ولا يسر بهلاك الاحياء.
وقوله في ص ٢ عد ٢٣ «لان الله خلق الانسان غير مائت. بحسد الشيطان
دخل الموت الى العالم» على ان عدم الميتوتة يراد بهِ ان الانسان كان
يمكنه ان لا يموت ولا يراد بهِ انهُ لم يكن يمكنهُ ان يموت ففي ذلك فرق كبير
فالثاني لا يصدق الا على الارواح البسيطة واما الانسان فلتركب جسده
من اجزاء كان محلاً للانحلال ولو فرض طرح الانسان في تلك الحال
في اتون مضطرم او في الة تفرق اجزاء جسده لامكن ان يموت فالمعنى

اذًا هو ان ادم لو بقي على البرارة لكان الله يحفظه من النوازل ويقيهِ تاثير الامراض والشيخوخة ويحييه في الارض ما شاء تعالى ويبلغه السعادة دون موت .

ان حال الانسان المذكورة تظهر ايضًا لا من روايات اليهود والمسيحيين الاقدمين فقط وتقليداتهم بل من روايات جميع الامم فقد قال افلاطون في كتابهِ المعروف بالبوليتيكو في من كانوا في العصر الذي يصفهُ بالذهبي « ان الله كان يرعاهم وكان حارسًا لهم . . . وكانوا يرعون عراة غالبًا » وقال ديشياركوس احد الفلاسفة المشائين « ان اوليك الاولين كانوا يقربون من الالهة وكان لهم احسن الاطباع وحيوا حيوة حسنة للغاية ولذا نسمي ذاك العصر عصر الذهب » وقد اطنب شعراء اليونان واللاتينيين في تعظيم حالة الاولين ومنهم فرجيل واوميروس وتيبوللوس وغيرهم . وشهد بلوطرخوس بوجود هذا التقليد عند الفرس . وشهد استرابون في ك ١٥ بوجوده عند الهنود وروى عن بعضهم هكذا « كان قديمًا كل شي مملوًا من طحين القمح كالتراب اليوم وكان بعض الينابيع يجري حليبًا وبعضها ماء وبعضها عسلًا وبعضها خمرًا وبعضها زيتًا فسلم الناس نفوسهم لشبعهم وبذخهم الى العار فاسخطت تلك الحال المشتري فازال كل ذلك » والامر بين عند الصينيين من كتبهم المقدسة المسماة كينج اي مقدسة ومما قيل فيها « كان في ازمنة السماء الاولى السلام واللذة المحضة مستحوذين في كل شي ولم يكن حينئذٍ تعب ولا عقوبة ولا اثم ولا هم وكان كل شي في الارض يطيع ارادة الانسان »

فاجماع القبائل على هذه التصورات لا يمكن ان يكون منشاه الاَّ تقليد خلق ادم بارًا وسقوطه ولو شوش هذا التقليد عند الامم طول الزمان وفساد الناس .

ان حال البرارة التي كان عليها الابوان الاولان قبل الخطية لم تكن واجبة لهما ولا يقتضيها طبعهما بل كانت مجانية جعلها الله فيهما سخاءً وتفضلاً والبرهان انه لو كانت تلك الحال واجبة لهما طبعًا لكان هذا الوجوب اما من قبل الانسان اما من قبل الله والوجهان غير صحيحين فلم يكن هذا الوجوب من قبل الانسان لان طبعه لا يقتضي الاَّ ان يكون حيوانًا ناطقًا معدًا للخير الذي يناسب حاله وليس من مقتضيات طبعهِ ان يكون فايزًا بنعمة تفوق طبعه كما هي نعمة التبرير واذا لم تكن من مقتضيات طبعهِ فتكون مجانية والا فلا تكون النعمة نعمة كما برهن الرسول (في رسالة الرومانيين ص ٤) ثم ان العصمة من الشهوة لا يقتضيها ايضًا طبع الانسان بل يقتضي خلافها فالانسان يميل طبعًا الى الخير المحسوس بحواسه وشهوته ويميل طبعًا الى الخير العقلي بفهمهِ وارادته ومن هذين الميلين اللذين كثيرًا ما يخالف احدهما الاخر تنشأ طبعًا مخالفة الجسد لما تشتهي النفس والنفس لما يشتهي الجسد وتصدر الصعوبة غالبًا في عمل الانسان ما كان صوابًا ومستقيمًا . واما العصمة من الالام والاوجاع وعدم الميتوتة فالامر فيهما واضح اي انهما ليسا من مقتضيات طبع الانسان فان الانسان لتالفهِ من الجسد ايضًا المعرض لتاثيرات الجو و باقي الاجرام يقتضي طبعًا تاثره بالالام واوجاع كل ما اضر بهِ شي وحيث ان جسده

مركب من اجزاء وكل مركب منحل فكان الموت طبيعيًا فيهِ لا عدم الميتوتة فاذًا حال البرارة والعصمة من الاوجاع والموت لم تكن واجبة من قبل الانسان ولم تكن واجبة من قبل الله لانه تعالى مطلق الارادة في توزيع مواهبه ولا شي يضطره الى ان يمنح خلايقه مواهب فوق طبعها وان يعطيها هذه الدرجة من الكمال او تلك بل ذلك بجملته موقوف على ارادتهِ وهذا يكفي لنقض زعم اللوتاريين والكلوينيين بان حال الانسان الاولى كانت طبيعية ومتوجبة له .

ان الابوين الاولين خسرا المواهب المجانية المذكورة لارتكابهما اثمًا ثقيلاً ومخالفتهما ما كان الله شرطه عليهما لحفظ تلك المواهب لهما وذلك ثابت بالكتاب والتقليد العام فبرهانه من الكتاب بقوله تعالى في سفر التكوين ص ٢ عد ١٧ حيث قال الله لادم « كل من جميع اشجار الفردوس واما من شجرة معرفة الخير والشر فلا تاكل لانك في اي يوم اكلت منها موتًا تموت » مع قوله في ص ٣ عد ٧ عن حوا امراته انها بوسوسة الحية اي ابليس اخذت من ثمرتها (اي ثمرة شجرة معرفة الخير والشر) فاكلت واعطت بعلها فاكل هو ايضًا . . . فقال الله لادم لانك سمعت صوت امراتك واكلت من الشجرة التي امرتك ان لا تاكل منها فملعونة الارض بعملك بالتعب تاكل منها كل ايام حياتك . . . حتى تعود الى الارض التي اخذت منها لانك تراب والى التراب تعود » وقد قيل في الحكمة ص ٢ عد ٢٤ بحسد الشيطان دخل الموت الى العالم وبهذا المعنى دعا المسيح (في انجيل يوحنا ص ٨ عد ٤٤) ابليس قتال

الناس من البدء . وقد اشار الى ذلك الرسول في رسالتهِ الثانية الى قرنثيه ص ١١ عد ٣ بقوله « كما اضلت الحية حوا بمكرها » وقال ما استهللنا بهِ وهو « بانسان واحد دخلت الخطية الى هذا العالم ودخل بالخطية الموت » الى غير ذلك من ايات الوحي . وبرهانه من التقليد العام سهل ايضاً فان قدماء اليهود علموا صراحة ان اركون الشياطين اقتاد حوا الى الخطية وقد جمع بعض العلماء كثيراً من اقوالهم بهذا المعنى وقد وجد هذا التعليم عند شعوب اسيا الوسطى والعليا كما يظهر من تعليم زورواستر عن اهريمان رئيس الجن الذي تقمص شكل حية فاطغى الاناس الاولين فارتكبوا الخطية . ووجد ايضاً عند اليونان كما يظهر من عدة حكايات عندهم ومن بعض الاثار اخصها صورة الحية المعلقة بالشجرة كما يرى في معاملة انطونينوس بيوس وروي ابولينوس الرودسي في اشعاره قصة هذا السقوط . وكان هذا التعليم عند المصريين ويدل عليه كثير من اثارهم لاسيما ما وجده العلامة دانوس وهو صورة من صور الهياروكليفشي المعروفة بالكتابة المقدسة حيث ترى شجرة خضراء ورجل جالس بجانبها وبيده الة يظهر انهُ يريد ان يدفع بها صورة صغيرة بيضية الشكل تقدمها له امراة واقفة الى شمال الشجرة وتتناول بيدها الاخرى شيئاً يقدم لها ومن وراء الرجل صورة شخص واقف وعلى راسه تاج ويمد يده الى الرجل » فمن يشك ان ذلك رمز لخطية ادم وحوا بوسوسة ابليس وما لنا وتكثير الشهود ولنا شهادة تقبل كثيراً بهذا الشان وهي شهادة فولتر في كتابهِ فلسفة التاريخ راس ١٧

حيث قال « ان سقطة الانسان هي اساس للاهوت عند جميع الشعوب القدماء تقريبًا .

قد ثبت اذًا ان الله خلق ادم وحوا بارين ومعصومين من الموت والاوجاع وان برارتهما وعصمتهما هذه كانت مجانية من سخاء الله وانهما خسرا المواهب المجانية بخطيتهما ونزيد هذا الاخير اثباتًا بتفنيد ما يقوله مخالفو هذه العقيدة فاخص ما يقوله من ينكرون خطية ادم هو ان هذه الوصية لا تتفق مع حكمة الله وجودته لانه من يصدق ان الله يامر الانسان البار امرًا كهذا لا طائل له وكيف يوافق جودة الله وضع الانسان في ظروف كهذه وهو كان يعلم انهُ لا يحفظ الوصية مدة طويلة بل كان يرى مخالفته قبل وقوعها . فنجيب ان وصية الله لا يمكن ان تسمى لا طائل لها نعم ان اكل الثمرة بنفسه غير كبير لكن غايته الطاعة لله كبيرة جدًا فالله صنع مع ادم (كما قال فم الذهب خطبة ١٦ في التكوين) ما يصنعه مولى سخي اذ يعطي شخصًا دارًا فسيحة يسكنها على ان يوديه اجرة دون الطفيف لا رغبةً في الاجرة بل محافظة على اقرار الساكن بان الدار ملك المولى و بانه محسن اليه فكذا صنع الله اذ امر ادم ان لا ياكل من شجرة معرفة الخير والشر ليعلم ان الله مولاه وان كل ما في دار الدنيا له ومنه تعالى . واما علم الله بسقوط ادم فلم يكن علة لسقوطه بل ان السقوط كان علة لعلم الله فالله زين ادم بالحرية وراه متعديًا بحريته ورويتهُ له لم تضر بحريته كما سآتيكم بالبرهان المسهب على ذلك جميعهِ والله لم يشاء ان يجزي احدًا دون ان يستحق الجزاء بحريتهِ كما صنع

بالملائكة ثم بادم وكما يصنع بنا في ايام غربتنا في هذه الحيوة ولو كانت معرفة الله السابقة بمخالفة ادم تضطره الى منع هذه المخالفة لاتى علينا ان نقول مثل ذلك في جميع اثام الناس لان الله يعلمها قبل وقوعها فيلزمه منعها واذا كان الناس ممنوعين من ان ياثموا جبرًا عليهم فكيف يستحقون شيئًا بامتناعهم من الاثم او بعملهم الفضيلة واما لمَ لم يرد الله ان يعصم الناس من الاثم ويخلصهم جبرًا عليهم بل اراد ان يخلصوا بعملهم بواسطة نعمتهِ فارادتهُ هذه برهان ارادتهِ ولا الزام عليه لاحد ولا شي يمنعهُ من ان يخلق الناس على هذه الحال

ولكن اذا كان ادم اخطأ فما ذنب ذريته كلها وكيف يحكم عليها بالذنب قبل وجودها ودون اختيارها واين كنت انا لما اخطا ادم ليلتحق بي اثمه ومن حصر ارادتي بارادته قبل ان اوجد وهل يحتمل ذلك عدل الله . فهذا ما يقوله من ينكرون انتشار الخطية الاصلية هذا ما ترتبك بهِ افكار كثير منكم . اما انا فاقول ان ذلك ثابت بالوحي وغير مخالف للعقل وهوذا شرح الامرين ثابت بالوحي خاصةً بما كررت ذكره بانسان واحد دخلت الخطية الى هذا العالم ودخل بالخطية الموت وهكذا تسلط الموت على جميع الناس واخطا جميعهم » وقال الرسول بعد ذلك « كما انه بذنب واحد صار الحكم على جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة لجميع الناس لتبرير الحيوة. . . . كما انه بمعصية انسان واحد صار الكثيرون خطاة هكذا بطاعة واحد يصير الكثيرون ابرارًا » وقال في رسالته الاولى الى قورنثيه

ص ١٥ عد ٢٢ « كما ان الجميع يموتون بادم هكذا بالمسيح يتبررون »
وقال في رسالة قورنثية ٢ ص ٥ عد ٤ « اذا كان واحد مات عن
الجميع فاذاً قد مات الجميع وقد مات المسيح عن الجميع » فكلام
الرسول في خطية صار بها جميع الناس خاطئين وخاضعين للموت وهذه
الخطية ليست التي يفعلها كل خاطي لان الاطفال يموتون ولا يخطئون
فاذاً هي الخطية الاصلية . ان الرسول يقابل بين ادم والمسيح و بين
معصية ادم وطاعة المسيح و يثبت اننا صرنا خطاة بادم وابراراً بالمسيح
والحال اننا نتبرر حقيقةً بالمسيح فاذاً صرنا خطاة حقيقةً بادم . ثم ان
الرسول يثبت اننا نحيى بالمسيح لا نظراً الى الجسد فقط عند القيامة
بل نحيى الان ايضاً بالبر نظراً الى النفس فاذاً لم نمت بادم نظراً الى الجسد
فقط بل متنا بهِ من حيث النفس ايضاً بالخطية وهذه الخطيه لايمكن ان
تكون الفعلية لان بعضنا يموت بها قبل ان يكون اهلاً لفعلها فاذاً هي
الخطية الاصلية . وعلى حد ما ذكرنا من الايات قول المرتل في مزمور
٥٠ « هنئذا بالاثام حبل بي و بالخطايا ولدتني امي » فاذاً انتشار الخطية
في الناس كلهم ثابت بالوحي فلنرَ كيف لايخالف العقل .

ان هذه العقيدة لاتخالف العقل ويظهر ذلك اذا اعتبرتم الخطية
الاصلية كما ينبغي ان تعتبر وكما يعلمنا الايمان الكاثوليكي فالخطية الاصلية
ليست اثماً نرتكبه بارادتنا ولا يحكم الله علينا بالعذاب حاسباً اياها على
ارادتنا بل الخطية الاصلية هي موت النفس والموت هو الخلو من الحيوة
وحيوة النفس الروحية هي النعمة المبررة فالخطية الاصلية اذاً هي الخلو

عن البر الاصلي اي الخلو عن النعمة المبررة التي كان الله وهبها مجانًا لادم وذريته على شرط ان لا يخالف نهيه عن الاكل من شجرة معرفة الخير والشر فلما خالف وفقد الشرط خسر المشروط وهو النعمة المبررة واضاع له ولذريته تلك الحال المجانية التي كان عليها وصار اولاده يولدون دون هذه النعمة المبررة التي هي حيوة النفس دون ان يفقدوا شيئًا ما يحق لطبعهم لان تلك النعمة مجانية كما مر ودون ان يمكنهم ان يتشكوا من ان الله سلب منهم شيئًا كان واجبًا لهم او عاقبهم لاثم لم يفعلوه فذلك اشبه بصنع مولى وهب لرجل دارًا على ان يحسن خدمته فساء الرجل المسعى فاسترد المولى الدار بحكم الشرط فصارت ذرية الرجل لا تملك الدار التي كانت له مجانًا وخسرها بذنبه فهل يعاب المولى لذلك بشي او يحق للذرية التشكي منه او تكون عوقبت بشي غير ولادتها وهي لا تملك الدار. فكذا حالنا بالنظر الى انتشار الخطية الاصلية اي اننا نولد خالين من البر الاصلي الذي كان الله وهبه لادم فخسره ولم يتركه لنا ميراثًا فنولد دون هذا الميراث الذى لم يكن متوجبًا لنا قبلاً ولا حق لنا ان نطالب بهِ الان الا من سخاء الله وجوده وحيث ان باقي المواهب الفايقة الطبيعة كخضوع النفس للجسد وعدم الميتوتة والعصمة من الاوجاع كانت مرتبطة بالنعمة المبررة ففقدان البر اورث فقدانها وخلو ادم عنها جعل اولاده خالين عنها والحاصل ان ادم كان على حالة تفوق طبعه فلما خالف فقد ما كان له فوق طبعه وعاد هو واولاده كما لو كان خلق في حال طبيعية فهكذا ينبغي ان

نعتبر الخطية الاصلية واذا اعتبرناها كذلك فلا مخالفة للعقل .

والناتج من ذلك ان حال الناس بعد سقوط ادم هي كحالهم اولو خلق الله ادم مزينا بما يقتضيه طبعه فقط ليكون وذريته كذلك والفرق بين حال الناس بعد سقوط ادم وبين حالهم لو خلق ادم دون مواهب مجانية (وهذا يسمى حال الطبيعة المحضة) انما هو كالفرق بين انسان عارٍ من البداية وانسان كان موشحًا بثوب اعطيه مجانًا فعري منه فالعاري والمعرى لايمتاز احدهما عن الاخر بكون احدهما اكثر عريًا من الاخر بل بالنظر الى سابق حالهما لان العاري كان كذلك دائمًا والمعرى كان قبلاً موشحًا بثوب فخلي عنه . وكذا الطبيعة الساقطة والطبيعية المحضة لاتمتاز احدهما عن الاخرى بكون لاحداهما من مقتضيات طبعها اكثر من الاخرى بل تمتازان لان الطبيعة الساقطة خالية عن شي كان فيها مزادًا عليها وكان يلزم ان يستمر فيها فلم يستمر والطبيعية المحضة خالية عن ذلك الشي اذ لم يكن لها منذ البداية ويشبه ذلك ايضًا الفرق بين من ولد اعمى وبين من ولد بصيرًا فعمي وعليه فلو كان الناس في حال الطبيعة المحضة لما حسبت نقائص النفس والجسد ذنبًا ولاعقابًا ولا جرحًا ونسميها في حال الطبيعة الساقطة ذنبًا وعقابًا وجرحًا لا لانها كذلك حقيقةً بل بالنسبة الى الحال الفايقة الطبيعة التي كان عليها الانسان الاول اولاً اي نسمي فقدان البر ذنبًا والموت واستحواذ المصائب وعدم خضوع الارادة للعقل عقابًا لا لانها بذاتها ذنب وعقاب بل بالنسبة الى خطية ادم كذا شرح

كايتانوس وسوتوس وبلرمينوس وغيرهم وكذا يقال اننا نولد ابناء الغضب مبغضين لله لا كاننا نولد كذلك وضعاً بل بمعنى سلبي اي اننا نولد خليين عن النعمة المبررة التي لا يرضى احد الله دونها واذا فهم التعليم الكاثوليكي بهذا المعنى الذي هو صحيح مفهومه فاين المضادة للعقل او لعدل الله وحكمتهِ وجوده واين يكون الحكم على ارادتنا قبل وجودها او دون اختيارها.

وبما تقدم يحل بسهولة ما يرتبك بهِ كثيرون من امر الاطفال الذين يموتون دون معمودية ومن كان في حكمهم كالمجانين دائماً فان الذي يعلمهُ الايمان بشان هولاء هو انهم لا يمكنهم ان يبلغوا الخلاص لتوقفهِ على المعمودية والاشتراك بها باستحقاقات المسيح فلم ينالوا ذلك والخلاص اي السعادة الابدية والنظر الى الله وجهاً ازاء وجهٍ ليس من مقتضيات الطبع ولا حق للاطفال بهِ بل هو امر فايق الطبيعة يمنحهُ الله تفضلاً وسخاء فلا يثلم عدل الله من قبلهم بشي ولا تحق لهم الشكاية من هذه المعاملة وليس من الايمان ان هولآء الاطفال يحتملون او لا يحتملون عذاب الحس وليس من الايمان ايضاً انهم يحتملون عذاب خسارة مشاهدة الله ولا ينبغي خلط العقائد التي من الايمان مع اراء اللاهوتيين والعلماء الكاثوليكيين العديدة والمختلفة بهذا الشان والتي نتبع منها راي مار توما في تمييز ٣٣ بحث ٢ وبحث ٥ حيث يعلم ان الاطفال لهم من السعادة قدر ما يستحق طبعهم ولا يتعذبون عذاب الحس ولا عذاب الخسران فلا الاول لانهم لم يصنعوا بارادتهم ما يوجب عليهم

تعذيب حواسهم ولا الثاني لانهم وان عرفوا بخسارتهم الكبرى فلا يغتمون لذلك لانهم يعلمون انهم لم يخسروا مشاهدة الله باختيارهم وانهُ لم يكن لهم مناص من حالهم وانهم لم يكونوا اهلاً لسعادة تفوق طبعهم او انهم لا يعرفون ان السعادة قائمة بمشاهدة الله فيجهلون نفيهم منها ويجهلون اكتساب العقاب الاضافي بارادة غيرهم فلا يغتمون ولا يحزنون فيكونون اذاً دون عذاب ودون غم وبالتالي في سعادة طبيعية بمقدار ما يحق لمن لم يكن له حق بالمعمودية على سعادة تفوق طبعه يتوصل اليها بنعمة الله المجانية ومطاوعته لها ولا يسمى ما هم عليه عذاباً او خسارة الا بالنسبة الى الحال الفائقة الطبيعة التي كان فيها ادم وخسرها بذنبه له ولاولاده ولاشي في ذلك يخالف عدل الله ولا يخالف العقل بالنظر الى التعليم الكاثوليكي بانتشار الخطية الاصلية.

ولنعد الى ما هو جل مقصدنا اي انتشار الخطية الاصلية فانتشارها في جميع الناس هو الامر الموكد من الايمان واما كيفية هذا الانتشار فقد ذهب فيها الاباء والعلماء مذاهب شتى اظهرها عندنا ما قدمناه ومن جملتها مذهب من قالوا ان هذا الانتشار لا يخالف العقل بل التامل في حال الطبيعة الحاضرة يقتاد العقل الى التسليم بهِ اي يستدلون بالعقل نفسه على وجود هذا الانتشار فقالوا ان الناس اجمع يعلمون انهم خاضعون لامراض ومصائب واوجاع وان المراة تلد بالاوجاع وان كلاً ياكل خبزه بعرق جبينه اما من قبل الفقر واما من قبل اهتمامات الغنى واتعاب المقامات والمناصب فاذا كانت مفاعيل الخطية

نعم الناس اجمع فاين السبيل الى انكارها وقالوا اذا تكلمنا بالاطلاق
لا ننكران الله كان قادرًا ان يخلق ادم في الحال التي يولد فيها الان
اولاده لكن الراي القايل ان الله خلق الانسان اكمل فانحط بذنبهِ الى
هذه الحال هو اطبق وانسب لتصورنا جود الله وصلاحه من الراي
القائل بان هذا فساد في نفس الطبيعة فان كان هذا اكثر مطابقة
للعقل وقد ابانه الوحي فمن يقول ان ذلك يخالف العقل · ثم ان
العقل يعلم انه خلق ليعرف الحق ويحفظ الادب ويربح السعادة ومن
لا يشعر بنفسهِ بما كان يشعر بهِ الرسول اذ قال ارى في اعضاءي سنة
اخرى تخالف سنة ضميري وتسبيني الى سنة الخطية فمن ينقذني من
جسد الموت هذا (رومية ص ٧ عد ٢٣) وما نشعر بهِ بنفسنا نراه في
غيرنا ايضًا فنرى مثلاً الخير محبوبًا ونميل الى صنعه وتحيل بيننا وبينه
صعوبات كبيرة ونرى نفوسنا تحمل الى امور نشمأز منها ونشناها كثيرًا
فينا بعد صنعنا لها فهذا وكثير من امثالهِ يوكد ان قلب الناس مائل
الى الشر منذ صبائهِ (تكوين ص ٨ عد ٢١) ومما يدل على ميل قلب
الناس كثيرًا الى الشر عقاب الله الناس في ايام نوح بالطوفان واسراعهم
بعد ذلك الى عبادة الاوثان وضلال بني اسرائيل في ايام موسى مرات مع
وفرة ما صنعه الله لهم من العجائب وفي عصر المسيحيين نفسهِ بعد ان
نزل كلمة الله نفسهُ الى الارض متجسدًا وعلم الناس كم من الكفرة وكم
من الاراطقة وكم من الاشرار فمن ذلك يظهر ان الميل الى الشر عام
في كل مكان وزمان وحال فلا بد اذًا من فساد طرأ على الطبيعة وهو

الخطية الاصلية.

ان الفلاسفة انفسهم عرفوا ان الانسان يلزمهُ ان يكره نفسهُ على عمل الخير وبهِ ما يبعدهُ عنه ولما ارادوا تبيان علة ذلك قال افلاطون ان النفوس حبست في الاجساد لخطايا فعلتها في جسد اخر وعلم بيتاغوروس بالتناسخ وقال المانويون بالهين. وشكى شيشرون الطبيعة بانها ام للحيوانات وخالة للناس. وفي كل الفلاسفة القدماء يقال ما قاله ماراغوسطينوس (ك ٤ ضد يوليوس راس ١٢) في شيشرون «راى الامر فجهل علته وفاته سبب القاء نير ثقيل على بني ادم لانه لم يطالع الاسفار المقدسة فجهل الخطية الاصلية».

ان الفلاسفة المتجددين الذين تركوا الوحي وحاولوا شرح ميل الانسان الى الشر لم يكونوا اكثر نجاحًا بشرحهِ من الفلاسفة القدماء فرد بعضهم الميل الى الشر الى سو التربية وهذا مردود لان التربية كثيرًا ما تختلف ومع ذلك يشعر الجميع بهذا الميل ونرى الانسان يقاد بالمثل السيي اكثر من المثل الصالح فتبقى الصعوبة على ما كانت. وارجع كنط ذلك الى سوء استعمال الحرية وهو مردود ايضًا فاننا نرى كثيرين تربوا احسن تربية ولم يصنعوا الشر ومع هذا يشعرون بالميل اليه وربما كان هذا الميل في بعضهم اكثر اشتدادًا وتجربتهم اشد قوة. وارجع فيكت ذلك الى محدودية الطبيعة مع رغبتها في الكمال وهو مردود فان الميل الى الشر في الانسان هو المتغلب والرغبة في الكمال تقتضي العكس. وارجع بعضهم ذلك الى اتحاد النفس مع الجسد وهذا مردود بان الجسد عاجز قاصر والنفس مبدأ

الافعال ومصدرها وهي الامرة فكان الاولى تغلب اميال النفس العقلية فكل هذه الاراء وغيرها مردود فلا يبقى للعقل البشري والحالة هذه الا ان يقول. اما ان الله خلق الانسان منذ البدء فاسداً هذا الفساد اما انه خلقه مستقيماً فطرأ عليهِ الفساد بذنبه فالاول ينهانا عن القول بهِ تصورنا حكمة الله وعدله وقول الكتاب ان الله راى كل ما صنعه حسناً (تكوين ص ا عد ٣١) وانهُ خلق كل شي بالحكمة (مزمور ١٠٢ عد ٢٤) ورويتنا باقي الموجودات على هذا الافتراض اكثر نظاماً واتقاناً. فاذا يلزم القول با لثاني وهو ان الانسان خلق مستقيماً فطرأ عليهِ فساد وهو الخطية الاصلية. فهذا ما يقولهُ اصحاب هذا المذهب ولهم في حل صعوبات انتشار الخطية اوجه اخرى اعدل عن ذكرها خشيةَ ان تملوا واكتفي بذكر النتيجة وهي اذاً التعليم بانتشار الخطية الاصلية لا يخالف العقل وهو ثابت بالوحي كما مر فلا ريبة بهِ فلننظر في شي من مباحث مفعولات هذا الانتشار.

قسم ثانٍ

ان المباحث الناشئة عن مفعولات انتشار الخطية الاصلية كثيرة اخصها اولاً زعم اللوتاريين والكلوينيين ان الناس فقدوا الاختيار المعتق اي الحريةِ بواسطة خطية ادم لقولهم ان الحال الاولى التي كان عليها ادم كانت طبيعية وواجبة كما مر وهذا سننظر في تفنيده وقتاً اخر. ثانياً زعم كلوينوس ان الناس اضحوا بالخطية الاصلية جمعاً هالكا

فيعين الله بعضاً منهم للهلاك وبعضاً للخلاص لمجرد مسرته ولذا قال (في ك ١ من رسومه راس ٢١ فصل ٥) « ان البعض اعدت لهم الحيوة الابدية والبعض الهلاك الابدي فقولنا عن واحد انهُ انتخب للحيوة او الموت هو بحسبما يكون ابدع لاحدى الغايتين » وقال ايضاً (في فصل ١١ هناك) « ليس عندنا وجه اخر لرذل البعض الا ارادة الله » وقد غير رايه في محل اخر على عادتهِ وعادة كل المنحرفين عن الحق فنسب علة الرذل كلها الى الخطية الاصلية وعلى هذا المبدا الفاسد يبني ذلك القول الكاذب المشهور ابن الهلاك للهلاك يدعى وابن الخلاص للخلاص يدعى وترى بعض الكفار او الاشرار يبرهنون دون تبصر هكذا ان كان الله اختارني للهلاك فاهلك ولو مهما حاولت ان اخلص وان كان اختارني للخلاص فاخلص ولو مهما فعلت من المآثم ولهذا قد شئت ان الحق خطبتي بكلام موجز افند بهِ هذا الزعم وبرهانه.

قد احسن اولادي احد الاطباء الاتقياء بتفنيد هذا الضلال اذ سمع يوماً رجلاً اثيماً يبرهن هذا البرهان السفسطي لرجل اخر كان يحثه على الاعتراف ثم طرأ على الرجل الاثيم مرض فاستدعى اليهِ ذلك الطبيب ليعالجه فقال الطبيب ما الفايدة لك من علاجي فان كان الله عرف انك تموت الان فتموت ولو مهما بالغت في علاجك وان كان عرف انك لا تموت الان فتشفى دون علاجي فقال المريض كلا بل اسالك ان تعالجني قبل ان يداركني الموت اذ يمكنني بواسطة العلاج ان اشفى وان بقيت بلا معالجة فتعاجلني المنية فقال الطبيب ما الفرق

صديقي بين البرهان الذي ذكرته لك و بين البرهان الذي اقمته من بضع ايام لمن كان يغريك بالاعتراف فان كنت اذاً تهتم بحفظ حيوة جسدك بالدوا فكيف لا يهمك ربح حيوة النفس بالاعتراف وكذا اقتاده الى الاعتراف فاعترف وعالجه ذاك الطبيب نفساً وجسداً

لعمري اولادي قد اصاب هذا الطبيب بما اجاب لانهُ لو صح البرهان المذكور الذي يستند اليهِ بعض الجهلة الاشرار في عمل خلاصهم لوجب ابطال كل عمل في العالم فالتاجر مثلاً كان يمكنهُ ان يبرهن هكذا ان كان الله علم باني اغتني فاصير غنياً ولو لم اتجر بشي وان كان علم باني لا اصير غنياً فابقى فقيراً ولو مهما اتجرت فهل يصلح هذا البرهان وهل يعتمد عليهِ احدكم ومثله كان الفلاح يستطيع أن يبرهن قائلاً ان كان الله علم باني ارزق غلة فارزقها ولو لم افلح ولم ازرع وان كان علم باني لا ارزق فلا ارزق ولو فلحت و بذرت كثيراً وكذا كان الشاب الطالب العلم يمكنهُ ان يبرهن قائلاً قد علم الله باني اكون عالماً او لا اكون فانَ كان علم باني اكون عالماً فاكون كذلك ولو لم ادخل المدرسة ولو لم اعانِ مشقة التعلم وان كان علم باني لا اكون عالماً فلا اكون كذلك ولو افرطت في كدي وكبي على المطالعة فاى جاهل يورد مثل هذه البرهانات او يقبلها او يعمل بها في امر جزءي بالنسبة الى امر الخلاص الكلي فكيف يعتمد عليها اصحاب الفلسفة الكاذبة في امر الخلاص وهو اهم امر في السماء والارض عند الله وعند الناس . او ما يرى كل منا ان الغنى والرزق والعلم مشروط نوالها على السعي في اسبابها لا على مجرد مسرة الله فلماذا يريد كلوينوس ومن يقول بقولهِ

ان يقنعونا بان امر الخلاص معلق على مجرد مسرة الله دون سعينا بحفظ الوصايا وعمل الاعمال الصالحة مع ان الله صرح في كتابهِ العزيز وبنور العقل بخلاف ما يزعمون كل الخلاف ولكي ننقض هذا الزعم على وجه الاستقامة نقول اذا كان الله جعل جميع الناس جمعًا هالكًا لخطية ادم حتى يخلص بعضًا ويهلك بعضًا لا بالنسبة الى ما عملوا من الصالحات او السيئات بل بالنسبة الى مجرد مسرته وعلمه واختياره فيكون ذلك مخالفًا عدلهُ جل وعلا اذ يكون حكم ويحكم في كل يوم على كثيرين بالهلاك الموبد لمجرد مسرته ولاعمال لم يكن في وسعهم ان يجانبوها ويكون اضاع اجر كل من تعبدوا له وقمعوا اجسادهم وعملوا الصالحات عمرهم لانه حتم ان يكونوا من المرذولين وخلص من عملوا الشر وخالفوا سننه لانهُ حتم بان يكونوا من المنتخبين واية حكمة في ذلك تليق به ومن يعود يجهد نفسه في حفظ وصاياه او في تادية حقوق الشريعة التي ما اتى ليحلها بل ليكملها وكيف يتفق مع جودة الله وقداسته ان يعاقب انسانًا من دون التفات الى ذنبه ولامر كان مضطرًا اليه من قبل كونه مرذولًا لعمري قد جعل هولاء الله عز وعلا اكثر قساوة من نيرون والبرابرة الذين كانوا يقتلون الناس لمجرد مسرتهم بقتلهم وهذا واضح لا يحتاج اسهاب البرهان . وما احسن برهان مار اغوسطينوس بهذا الشان (في ك ٣ ضد يوليانوس) اذ قال « ان الله صالح ان الله عادل فيمكنه ان يخلص بعضًا دون استحقاقهم لانه صالح ولا يمكنهُ ان يهلك احدًا دون ان يستحق الهلاك لانه عادل » .

واذا حولنا نظرنا الى الكتاب المقدس فنرى هذه الحقيقة من اساسات الوحي ويفترضها كانه في كل اية منه فان غاية الوحي تعليمنا ما نعتقده وما نعمله لنخلص والقسم الاعتقادي نفسه اس للقسم العملي فاذا كان عمل الانسان لا يوثر بخلاصه او هلاكه بل كان ذلك موقوفاً على مجرد مسرة الله وارادته وعلمه فلا تكون حاجة الى تعاليم نعتقد صحتها لنعمل بها ولا الى وصايا تامرنا بالخير او تنهانا عن الشر وبالتالي لا يكون لزوم البتة للوحي كله ولذا كانت الايات المثبتة مقصدنا لا تحصى فنشير الى بعضها فقط بالتعميم فمنها الايات المثبتة ان الله يريد خلاص الناس اجمع كقول الرسول « ان الله يريد ان جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون » وقوله » اسالك ان تبتدي بتقريب صلوات وتضرعات عن جميع الناس. . . الى الله الذي يريد ان جميع الناس يخلصون » وقوله » يسوع المسيح الذي بذل نفسه فداءً عن جميع الناس » فاذا كان الله يريد خلاص الجميع وبذل نفسه فداءً عن جميع الناس فكيف يصدق القول انه يهلك بعضهم لمجرد مسرته دون نظر الى اعمالهم . ومن هذه الايات ما علق الله به الخلاص والهلاك على ارادة الانسان كقوله « ان شئت ان تدخل الحيوة فاحفظ الوصايا » وقوله « ان هلاكك منك يا اسرائيل ففيَّ فقط معونتك » هوشع ص ١٣ عد ٩ . وقوله « كم من مرة اردت ان اجمع بنيكِ كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا » وقوله « انتم دائماً تقاومون ارادة الروح القدس » وهلمَّ جرًّا . ومنها الايات التي يستدعي الله بها الناس الى التوبة والخلاص

كقوله « تعالوا اليَّ يا جميع التعبين وانا اريحكم . هذه ارادة الله اي تقديسكم لا يريد ان يهلك احد بل ان يرجع كل انسان بالتوبة (بطرس ص ٢ عد ٩) ان الله لم يصنع الموت ولا يسر بهلاك الاحياء (حكمة ص ١ عد ١٢) انك تحب كل موجود ولا تبغض شيئًا مما صنعت (هناك ص ١ ٢ عد ٢٥) حي هو انا يقول الرب لا اريد موت المنافق بل ان يرجع المنافق عن طريقه ويحيى (حزقيال ص ٣٣ عد ١١) وهلمَّ جرا ا فما هذه الايات نص صريح في تفنيد زعم كلوينوس ومن قال بهذا الضلال .

فيقولون لا شك ان الله علم منذ الازل اي الناس يخلص واي الناس يهلك ولا يمكن علم الله ان يغلط فلا يمكن اذاً ان يخلص من علم الله انهُ يهلك ولا يمكن ان يهلك من علم انهُ يخلص و بالتالي من اختاره للهلاك يهلك ولو مهما جد في عمل الخير ومن اختاره للخلاص يخلص ولو مهما ارتكب من المآثم

فنقول انه يوجد فرق كبير بين علم الله بخلاص بعض الناس وهلاك بعضهم و بين اختياره بعضهم للخلاص وبعضهم للهلاك فالعلم بالشي شي والاختيار او الانتخاب او التعيين للشي شي اخر فمن علم الله انهم يهلكون لا يكون هو اختارهم للهلاك بل يكون راهم بسابق علمه هالكين واي نعم ان علم الله لا يغلط ولا يغش لكنه لا يضطر الانسان الى عمل ما يعلمه فيبقى علم الله صادقًا وحرية الانسان سالمة كاملة فهو تعالى يعلم منذ الازل كل ما كان مستقبلاً في العالم وحركات كل انسان وافكاره ومسيره ومصيره لانه لا تخفى عليه خافية وهو فاحص

القلوب والكلى ولا يقدر الانسان دون اسعافه ان يصنع شيئًا من الافعال الطبيعية والفائقة الطبيعة لكن علمه هذا لا يضر بحرية الانسان البتة ولا يوجب عليه اضطرارًا لانه يرى الانسان في نفس فعله فاعلاً بطواعيته مثلاً علم الله الاكيد بسقوط ادم لم يضطر ادم الى هذه السقطة اكثر من تذكرنا الان لها وتوكيدنا اياها فهل ترون ان تاكيدكم الان سقوط ادم اوجب على ادم هذا السقوط او اضطره اليه فتجيبون كلا فكذا علم الله بسقوطه قبل مخالفته لم يضطره الى السقوط ومثل ذلك علمه باثم كل من الناس

وازيد ذلك شرحًا وتاييدًا بقولي ان تقدم شي على اخر يقسم الى تقدم الرتبة وتقدم الزمان فنور الشمس مثلاً مقدم عند الناظر زمانًا على الشمس مع ان الشمس مقدمة عليهِ رتبةً فاننا نحس بالنور اولاً وبواسطة النور نرى الشمس مع ان الشمس مصدر النور فهي قبله رتبة وكذا علم الله بما نعمل من الصلاح او الطلاح مقدم زمانًا على عملنا لانه كان قبل ان نعمل لكن عملنا مقدم رتبةً على علم الله لان عملنا علة بهذا المعنى لعلم الله لا علم الله علة لعملنا والعلة مقدمة على المعلول بنوع ان الله يعلم اننا نخلص او نهلك لاننا نخلص او نهلك حقيقةً ولا نخلص او نهلك لان الله علم ذلك . اعني بحسب مبدا مار ايرونيموس ان الامر لا يحدث لان الله علمه بل الله علمه لانهُ يحدث . ثم ان الله ازلي وما يعلمه الله منذ الازل يبقى عالمًا لهُ في كل دقيقة اذ لا فرق عنده بين الماضي والمستقبل بل كل شي حاضر لديه فعلاً فسقوط ادم مثلاً كان

الله يعرفه منذ الازل وفي وقته والان والى الابد بحالة واحدة واذ علمت ما مر فاقول ان سقوط ادم لم يحدث لان الله علمه بل الله علمه لانهُ كان مستقبلاً وعلم الله له منذ الازل وعند ابداع ادم وعند سقوطه كان كعلمه بهِ الان بل كل هذا العلم فعل واحد وكما ان علمه بهِ الان لا يضطر ادم الى السقوط هكذا علمه بهِ قبل وقوعه لم يضطره الى السقوط البتة بل هو كعلمنا الان ان ادم سقط لان الله كان يرى ادم ساقطاً بحريته وفي نفس سقوطه وكانهُ اتم سقوطه. فهل نظرك الى انسانٍ ماشٍ يضطره الى المشي او نظرك الى ولد ساقط من سطح يضطره الى السقوط كلا فكذا قل في نظر الله الى ادم ساقطاً فان علم الله بهِ كان موكداً لان الله راه بنفس فعله وحرية ادم لبثت سالمة كاملة اذ لم يكن يشعر باقل اضطرار من قبل الله بل كان يرى نفسه كما هي الحقيقة فاعلاً بتمام رضاه ولو لم يكن ادم ليخطي لراه الله لا يخطي فالعلم تابع للفعل لا الفعل للعلم ولو تقدم علم الله زماناً على الفعل فالفعل متقدم رتبة وهو علة للعلم لا العلم علة لهُ ومثل ذلك قل في امر خلاصك او هلاكك فلا يكون علم الله بذلك الا تابعاً لما يراك فاعلاً لهُ بمطابق ارادتك واي طريق سلكت من طريقي الخلاص او الهلاك يكون الله علم بسلوكك بهِ دون اضطرارلك من قبله اكثر ممن يراك سالكاً او يعلم بسلوكك بعد صنعك لهُ فاذاً ان كنت تهلك فتهلك لاثمك لا لعلم الله ولا لاختياره لك للهلاك وان كنت تخلص فتخلص بنعمة الله التي ينبغي ان تطلبها وتطاوعها ولنا شهادة لا يقدر احد من المخالفين لهذا التعليم ان يردها او يرتاب بصحتها وهي شهادة ضميره فهو يرى نفسه عند فعله ما ينسب الى خلاصه او هلاكه

فاعلاً بحرية ولا يرى شيئاً من الاضطرار لهُ من قبل علم الله او انتخابه بل يحكم بنفسه انهُ قادران يصنع والا يصنع وان يصنع هذا الفعل او ذاك وحكم ضميره هذا واضح بين لا ينكر فاذاً كيف يحق لهُ ان يقول ان علم الله او انتخابه يضطره للهلاك او يسوقه اليهِ خلافاً لما يرى في ضميره

فيعترض كلوينوس ومن وافقه في هذا الضلال من الكتاب بتلك الايات الواردة برهاناً على ان دعوة الله لبعض الناس الى النعمة مجانية بكليتها ولا تتعلق باستحقاقات سابقة كقوله احببت يعقوب وابغضت عيسو قبل ان يحبل بهما ... وليس الامر الان بيد من يريد ولا بيد من يسعى بل بيد الله الرحيم ... وهو يرحم من شآء ويقسو من شآء ... اوليس الفاخوري مسلطاً على طينه ليصنع منهُ انية للكرامة وانية للهوان . (رومية ص ٩) مع ان غرض الرسول في رسالة الرومانيين كلها ان يبين ان الدعوة الى النعمة مجانية لا تتعلق بالاستحقاقات السابقة والا لما كانت النعمة نعمة كما يقول الرسول ولا يتكلم في هذه الايات عن الانتخاب للخلاص او الهلاك اللذين يتعلقان على عمل الانسان الحسنات او السيئات بل يتكلم على رذل اليهود من نعمة الدعوة والايمان ثم على دعوة الامم الى الايمان فانه لما كان الجميع خطاة فالله من حيث هو حر في توزيع مواهبه تراف على الامم ودعاهم برحمته ورذل اليهود او اكثرهم عدلاً لقساوة قلوبهم كما قدم يعقوب على عيسو بالبركة الزمنية وكما ترك فرعون على قساوته وشفق على بختنصر ولكن كل هذه الايات وما اشبهها الكلام فيها على نعمة الله المجانية ومن البين الذي لا سبيل الى انكاره ان الله حر بتوزيع مواهبه فيمكنه ان يمن بها على

بعض تفضلاً وان يترك البعض في اثمهم عدلاً وتاديباً لهم وتهويلاً لغيرهم لكن هذا كله لايمس ولا يخالف قطعاً مقصدنا الذي هو ان الله لايهلك احداً لمجرد مسرته دون نظر الى اثمه ولا ننكر نحن البتة ان الله يمنح احياناً بعض الناس مواهب دون بعض وان الامر بيده في توزيع مواهبه وانهُ يرحم من يشآء بنعمته ويقسو على من يشاء من الاثمة بمسكها وانه حر بتوزيعها فيمنحها من شآء جاعلاً اياه بها انآء للكرامة ويمسكها عدلاً على غيره من الاثمة ليكونوا اناء للهوان بل نقول مع ذلك ان كل من يخلص يخلص بنعمة الله ومطاوعته لها وكل من يهلك يهلك لاثمه عدلاً لالمجرد مسرة الله الذي يرغب في خلاص الجميع وهذا ما نثبته الايات التي اوردناها ولاتخالفه النصوص المعترض بها

النتيجة الادبية اولاً هي ان خطية ادم الواحدة التي كانت مادتها اكل تفاحة خلافاً لامر الله كانت لها هذه المفعولات الكبيرة حتى اسقطت ادم وذريته من حاله السامية الى حالتنا الحاضرة التعيسة

فلاحظوا كل من في جهنم من الهالكين من ايام ادم الى اليوم ومن الان الى الابد فكل ذلك اصل سببه هذه الخطية الواحدة لاحظوا كم في العالم قبلاً والان من الكفار وعبدة الاوثان والاراطقة والمشاقين والاشرار فكل هذا ايضاً من مفعولات تلك الخطية تاملوا كم حدث ويحدث في العالم من الحروب والخصومات والمصائب والنوازل والامراض والاوجاع والاتعاب ومشقات المعيشة فكل ذلك لولا تلك الخطية لم يكن تاملوا كيف نزل ابن الله من السمآء الى الارض متجسداً وكم احتمل من الالام

والاوجاع والصلب والموت والاهانات وكم قاسي الشهداآء من العذابات
والتنكيل والقتل وكم جرى على الكنيسة من الاضطهادات فكل ذلك
جرثومته هذه الخطية وتاملوا من الجهة الاخرى ان خطية ادم وان كانت
كبيرة الا انها سواء اعتبرناها كبرياآء اي رغبة ادم وحوا بان يكونا كالالهة
يميزان الخير والشر كما وسوست الحية لحوا ام اعتبرناها تفضيلاً لوسوسة الحية
على وصية الله او اعتبرناها مخالفة مجردة لوصية من الله ذات غاية كبرى
وكيف ما اعتبرناها غير ذلك فلم تكن اكبر من بعض خطايانا التي نقدم
بها على مخالفة وصايا كبيرة بنفسها وعلى الرغبة الباطنة في نقض تلك الوصايا
في تفضيل مرضاتنا على طاعتنا اوامر الله وليت كلاً من الخطاة يرتكب
ذا الشر الفظيع مرة واحدة في عمره او في سنته ولكن كم وكم من الدفعات
، كل شهر وربما في كل اسبوع او في كل يوم فواحسرتاه اذا كانت خطية
نم الواحدة التي ليست اكبر من كبائرنا افسدت الطبيعة كلها واصدرت
كل المفعولات المشار اليها فما تكون حالك ايها الخاطي وكيف لا ترتعد
كيف لا ترهب عقاب الله وكيف ترتكب الفظائع ولا تبالي وباية جسارة
ستمر على خطاياك وكيف تستطيع ان تلبث دقيقة في حالتك الهائلة ولا
ادر حالاً الى الندامة على خطاياك والعزم الثابت على الارعواآء عن
املك فمن الان من الان قبل ان تخرج من هذه الكنيسة نج نفسك من الهلاك
عرضة له مطهراً اياها بالتوبة وان كانت هذه الاعتبارات التي نعم
وجيزة لكنها فعالة لا تحملك على الخوف من حالة نفسك الحاضرة
لى اصلاحها بالندامة الثابتة فيخشى عليك من ان يكون تماسى ضميرك

واهملك الله باثمك ليظهر عدله بهلاكك الابدي فاضرع اليه ليمنحك نعمة الندامة والتوبة الحقيقية هذه الدفعة الاخيرة وجاوب نعمته بالاعتراف النقي وانا اساله جل شانه ان يمنحك وجميع الخاطئين النعم الفعالة المبلغة الى السعادة الخالدة وان يمنح الابرار نعمة الثبات الى النفس الاخير · اه

عظة

القاها في عيد بشارة العذراء في ٢٥ اذار سنة ١٨٧٢

* في تجسد كلمة الله *

ليس عند الله امر عسير لوقا ص ١ عد ٣٨

ما احسن واحكم وارشق هذا الجواب الذي اجاب بهِ جبرائيل رئيس الملائكة في مثل هذا اليوم سيدتنا مريم العذراءَ اذ ترددت اتضاعًا وتهيبًا في تجسد مخلصنا في حشائها الطاهر قائلة كيف يكون هذا وانا لا اعرف رجلًا فاجابها الملك ليس عند الله امر عسير وبهذا الجواب المحكم الرشيق اطمأن قلب العذراء فاذعنت قائلة هئنذا امة الرب فليكن لي كقولك وبهِ رشق الملك فاصمى اصحاب الفلسفة الكاذبة الذين يتفلسفون على اسرار الله مدعين ان يقيسوها بخسيف عقولهم ومن جملتها سر التجسد الذي في معرضهِ قيل هذا القول الالهي ليكون لنا بمنزلة ترس ندفع بهِ طعن مماحكات من يقولون كيف يمكن الله ان ينزل الى الارض ويتجسد في حشاءَ امراة وكيف يتفق

اتحاد الطبع الالهي بالبشري وكيف يقوم الانسان بغير اقنومه فنجيبهم
ليس عند الله امر عسير ولما كنت في خطبي في هذا الصوم التزمت
اقامة البرهان على اخص العقائد الدينية وكانت الكنيسة تفرض علينا
في هذا النهار التعييد لبشارة سيدتنا مريم العذرآء بتجسد ابن الله في
حشائها وكان سر التجسد اخص عقائد ايماننا وجب ان يكون كلامي
هذا المساء في هذا السر الفريد العجيب على ان للكلام في سر التجسد فروعًا
كثيرة اعتقادية ايضًا فلا يسع الوقت الكلام في كل منها فكلامي الاتي
اذًا مقصور على امكان التجسد ومناسبته وضرورته وغايته اي هل كان
ممكنًا ان الهًا يتجسد وهل يليق ذلك بهِ وما هي غايته واسبابهُ وهل
كان هذا التجسد لازمًا او لا والمقصد من ذلك اثبات تجسد ابن الله
خلافًا لمن كفر بنكرانهِ وبيان عظمة محبة الله لنا بتجسد كلمة الله من
اجلنا وسمو قدر سيدتنا مريم العذراء اذ تجسد منها ابن الله وصارت
امًا له فاصغوا الخ

قسم اول

ان الكلام في تجسد ابن الله احد اقانيم الثالوث. الاقدس كان يستلزم
النظر الى قوة البرهان كلامًا قبله في الثالوث لكن ضيق الوقت وتوجيه
كلامي الى مومنين حقيقيين كما انتم يعفياني من هذا الالزام الاَّ كلمة
نوها استطرادًا في اثبات سر الثالوث الاقدس . ان الايمان بالثالوث
عقيدة كتابية فائقة العقل لكنها لا تخالفه والنصوص عليها في الكتاب

المقدس عديدة فاكتفي بذكر قليل منها فقد قال الله في سفر التكوين (ص ١ عد ٢٦) « فلنصنع انسانًا على صورتنا ومثالنا » وقال ايضًا (في ص ٣ عد ٢٢) « هوذا ادم قد صار كواحد منا » فمن خاطب الله بقوله نصنع وعلى صورتنا لو لم يكن الاقنوم واحد في اللاهوت وكيف يقول ان ادم صار كواحد منا اذا لم يكن الأقنوم واحد واكثر صراحة من ذلك ايات العهد الجديد ومنها قول المخلص لتلاميذه اذ ارسلهم للتبشير عند صعوده « اذهبوا اذًا وعلموا كل الامم وعمدوهم بسم الاب والابن والروح القدس » وعلى حد هذه الاية صراحةً قول مار يوحنا (في رسالته الاولى ص ١ عد ٧) « الشهود في السماء ثلثة الاب والكلمة والروح القدس وهولآء الثلثة شي واحد » فهذه الايات نص صريح واخصامنا لا ينكرون كون العقيدة مصرحة في الوحي لاسيما العهد الجديد ويقاومونها من جهة المخالفة للعقل مع ان كونها تفوق العقل لا يبيحهم ان يزعموا انها تخالفه لانهُ اذا كان العقل لا يدركها فكيف يدرك انها تخالفه او تطابقه فللحكم على شي انهُ يخالف اخر او يطابقهُ يقتضي ادراك ذلك الشي فاذا لم يكن الفهم يتوصل اليهِ فلا يصدق الحكم كما هو واضح فاخصامنا ونحن نجهل كيف تقوم الطبيعة بالاقنوم ولا ندرك خواص الاقانيم الالهية الذاتية فلا يمكننا ان نحكم ان قيام الطبيعة باقانيم كثيرة مستحيل ولا ان اتحاد ثلثة اقانيم بالذات والطبيعة يخالف العقل وكل ما لنا من وسائل حكم كذا انما هو القياس على الطبيعة والاقانيم البشرية ولا يصلح هذا القياس لان الطبيعة والاقانيم الالهية من جنس اخر لا يصدق عليها ما

يصدق على الطبيعة والاقانيم البشرية فلا سبيل لنا اذاً الى بث مثل هذا الحكم بل انه من حيث ان باري الطبيعة والمدرك ذاته وحده قد اوحى صراحةً انهُ اله واحد بثلثة اقانيم فيلزمنا الاذعان لوحيهِ واعتقاد صحته ولو وجدنا الامر يفوق عقلنا الا اذا جسرنا ان ندعي انهُ لا يعلم بنفسهِ اكثر ما نعلم بها وهذا جنون وتذكروا ما كررت ذكره قبلاً في اسرار الانسان واسرار الطبيعة اي ان اخصامنا يعتقدون كثيراً من هذه الاسرار مع انهم لايدركون كنهها وسببها

ولنات الى الكلام في مقصدنا الان فنقول ان تجسد الاقنوم الثاني من الثالوث من جملة الاسرار وهو لايخالف العقل ايضاً لامن جهة البرهان العام المشار اليهِ انفاً فقط وهوان ما يكون فوق العقل لايمكن الحكم عليه لذلك بانهُ يخالف العقل وان ما يوحيه الله لايمكن ان يكون كاذباً او مخالفاً العقل لان الله هوالحق ولا يوحي ما يخالفهُ وسواء خاطبنا بالعقل او بالوحي فهو صادق ولايمكن ان يناقض نفسهُ بنفسهِ بل من جهة البرهانات الخصوصية الاتية ايضاً

ان اتحاد النفس البشرية مع الجسد لقيام الفرد البشري يبين لنا مثالاً للتجسد وان عن بعد فالنفس يخالف طبعها الجسد ومع ذلك تتحد بهِ فيقوم انسان واحد مولف منهما فلماذا لايمكن اتحاد الاقنوم الثاني من الثالوث بالجسد فيقوم المسيح الذي هو اله وانسان . كذا برهن مار اغوسطينوس وهوذا كيف بسط هذا البرهان بوصويت الخطيب الافرنسي الشهير « ان نفسنا طبعها روحي وغير اهل للفساد وهي متحدة

بجسد محل للفساد ومن اتحاد كليهما يصدر كل هو الانسان روح وجسد معاً اهل للفساد وغير اهل له ناطق وغير ناطق فهذه الصفات تحمل على الكل بالنظر الى كلٍ من جزئيهِ وكذا كلمة الله الذي يدبر الكل اتحد بنوع مخصوص او الاحرى صار باتحاد كامل يسوع المسيح ابن مريم فهذا ما يجعلهُ الهاً وانساناً معاً مولوداً منذ الازل ومولوداً في الزمان حياً ابداً في حضن الاب وميتاً على الصليب لخلاصنا ولكن متى كان الكلام على الله فلا يمكن التشبيه الا ان يكون ناقصاً فان نفسنا لم تكن قبل جسدنا وتنقص شيئاً اذا كانت منفصلة عنهُ اما الكلمة فهو كامل بنفسهِ منذ الازل ولم يتحد بطبعنا الا ليشرفهُ وهذه النفس التي تتولى الجسد وتصدر بهِ تغيرات مختلفة فهي تتاثر وتقاسي منه ايضاً . . واما في يسوع المسيح فالكلمة يدبر الكل ويتولى الكل ويضبط الكل بيده »

ان كان في التجسد مخالفة للعقل فلا بد ان تكون اما من جهة الاقنوم المتجسد واما من جهة الطبيعة التي اتخذها واما من جهة الاتحاد بنفسه ولا مخالفة من احدى الجهات الثلث . فلا خلاف في ذلك من جهة الاقنوم المتجسد لانه اذا كان الاقنوم الالهي القادر على كل شي يتحد بجسد ويدبره ويقنمه فاي محال في ذلك فهذا الاتحاد لا يعدمه سعادته ولا يحط من عظمته ولا يجعله محدوداً ولا يوجب فيهِ تغيراً خاصة لان معتقدنا ان الطبيعتين في المسيح لم تختلطا ولم تمتزجا بل حفظت كل منهما خواصها ولم تفقد الطبيعة الالهية عظمتها ولا سعادتها بل بقيتا كاملتين لها مع باقي الخواص والمحدودية من خواص الطبيعة البشرية فبقيت لها ولم تنقص

لذلك عدم محدودية الطبع الالهي والتغير طرأ على الطبع البشري لا على الطبع الالهي كما اذا تغير الثوب فيطرأ التغير على الثوب لا على الاعضاء نعم ان الجسد للمسيح اكثر من الثوب للابس ولكن في ذلك شي من المشابهة فافترضوا ان الله خلق قطعة ارض حديثًا فاضاتها الشمس فلا تتغير الشمس ولا تزيد كمالاً بل مركز التغير القطعة الحديثة. قال مار اغوسطينوس بهذا المعنى « اذا ملك الانسان الحكمة فلا تتغير الحكمة بل الانسان الذي صار حكيمًا بعد ان كان احمق » وكذا اذا كان ابن الله من غير اتحاد مع الجسد ثم اتحد بهِ فلا يكون طرا شي من التغير على طبعه الالهي بل حصلت الرفعة والتغير في الجسد والله اعلم من اخصامنا ان كان التجسد يليق بهِ ويناسب عظمتهُ اولا وما هو جهل عند الله هو احكم من بني الناس وما احسن ما اجاب العلامة ترتوليانوس مركيون الاراتيكي (ك ٢ راس ٢٧) اذ قال بهذا المعنى « ترى هذه غير لائقة بالله ونراها نحن لازمة ولائقة بهِ فلا شي اليق بهِ من خلاص الانسان » وماذا يهين الشمس اشراقها على محالٍ قذرة هذا وان ما يحسبه الاخصام انحطاطاً واقع على الطبع البشري لا على الطبع الالهي فاذاً لا مخالفة للعقل من جهة الاقنوم المتجسد.

ولا خلاف للعقل في التجسد من جهة الطبيعة الماخوذة لانها لم تستحل الهية ولم تقبل كمالات الهية لا تحتملها بل استمرت كاملة بخواصها حافظة كمالاتها والاقنوم الالهي يدبرها ويزيدها كمالاً وشرفًا وخلوها من اقنوم بشري لا يضر بها بشي اذ ناب عن الاقنوم البشري من هو اعظم منه اي

الاقنوم الالهي والنفس البشرية بعد انفصالها من الجسد لا يبقى فيها الاقنوم البشري بل الطبع الروحي ومع ذلك تبقى نفساً بشرية حقيقة فكذا الكلمة بعد الاتحاد الاقنومي وان ناب فيهِ الاقنوم الالهي عن البشري فلهُ طبع بشرى كامل يساعد على قيام الكل الذي هو المسيح فاذاً لا اخلاف من جهة الطبيعة الماخوذة ايضاً.

ولا مخالفة للعقل في التجسد من جهة الاتحاد بنفسه لانهُ لا يعسر على الله ان يتحد مع خليقة قال مار توما (في مقالة ٢ على ص ٢ من رسالة كولوسايس) « ان الله يكون في الاشياء على ثلثة انواع احدها عام بقوته وحضوره وذاته (وهو وجوده في كل مكان) والثاني بنعمته في قديسيه والثالث وهو فريد في المسيح بواسطة الاتحاد » الاقنومي . واذا كنا لا ندرك النوعين الاولين فاي عجب من عدم فهمنا النوع الاخير الفريد وهو نوع الاتحاد الاقنومي وعدم فهمنا كنهه لا يوجب تكذيبنا الوحي المصرح بهِ كما مرّ. ولو قيل ان الاقنوم الالهي يزاد كمالاً بهذا الاتحاد لساغت الدعوى بمخالفته للعقل ولكننا نقول انهُ يزيد ما اتحد بهِ كمالاً فلا مخالفة. ثم لا اقتضاء للمناسبة في الوجود بين المتحدين والا لما امكن اتحاد النفس مع الجسد لانهما جوهران يبعد احدهما عن الاخر كثيراً ولا امكن العقل ان يعلم شيئاً مما يختص بالله لان بين الله والانسان بعداً غير متناهٍ فاذاً التجسد لا يخالف العقل من جهة الاتحاد بنفسهِ وقد مرّ انهُ لا يخالفه من جهة الاقنوم الالهي ولا من جهة الطبيعة البشرية فاذاً لا خلاف البتة واذاً التجسد كان ممكناً .

ان التجسد لم يكن ممكنًا فقط بل كان لائقًا بالله جدًا ومناسبًا للكلمة المتجسد بالخصوص ونافعًا للديانة والوحي والكنيسة والنوع البشري كله.

كان لائقًا بالله. قال مار توما (قسم ٣ بحث اجزاء) « ان اللائق بكل واحد او المناسب لهُ هو ما خصه بحسب طبعه فالنطق يناسب الانسان لانهُ من خواصهِ من حيث هو عاقل وناطق طبعًا والحال ان الخير من ذات الله وعليه فكل ما يخص نوع الخير يكون لائقًا بالله ومناسبًا لهُ ويخص جوهر الخير ان يشترك بهِ غيرُ صاحبهِ وعليه فيخص جوهر الخير السامي ان يشترك بهِ مع خليقتهِ بنوعٍ سامٍ ويتم هذا باعظم نوع اذا اتحد بالطبيعة المخلوقة ليكون اقنومٌ واحد من ثلثة الكلمة والنفس والجسد ... ومن ذلك يظهر انهُ كان يليق بالله كثيرًا ان يتجسد » . ان الله يعطي في حال الطبيعة مواهب لكنها طبيعية ويمنح في حال النعمة خيرات فائقة الطبيعة لكنها مخلوقة ويهب ذاتهُ في حالة المجد لكن بالوجود الفهمي واما في الاتحاد الاقنومي فدفع نفسهُ بحسب وجوده الخاص والطبيعي والاقنومي حتى يصح القول ان الله هو انسان وهذا الانسان هو الله ففي النوع الاول جعل الله الانسان خليقة ناطقة وفي الثاني جعلهُ قديسًا وفي الثالث طوباويًا واما في الاتحاد الاقنومي فجعل الطبيعة البشرية متالهة وكيف لا يليق ذلك بالله وهو الخير ومصدر كل خير.

ان التجسد يظهر كمالات الله ويزيد مجده باعظم نوع ويظهر على الخصوص قدرتهُ على كل شي وجوده ورحمتهُ وعدلهُ وحكمتهُ وما كان كذلك كان لائقًا بالله جدًا فاذًا التجسد كان لائقًا بالله جدًا وهوذا

التفصيل . ان التجسد اظهر قدرة الله على كل شي لانهُ بهِ صنع العجائب الباهرة بولادتهِ وحياتهِ وتردده بين الناس وموتهِ وصعوده كاقامة الموتى وتفتيح العميان واشفاء المرضى الى غير ذلك من العجائب ولذا قالت العذراء صنع بي القوى العظايم . وقال مار باسيليوس (في كتابهِ في الروح القدس راس ٨) ان التجسد اعظم من خلق السماء والارض . وكذا قال كثير من الاباء القديسين . وقد اظهر التجسد جود الله ورحمتهُ لانهُ اي جود او اية رحمة اعظم من ان الهًا ينزل من السماء الى الارض ويتقمص الطبيعة البشرية ليصالح الناس مع الله ابيهِ ومع نفسهِ وينقض العداوة والسياج المتوسط ويمزق صك ذنوبنا ويصير لعنة لاجلنا لينجينا من اللعنة ويحمل خطايانا بجسده على الصليب وياخذ امراضنا ويحمل اوجاعنا او اية شفقة اعظم من شفقة الله الاب الذي دفع ابنهُ الوحيد من اجل العالم لينقينا ويطهرنا بدمهِ . وقد اظهر التجسد عدل الله اذ ظهر ان الله يطلب وفاء عادلاً وان قوى الناس ولو اجتمعت لاتكفي لذلك فلهذا اظهر الله الاب عدلهُ في ابنه الوحيد كما قال الرسول . ان الفداء صار بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالايمان بدمه لاظهار عدله (رومية ص ٣ عد ٢٥) وقال ايضًا . انهُ لم يشفق على ابنه بل بذله عن جميعنا . والابن اظهر هذا العدل اذ واضع نفسه اخذًا صورة العبد وطاع حتى الموت موتًا بالصليب ليفي عدل الله بذبيحته هذه الدموية . فقد عاقب الله الملائكة الذين عصوا وعاقب الابوين الاولين ومن استحق العقاب من نسلهما واظهر بذلك عدله لكن هذه العقوبات وما يكون

منها ابديًا ايضًا من حيث ان لها بداية واصابت خليقة محضة فلم تكن غير متناهية ولذلك لاتوازي بشي الوفآء الغير المتناهي الذي طلبه عدله بموت ابنه ولذلك كان تجسد ابنه وموته اعظم شي يظهر عدله الغير المتناهي . ان التجسد يظهر حكمة الله ايضًا . انه ليعسر جدًا على العقل ان يدرك كيف تجتمع الرحمة الغير المتناهية والعدل الغير المتناهي في الله فالرحمة تستلزم الاشفاق والرافة وترك العقاب والعدل يستلزم العقاب والعذاب فاظهر الله الرحمة الغير المتناهية بارسال ابنه رحمة للعالمين وتخليصًا لهم واظهر العدل الغير المتناهي بطلبه وفآء غير متناهٍ من نفس ابنه الحبيب وتحميله كفارة خطايا العالم . الرحمة والحق تلاقيا والعدل والسلامة تلاثما . (مزمور ٨٤ عد ١١) قال احد الاباء القديسين فاحكم « ان المسيح ولد وتالم لئلا يترك الله الخطية غير معاقبة لانهُ عادل ولئلا يترك الانسان غير مشفي لانهُ رحوم » فاذًا التجسد كان موافقًا لاظهار صفات الله المذكورة وبالتالي لائقًا بالله ومناسبًا لهُ جدًا .

انه كان موافقًا وملائمًا أن يتجسد الاقنوم الثاني من الثالوث دون غيره لاوجه اولها انه لما كان الله خلق بالابن كل شي كقول مار يوحنا في فاتحة انجيله كلٌ به كان وبغيره لم يكن شي مما كان فكان مناسبًا ان يصلح الانسان اشرف مخلوقات الارض بالابن « فلاق بمن من اجله الكل وبه الكل ... ان يكمل خلاصهم بالالام » (عبرانية ص ٢ عد ١٠) ثانيها كان ملائمًا ان يتجسد الابن لئلا ياخذ اقنوم اخر

اسم الابن بتجسده وولادته وليكون المسيح ابن الله وابن الانسان ثالثها
وافق التجسد الابن لان المسيح قوة الله وحكمته كما قال الرسول
(قورنتيه ١ ص ١ عد ٢٤) والانسان اخطأ طامعاً بالعلم واذ لم يعلم
نعمة كان بها اقيس بالبهائم التي لاعقل لها وشبه بها (مزمور ٤٨ عد ١٣)
فوافق ان حكمة الاب ترده الى حكمتهِ ليداوي الضد بضدهِ ويبرأ
بكلمة الله من ابتلى بكلمة الشيطان. رابعها ان الانسان خلق على صورة
الله وشوشها بالخطية والابن صورة الله الاب فوافق ان يصلح صورة
الله في الناس من هو صورة الله الذي لايرى (كولوسايس ص ١ عد ١٥)
ثم ان الانسان ادعى بالخطية ان يتشبه بالله كما قالت الحية لحوا فتشبه
صورة الله بالانسان ليمحو بتواضعهِ عجرفة الانسان. وقد اجتمع في
اصلاح ذنب الانسان الاقانيم الثلاثة اي ان الاب عاقبه والابن
طهره والروح القدس غفره.

ان التجسد كان نافعاً للديانة والوحي والكنيسة والنوع البشري
كلهِ. فمن مقتضيات الديانة تحويل قوى الانسان لعبادة الله في
كل شي والخطية اضعفت قوى الانسان فعادت المحسوسات توثر بهِ اكثر
من غيرها كما نرى في نفوسنا كل يوم وكما نشاهد في عبادة الاوثان
فالتجسد جعل الله الغير المنظور منظوراً بالجسد والغير المحسوس محسوساً
ومن لا يرى ما اعظم النفع والخير للديانة والعبادة من ذلك. ثم ان
الوحي ابتدأ في ايام الاباء وانتشر في عصر موسى وكملهُ فم الالهِ
المتجسد نفسهِ كما قال المخلص ما جئت لاحل الناموس او الانبياء

ما جئت لاحل بل لاكمل وبهذا المعنى قال الرسول « بانواع كثيرة واشباه شتى كلم الله اباءنا في الانبياء منذ القديم وفي هذه الايام الاخيرة كلمنا بابنهِ الذي جعلهُ وارثًا لكل شي (عبرانية ص ١ عد ١) ومن يجهل ما من ذلك من القوة والايد والنفع للوحي . والكنيسة جماعة تقر بايمان واحد وتشترك باسرار واحدة مقيدة بتدبير الروساء الشرعيين غايتها تمجيد الله وخلاص النفوس فهي منظورة وغايتها روحية مولفة من الناس ومدبرة بعناية الله تباشر وسايط وسلطة خارجة وتحيي بالنعمة الباطنة ففيها منظور وغير منظور وروحي وجسدي وبشري والهي فما اعظم النفع لها من وجود اله هو انسان ايضًا وانسان هو اله .

قد قدرت ان اقول على سماعكم شيأ من مناسبة سر التجسد لله ولاقنوم الابن خاصة ومن نفعه للديانة والكنيسة والوحى فهل يمكني ان اصف بشي بحر منافعه وفوائده للنوع البشري بعمومه فبالتجسد قام الناس من سقطتهم المريعة . به نجوا من عبودية الشيطان والهلاك الابدي وردوا الى بنوة الله والحق على الملك السموى وفتح لهم باب السماء الذي كان مغلقًا الخ . على ان الفداء لم يغير الرسم الالهي بل اصلح الانسان حتى يقدر باستحقاقات الفادي ان يدرك غايته الاولى اذا حفظ وصايا الله واوامره وسار برضاته وعمل الفضائل وهذا ايضًا يساعد عليه التجسد مساعدة فعالة فالايمان اول اس الدين واول الوصايا كم ساعد ويساعد عليه التجسد فمن يمكنه وهو على سلامة عقله ان يرتاب بحقيقة التعليم الذي اتى بهِ الكلمة المتجسد من السماء وعلمه للناس بفمه الاقدس ومن ينكر

ما اخبره الابن الوحيد الذي هو في حضن الاب (يوحنا ص ١ عد ١٨) ولذا قال الرسول في المومنين « انهم بنوا على اساس الرسل والانبيآء وكان راس البناء يسوع المسيح » (افسس ص ٢ عد ٢٠) قال مار اغوسطينوس (في كتابه في مدينة الله ك ١١ راس ٢) « قد وضع واسس الايمان الله الحق ابن الله باخذه الانسان وعدم تركه الله ليسعى الانسان الحق آمنا اذ يكون طريق الانسان الى الله بانسان هو الله » والرجاء هذا المرسي الامين والوطيد للنفوس (عبرانية ص ٦ عد ١٩) والذي به خلصنا (رومية ص ٨ عد ٢٤) كم وطده فينا التجسد اذ راينا ابن الله نزل من السمآء فصار بشرًا مثلنا وكابد اشد الالام واقساها ليخلصنا نحن البشر وكم تقوينا به وكيف لا يمنحنا كل الشجاعة والدالة قوله بلسان رسوله « ان كان الله لم يشفق على ابنه الوحيد بل دفعه عن جميعنا فكيف لا يمنحنا معه كل شي (رومية ص ٨ عد ٣٢) والمحبة كمال الشريعة كما يسميها الرسول (رومية ص ١٣ عد ١٠) ونطاق الكمال (كولوسايس ص ٣ عد ١٤) كيف لا يحملنا التجسد عليها لاننا كيف لا نحب الله ونراه واضع نفسه اخذًا صورة العبد ودفع نفسه فدآء عن خطايانا واي حب اعظم من هذا ان يبذل الانسان نفسه عن احبائه واذا كان قلب الانسان يستميله الاحسان فاي احسان اعظم مما صنعهُ ابن الله بتجسده وموته عنا وكيف لا نحب الله وقد احبنا اولاً (يوحنا ١ ص ٤ عد ١٩) وكيف لا نحمل على ان يحب بعضنا بعضاً وقد صرنا نحن الكثيرون بالتجسد جسدًا واحدًا للمسيح وكل منا عضوًا للاخر (رومية ص ١١

عد ٥) ان التجسد يبعدنا عن كل الرزائل اذا تاملنا واتبعنا الصواب من وجه ايجابه علينا محبة الله وعدم مخالفة وصاياه ومن وجه اظهاره سمو مقام الانسان حتى لا يتنازل الى اقذار الاثام قال القديس لاون الكبير (في خطبته في الميلاد) « اعرف ايها المسيحي مقامك واذ صرت شريكاً للطبع الالهي فلا تعد الى دناءتك القديمة » فقد ثبت اذاً ان التجسد لم يكن مخالفاً للعقل وانهُ كان موافقاً لله وملائماً للابن ونافعاً واي نفع للديانة والوحي والكنيسة والنوع البشري كلهِ فهات الان نرى ما كانت غاية التجسد وسببهُ لنعلم بعد ذلك هل كان لازماً او لا.

قسم ثانٍ

لاشك ان الله صنع كل شي لاجل ذاته (امثال ص ١٦ عد ٤) فجل غاية التجسد مجد الله ولذا رتل الملائكة عند مولدهِ قائلين المجد لله في العلى (لوقا ص ٢ عد ١٤) وقال المخلص ان طعامي ان اعمل ارادة من ارسلني (يوحنا ص ٨ عد ٤٦) فهذه هي الغاية الكلية والقصوى الموجه اليها كل ما في الكون ايضاً وكان لله في التجسد غاية اخرى قريبة هي فداء النوع البشري فان الفساد الذي عري الطبع البشري بالخطية الاصلية اغلق باب السما وكثر شر الناس واتبع اكثرهم عبادة الاوثان فحتم الله رافة ان يرسل ابنهُ مخلصاً للعالم ومصلحاً حاله واوحى بمجي هذا المخلص الى الابا والانبيا فكان الشعب اليهودي الذي كان لهُ خاصة الوعد ينتظر هذا الفادي الى ان ارسل الله في مثل هذا النهار زعيم

ملائكته يبشر العذرا بتجسد ابن الله في حشائها والكلمة صار جسدًا وحل فينا متعمدًا لفدا الناس وخلاصهم فهذه كانت الغاية القريبة للتجسد الظاهرة من ايات من الكتاب لاتحصى منها قوله « واتي ابن الانسان يطلب ما كان هالكا » (لوقا ص ١٩ عد ١٠) وقوله « واتى المسيح الى هذا العالم ليخلص الخطاة » (تيموتاوس ١ ص ١ عد ١٥) والآبا مجمعون على ذلك . ثم ان هذا التعليم متحد مع التعليم بانتشار الخطية الاصلية حتى ان من انكروا انتشارها انكروا التجسد غالبًا .

واما هل كانت لله غايات اخرى غير الغاية القصوى التي هي مجده والغاية القريبة التي هي فدا الناس ففي ذلك خلاف بين اللاهوتيين فالجميع يسلمون بان سبب التجسد فدا الناس ولكن هل هذا هو السبب الوحيد حتى انهُ لو لم يخطى ادم لما تجسد المسيح فقال بعضهم ان لله في التجسد غايات اخرى بنوع انهُ ولو لم يخطي ادم لتجسد المسيح وايد هذا الراي البرتوس الكبير وسكوتوس وغيرهما وخالفهُ مار توما ومن اتبعهُ وغيرهم قائلين لولا خطية ادم لما تجسد المسيح وللطرفين برهانات فقال السكوتيون (اذ نسب هذا الراي لسكوتوس خاصة) ان عمل التجسد سام مسدٍ اعظم مجد وقد حتم بهِ الله قبل ان يخطي ادم حتى لو لم يخطي لاتى المسيح بجسد غير مائت واذا اخطأ اتى المسيح بجسد مائت. ومما قالوا ان عبادة الله الغير المتناهي يلزم ان تكون غير متناهية ولم يكن احد كفوًا لذلك الا ابن الله المتجسد. ثم ان الله الغير المنظور كان يلزم ان يغري الناس بعبادته وظهورهُ بينهم يزيدهم عبادة لهُ فلهذا لو لم يخطي ادم لظهر المسيح ايضًا لهذه

الغاية . اما مار توما ومن وافقه فقالوا ان ما هو فوق طبعنا لا يظهر لنا الا من الوحي والحال ان الظاهر من الوحي ان علة مجي المسيح اصلاح حال الانسان وافتداؤه من اسر الشيطان ونجاته من الهلاك المسبب بالخطية حتى انهُ لولم توجد الخطية لما صار الكلمة جسدًا واما اذا تكلمنا عن قدرة الله بالاطلاق فكان يمكن الكلمة ان يتجسد ولولم تكن الخطية وقد رد اتباع مار توما ما يعترض بهِ السكوتيون ولما كان هذا المبحث اهليًا لا يتعلق بجوهر المعتقد وليس من الايمان ويباح كل ان يويد اي القولين احب فلا اقتضاء لاسهاب الكلام فيهِ .

فلنرَ الان هل كان التجسد لازمًا او ضروريًا ان اللازم او الضروري يقسم الى لازم بالاطلاق ولازم بافتراض ما فالنور مثلاً لازم بالاطلاق للبصير الذي يريد ان يقرأ واما الالة المعروفة بالعوينات فغير لازمة له الا بافتراض قصر بصره او ضعفه . فالتجسد لم يكن لازمًا بالاطلاق لان الله كان يمكنه ان يصنعه والا يصنعه ولم يكن لازمًا من جهة الله لانهُ تعالى الموجود السامي الذي لا يحتاج شيًا ولا يخضع لاحد ولا يلتزم بشي الا لنفسه ولم يكن التجسد لازمًا بافتراض خلق العالم لان مجموع الاشياء منظور وهو من مرتبة الطبيعة والتجسد امر يفوق الطبيعة فلم يكن التجسد لازمًا بهذا الافتراض ولو قلنا انهُ لازم لاتى علينا القول ان العالم قبل التجسد كان خاليًا من امر لازم مدة اربعة الاف سنة . ولا ننكر ان التجسد احسن زينة للعالم ولكن لم يكن شي يضطر الله الى تجميل العالم بهذه الزينة كل ما شآ الرب صنع (مزمور ١٤٩ عد ٣) فمرجع ذلك

الى مشيئته .

ثم ان التجسد لم يكن لازمًا بالافتراض ايضًا بعد سقطة النوع البشري لانهُ لا الزام على الله بفدآ الناس خاصة لان حالة الابوين الاولين لم تكن من مقتضيات طبعهما كما برهنا قبلاً واذا كان الانسان انحط باختياره فاي الزام على الله باصلاحه واذا بقي الناس ابدًا على شرهم فاي نقص في سعادة الله السعيد ذاتًا اليس الفاخوري مسلطاً على طينه ان يصنع منه اناءً للكرامة واناءً للهوان . والملائكة اشرف من البشر وقد سقطوا فلم يشفق الله عليهم (بطرس ٢ ص ٢ عد ٤) فكان يمكنهُ ترك الناس مثلهم دون فدآء نعم ان بين الملائكة والناس بهذا المعني فرقًا بان الملائكة ارواح فقط والناس مولفون من نفس وجسد والملائكة لم يكن لهم طاغٍ والابوان الاولان طغاهما ابليس والملائكة سقط ثلثهم والناس سقطوا جميعًا الاان هذا يبرهن ان فدآء الناس كان انسب من فدآء الملائكة ولكنهُ لايبرهن ان فدآء الناس كان لازمًا ومحتمًا على الله جل جلاله .

ان التجسد لم يكن لازمًا ايضًا بافتراض ان الله اراد اصلاح الانسان الساقط وذلك لان الله كان يمكنه مغفرة الخطية مجاناً وكان لهُ ان يرضى بكفارة من الناس وهو المهان بالخطية فهو المخير با لترضية والكفارة عنها وقدرته لاتقدر وما هو غير مستطاع عند الناس هو مستطاع عند الله (متي ص ١٩ عد ٢٦)وليس عند الله امر عسير فا لتجسد اذًا كان لازمًا لزومًا افتراضيًا فقط من جهة الانسان الساقط اي من حيث ان الله

لم يرد ترك الخطية دون الوفآء العدلي ولاتوجد خليقة تكفي لوفآء الله وفآء عدلاً فعلى هذا الافتراض كان التجسد لازماً لاصلاح الانسان بعد سقوطه فللمهان ان يعين ترضية يطلبها والكتاب يبين لنا ان الله اراد ترضية عادلة اذ قال « هكذا يلزم ان يرتفع ابن الانسان لكي لايهلك من يومن بهِ (يوحنا ص ٣ عد ١٤) »اليس انهُ كان لازماً ان يحتمل المسيح هذه (لوقاص ٢٤ عد ٢٧) فمن هذا الوجه فقط كان التجسد لازماً على هذا الافتراض .

ان تجسد ابن الله لم يكن شي في العالم يستحقه وقد قسم اللاهوتيون الاستحقاق الى استحقاق العدل واستحقاق اللياقة فالاول ما صدر عن فعل صالح يستحق الثواب استحقاقاً لايمكن انكاره دون ظلم والثاني ماصدر عن فعل صالح يستحق الاجر والثواب لياقة والاول يقتضي حالة النعمة من جهة الفاعل والوعد من جهة المجازي واما الثاني فيقتضي حال النعمة فقط فلا ناسوت المسيح ولا صلاح الابآء القدماء ولاانتظار الامم لاسيما اليهود مجي الفادي ولا فضائل مريم استحقت استحقاق العدل او استحقاق اللياقة تجسد ابن الله والامه فناسوت المسيح الامر فيه ظاهر لانهُ ابتدا والتجسد في وقت واحد فلم يكن التجسد من استحقاقه ولا من استحقاق صلاح الابآء القدمآء لان كل استحقاق بشرى ياخذ قوته من المسيح ولا استحقاق في حال الطبيعة الساقطة الامن الكلمة المتجسد فالتجسد مقدم رتبة على كل استحقاق ثم مهما تعاظمت فضائل الناس فجل ما تستحق اذا تكلمنا بالاطلاق الرضى عنهم والثواب من خالقهم على قدر عظمة عملهم

ولاتستحق البنة تجسد الله وانحداره اليهم ليموت عنهم وحبًا بهم واما انتظار الامم مجي الفادي فلم يكن الا موسسًا على وعد الله المجاني بارسال الخلاص فكان الوعد سابقًا الانتظار فلم يكن الانتظار بنفسه يستحق التجسد وحكمه حكم باقي الفضائل . واما فضائل مريم العذرآء فنعم انها اهبتها وفضلتها على غيرها بان تكون امًا لله وجعلتها مستحقة استحقاق اللياقة هذا المقام الا ان ذلك كان موسسًا على افتراض ارادة الله المطلقة المجانية بالتجسد فلولا هذا الافتراض السابق لما استحقت فضائل العذرآء وان كانت سامية تجسد ابن الله بل لو قدم اهل هذا العالم اجمع من ادم الى يوم البعث حياتهم كلها بصنوف التقشفات والعذابات لله لما استحقوا تجسد ابن الله للبعد الغير المتناهي بين الخلائق المتناهية والله الغير المتناهي وهذا واضح .

فاذًا التجسد كان فعل محبة غير متناهية وفعل رافة لا مثيل لها إصدرها حب الله للناس حتى ان نفس ارادة الله باظهار عدله في التجسد كان آيلًا لخير الناس ونفعهم الابدي فان ذلك يريهم شدة قباحة الخطية وعظمة بغضة الله لها حتى اراد تعذيب ابنهِ الوحيد وموتهُ لاستئصالها فيرهبون شرها الجسيم .

فيا لمحبة الله الغير المتناهية ويا لعظمة رافتهِ بنا اذ كنا بالنسبة اليهِ اقل من نملة با لنسبة الى اعظم الملوك ومع هذا قد حملتهُ محبته ورافته ان لا يكتفي بخلقنا وحفظنا وعنايته بنا في كل ساعة وتسخيره لخدمتنا كل ما في السمآء والارض وهبته لنا مواهبه ونعمه وخيراته ولم يرد ان يرسل الينا رسولًا او ملكًا يتجسد فينجينا ويسعدنا بل اراد الاب ان يرسل ابنهُ

الوحيد الذي هو ذو ذات واحدة وطبع واحد معهُ الينا لينقذنا من
الهلاك ويحتمل الموت حبًا بنا واراد الابن المساوي للاب جوهرًا ان
يواضع نفسهُ او يخلو عن نفسه او يلاشي نفسه كما قرات اللاتينية عبارة
مار بولس ويتنازل تنازلاً غير متناهٍ بمقدار البعد الغير المتناهي بين الله
والناس ويتجسد من ابنة فقيرة وياخذ صورة العبد ليكون بين عبيده
ومعهم معتقًا لهم من الاسر ومهتمًا بحاجاتهم ومنعمًا لهم بمواهب وعطايا لا تقدر
ولو اكتفى بمجرد التجسد لكان ذلك منة لا توازيها منة ونعمة لا تساويها
نعمة ولكن لم يرتضِ ولا ابوه بالتجسد فقط بل ان الاب لم يشفق على ابنهِ
الحبيب بعد تجسده ايضًا بل دفعهُ للالام والموت حبًا بنا والابن عاش
بيننا نحو ثلث وثلثين سنة بحالة المسكنة والفقر والتعب اخذًا امراضنا
وحاملاً اوجاعنا وقضي السنين الاخيرة من حياته منذرًا معلمًا مبشرًا مشفيًا
امراضنا مفتحًا عميانا مقيمًا موتانا مخرجًا الشياطين من المعترين منا وانهي
حياته على صليب في بحر من الالام والاوجاع والاهانات ولم يكن مضطرًا
او ملتزمًا بشي من ذلك كما رايت الا بافتراض ارادته المطلقة فهل من
حب اعظم من هذا وهو ان يبذل الانسان نفسهُ عن احبائه نعم ان حب
المخلص لنا ما زال أعظم من وجهين كبيرين جدًا الاول كونهُ ليس
انسانًا فقط بل انسان هو الله فبذل اله نفسهُ عن احبائه يفوق بذل
انسان نفسه كذلك فوقًا غير متناهٍ كما يفوق الاله الانسان والثاني
كون المسيح لم يبذل نفسه عن احبائه بل عن اعدائهِ بالخطية فبين من
يبذل نفسهُ عن صديقهِ وبين من يبذلها عن عدوه فرق بمقدار الفرق

بين الصداقة والعداوة ونحن اذ كنا اعداء لله بالخطية مات المسيح عنا كما يوكد الرسول فاذاً محبة المخلص لنا ببذلهِ نفسه مع كونه الماَ عنا اذ كنا اعداءه هي اعظم كثيرًا من الحب الذي قال عنهُ دل من حب اعظم من هذا وهوان يبذل الانسان نفسهُ عن احبائهِ وهو يريد ان يعني بهذا القول ان حبهُ لنا اعظم كثيرًا من اعظم حب يمكن الناس ان يتصوروه فمن يدرك اذًا عظمة محبة الله لنا بالتجسد والفداء ومن لا ينذهل مما يدركه منها .

ان الله احبنا اولاً لكي نحبه فلنبحث في نفوسنا عما كافينا ونكافي الله بهِ عن محبته الغير المتناهية واسمحوا لي ان اقول وانا في هذا الموقف ما يلزمني هذا الموقف نفسه ان اقوله بالاخلاص والحق دون مراعاة ولا محاباة ولا كتمان لحقيقة الحال. اني ارى ان اكثرنا وليتنا لا نكون جميعنا ليس اننا لا نحب الله المحبة المتوجبة علينا فقط بل نكافي الاحسان بالاساءة ايضاً ولا نغمط النعمة غير شاكرين عليها فقط بل نحتقرها ونهينها ايضًا وكثيرا ما نفضل على محبة الله لنا بتجسدهِ وموته محبة اقل شي من ملاذنا ومنافعنا فليتذكر الخطاة شهوانيين كانوا او طماعين او سكيرين او مجدفين او ثلابين اوغير ذلك اثامهم ويعلموا كيف كافوا الله عن محبته لهم وما الذي فضلوه عليهِ وعلى حبه لهم وبما استبدلوا نعمته ويروا ما اسوأ تصرفهم وما اقبح نكرانهم الاحسان ويخجلوا من حماقتهم وفظاظتهم وغباوتهم ويعلموا من طعنوا ويرهبوا من ترهبه الملائكة والسماء والارض ويرتعدوا ممن شدة انتقامه تساوي عظمة محبته ويخافوا ممن ليس من صفاته الرحمة والرافة

فقط بل العدل والانصاف ايضاً. نعم اولادي ان كثيرين منا يبررون نفوسهم او يعتذرون لها قائلين مثلاً اني والحمد لله اتلو بعض صلوات في كل صباحٍ ومساء واسمع بعض الايام القداس وخاصة ايام الاحاد والاعياد واعترف بعض مرات في السنة واني خاصة وصية الفصح وهلم جرا فاقول ان كان ذلك صحيحاً فحميد ومفيد وان كان اقل من القليل بالنسبة الى محبة الله لكل منا بتجسدهِ وموته عنا واظن وليتني غير صادق ان هذه الاعمال الصالحة يعتريها في كثيرين فساد داخل او خارج فمن الفساد الداخل تلاوتك تلك الصلوات وانت مشتت الافكار لاتعلم ما تقول وما تطلب وسماعك القداس بمثل هذا التشتت او على سبيل العادة او حياءً من الناس واعترافك دون ندامة حقيقية وقصد ثابت اذ تعود لخطاياك باقرب وقت كما كنت قبل الاعتراف ومن الفساد الخارج ارتكابك اثام اخرى ووجودك في حال الخطية فلايحسب لك الله اعمالك للثواب ولا يتقبلها وهي بارزة عن قلب فاسد وشفاه دنسة وجسد ملتطخ بالاثام وبالتالي لايحسب ذلك محبة ومكافاة لهُ عن تجسده وموته كل هذا في من يمكنه ان يتفاخر ذلك التفاخر وتصدق عليهِ ولو ظاهراً تلك التبريرات لنفسهِ فكيف امر من لايصنع شيا من ذلك ولا يمكنه ان يدعي بهِ ويحكم على نفسهِ باثام مميتة عديدة فما اشد انكاره لاحسان الله وما اقبح تصرفه وما ارهب عقابه بعد ان احبهُ الله كل هذه المحبة.

قد اكثر الاباء القديسون من المواعظ والتحريضات لنا على محبة الله وحفظ وصاياه لانهُ تجسد وخلصنا واقوالهم هذه اكثر كثيراً من ان تُنقل

فاحببت ان اورد فقرتين فقط من اقوال القديس لاون الكبير الاولى
من خطبته الاولى في ميلاد الرب راس ٢ وهي « ان الله الذي راف بنا
اذ كنا امواتًا بالخطية اعادلنا الحيوة بيسوع المسيح لنكون به خليقة جديدة
وعملاً جديدًا ليديه فلنخلع عنا اذًا الانسان العتيق وتصرفاته ونشترك
بولاد المسيح معتزلين عن اعمال الجسد اعرف ايها المسيحي مقامك واذ
صرت شريكًا للطبع الالهي فلا تعد الى دنائتك القديمة بعمل لا يليق
برتبتك تذكر من راسك وعضو جسد من انت. تبصر ابدًا بانك خطفت
من قوة الظلام ووضعت في بلاد النور الالهي واصبحت بالمعمودية هيكلاً
للروح القدس فحذار ِ من ان تبعد من قلبك باميال الاثم ضيفًا مقدسًا
جدًا وان تضع نفسك في عبودية ابليس ان ثمن فدائك هو دم المسيح
الذي سوف يحاكمك بعدله بعد ان افتداك برحمته » والفقرة الثانية من
خطبته الثانية راس ٤ وهي « ان الله الصالح والذي هو على كل شي قدير
والذي من طبعه عمل الخير والذي تقدر ارادته على كل شي وكل اعماله
منشأها الرحمة قد اعد منذ بدء العالم ومنذ افسدنا الشيطان بسم حسده
وعين العلاج الذي جعله لاصلاح الطبع البشري بقوله للحية ان ابن المراة
يسحق راسها مريدًا بذلك يسوع المسيح الذي تقمص جسدنا وصار انسانا
مثلنا وولد من عذراء فانتصر بمولده الطاهر على عدو النوع البشري .
فبالمسيح مزق صك المعاهدة التي عهدها الانسان المنخدع مع المجرب ووفي
الفادي الدين كله وحق لهُ طلب الزيادة والمحّال القوي ربط بقيوده
نفسها وارتدت حيلة خبثه على راسه وكل ما سلبه منا رد علينا والطبيعة

البشرية استرجعت مقامها القديم بعد تنقيتها من ادناسها وغلبت الموت بالموت واصلح المولد بمولد جديد لان الفدآء اعتقنا من الاسر والايمان برر الخطاة فلنتعظ بهذه الاقوال.

قد بقي لي ان اقول شيا بالمجاز مجانبة للملكم في الشرف الذي حازته سيدتنا مريم العذرآء والمرتبة السامية التي رقت اليها بتجسد ابن الله مخلصنا في حشائها الطاهر لعمركم اولادي ان الرفعة التي حازتها هذه البتول المقدسة لم يحزها ولم يعد ممكنًا ان يحوزها غيرها من الخلائق بل ان الله مع قدرته على كل شي لم يكن قادرًا ان يرفع خليقة اكثر مما رفع العذرآء ولم يعد يقدر ان يرفع خليقة اخرى الى مقامها وذلك واضح ببرهان بين فليت شعري اولادي لو اراد الله ان يرفع خليقة فهل يمكنهُ ان يرفعها الى اعلى مقام من انهُ يجعل نفسه ابنا مطيعا لها خاضعا لتدبيرها جاعلا اياها اما حقيقية له فهذا هو المقام الذي وضع ابن الله مريم العذراء امه فيهِ فلو اتخذها خادمة او مدبرة او اختا او عروسة لكان ذلك شرفا لا يعادله شرف لكن كانت الامومة اشرف منه واما بعد ان اتخذها امًا فاى مقام اسمى من ذلك فمع قدرته على كل شي لم يعد ما يرفعها اليه وهو اعلى من هذا المقام. وبهذا المعنى قال القديس توما اللاهوتي (ان البتول الطوباوية لم تكن اهلاً لان ترتقي الى مرتبة اعظم من التي رقاها الله اليها وهو صيرورتها امًا لله لانه من حيث هي والدة الله فهي ذات مقام غير متناهٍ بنوع ما وفائزة بهِ من الخير المحض الغير المتناهي الذي هو الله ولذلك لم تعد موضوعا قابلا الحصول على شي اعظم من هذا) وقال القديس

بوناونتورا (ان الله لقادر ان يخلق عالما اكبر من عالمنا هذا وسماء اكثر
اتساعا من السماء التي فوقنا ولكنه لا يقدر ان يرفع خليقة بسيطة الى رتبةٍ
اعظم من ان يجعلها اماً له) وقال القديس برنردينوس (ان المقام الذي
رقي الله مريم البتول اليهِ بجعلها اماً لهُ قد كان المقام الاعظم والرتبة الفضلى
حتى لم يكن قادراً ان يرفعها اكثر من ذلك (واما برهان القسم الاخر وهو
ان الله لم يعد قادراً ان يرفع خليقة اخرى الى مقامها فهذا اسهل من الاول
اذا اراد الله ان يرفع خليقة اخرى الى مقام مريم فيلزم ان ينحدر الى الارض
ويتجسد ثانية والحال ان الله حتم ان يتجسد الكلمة مرة واحدة والله لا يغير
حتمه ومن دون تجسده ثانية لا يمكن الرفعة الى هذا المقام فاذاً الله لم يعد
قادراً ان يرفع خليقة اخرى الى مقام مريم العذراء ولهذا قال البرتوس
الكبير (ان كون العذراء والدة الله هو المرتبة العظمى بعد مرتبة الالوهية
وبالتالي ان مريم البتول لا تقدر ان تتحد بالله اكثر مما حازته بان تكون
والدة الله الا ان ترتقي الى مرتبة الالوهية) فما ارفع مقامك ايتها العذرا السعيدة
سلطانة السما والارض واشرف المخلوقات فيها ما عدا ناسوت ابنك
الماخوذ من حشائك والمتحد بالنفس الناطقة والمقنم بلاهوتهِ فيلزمنا
اولادي لا ان نسر ونفرح فقط بهذه المرتبة السامية التي حازتها امنا مريم
العذرا بتجسد الكلمة في حشائها وبالشرف الافضل الذي كسبته لنفسها
ولنوعنا البشري كله بل ان نتخذها محامية وشفيعة لنا عند ابنها الوحيد
لتستمد لنا من سخائهِ ما نحتاجه من النعم قائلين نحوها ما كان يقوله القديس
برنردوس (انه لا ينقصك يا ام الله وامنا الرأوفة لا الاقتدار على ان تعيننا

ولا الارادة في ان تسعفينا) فاظهري نحونا اذًا اقتدارك وشفقتك بان تستمدي لنا من الله نعمة المحبة الكاملة له من كل قلوبنا مكافاة لحبه الغير المتناهي لنا مع باقي النعم المبلغة لنا الى الفردوس السموي حيث نتنعم بمشاهدة الله ومشاهدتك ونعلم حينئذٍ حق العلم عظمة محبة ابنك لنا بتجسده من اجل خلاصنا واقتدار شفاعتك امين .

عظة

القاها في الاحد السادس من الصوم في ٣٠ اذار سنة ١٨٧٣
في الكنيسة

وإذا لم يسمع للكنيسة فليكن عندك كوثني وعشار متى ص ١٨ عد ١٦

بعد ان تكلمنا في عيد بشارة العذراء السابق على سر التجسد ونحن متعمدون لتبيان اخص عقائد ايماننا المقدس ساغ لنا ان نتكلم الان في الكنيسة التي انشاها الاله المتجسد . ان الكلام في الكنيسة طويل كثير الفروع فليس في قصدنا الان ان نستوفيه بجملته وفروعه بل في قصدنا ان نبحث هل الاقنوم الثاني الذي نزل من السماء وتجسد لينقذ النوع البشري من عبودية الشيطان وينهج للناس طريق الخلاص اراد ان تكون له جماعة اي كنيسة اولا . وهل ترك كلاً من افراد هذه الكنيسة وهواه او اراد ان يكون لهم روساء ومرشدون . واي نوع من الرياسة اراد ان يكون في كنيسته . وهل اولى روساءها سلطانا ليفسروا كتابه ويسنوا

فرائض لتابعيه ويادبوا من زل منهم اولم يشاان يوليهم اياه . وهل شاء ان يبقى هولاء الروساء ما بقيت الكنيسة او شاء اقامتهم الى زمانٍ فقط. فهذه المسائل واجوبتها و برهاناتها مادة كلامنا في هذا المسا مذيلاً بالحث على حفظ وصايا الكنيسة فاصغوا على حميد عادتكم واستمدوا نعمة التنوير لي ولكم .

قسم اول

اني على عادتي اتخذ برهانات كلامي من ينبوعي الوحي المقدس والعقل فانهما المرشدان الامينان اللذان وهبهما الله لنا واراد استناد العقل الى الوحي لا الوحي الى العقل لان الوحي كلامه المنزه عن الغلط والعقل عقلنا الضعيف الذي يغلط احياناً ولكن اذا استخدمناه كما ينبغي في ما يقدر ان يخدمنا بهِ كان لنا خير مرشد فلنستخدمه الان في البحث عن المسائل التي جزمنا على البحث عنها لتظهر مطابقته للوحي في ما نقوله في اجوبتها وتكون البرهانات اكثر قوة لاستنادها الى ارشاد المرشدين الامينين اللذين اراد الله ان نستنير بارشادهما

ان اولى هذه المسائل وهي . هل اراد المسيح ان تكون له كنيسة اولا امرها واضح جلي فان المراد بكلمة الكنيسة في هذه المسالة جماعة المومنين ولا مرآ بان المسيح اراد ان تكون لهُ جماعة تعتقد تعليمه وتطيع اوامره بل اراد و يريد ان كل العالم يومن بهِ لانهُ اتى ليخلص العالم ويضم الناس اليه بعد ابتعادهم عنه بالخطية ومخالفتهم لهُ وليس المسيح وحده بل كل

من جاء معلماً ومبشراً ومنذراً يريد بنفس اتخاذه هذه الوظيفة ان تنضم الى تعليمه جماعة تعتقده صحيحاً وتعمل بهِ . بل ان هذا يضطر اليه طبع الامر نفسهُ . لان من علم تعليماً تمسك به غيره الف المتمسكون بهِ جماعة وهذا مما لا يتوقف فيه ولا يحتاج برهاناً ولم اذكره الا بمنزلة مقدمة لما يليه وليكون ركناً للاسناد اليه

وقد اثبت الاله المتجسد بوحيه انه اراد ان تكون لهُ جماعة معبراً عنها تارة بقطيع كقوله « ولي خراف اخرى ليست من هذا القطيع فيلزم ان ادعوها فتسمع صوتي وتكون الرعية واحدة لراعٍ واحد » (يوحنا ص ١٠ عد ١٦) وتارة بملك وملكوت كما في امثلة كثيرة قايلاً يشبه ملكوت السما اي الكنيسة . وطوراً بحقل زرع بهِ الزوان مع الحنطة (متى ص ١٣ عد ٢٤) وطوراً اخر بشبكة القيت في البحر فجمعت من كل جنس وحيناً شبه نفسه برب بيت دعا الناس الى كرمه (متى ص ٢٠ عد ١) وحيناً اخر بملك دعا الناس الى عرس ابنه ليمتلي بيته (متى ص ٢٢ عد ٢) ومن بعده شبه مار بولس جماعته اي الكنيسة بجسد وجعل كلاً من المومنين عضواً للاخر (رومية ص ١٢ عد ٤) وسماها في محل اخر بيت الله اي بيعة الله عمود الحق وثباته (تيموتاوس ص ٣) وسماها مار بطرس رعية الله (رسالته ١ ص ٥ عد ٢) الى غير ذلك من الايات الصريحة والتشابيه التي لا حاجة الى ذكرها لوضوح الامر بنفسهِ وضوح النهار بشمسه

فلنتبصر الان في المسالة الثانية وهي هل ترك المسيح كلاً من جماعته وهواه او اراد ان يكون لهم روساء ومرشدون ونستفت العقل بها اولاً .

نشدتكم الله اولادي ان يرفع كل منكم نفسه حتى ينزلها منزلة المسيح على ما بنا جميعًا من ضعف العقل وسخافتهِ وعلى ما في ابن الله من الحكمة الغير المتناهية ويسائل ذاتهِ قائلاً لو كنت محل المسيح هل كنت اترك من اتبعوني يعتقد كل منهم بعد سبي ما يعن لهُ ويتاول كلامي على هواه ويخاصم غيره ولا يكون قاضٍ يفصل النزاع بينهما ويضل نفسه وغيره ولا يكون من يهدي الصواب ويردع المضل اوكنت اقيم لهم روساء يعنون بمحافظتهم على تعليمي ويفسرون لهم ما يشكل عليهم منهُ ويمنعونهم من تحريفه وتعويجه ويفصلون الخصام بينهم بمنزلة قضاة ويردعون من ضل منهم . فلا شك عندي ولا عندكم ولا عند منصف غير معمى بغرض ان نفس كل واحد تجيبه بان الحق والصواب والواجب انما هو الثاني فان كان عقلنا القاصر يرى صراحة ان جماعة كجماعة المسيح يلزم ضرورة لقيامها ودوامها تولية روساء ومرشدين وقضاة ومسلطين فكيف يرى عاقل ان المسيح حكمة الاب المكنونة فيه كل ذخائر الحكمة والعلم كما يقول الرسول اغفل عن هذا الامر وترك جماعة اقتناها بدمه دون رئيس ولا قاضٍ وكيف تقوم دون ذلك وكيف تدوم . وهل يخطر على بال ذي عقل سليم ان المسيح الواحد اراد ان يجعل كل واحد من جماعته كنيسة وكل كنيسة تخالف الاخرى اوما يرى كل احد انه قد اراد بلا بد ان يولف من جميع المومنين كنيسة واحدة تعتقد ايمانًا واحدًا في كل حين وحالٍ لانه واحد وغايته في الكنيسة واحدة والحق الذي يعلمه واحد لا يتجزأ

فيقول البروتسطنت ان الكتاب يوحدهم الكتاب تعليم المسيح بين ايديهم هو القاضي والمرشد والمسلط فمن تمسك بهِ تمسك بالحق ومن خالفه خالف الحق . فاقول اننا لم نقرأ في الكتاب ان المسيح كتب ماعلمه اوامر احد انصاره صراحة ان يكتبهُ بل بشر وامرهم ان يبشروا ومن ولاهم ذلك اسي جعلهم روسا راوا الكتابة لازمة فكتبوا بالهامه واول انجيل كتب وهو انجيل متى كتب في السنة الرابعة بعد صعوده الى السماء واخر انجيل وهو انجيل يوحنا كتب في السنة السادسة والستين بعد صعوده كما يعترف الابروتسطنت ايضًا فاذًا المسيح ترك من بداية الامر من يحافظ على تعليمه الصحيح قبل كتابة الاناجيل المشتملة على اخص تعاليمه . ولا اكتفي بهذا الجواب مع انه كافٍ بل افترض ان المسيح بنفسه كتب وامران يكتبوا فكيف يمكن هذا الكلام المكتوب هذا الحرف الميت ان يمسك جميع الناس على وحدة الاعتقاد اذا كان يطلق لكل احد ان يفهمه كما يريد ويفسره كما يعن لهُ ولا حق لاحد ان يعترضه وكيف يقضي الكتاب وكيف يتسلط خاصةً اذا كانت الدعوى على اياتٍ منه وكل يفهمها بمعنى ولا الزام على احدان يخضع لغيره فكذا هي كل دعاوي الاراطقة وما من احد منهم الا وادعى اسناد تعليمه الى الكتاب . نشدتك الله ضع نفسك مرة اخرى موضع المسيح وتبصر لو كنت اياه هل كنت تترك لجماعتك تعليمك على ورق وتبيح كلاً ان يفسره كما يشاء لا ممن سمعوك معلمًا فقط بل من اولادهم واولاد اولادهم الى نهاية العالم او ما تفترض على الاقل انه يكون بينهم أُميون لايحسنون

فهم المعنى وكثيرون لا يحسنون القراءة ايضاً فمن يرشد مثل هولاء وكيف يترك الكتاب فريسة لجهلهم ومن يوقف المتفلسفين عن اضلالهم فهل ألَّه المسيح جماعته حتى لا تغلط فهوذا نرى نفوسنا وكل المسيحيين بشراً نخطي ونغلط كباقي الناس ولا نسلم بعصمة الا لمن اثبتها لهُ الوحي وفي ما اثبتها لهُ فيه . لعمركم اولادي لو كان ايًّا كان من الابروتسطنت المسيح لما استحسن الحال التي يزعمون انهُ جعل كنيسته فيها

فيقول الابروتسطنت ايضاً ان مذهبهم قام ودام دون روساء فاذا ليست الرياسة امراً لازماً فاقول اي نعم انهم قاموا وداموا ولكن كان عديد كنائسهم ومعتقداتهم عديد افرادهم وعديد السنين التي مرت عليهم ولم يرفض كلهم كل نوع من الرياسة بل سلم بعض شيعهم برياسة ما واذا كانت عامة شعبهم قامت او دامت فلم يكن ذلك بقوة المبدأ الاساسي عندهم بان يومن كل بما يرشده اليه عقله سنداً الى الوحي بل برفضهم هذا المبدأ وتسليمهم دون فحص لما يقوله العلماء منهم كما برهن ذلك السيد لافال في رسالة ارتجاعه الشهيرة التي استشهدتها غير مرة واذا تبحرت بتاريخ الشيع الحديثة الناكرة الوحي والمعلمة الكفر ايضاً وجدت اكثر من انشاها واتبعها من الابروتسطنت قادهم الى ذلك المبدأ المشار اليه واذا لاحظت عمل كفرة هذه الاعصر وجدتهم احبوا اضلال الناس اولاً بالمذهب الابروتسطنتي ليتيسر لهم بعد ذلك اقتيادهم الى الكفر اذ يكون ترك كل وهواه ولم تكن سلطة تردع ولا رياسة يذعن لحكمها حقا اولادي اني لا اعلم لمَ يريد الابروتسطنت جعل جماعة المسيح خلافاً

لكن الجماعات التي وجدت وتوجد في العالم مدنية كانت ام دينية فان الله يهمهُ امر الجماعات المدنية ايضاً وبهِ يملك الملوك ولا تطيق حكمته ورحمته ان يرتكب العالم كله ضلالاً ويرى صواباً ما يخالف الصواب فان الضلال ينسب حينئذٍ الى الطبيعة وبالتالي الى مبدع الطبيعة الذي هو الله. فمن فقه التاريخ منكم فليردد افكاره ومن كان من الابروتسطنت عالما بالتاريخ فلينبئنا اية جماعة او اية قبيلة او اية مملكة في العالم من ادم الى اليوم كانت سياستها في يد كل فرد من افرادها ولم يكن فيها قضاة يفصلون النزاع وحكام يتسلطون ويودبون ويردعون بل كان كتاب الشريعة وحده بين ايديهم القاضي والحاكم والصانع كل شي لعمري ولو مهما جدوا في تقليب اساطير التاريخ القديم والحديث لم يمكنهم ان يحجونا بشعب واحد ولا بجماعة واحدة. ولندع التاريخ ولنبحثوا في الطبيعة نفسها فيروها تستلزم ان يكون لكل جماعة رياسة وسلطة ويروا ان الطبيعة او بالاحرى باري الطبيعة جعل في البهايم والدبابات نفسها رياسة ما كما نرى في كثير منها ولا بد ان يكون في باقيها كذلك فهل جماعة المسيح لانها الكملى ولانهُ يهتم بها باكمل نوع يلزم ان تكون خلية عن رياسة وسلطة وان يكون كل فرد منها مستقلاً بما يراه ويصنعه ولا يكون ملتزماً بالطاعة لاحدٍ او مرتبطاً بسلطة احد. قد دبر الله شعباً قبل الشعب المسيحي تدبيراً مخصوصاً وهو شعب اليهود فلماذا اقام لهُ موسى واللاويين والاحبار وعظماء الاحبار والانبياء والقضاة فشريعتهُ الحديثة اكمل من العتيقة فيلزم ان تتقدم في ما هو كمال لا ان تخلو عما

يستلزمه الكمال

فيقول الابروتسطنت ان المسيح هو الرئيس والمدبر والمساط وهو يسود جماعته ويسوسها فنقول ولا ننكران المسيح هو الرئيس الاسمى والمدبر الاول وانهُ يساعد بيعته كل الايام والى انقضاء العالم لكن المسيح بعد صعوده لم يعد منظورًا ويلزم للمنظورين رئيس منظور يحكم فيهم ويفصل دعاويهم واذا لم يكن رئيس اونائب رئيس يحكم على الناس بطريقة الناس اي بالنوع المنظور فيدعي كل منهم ان الرئيس الغير المنظور يقضي لهُ بالحق بواسطة ضميره او الكتاب والرئيس لا يراه الناس فيبقى الخصام والخلاف كأنه لم يكن رئيس . اويحتاج الامر الى ان يظهر المسيح مرات على قدر ما تنشأ خصومات دينية بين ابناء بيعته وعلى قدر ما يوجد اناس يعلمون الضلال ولم نرَ ولم نسمع بشي من ذلك . او يكون المسيح لم يتلافَ حال جماعته كما ينبغي بالوسائط البشرية المعتادة ايضًا في كل جماعه ويكون نظام جماعته الكملى اقل كمالًا من نظام كل الجماعات اذ لا يكون اقام لها روساء منظورين يسوسونها ولا اراد ان يظهر في غير مدة حياته متجسدًا على الارض ليسوسها ويقضي بهذه الاختلافات الكبيرة والطويلة التي كانت فيها في كل جيل والكائنة الان بيننا وبين الابروتسطنت وبين شيع الابروتسطنت انفسهم وبالنتيجة يكون مقصرًا واقل عناية بابناء بيعته التي اقتناها بدمه وبابناء بيته الذي هو الكنيسة من جميع الناس . فالصحيح والواضح اذا بنور العقل والوحي ان المسيح لما اراد ان يكون رئيس الناس ومعلمهم دون توسط وبالنوع المنظور نزل

من السماء فتجسد بينهم وكلمهم وبشرهم كما يصنع بين الناس ولما لم يكن ملتزماً ان يبقى بين الناس بشكلهم الى انقضاء العالم كما لم يكن قبلاً تلافي حالهم بطرائق العناية المعتادة فولىّ على الناس روساء منهم ينوبون عنه وقال لهم من سمع منكم فقد سمع مني ومن اهانكم فقد اهانني ومن لم يسمع للكنيسة اي لروساء الكنيسة فليكن عندك كوثني وعشار وزاد على العناية المعتادة مساعدته لروساء الكنيسة من السماء بالنوع الغير المنظور بواسطة الهاماته وارشاداته وتوفيقاته فهو الرئيس الاول الغير المنظور وروساء الكنيسة نوابه المنظورون وسنرد ما يعترضون بهِ من الوحي خلافاً لذلك

ان كل ما مرهو من برهانات العقل المستنير بالوحي وهو يثبت قطعي الاثبات ان المسيح لم يترك ابناء كنيسته كلاً وهواه بل اقام لهم روساء ومرشدين فلننظر كيف يثبت الوحي ذلك

قال المخلص « فاذا لم يسمع لك (اخوك) فخذ معك شاهداً او شاهدين ... واذا لم يسمع لهولاء فقل للكنيسة واذا لم يسمع للكنسيسة فليكن عندك كوثني وعشار (متى ص ١٨ عد ١٦) ومن البين انهُ لم يرد هنا بالكنيسة جماعه المومنين عموماً بل اراد بها من لهُ ان يحكم على المذنب ويعاقبه فاذاً اشار بذلك الى الروساء الذين اقامهم لكنيسته وهم الذين قال لهم باثر ذلك « الحق اقول لكم ان كلما ربطتموه على الارض يكون مربوطاً في السماء وكل ما حللتموه في الارض يكون محلولاً في السما » فما المراد بهذا الحل والربط الا الرياسة والسلطة . ثم

ان المخلص منذ بداية انذاره دعا تلاميذ واختار منهم اثنى عشر رسولاً فرأسهم على باقي المومنين كما قال « فدعا تلاميذه واختار منهم اثنى عشر وهم الذين سماهم رسلاً » (لوقا ص ٦ عد ١٢) والقى اليهم وظيفة التعليم والتبشير بقوله « علموا جميع الامم وعمدوهم بسم الاب الخ » (متى ص ٢٨ عد ١٩) واعطاهم سلطان الحل والربط كما مر (متى ص ١٨ عد ١٨) وسلطان غفران الخطايا ومسكها بقولهِ من غفرتم لهُ خطاياه غفرت ومن امسكتموها عليه مسكت (يوحنا ص ٢٠ عد ٢٢) وامر باقي المومنين بالطاعة والسماع لهم كما قال « من سمع منكم فقد سمع مني ومن احتقركم احتقرني ومن احتقرني احتقر الاب الذي ارسلني (لوقا ص ١٠ عد ١٦) وسماهم ملح الارض ونور العالم (كما في متى ص ٥ عد ١٣) واولاهم السلطان اللازم لوظيفتهم كقولهِ (متى ص ١٠ عد ٥ « واعطاهم سلطانا على الارواح النجسة ليطردوها ويشفوا كل مرض » وبين عظمة سلطتهم بقوله « من قبلكم فقد قبلني ومن قبلني فقد قبل الذي ارسلني » (هناك عد ٤٠) وقال ايضاً « كما ارسلنى ابي هكذا ارسلكم انا » (يوحنا ص ٢٠ عد ٢١) والحال ان اباه لم يرسله دون سلطة فاذاً لم يرسلهم هو ايضاً دون سلطة ولم يعطهم السلطان في هذه الحيوة فقط بل وعدهم ان يجلسوا في العالم المزمع ايضاً على اثني عشر كرسياً ويدينوا اثني عشر سبط اسرائيل (لوقا ص ٢٢ عد ٨ وكل ما مر نصوص صريحة لاتحتاج التفسير او التاويل

ومن بعد صعود المسيح قد ابان الرسل ان لهم هذا السلطان وهذ

الرئاسة اذ قال مار بولس « ان الله وضع في بيعته اولاً الرسل ومن بعدهم الانبيا ومن بعدهم المعلمين » ثم يسأَل « هل جميعهم رسل او هل جميعهم انبيا او هل جميعهم معلمون » (قرنتية ١ ص١٢ عد٢٨) وقال ايضاً « وهو اعطى بعضاً ان يكونوا رسلاً وبعضاً انبيا وبعضاً مبشرين وبعضاً رعاة ومعلمين لكمال القديسين بعمل الخدمة لبنا جسد المسيح » (افسس ص٤ عد١١) وقال ان في الكنيسة درجات ووظائف مختلفة كما ان في الجسد البشري اعضا مختلفة ولها وظايف مختلفة « كما ان لنا في الجسد اعضا مختلفة وليس لجميع الاعضآء عمل واحد هكذا نحن الكثيرون جسد واحد في المسيح وكل منا عضو للاخر » (رومية ص ١٢ عد ٤) والحال ان في الجسد الراس والاعضا . وقد اقام مار بولس كنائس وراس عليها اساقفة اذ قال « احترسوا اذاً على نفوسكم وعلى الرعية التي اقامكم فيها الروح القدس اساقفة لترعوا رعية الله التي اقتناها بدمه » (ابركسيس ص ٢٠ عد٢٨) وقال لطيطوس (ص ١ عد ٥) « لهذا خلفتك في قريطش لتصلح الامور الناقصة وتقيم في كل مدينة قسوساً كما اوصيتك » وقيل عنه اي مار بولس « انه كان يطوف في سورية وكيليكيا مثبتاً الكنائس وامراً بحفظ وصايا الرسل والمشائخ » (ابركسيس ص ١٥ عد ٤١) وقال ماربطرس (في رسالتهِ ١ ص٥ عد٢) للشيوخ اي الاساقفة « ارعوا رعية الله التي فيكم ... لا للربح ولا كاصحاب السهام » وقد باشر الرسل سلطان الرياسة هذا باقامتهم روساآء في كل محل وجدبهِ مومنون وبفرضهم شرائع

ورسوماً وبحكمهم في قضايا عديدة وبمعاقبتهم لكثيرين كما هو بين
من اعمال الرسل ورسائل ماربولس ورويا يوحنا باقل تكلف
وسياتي ذكر شي من ذلك . وكذا فعل خلفا الرسل من بعدهم ببينات
لا تعد يعرفها من لهُ اقل المام با لتاريخ ولا يمكن احداً ان ينكران الكنيسة
كان فيها من اول امرها روسا واساقفة ورعاة اصحاب سلطة ورياسة
باشروها بحق افراد وجماعات كتحريم الارطقات والاراطقة وفرض سنن
وشرائع وتاديب مخالفين وما اشبه وقد فعلوا ذلك تارةً منفردين وتارةً
مجتمعين في مجامع خاصة ام عامة لم يكن يحضر فيها بحق الّا روسا
الكنائس لعمري اولادي انه لا يمكن اثبات حقيقة اكثر من هذا الاثبات
واذا كان كل ما مر لا يحسبه الاخصام مثبتاً فلا اثبات

وليس يصح في الاذهان شيءٌ   اذا احتاج النهار الى دليلِ

وما لنا والشواهد فلنلاحظ عمل الابروتسطنت انفسهم فليت
شعري اهولا الذين يقولون لا رياسة ولا سلطة في الكنيسة لا يمارسون
شيأً من الرياسة والسلطة على جماعتهم وغيرهم بل يتركون كلاً وهواه
فلمَ رسموا بين القضايا التي حتموا فيها سنة ١٥٤١ خلاف ما يدعون
فقد جزموا حينئذٍ ان في الكنيسة ثلثة انواع من السلطة اي سلطة الشهادة
على ما كتبهُ الرسل والسلطة على فهم الكتاب المقدس وتفسيره وسلطة
ابراز الاحكام على التعليم . وكذا يقرا في صورة الايمان التي صنعها علماوهم
في ويتمبرج في تلك المدة . ولماذا حاولوا مدات طويلة ودفعات
لا تعد صنع قانون ايمان لشعبهم فاية رياسة او سلطة اباحتهم الزام واحد

منهم غيره بان يعتقد كذا او كذا . ولماذا يقول بعض علمائهم ان قاضي محاورات الايمان هم الرعاة والعلماء في الكنيسة فمن اين لهم الولاية ليقضوا ولماذا سلم بعضهم تبعاً لتورتينوس بان كل فرد يلزمه في المحكمة الخارجة ان يخضع نفسه لما يحكم بهِ في الاحكام المجمعية وما لنا وهذا فان كان لا رياسة ولا سلطة في كنيسة المسيح بل ترك كل وهواه فما بالهم يستعملون بحقنا وحق الكنيسة الرومانية سلطة على قدر ما يتمكنون ولا يحرمونها وايانا اجمع من كنيسة المسيح فقط بل يحكمون عليها وعلينا اننا عبدة اوثان ومستحقون جهنم وربما لا تكفينا عند رغبتهم فعلى اية رياسة او سلطة يؤسسون احكامهم هذه ويحاولون تعبدنا لافكارهم حال كونهم يشينوننا ويعيروننا باننا تحت عبودية كنيسة رومية فالاولى بنا والحالة هذه ان نكون خاضعين لسلطة من نقر له بالسلطة من ان نكون تحت عبودية من لا نقر لهم بسلطة بل هم لا يقرون بها لانفسهم الا بعملهم المخالف لمباديهم

فقد ثبت اذاً اولاً ببرهان العقل وطبع الامر والوحي وعمل الكنيسة وعمل الاخصام انفسهم ان المسيح لم يترك كلاً من ابناء كنيستهِ وهواه بل اقام في الكنيسة روساء ورعاة

قسم ثانٍ

فلنبحث الان في المسالة الثالثة وهي اي نوعٍ من الرياسة اراد المسيح ان يكون في كنيسته هل اراد ان كلاً من الروساء الذين اثبتنا في جواب المسالة السابقة ان رياستهم لازمة يكون مستقلاً غير متعلق بآخر او اراد

ان يكون لهم راس واحد ومركز وحدة ينضمون اليه . وهذا ايضاً نبحث عنه بارشاد العقل والوحي . فالعقل يرى صراحة ان لو كان المخلص ترك كلاً من الروساء مستقلاً غير متعلق بغيره سواء كان اولئك الروساء اساقفة او كهنة لصدرت من ذلك الغوائل نفسها التي تصدر من ترك المومنين كلاً وهواه دون رياسة فاي نعم ان الانقسامات تكون اقل عدداً الا انها تكون كثيرة في هذا الافتراض ايضاً . لانه اذا نشأت محاورة بين رئيس واخر فمن يكون القاضي فيها اذا كان كل منهم لا يعرف رئيساً ولا قاضياً له الاَّ المسيح الغير المنظور والكتاب الميت الذي يدعي كل منهما الاستناد اليه ولا يصلح رئيساً ولا قاضياً بينهما كما مر . واذا علم احد هولاء الروساء ضلالاً او تعليماً مضراً فمن يهديه الصواب ومن يردعه عن الخطا والمضرة وهو مستقل لا سلطة عليه لغيره فنبقى اذاً في هذا الافتراض ايضاً على عدم الرياسة وعلى منشاء وفرق التقسمات وعلى استقلال كل برايه وان قل عدد المنقسمين والمستقلين لكنه اكثر من كافٍ لمخالفة الوحدة .

ان الله واحد والمسيح واحد والتعليم الذي علمه لا يمكن ان يكون الا واحداً لانهُ حق والحق لا يتجزأ ولا يمكن ان يعلم الله الضدين ولا ان يخلص الناس بتعليمين يخالف احدهما الاخر ولا وجه لذلك البتة وعليه فيلزم ان تكون الكنيسة واحدة والكنيسة الواحدة تستلزم ان يكون راسها واحداً لانها بمثابة جسد والرئيس راسه ولا يكون للجسد الا راس واحد ومتى وجد راسان مستقلان بطلت الوحدة اذ يكونان اثنين لا واحداً

ولا يكون ما يجمعها. وان قيل تجمعها وحدة التعليم قلنا لا تكفي هذه الوحدة
او على الاقل لا تدوم زمانًا طويلاً لانهُ متى وجد وقتًا ما اختلاف الراي
الملازم الطبع البشري ولم يكن احد المختلفين خاضعًا للآخر انشقت الوحدة
وبطلت ولم تبقَ واسطة لحفظها فاذًا وحدة الكنيسة الملازمة طبعها تستلزم
ان يكون لها رئيس واحد مستقل يخضع له الباقون وهو يكون مركز
الوحدة لهم. ثم ان اجتماع رؤساء آخرين في مجمع عند حصول الاختلاف
لا يكون واسطة في هذا الافتراض لحفظ الوحدة اذا لم تكن رياسة عليا
لان متى فرض كل رئيس مستقلاً ولا رياسة عليا فكما لا يلتزم المخالف
ان يخضع لغيره من الرؤساء على انفراد لا يلتزم ان يخضع لهم على اجتماع
لوجود استقلاله وذلك المجمع من دون رياسة يحتمل ان ينقسم انقسام
المختلفين ولا رياسة ترجح او تحكم ومع كون كنيسة المسيح كانت معدة للانتشار
في كل صقع من العالم كما هي الان ما اصعب الاجتماع لكل خلاف وكل
ما شذ رئيس عن صحيح التعليم والجوهري هو ان ذاك المخالف اذا كان
يعرف لنفسه الاستقلال فلا تكون فائدة من الاجتماع البتة اذ لا سلطة
تكون عليه للمجتمعين وهو واضح وان كان يعرف ان للمجتمعين سلطانًا
عليهِ فاذًا هو غير مستقل بل خاضع للمجمع والمجمع هو صاحب السلطة
العليا والرياسة السامية وهذا لا يسلم بهِ الابروتسطنت وابنا انفًا صعوبته
نظراً الى برهان العقل الذي من الواضح فيهِ ان لا بد من مركز للوحدة
فيبقى علينا ان نعرف من الوحي هل المسيح جعل رئيسًا واحداً للرؤساء
او جعل اجتماع الرؤساء رئيسًا لافرادهم فآيات الوحي الاتي ايرادها اثباتًا

لما قلناه بارشاد العقل في جواب هذه المسالة الثالثة يظهر منها واضحًا ان المسيح اراد الاول ان جعل رئيسًا واحداً الروساء يعته كما ترى

اما الوحدة في الكنيسة فامرها واضح من الوحي ايضًا بنصوص عديدة نكتفي منها بذكر قول الرسول اسالكم .... ان تكونوا حرصى على حفظ وحدة الروح برباط الصلح اذ تكونون جسداً واحداً وروحًا واحدة كما دعيتم بالرجا الواحد رجا دعوتكم فان الرب واحد والايمان واحد والمعمودية واحدة » (افسس ص ٤) وصلوة المخلص لاجل المومنين بقوله « ايها الاب القدوس احفظ باسمك الذين اعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن واحد .... ليس اسال من اجل هولآء فقط بل من اجل الذين سيومنون بي ايضًا بقولهم ليكونوا باجمعهم واحداً كما انك يا ابتاه فيّ وانا فيك ليكونوا هم ايضًا فينا واحداً ... وانا قد اعطيتهم المجد الذي اعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن واحد) (يوحنا ص ١٧) ثم تسمية المخلص كنيسة قطيعًا ورعية وحظيرة وملكوتًا وبيتًا وكل ذلك بالمفرد . وهذا لا يحتاج اكثر اسهاب

واما كون المسيح اقام رئيسًا عامًا واسى للمومنين ورؤسائهم ليكون مركزاً للوحدة اي جعل بطرس رئيسًا للرسل والمومنين اجمع فذلك تثبته نصوص كثيرة حتى يظهر غريبًا بل مضحكًا انكار الابروتسطنت هذه العقيدة

انا نرى المسيح منذ اول دعوة بطرس صنع بهِ ما لم يصنعه برسول غيره فانه حالما قدمه اخوه اندراوس الى المسيح غير المخلص اسمه قائلاً له

« انت هو سمعان بن يونا انت تدعى الصفا (يوحنا ص ١ عد ٤٢) اي الصخرة فلمَ تغيير هذا الاسم ولمَ هذا اللقب بالصخرة لا بغيره الا لانهُ اراد ان يجعله صخرة يبني عليها كنيسته . وقد كان لتغيير الله الاسم دائمًا مزية كما سمى ابرام ابراهيم ويعقوب اسرائيل وابني زبدى بوانرجس اي ابناء الرعد . ثم ان بطرس كلما عد الرسل ذكر اولاً كما في متى ص ١٠ عد ٢ (وهذه اسماء الرسل الاثنى عشر الاول سمعان الذي سماهُ بطرس واندراوس اخوه) وكذا في مرقس ص ٣ عد ٥ وفي لوقا ص ٦ عد ١٤ وكثيرًا ما سمي بطرس وحده وباقي الرسل بالاجمال كقوله (سمعان ومن كانوا معه) (مرقس ص ١ عد ٣٦) بطرس ومن كانوا معهُ « (لوقا ص ٨ عد ٤٥) » فوقف بطرس مع الاحد عشر « (ابركسيس ص ٢ عد ١٤) » فقال بطرس والرسل (ابركسيس ص ٥ عد ٢٩) ولا يمكن تعيين وجه لذلك الا بان يكون بطرس متقدمًا ورئيسًا ولم يقدمه بالنظر الى سنه لان اندراوس اخاه كان اكبر منه سنًا كما شهد ابيفانيوس في بدعة ٥١ . ولا بالنظر الى دعوته لان اندراوس اخاه دُعي قبله وهو قدمه الى المسيح كما هو بين من بشارة يوحنا ص ١ عد ٤١ حيث قيل في اندراوس بعد ان كان المسيح دعاه (هذا راى اولاً اخاه سمعان وقال لهُ لقد وجدنا المسيح واتى بهِ الى يسوع فلما نظره يسوع قال لهُ انت هو سمعان بن يونا انت تدعا الصفا) وقد كان بطرس يجيب غالبًا عما يسال المسيح عنه جماعة الرسل كقوله في يوحنا ص ٦ عد ٦٨ (قال يسوع للاثنى عشر لعلكم تريدون انتم ايضًا ان تذهبوا فاجابه سمعان بطرس

الى من نذهب وكلام الحيوة الابدية لك) وعلى حد هذا قوله في متى ص ١٦ عد ١٥ (وانتم ماذا تقولون من انا فاجابه سمعان بطرس قائلاً انت هو المسيح ابن الله الحي) وقد فضل المسيح بطرس على الرسل بامور منها انهُ وفى الجزية عنه وعن بطرس فقط في كفرناحوم مع كون باقي الرسل حاضرين (متى ص ١٧) ومنها انهُ اذ كان عند بحيرة جاناشر وكانت سفينتان موقوفتين نزل الى سفينة بطرس يعلم الجمع وجعله يضبط سمكاً كثيراً تعجب منه الجميع حتى يعقوب ويوحنا اللذان كانا حاضرين ومع ذلك لم يقل الا لبطرس (لاتخف فمن الان تكون تصطاد الناس الى الخلاص) لوقا ص ٥ فلِمَ هذا التقدم وهذا التفضيل الا لما تصرح به اكثر تصريح النصوص الاتية اي جعل بطرس رئيساً للرسل والكنيسة كلها

ان المسيح قد سال الرسل قائلاً (وانتم ماذا تقولون من انا فاجابه سمعان بطرس انت هو المسيح ابن الله الحي فقال لهُ يسوع طوبى لك ياسمعان بن يونا فانهُ لا لحم ولا دم اظهر لك ذلك لكن ابي الذي في السماء وانا اقول لك انك انت هو الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي وابواب الجحيم لن تقوى عليها . ولك اعطي مفاتيح ملكوت السماء ومهما تربطهُ في الارض يكن مربوطاً في السماء ومهما تحلله في الارض يكن محلولاً في السماء) فالواضح الذي لايخفى على مطالع لهذه الاية ان المخلص يشبه كنيسته اولاً ببناء ويجعل بطرس اساساً لهُ وكما ان الاساس المادي يمسك البنا ويقويه ويمنعه من السقوط هكذا بطرس في بنا كنيسة المسيح

عليه يمسك البنا المعبر به عن المومنين ورؤسائهم ويحافظ عليهم من السقوط بواسطة رياسته فيهم وسلطته عليهم

لعمري اولادي انه يحق لنا ان نهزأ بالتعسف والتعويج الذي يحاول الابروتسطنت بهِ قلب معنى هذه الاية الصريحة اكثر من ان نحفل بالرد عليه. فيقولون ان المسيح لم يقل انت هو الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي بل قال له انت هو بطرس واشار الى نفسهِ فقال وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي فقد اصاب من قال اذا ضاقت بالانسان الحيل لجأ الى حيل تخجله. فاي معنى لقول المخلص انت بطرس وما الفائدة من هذا الكلام مقطوعاً هكذا وهل كان بطرس يحتاج الى ان يعرّفه المسيح انهُ بطرس. وهل هذا جزاء من اقر بان المسيح هو ابن الله الحي واراد المسيح مجازاته وكيف يوفق ذلك مع قوله التابع ولك اعطي مفاتيح ملكوت السما فلماذا ينكر عليه ان يكون صخرة للكنيسة. واين الاشارة الى اشارة المسيح الى نفسه اذ قال وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي. هذا والمسيح لم يتكلم حينئذ باليونانية ولا باللاتينية بل تكلم بالسريانية ويقرأ فيها انت هو الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي ولا تحتمل الاية فيها شيئاً من تاويل الابروتسطنت وكذا في اكثر الترجمات الا ان المترجم اليوناني اراد ان يعبر عن بطرس من حيث هو علم مذكر بكلمة بطروس المذكرة وعن بطرس من حيث هو صخرة الكنيسة بكلمة بطرا المونثة واتبعه بذلك المترجم اللاتيني فلا معنى لبطروس وبطرا الاَّ الصخرة فيبقى معنى العبارة كلها واحدًا والمخلص بدل اسم سمعان منذ دعوته باسم بطرس للدلالة على هذا المعنى. وكذا

يستحق الازدراقولهم ان المراد بالصخرة التي يبني عليها المسيح كنيسته الاعتراف الذي ابرزه بطرس والايمان الذي اقر به لابطرس بنفسه فللرد على هذا يصلح ما قدمناه انفًا من اختلال المعنى اذا كانت كلمة الصخرة الاولى بمعنى والثانية بمعنى اخر اذ يصبح المعنى انت هو بطرس وهذا لم تكن حاجة اليه ولا محل لهُ كما هو ظاهر. اي نعم ان بعض الابا قالوا ان الكنيسة بنيت على بطرس المقر والمعترف بهذا الايمان اي كون المسيح ابن الله الحي ولكن نحن ايضًا لا نقول ان الكنيسة بنيت على لحم بطرس وعظامه وهولاء الاباء لم ينكروا البتة ان بطرس رأسه المسيح على الكنيسة كلها وقد بنيت عليه كصخرة ولم يقولوا انها بنيت على اقرار بطرس بالتجرد عن ان يكون هو الرئيس العام للرسل والمومنين

ثانيًا ان المسيح بقولهِ لبطرس ولك اعطي مفاتيح ملكوت السماء يثبت ما قالهُ في الاية الاولى فانهُ لما كان شبه كنيسته ببناءٍ يبنيهِ على بطرس اثبت لهُ بهذا القول انهُ يسلمهُ البناء المذكور اي جماعة المومنين وروساهم باشارة تسليم مفاتيحه فان تسليم المفاتيح دليل على السلطة السامية وكان من عادة اليهود والامم ان يشيروا باعطاء المفاتيح الى التسلط على محل والولاية عليهِ وقد ورد في الكتاب ايات عديدة بهذا المعنى فمن ذلك قول اشعيا (ص ٢٢) في تقدم الياقيم الى رياسة الكهنة « واعطي مفاتيح بيت داود على عاتقهِ فيفتح ولا يكون من يغلق ويغلق ولا يكون من يفتح » وبمثل ذلك اشار يوحنا (رويا ص ٣ عد ٧) الى سلطة المسيح السامية بقولهِ (هذا ما يقوله القدوس والصادق الذي لهُ مفاتيح داود الذي يفتح

وليس من يغلق ويغلق وليس من يفتح) فاذاً قوله مثل ذلك لبطرس يراد بهِ القاء السلطة السامية في الكنيسة كلها اليهِ ويؤيد هذا موقع الاية فان المسيح كان يريد حينئذٍ ان يجزي بطرس جزاء مخصوصاً لاقرارهِ المخصوص بالتفضيل على الرسل بانهُ المسيح ابن الله الحي فلو لم يمنح بطرس بهذا الكلام سلطاناً ممتازاً لكان المعنى هكذا) ياسمعان من حيث انك اقررت بلاهوتي متقدماً على سائر الرسل بذلك فلهذا اعطيك سلطاناً كسلطانهم بالتمام اي ان تحل وتربط كما اعطيتهم ان يحلوا ويربطوا) فيكون جزاء تقدمه عليهم مساواته لهم والواقع يستلزم تقديمه عليهم

فيقول الابروتسطنت انهُ باثر كلام المسيح هذا نشأت بين الرسل محاورة في ايهم هو الاكبر فانتهرهم يسوع قائلاً ان ملوك الامم يسودون عليهم واما انتم فلا يكون هكذا بينكم بل الاكبر فيكم فليكن كالاصغر والمتقدم كالخادم . فما الحاصل من ذلك خلافاً لما اثبتنا فليت شعري اما دري هولاء المتفلسفون ان هذا القول الذي يعترضون بهِ نفسه يخالف زعمهم ويثبت مقصدنا فان نفس محاورة الرسل في ايهم هو الاكبر تبين ان الرسل فهموا ان المخلص يريد ان يولي عليهم رئيساً ولم تتضح لهم وقتئذٍ هذه الحقيقة صراحة . اوما علم الابروتسطنت ان نفس قول المخلص لهم بل الاكبر فيكم فليكن كالاصغر والمتقدم كالخادم يفترض فيهم اكبر واصغر ومتقدماً وخادماً ولِمَ علمهم كيف يلزم ان يكون الاكبر والمتقدم فيهم ان لم يكن بينهم من هو كذلك فلم ينهَ اذاً المخلص

بهذا القول الاعن السيادة بالصلف والتجبر كما يصنع ملوك الامم وقد علم من كان اكبر ومتقدمًا ان يباشر وظيفته بالتواضع والحلم

يقول الابروتسطنت ايضًا ان المخلص بعد قوله لبطرس انت هو الصخرة الخ قال لهُ اذهب وراي ياشيطان لانك صرت لي شكًّا (متى ص ١٦ عد ٢٣) فنقول لا ننكر ان في هذا القول تونيبًا لبطرس لكننا ننكر كون التونيب دليلاً على اسقاط بطرس من الرياسة التي وعده المخلص بها ولم يخلف وعده واكبر دليل على ذلك صلاته بعد ذلك من اجل بطرس قبيل الامه لئلا ينقص ايمانه وقوله له بعد قيامته ارعَ خرافي ارعَ نعاجي بل نرى في هذا التونيب شيئًا من المحافظة على بطرس المعد ان يكون رئيسًا للكنيسة بعد صعوده فان المخلص كان يقول في ذلك المعرض انهُ سوف يتالم ويموت فداءً عن العالم فبطرس لشدة محبته للمخلص اراد ان يمانعه من الالام والموت فقال لهُ المسيح اذهب وراي ياشيطان كانهُ يقول انك بهذا تشبه الشيطان الذي يروم منع خلاص العالم وهذا لا يليق بك انت المعد ان تكون من بعدي نائبي في العالم ولهذا انت زائغ ومنحرف (كما هو المعنى بلفظة شيطان في الاصل) عما كان يلزم ان تفهمهُ حتى الان وتحتني عليهِ وهذا لا يضر برياسة بطرس وليس الابروتسطنت اولى واعلم من المسيح بمعنى قوله اذهب وراي ياشيطان و بقوته اذ قال لهُ من بعد ذلك قبيل صعوده ارعَ خرافي ارعَ نعاجي

ولنعد الى ذكر الايات المثبتة رياسة بطرس . ان المخلص قال لهُ قبل موته (انا طلبت من اجلك لئلا ينقص ايمانك وانت ارجع حينًا

ما وثبت اخوتك) (لوقا ص ٢٢ عد ٣٢) فليت شعري لِمَ طلب
المسيح من اجل بطرس وحده ولماذا هذا الاهتمام بالا ينقص ايمانهُ الا لانهُ
كان الرئيس واذا نقص الايمان فيهِ نقص في كثيرين ولماذا امره بان
يثبت اخوته لولم يكن جعله متقدماً فيهم ورئيساً عليهم وبمن منهم قيلت
اقوال كهذه وهل من دليل اصرح منها على رياسة بطرس
نعم يوجد ما هو اكثر صراحة وهو قول المسيح لبطرس بعد قيامتهِ بحضرة
كثير من تلامذته (ياسمعان بن يونا اتحبني اكثر من هولاء قال له نعم
ياسيدي انت تعلم اني احبك قال له يسوع ارعَ لي خرافي . ثم قال له
مرة ثانية ياسمعان بن يونا اتحبني قال له نعم يارب انت عارف باني احبك
قال له يسوع ارعَ لي غنمي (على ما في النسخة السريانية) قال يسوع
ايضاً مرة ثالثة ياسمعان بن يونا اتحبني فحزن الصفا لانه قال له
ثلث مرات اتحبني فقال له ياسيدِ انت بكل شي عليم وانت تعلم اني
احبك قال له يسوع ارعَ لي نعاجي) (يوحنا ص ٢١ عد ١٥ ومايليهِ)
هل من نص اكثر صراحة للدلالة على عقيدة دينية من هذا النص فان
الكلمات موجهة الى بطرس توجيهاً نافياً كل شك بالخطاب له بالمفرد
دائماً من اسئلة واجوبة معينا بهِ اسمه واسم ابيه بقوله ياسمعان بن يونا
معيناً لقبه بقوله فحزن الصفا ومكرراً بهِ الفاظ تولية الرياسة ثلث مرات
في ارعَ خرافي ارعَ غنمي ارعَ نعاجي مع السوال ثلثاً اتحبني ليزيد تاهبه
لقبول هذه الوظيفة السامية وقد كان حاضراً حينئذٍ مع بطرس توما
ونثنايل ويعقوب ويوحنا واثنان اخران من التلاميذ كما هو ظاهر من

الاصحاح المذكور عد ٢ ولم يخاطب يسوع احدًا منهم بشي مما خاطب بهِ بطرس . ثم ان رعاية الخراف او النعاج لا يراد بها الا سوقها الى المراعي النافعة ومنعها من المراعي المضرة والمحافظة والتسلط عليها و بهذه المعاني امر المخلص لبطرس ليرعى خرافه الناطقة وقد وردت كلمة الراعي وكلمة رعى في الكتاب المقدس بهذا المعنى مرات منها قول المرتل (ياراعي اسرائيل انصت يا مهدي يوسف كالخروف) (مزمور ٧٩ عد ١) فسمى الله راعي اسرائيل لانه كان يقتاد ويدبر بني اسرائيل و يتسلط فيهم . ومنها قوله (في مزمور ٢ عد ٥ (فترعاهم (اى الامم) بعصا من حديد (ومنها قوله (حزقيال ص ٢٤ عد ٢) (الويل لرعاة اسرائيل الذين كانوا يرعون نفوسهم اليس القطعان يرعاها الرعاة) وذلك ظاهر لا يحتاج اسهابًا . ثم ان الوظيفة عامة تعم جميع الخراف اى المومنين وخاصة لانه ذكر الخراف التي يراد بها عامة المومنين والنعاج التي يراد بها الروساء لانهم يلدون المومنين بمنح الاسرار والتبشير كما تلد النعاج الخراف

اني لا اجد للابروتسطنت اعتراضًا يستحق الذكر خلافًا لمفهوم هذه الاية الصريحة الا قولهم ان باقي الرسل نالوا مثل هذه الوظيفة باعطائهم سلطان الحل والربط لكن اعتراضهم هذا بطلانه واضح فانهم لا ينكرون ولا يمكنهم ولو شاؤا ان ينكروا ان كل ما منحه المسيح للرسل يعم بطرس ايضًا وليس لهم ان ينكروا انه خصّهُ بامور كثيرة لا تعم باقي الرسل فلم يقل لغيره منهم انت هو الصخرة ولا لك اعطي مفاتيح ملكوت السماء ولا انا طلبت من اجلك لئلا ينقص ايمانك ولا اتحبني اكثر من هولاء وارعَ خرافي

ارعَ نعاجي وهلمّ جرًّا في خصوصياته وقد مر ذكر بعضها وسياتي ذكر بعضها . فلمَ هذا التخصيص والتفضيل لولا انه جعله راسًا ورئيسًا لهم ايضًا ولماذا ساله ان يحبه اكثر من جميعهم الاَّ لانهُ اراد ان يرقيه الى مرتبة تفوق مرتبة جميعهم . نعم ان الرسول قال (انكم بنيتم على اساس الرسل) (غلاطية ص ٢ عد ٢٠) لكننا لا ننكر ان الرسل اعطوا سلطانًا ولانهم اس بنى عليه المومنون اذ بشروا في الافاق واقاموا كنائس الاَّ ان هذا لا ينافي كون بطرس الاس الاول الذي جعله المسيح مركزًا للباقين وللوحدة وبالجملة ان كون الرسل اسسوا الكنائس من جملة الامور التي تعم بطرس والرسل ويبقى اختصاصه على سلامته

ومن بعد صعود المسيح الى السماء قد باشر بطرس حالاً اعمال رياسته فانهُ بعد صعود المخلص قام حالاً في وسط الاخوة طالبًا انتخاب رسول عوضًا عن يهودا (ابركسيس ص ١ عد ٥) ومن بعد حلول الروح القدس وقف مع الاحد عشر مبشرًا ومنذرًا اليهود آمرًا ان يعتمد من امنوا (ابركسيس ص ٤ عد ٨) وبعد ان صنع اعجوبة اشفاء المقعد القي خطبة ثقيلة الى روساء الشعب والمشائخ (هناك ص ٢ وص ٤) وقد عاقب حنانيا وسفيرا حتى الموت لانهما ارتكبا اثمًا محرمًا (هناك ص ٥) وازدجر سيمون الساحر لما اراد ان يشتري موهبة الله بمال وعاقبه وحكم عليه بالهلاك (هناك ص ٨) وهو اول من ادخل الامم في الكنيسة (هناك ص ١٠) واول من تكلم وابان رايه في المجمع الذي عقده الرسل في اورشليم (هناك ص ١٥) وهو الذي اتى اليه بولس بعد ايمانه ليراه

واقام خمسة عشر يوماً عنده (غلاطية ص ١ عد ١٨) ولما اتى الدفعة الثانية الى اورشليم اطلعه على البشرى التي كان ينادي بها لئلا يكون سعى او يسعى باطلاً (غلاطية ص ٢ عد ٢) فهل لا يدل ذلك كله على رياسة بطرس

فجل ما يقول الابروتسطنت خلافاً لذلك ان مار بولس ونَّب مار بطرس كما قال في رسالته الى غلاطية ص ٢ عد ١١ (ولما قدم الصفا الى انطاكية وبختهُ مشافهة) فاقول قد علم كثيرون ان الصفا الذي ونبه مار بولس هو غير بطرس رئيس الرسل ولنفرض مع ذلك انهُ هو فلا ينتج من ذلك ان بطرس لم يكن رئيساً للكنيسة ولبولس اذ يباح المروس اذا وجد شيأً على رئيسهِ ان ينبهه اليه ويحذره منه فمار بولس قد علم ان الصفا كان ياكل مع الشعوب ثم اعتزل عن ذلك هيبة لاهل الختان فلما قدم الصفا الى انطاكية قال له « اذا كنت انت اليهودي تعيش عيشاً شعوبياً لا يهودياً كيف تضطر الشعوب ان يعيشوا عيشاً يهودياً » فهذا ما يقول بولس انه ونَّب الصفا عليه وهذا لا يدل على كون بطرس غير رئيس فلا ينافي رياسته تحذير او تونيب بولس شريكه بالاتعاب له وليس ذلك تونيباً ممن هو اعلى لمن هو ادنى او مساوٍ للمونب بل هو على سبيل النصح والتحذير من مار بولس الذي كان يقر الرسل اجمع بفضله وكده وجهاده لخير الدين فلا مضرة منهُ لرياسة بطرس من احد الوجوه

ولنبحث الان في المسالة الرابعة وهي هل اولى المسيح بطرس وباقي الرسل سلطاناً ليجزموا بالمعنى الصحيح لكتابه ويفرضوا سنناً لتابعيه ويادبوا

من زل منهم اولا فالجواب في هذه المسالة بديهي يستلزمه نفس طبع الرياسة التي اثبتنا انفًا تخويل المسيح اساها لبطرس وباقي الرسل تحت تدبيره وسلطته . فان الرياسة تستلزم الوظائف المذكورة والا فلا تكون الرياسة رياسة لانه اذا كان الرئيس لاسلطة تعليمية وتدبيرية ورداعة لهُ فما تكون رياسته وما تكون المنفعة منها وليست الرياسة الكنايسية للشرف فقط وهذا يويده كل ما اقمناه من البرهانات على وجوب الرياسة والامر واضح بنور العقل من غير تكلف

وهوذا كيف يثبته الوحي . ان المسيح قال لبطرس وحده وله مع باقي الرسل مهما تربطوه في الارض يكن مربوطاً في السماء ومهما تحلوه في الارض يكن محلولاً في السماء كما مر فكيف يربطون ويحلون ان لم يباشروا سلطانًا وقد ورد الربط والحل خاصًا بالشريعة كقولهِ (يربطون احمالاً ثقيلة ويضعونها على مناكب الناس وهم لا يرون ان يحركوها باحدى اصابعهم (متى ص ٢٣ عد ٤) اي يفرضون على الناس سننًا ثقيلة الخ . وكقوله (ما جئت لاحل الشريعة) (متى ص ٥ عد ١٧) وكيف لا تكون سلطة لمن قال فيهم (وان لم يسمع للكنيسة فليكن عندك كوثني وعشار) حيث يعين عقوبة من لا يطيع تلك السلطة بمجانبة الكل لهُ واعتباره كوثني . ولمن قال لهم (من سمع منكم فقد سمع مني ومن اهانكم فقد اهانني) وقد فرض الرسل سنة الامتناع عن اكل الدم والمخنوق (ابركسيس ص ١٥) وفرضوا سننًا ووصايا اخرى كان يلزم المومنين حفظها وفيها قيل في (الابركسيس ص ١٥ عد ٤١) ان بولس

جعل يطوف في سوريه وكيليكية و يثبت الكنائس امرًا ان يحفظوا وصايا الرسل والمشائخ) وقد سن مار بولس (في قرنتية ١ ص٧) شريعة زواج المومنين مع الغير المومنين . ووضع فرائض في كيفية اجتماع المومنين والمومنات للصلوة وغير ذلك مما يلاحظ التهذيب الخارج وقال اخيرًا (واما باقي الامور فسامركم بها متى قدمت) (قرنتية ا ص ١١) وقد فرض في رسالتيه الى تيموتاوس وطيطوس فرايض انتخاب الاساقفة والشمامسة والارامل ومنع حديثي الايمان والمزوجين باكثر من امراة عن التقدم الى الدرجات المقدسة . وحكم على صانع الفعل القبيح في قرنتية وسلمه للشيطان بالجسد ليخلص بالروح (قرنتية ا ص٥) وكذا حرم هيمانوس واسكندر وسلمها الى الشيطان وعاقب عليم الساحر بالعمى (ابركسيس ص ١٣ عد ١١) ونهى من كان لهُ اخ وكان زانيًا او بخيلاً او عابد اوثان او سبابًا او سكيرًا او خاطفًا عن ان يواكلهُ خبزًا وقال ما بالي ادين الخارجين دينوا انتم الداخلين (قرنتية ا ص ٥ عد ١١) وقال (كيف تشاون ان اقدم اليكم أبالعصا او بالمحبة وروح الوداعة (قرنتيه ا ص ٤ عدد ٢٠) وقال ايضًا (اننا مستعدون للانتقام من كل مخالفة) (قرنتية ٢ ص ١٠ عد ٧) (اكتب اليكم بهذه الامور وانا بعيد عنكم لئلا افعل بالصعوبة اذا قدمت اليكم بحسب السلطان الذي اعطاني اياه سيدي) (قرنتية ٢ ص ١٢ عد ١٠) ومار بطرس عاقب حنانيا وسفيرا بالموت للحال لخيانتهما باخفاء شي من ثمن الحقل (ابركسيس ص٥) فهل يريد الابروتسطنت اكثر من هذه الايات

لاثبات سلطة بطرس والرسل فهي جزء من كل فليطا لعوا الكتاب كما يطلبون منا كل وقت

فبقي علينا المسالة الاخيرة وهي هل شآء المسيح ان تبقى الرياسة والسلطة في كنيسته ما بقيت هذه الكنيسة اوشآء ان يبقى ذلك الى زمان ما فقط فالجواب الموجب على هذه المسالة ايضاً بديهي لانه من حيث ان المخلص ما اتى ليخلص اهل عصره فقط ولا اهل بعض الاعصار التابعة وحدهم بل اتى يخلص جميع الناس في كل عصر ومن حيث انه اتى يعلم الحق ويكمل الوحي والحق لا يكون حقاً في عصر دون عصر والوحي يستلزم في كل وقت محافظاً عليه من التاولات والتعويجات وقاضياً يفصل النزاع بهِ ومن حيث انهُ اقام كنيسة ليبقى في كل عصر مومنون لزمهم رياسة وسلطة كما برهنا في جوابي المسالتين الثانية والرابعة فمن هذه الحيثيات كلها ينتج نتجاً بديهياً ان الرياسة والسلطة الكنايسيتين كان يلزم ان تبقيا في كنيسة المسيح ما بقيت هذه الكنيسة والحال ان الكنيسة بموجب غاية المسيح يجب ان تبقى الى نهاية العالم فاذاً الرياسة السامية والسلطة العامة التي كانت لبطرس قد وجب ان تبقى في خلفائه واحداً بعد الاخر الى نهاية العالم والرياسة والسلطة اللتان كانتا للرسل خاضعتين لبطرس وجب ان تبقيا في خلفائهم كما كانتا في الرسل الى نهاية العالم ايضاً .

وقد صرح الوحي بذلك بقول المخلص لرسله (ها انا معكم كل الايام حتى انقضآء العالم) (متى ص ٢٨ عد ٢٠) وقوله (وانا اطلب الى الاب ان يعطيكم بارقليط اخر يمكث معكم الى الابد) (يوحنا ص ١٤ عد ١٦)

(وهو يعلمكم كل حق) (هناك ص ١٦ عد ١٣) والحال ان الرسل لم
يكونوا ليمكثوا بالجسد حتى انقضاء العالم والى الابد فاذاً المسيح يعدهم
بانه يكون معهم ومع خلفائهم كل الايام وبان الروح القدس يمكث معهم
ومع خلفائهم الى الابد اي انه يبقى لخلفاء بطرس والرسل ما كان لبطرس
والرسل. واذا كان قول المسيح لبطرس ارعَ خرافي ارعَ نعاجي مقصوراً
على بطرس وحده فقوله بشروا وعلموا وعمدوا مقصور على الرسل وحدهم
فلماذا يبشر الابروتسطنت ويعلمون ويعمدون فالكنيسة اذاً باقية ما
بقي الناس والكنيسة لا تكون دون رياسة وسلطة فاذاً الرياسة والسلطة
باقيتان في الكنيسة ما بقي اناس على الارض. والكنيسة الحقيقية هي
ما كانت من ايام المخلص والرسل ومتى كانت كنيسة المسيح الحقيقية يوماً
واحداً فلا يمكن ان تبطل ان تكون كذلك بعمومها لوعد المسيح بانه يبقى
معها كل الايام وانه يرسل الروح القدس ليمكث معها الى الابد وان
ابواب الجحيم لن تقوى عليها كما برهنا في خطبة اخرى ولا يمكن لكنيسة
البتة ان تبرهن دوامها من ايام المسيح الى الان وبالتالي انها كنيسة
الحقيقية الاَّ الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فهي وحدها اذاً كنيسة المسيح
الحقيقية وهي وحدها دون غيرها يمكنها ان تعد الرعاة العظام الذين
دبروها خلفاً عن سلف دون انقطاع من ماري بطرس الى البابا بيوس
التاسع المالك سعيداً وان نقدم البينات القاطعة على خضوع العالم
الكاثوليكي لكل منهم في ايامه بمنزلة رئيس سام وذي سلطة عليا في
الكنيسة كلها ولهذا قال مار اغوسطينوس ذلك القول الشهير (ان

الذي يسكني في الكنيسة تخلف الكهنة على كرسي بطرس ذاته حتى الحبر الحاضر) اني دخلت في الجواب على هذه المسائل كلها عن ايراد شهادة التقليد مجانبة للكلام بالتطويل ولان الابروتسطنت ينكرون التقليد دون الصواب وان اعتبروه بهذه المعاني كما يعتبرون الحوادث التاريخية على الاقل فيكون مفحمًا لهم ايضًا لانهم يجدون كنائس المشرق والمغرب واباءهما وعلماءهما والمولفين الغير النصارى ايضًا مجمعين على ذكر ما يثبت ما جئنا بهِ في برهانات اجوبة المسائل الخمس ولايستثني منهم الاَّ من حرمتهم هذه الكنيسة وقطعتهم عنها لضلالهم فانكروا رياستها وسلطتها فرارًا منهما وتشبثًا بضلالهم

ولنات الى النتيجة فقد ثبت اذًا اولادي ببرهان العقل والوحي ان المسيح اقام له جماعة ولم يترك كلاً من هذه الجماعة وهواه بل جعل لهم روساآء وقضاة ومتسلطين وجعل لهولآء مركز وحدة في اقامته بطرس وخلفاءه الاحبار الرومانيين روساآء تعم سلطتهم المومنين وسائر روسائهم وان هولآء الروساآء لم يكونوا دون سلطة وان هذه الرياسة والسلطة دامت وتدوم الى الابد وحيث انهُ لايمكن كنيسة من الكنائس ان تقيم كذا بينات قاطعة الاالكنيسة الكاثوليكية الرومانية المقدسة فهي وحدها كنيسة المسيح الحقيقية ويلزمنا نحن ابناءها ان نسدي الله شكرًا لاينقضي لانه جعلنا نولد ونعيش في هذه الكنيسة الحقيقية مينا الخلاص فانها منة عظمى تتعلق بها السعادة الابدية كما يلزمنا ان نطيع دائمًا هذه الكنيسة ونجد في حفظ وصاياها الخلاصية المقدسة وخاصة في هذه الايام

بحفظنا الصوم والقطاعة بالامتناع عن كل ماكل ومشرب من نصف الليل الي نصف النهار وبالانقطاع لا عن اكل اللحم فقط بل عن اكل البياض ايضاً بموجب طقسنا الشرقي الاّ من كان له عذر صوابي يثبته له طبيب ماهر ولنقرن ذلك بباقي الاعمال الصالحة المكرسة لها هذه الايام لنوهل ان ننتقل من هذه الكنيسة المجاهدة الى الكنيسة المنتصرة حيث نتنعم باكاليل المجد والسعادة في السماء الى الابد الامر الذي ارجوه لي ولكم بنعمة الاب الخ



موعظة

في علامات الكنيسة

القاها في الاحد الثاني من الصوم ٢٢ شباط سنة ٧٤

نومن .... بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية

نحمد الله اننا صعدنا على هذا المنبر ننذر بكلمة الله هذا الموسم الثالث بعد اسقفيتنا موسم النفس ايام الصوم المكرسة للتورع وعبادة الله والاهتمام بالخلاص وقد مضت بعد ان طالت ايام المرافع والافراح الجسدية واتى الوقت الذي ينبغي ان نعطي منه النفس يوماً حال كوننا نعطي الجسد سنة وان نعيش لله قليلاً نحن العايشون بكليتنا للعالم (كما يقول القديس بطرس غريسولوغوس) فما اعظم توجب هذا الامر علينا لله عز وعلا وما اظهر حق نفسنا التي تطالبنا بان نقضي وقتاً وجيزاً في الاهتمام بها بعد صرفنا اكثر من الكثير من اوقاتنا في خدامة الجسد الذي هو جزءنا الادنى وما اعدل دعواها هذه وما اعظم منافع ذلك لنا فكل منا يرى هذا ظاهراً ظهور النهار بشمسه اذا تفطن ولو قليلاً بفروضهِ لله ووجوب محبتهِ لنفسه ومنافعه الكبيرة من ذلك لانه كيف يسوغ لنا ان نتعب ونكد لجسدنا البالي الايام كلها ولا نصرف وقتاً نسترضي به الله الذي اوجد جسدنا ونفسنا وكل ما في العالم لخدمتنا وكيف نهتم ابداً في مشاغلنا الزمنية ولا نهتم مدة بنفسنا التي هي جزءنا الاشرف وعليها مدار سعادتنا او شقانا وعليه فاي عاقل ولا اقول اي تقي لا يرى واجباً ان يصرف ايام هذا الصوم في التعبد لله وعمل

خلاص نفسه بممارسته الصلوات وسماع القداسات وصنعه الاماتات الجسدية والروحية بالامتناع عن كل ماكل ومشرب الى الظهر وبانقطاعه عن المواكل المحرمة وعن كل شر وسوء وبحضوره الى سماع كلام الله في كل احد وعيد كما ازمعت ان قدرني الله ان اخطب فيكم بنفسي في جميع ايام الاحاد والاعياد التالية من الان الى نهاية الصوم .

ان الاسلوب الذي اعتمدت ان اسلك بهِ هذه السنة في خطبي انما هو الاسلوب الذي سلكت فيهِ السنة الماضية اي الاسلوب البرهاني في اثبات اخص حقائق ديانتنا المقدسة فان عصرنا وحالة بلدتنا وشباننا خاصة يستلزمان هذا المسلك لا لاني اظن ان بينكم من ينكر حقائق الدين حاشا بل لتوطيد اساسات المعتقد التي هي العمدة وعليها يبنى كل عمل خلاصي وقد رايت كلامي على هذا النمط في السنة الماضية قد راق لكم وافاد ووقع موقعه فاروم وصلهُ بكلامي هذه السنة ايضاً ولما كانت مادة اخر خطبي الاحتفالية اثباتي ان المسيح جعل لنفسه جماعة اي كنيسة واقام فيها روساء وسلطة ومركزاً واحداً للرياسة والسلطة اللتين اراد ان تكونا دائمتين ما دام العالم وكانت كل كنيسة تدعى كونها كنيسة المسيح الحقيقية هذه فشئت ان ابتدئ الان من حيث انتهيت قبلاً موردًا في هذا المساء على مسامعكم ذكر الخواص والعلامات المميزة الكنيسة الحقيقية من الكنائس الكاذبة ومبيناً اختصاص هذه العلامات بكنيستنا الكاثوليكية الرومانية المقدسة دون غيرها .

* القسم الاول *

لا بد لكل شي لزم عرفانه من علامات مميزة لهُ عما سواه فكنيسة المسيح التي جعلها مينا للخلاص وطريقاً للملكوت هي اعظم شي يلزمنا عرفانهُ وفصله عن غيرهِ فلا بد لها من علامات تميزها عن الكنائس الغير الحقيقية والكاذبة لئلا يجهل الناس مينا الخلاص فيغرقون في لجة الهلاك ويضيعوا طريق الملكوت فيسلكون في تيه الضلال والتعاسة وقد اجمع الكاثوليكيون والاراطقة على لزوم علامات تمتاز بها الكنيسة الحقيقية من الكنائس الكاذبة لكن الاراطقة جعلوا علامات تشكل وتبهم عرفان الكنيسة الحقيقية مكان ان تكشف عنها وتعرف الناس بها وتميزها وقد عينت عامة الابروتسطنت علامتين خاصةً الاولى التبشير الصحيح بكلام الله والثانية الممارسة الصحيحة للاسرار فكذا علم الابروتسطنت في صورة الايمان التي الفت في اغوسطا وكذا علم كلوينوس في ك ٤ من رسومه راس ١ فصل ٩ وزاد بعضهم على ذلك علامتين اخريين وهما الثبات في الاعتراف بالايمان والطاعة لخدام الكلمة بما انهم خدامها واوصلها لوتاروس الى سبع علامات في مؤلفهِ في المجامع والكنيسة لكن علاماته ترد الى ما ذكر على ان علاماتهم هذه غير كافية ولا مميزة من وجوه عديدة فان العلامات يلزم ان تكون خاصة لا مشتركة والحال انهُ ما وجدت ولا يمكن ان توجد كنيسة الآن وتدعي ان تبشيرها بكلام الله صحيح وان ممارستها للاسرار صحيحة فلو شئت ان اهديك رجلاً لتعرفه هل يستقيم ان اجعل لك علامته ان له عينين

ورجلين ويدين فلكل من الناس ذلك فتعيين الابروتسطنت للكنيسة العلامات المذكورة هو على حد تعريف الرجل المجهول بما ذكراي ان العلامات مشتركة فلا تصلح علامة لانهُ لا يخطر على البال وجود جماعة او كنيسة تقر بان تبشيرها بكلام الله غير صحيح او بان استعمالها الاسرار غير صحيح ثم بماذا نميز كون التبشير او الانذار صحيحاً او غير صحيح وكون ممارسة الاسرار صحيحة او لا فلا بد لذلك من علامة فما هذه العلامة التي تحتاج علامة للاستدلال عليها فالعلامة يلزم ان تكون ظاهرة الدلالة على ما هي علامة له لا مشكلة شائعة تحتاج الى علامة اخرى للدلالة على نفسها هذا وان معرفتنا اية هي الكنيسة الحقيقية ايسر من معرفتنا اي هو التبشير الصحيح لاننا متى عرفنا الكنيسة الحقيقية عرفنا ان تبشيرها صحيح واما صحة التبشير فلا نعرفها الا من الكنيسة كما علم ايريناوس وترتوليانوس واغوسطينوس وغيرهم كثيرون من القدماء وكذا لا يصلح ان يكون علامة للكنيسة الحقيقية الثبات في الاعتراف بالايمان والطاعة لخدام الكلمة فان بدعاً كثيرة تدعي هذا الثبات وتظهر هذه الطاعة فتباع مونتانوس يتباهون كثيراً بثبات شهدآئهم كما روى اوسابيوس في ك ٥ من تاريخه وترتوليانوس في كتابه في الفرار عند الاضطهاد واللوتاريون يزعمون أن الاعتراف بالايمان الصحيح انكف اجيالاً عديدة قبل ظهور لوتاروس وعليه فلا تختص كنيستهم بهذه العلامة واذا سلمنا بكون ذلك علامة فتكون اولى بالكنيسة الرومانية من جميع الكنائس فانه قد كان فيها مليونات من الشهدآء

دلوا على صدق كنيستهم بثباتهم العجيب واخصامنا انفسهم يعيبون شعبنا الكاثوليكي بافراط طاعتهم وانقيادهم لخدام كلمة الله اي روسائهم الروحيين والحاصل ان العلامات التي وضعها الابروتسطنت لمعرفة الكنيسة الحقيقية لا تصلح ان تكون علامات ولم يعدلوا اليها الا لعدم صدق العلامات الحقيقية على كنيستهم

ان العلامات الصحيحة التي تمتاز بها الكنيسة الحقيقية عن الكنائس الكاذبة يقتضي ان تكون صادرة عن طبع الكنيسة نفسه وموءسسة على مباديها ومطابقة لغايتها ودالة عليها دلالة وضيحة لا يشوبها ريب فالعلامات التي نقول نحن الكاثوليكيون انها تدل على الكنيسة الحقيقية جعلها بعضهم خمس عشرة علامة وبعضهم اثنتي عشرة واشهرها اربع اي كون الكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية كما في قانون الايمان النيقاوي والقسطنطيني . وها اننا ناخذ ببيان كل من هذه العلامات الاربع موضحين اقتضاء طبع كنيسة المسيح الحقيقية لها ودلالتها الساطعة عليها ووجودها حقيقة في الكنيسة الكاثوليكية وخلوها في غيرها من الكنائس ليظهر جليًا ان الكنيسة الكاثوليكية المستجمعة هذه العلامات الاربع التي يقتضيها طبع الكنيسة نفسه هي كنيسة المسيح الحقيقية دون غيرها .

واولًا ان الوحدة في كنيسة المسيح امر يقتضيه طبع الكنيسة نفسه وغاية منشئها وعلامة يستدل بها دلالة وضيحة على الكنيسة الحقيقية . والوحدة نوعان داخلية تقوم بان يعتقد الجميع ايمانًا واحدًا . وخارجية تقوم بالاقرار

بالايمان والاشتراك بالاسرار والخضوع للروساء الشرعيين لاسيما الحبر الروماني مركز الوحدة حتى ينشا عن ذلك جسد واحد ادبي مولف من راس واعضاء فمن حيث ان الله واحد والمسيح واحد وغاية انشاء الكنيسة واحدة وهي مجد الله وخلاص نفوس الناس والتعليم الذي اوحاه الله واحد فكيف يمكن ان يتصور ان المسيح منشي الكنيسة اراد ان تكون منقسمة او يخالف بعضها بعضاً في عقائد الدين او ان يكون لها روساء كثيرون مستقلاً احدهم عن الاخر وبالجملة ان تكون كنيسة المسيح غير واحدة فليجهد اعداء الكنيسة نفوسهم كل الاجهاد ويبينوا لنا وجهاً واحداً لجعل المخلص كنيسته مختلفة او منقسمة في العقائد الدينية والاختبار ابان انهم مع كل جهدهم من اول الكنيسة الى الان ما استطاعوا ان يجدوا وجهاً كذا ولذا قال بعضهم ان الوحدة لازمة وادعوا وجودها في كنائسهم مع انه لا وجود لها فيها كما سنبين . ثم ان الله حق ولا يعلم الّا الحق والحق واحد لا يتجزأ فكيف يمكن ان يعلم كنيسته تعليمين او اكثر يخالف احدهما الاخر فهل يحتمل ان يتغير فكره او ان يحب المخادعة والعياذ به من كفر هذا الاحتمال هذا وان المسيح موسس الكنيسة لم يُعْطِ كنيسته الّا تعليماً واحداً وسنّة واحدة ولم يقم فيها الّا رئيساً واحداً عاماً كما برهنت في اخر خطبي السنة الماضية فاراد اذاً الوحدة في بيعتهِ فاذاً الوحدة في الكنيسة يستلزمها نفس طبع الكنيسة وهي اخص علامة لها كما يرشد العقل نفسه بالاعتزال عن الوحي ايضاً

واذا شئنا ان نستشهد الوحي فنرى اولاً كلامه كانه برمتهِ يبرهن

الوحدة في الكنيسة فان كل ما فيهِ من الوصايا والاوامر والتعاليم يخص
جميع الناس في كل الاجيال دون استثنا وكل ذلك متفق الاجزاء
لا تناقض فيهِ موجه لغاية واحدة فهو اذًا بعمومهِ يفترض الوحدة ويامر
بها امرًا مضمرًا متصلاً بسهولة من مراعاة غايتهِ وقد صرَّح المخلص نفسه
ورسله كل التصريح بوجوب الوحدة في الكنيسة بايات عديدة منها
قوله تعالى « ايها الاب القدوس احفظ باسمك هولاء الذين اعطيتني
ليكونوا واحدًا كما نحن واحد » (يوحنا ص ١٧ عد ١١) وقوله بعد ذلك
« لا اسال من اجل هولاء فقط بل من اجل الذين سوف يومنون بي
بكلامهم ايضًا ليكونوا جميعهم واحدًا كما انك ايها الآب فيَّ وانا فيك
ليكونوا هم فينا واحدًا » (هناك عد ٢٠) ومنها تعبيره عن كنيستهِ بحقل
(متى ص ١٣ عد ٢٤) وبوليمة (متى ص ٢٢ عد ١١) وبيت مبني على صخرة
واحدة (متى ص ١٦ عد ١٨) وبحظيرة فان المخلص اراد ازالة كل فارق بين
اليهود والامم وضم الجميع الى جماعة واحدة منظورة فانهُ قال (يوحنا ص ١٠
عد ١٤) « انا هو الراعي الصالح .... ولي خراف اخر ليست من هذا القطيع
فيلزم ان ادعوها اليَّ وتسمع صوتي وتكون الرعية واحدة لراعٍ واحد »
وقد عظم قدر هذه الوحدة بهذا المقدار حتى قاسى الموت كلفًا بها لانهُ قد
ورد انهُ مات « ليجمع ابناء الله المتبددين الى واحد » (يوحنا ص ١١ عد ٥٢)
وهو القائل كل مملكة تقسم على نفسها تخرب وكل بيت ينقسم على نفسهِ
لا يثبت فكيف يتصور انهُ يجعل كنيستهُ منقسمة على نفسها فهل يمكن
التصريح اكثر من ذلك بوجوب الوحدة وكونها من خواص الكنيسة

الجوهرية وعلامة لكونها صحيحة.

ثم ان رسل المسيح من بعد موته لم يحرصوا المومنين على شي اكثر من تحريضهم على الوحدة ولم ينبذوا ويرذلوا شيئا اكثر من الانشقاقات والخصومات في الكنيسة فترى مار بولس يقول تارة تمموا فرحي بان يكون لكم ضمير واحد ومحبة واحدة ونفس واحدة وراي واحد ولا تعملوا شيئا بالانشقاق » (فيلبسيوس ص ٢ عد ٢) وطورًا يقول « كونوا حريصين على حفظ اتفاق الروح برباط السلام لكي تكونوا بجسد واحد وروح واحدة كما دعيتم برجاء دعوتكم الواحد فان الرب واحد والايمان واحد والمعمودية واحدة والله ابو الكل واحد وهو على الكل » (افسس ص ٤ عد ٣ وما يليهِ) فينتج بكل صواب وجوب الوحدة من كون الرب واحدًا والايمان واحدًا والرجاء واحدًا والمعمودية واحدة والله واحدًا وزاد على ذلك وجهًا اخر بقوله « وكما ان ذلك الخبز واحد هكذا نحن كلنا جسد واحد لاننا كلنا نتناول من ذلك الخبز الواحد (قرنتية ١ ص ١٠ عد ١٧) كانه يقول اننا نتناول جميعًا جسد المسيح فاذًا يلزم ان نكون بمثابة جسد واحد وكثيرًا ما سمى الرسول الكنيسة جسدًا واحدًا من ذلك قوله « كذلك نحن الكثيرون فاننا جسد واحد بالمسيح وكل واحد منا عضو للاخر» (رومية ص ١٢ عد ٥) وقوله « لاننا جميعنا انما اعتمدنا بروح واحد بجسد واحد سواء كنا يهودًا او يونانيين وسواء كنا عبيدًا او احرارًا وكلنا شربنا روحًا واحدًا» (قرنتية ١ ص ١٢ عد ١٣) ومن اقواله في رذل الانشقاقات والانقسامات

وانا اسالكم يا اخوتي باسم ربنا يسوع المسيح ان تكون كلمتكم جميعكم واحدة ولا يكون بينكم انشقاق بل كونوا كاملين بضمير واحد وراي واحد . . . ان بينكم انشقاقًا اذكره لكم وهو ان منكم من يقول انا لبولس واخر انا لافلو وغيره انا للصفا واخر انا للمسيح العل المسيح تجزأ » (قرنثية ١ ص ١ عد ١٠ وما يليه) ومنها قوله « اني التعجب من انكم ترجعون سريعًا عن المسيح الذي دعاكم بنعمته الى بشرى اخرى ليست هي الآن اناسًا يزعجونكم ويحبون ان يغيروا بشارة المسيح فان كنا نحن او ملك من السماء يبشركم بخلاف ما بشرناكم به فليكن محرومًا . وكما قلت انفًا اقول الآن ان كان احد يبشركم بخلاف ما قبلتم فليكن محرومًا » (غلاطية ص ١ عد ٦ وما يليه) وقد عد الانشقاق والخصومات بين ما يبعد عن ملكوت الله (غلاطية ص ٥ عد ١٩) وامر باجتناب الرجل المبتدع بعد وعظهِ مرة ومرتين (طيطوس ص ٣ عد ١٠) وقال مار يوحنا الرسول « فكل من يزيغ ولا يثبت في تعليم المسيح فليس الله لهُ ومن يثبت في تعليمهِ هذا فان الاب والابن هما له (رسالته ٢ عد ٩) فهل تحتمل هذه الحقيقة اكثر ايضاح او تحتاجون في اثباتها الى ايراد الايات الاخرى التي عدلت عن ذكرها طلبًا للايجاز ودفعًا للملكم ثم اظنكم تريدون ان تسمعوا شيئًا من اقوال الاباء القديسين في الاجيال الاولى التي اثبتوا فيها ان الوحدة علامة لازمة لكنيسة المسيح فقد قال اكليمنضوس الروماني (في رسالتهِ الاولى) « ان لنا الهًا واحدًا ومسيحًا واحدًا وروح نعمة واحدًا حل علينا ودعوة واحدة بالمسيح فلماذا

نفرق اعضاء المسيح » وقال القديس اغناتيوس الشهيد (في رسالته الى ازمير) « ان المسيحيين من اليهود كانوا ام من الوثنيين هم من جسد الكنيسة الواحد » وقال (في رسالتهِ الى افسس) « كما ان الكنيسة للمسيح والمسيح للاب هكذا يتفق الجميع بالوحدة » وقال القديس ايريناوس « ان الكنيسة المنتشرة في العالم كله تحافظ على هذا الايمان باجتهاد كانها تسكن بيتاً واحداً وكذا تعتقد بذلك كان لها نفساً واحدة وقلباً واحداً وتبشر بهذا على الدوام وتعلمه وتسلمه كان لها فماً واحداً » وقد استعمل هذا البرهان ترتوليانوس ايضاً (في كتابه عن الاستحلال راس ٢١) وقال القديس كبريانوس في كتابه الشهير في وحدة الكنيسة « ان من لا يتمسك بهذه الوحدة لايتمسك بشريعة الله ولا يتمسك بايمان الاب والابن ولا يتمسك بالحق للخلاص » وقال القديس امبروسيوس (في ك ٢ في الفروض راس ٢) نعتقد ان الكنيسة جماعة قائمة في جسد واحد متحد بوحدة الايمان والمحبة وقال القديس اغوسطينوس (في كتابه في وحدة الكنيسة راس ٢) ان المسيح كلهُ راس وجسد فالراس ابن الله الوحيد والجسد كنيسته عريس وعروس اثنان في جسد واحد . . . فكل من لا يشتركون بوحدة الكنيسة ليسوا من الكنيسة لانهم منفصلون عن جسد المسيح الذي هو الكنيسة فهذا مايحتمل المقام ايراده من اقوال الاباء القديسين وليس الا كلمة من كتب اقوالهم بهذا الخصوص فقد اتضح اذاً ببرهان العقل والوحي وشهادة الاباء ان الوحدة لازمة في الكنيسة وعلامة لها فلننظر هل توجد هذه العلامة في

كنيستنا .

ان وجود الوحدة في كنيستنا ظاهر ظهور الشمس في رابعة النهار فانظروا الى تعليمها الاعتقادي في القرون الاولى وفي القرون الوسطى والاخيرة فترونه واحدًا انظروا اليه في المغرب او المشرق في اميركا والهند والصين واليابون ترونه واحدًا انظروا الى كتب ابائها وعلمائها في كل جيل فتروا فيها العقائد الكاثوليكية واحدة كانها لمولف واحد نعم يتفلسفون على اثبات هذه العقائد ويشرحونها باساليب متنوعة لكن العقائد واحدة انظروا الى مجامعها التي عقدت في اجيال عديدة وبلغات عديدة ومن روساء لا يحصون تروا كل ما قيل فيها عن العقائد لا يخالف شي منهُ اخر لاحظوا مباديها وسلطتها ورياستها تروها تنحصر اخيرًا في مركز واحد اذ ترون في كل مدينة او قرية كاهنًا او اكثر يتسلط بالروحيات على سكانها وفي كل ابرشية اسقفًا او مطرانًا يلي الكهنة والشعب المذكورين وفي كل اقليم بطريركًا او رئيسًا يلي من تقدم جميعًا وفي رومية مركز الوحدة الحبر الاعظم يلي جميع المومنين ويدبر الكنيسة كلها وتحفظ هذه الوحدة وتشددها السلطة والرياسة عامة ومستقلة في الحبر الاعظم وخاصةً ومسودة في باقي الروساء فالكنيسة بذلك اشبه بجسم يدبر الراس الاعضاء فيهِ او بجيش في غاية النظام يليه روساء عشرات ومئات والوف يسود جميعهم رئيس عام واحد بمقتضى نظام وقوانين لكل من الروساء والمروسين وبالجملة ان المتامل يرى باقل تكلف الوحدة مشرقة في كنيستنا ودالة على كونها الكنيسة الحقيقية

واما الكنائس الاخرى خاصةً كنائس الابروتسطنت فهي خالية عن خاصة الوحدة الجوهرية وعن هذه العلامة الاكيدة لكنيسة المسيح الحقيقية ولم تكن بدعة من الوثنيين او الفلاسفة او الاراطقة الا وانقسمت انقسامات عديدة ولم يكن فيها للوحدة من محل او مجال فالوثنيون من المعلوم اختلافهم حتى كانوا يعتقدون الهتهم نفسها في خصام وقتال . والفلاسفة قل ما وافق احدهم الاخر حتى قال القديس باسيليوس (في خطبة ١ في عمل الايام الستة) اننا لا نحتاج الى تفنيد اراء الفلاسفة فان اختلافاتهم المتبادلة بعضهم مع البعض تفند تعليمهم . والاراطقة منذ الجيل الاول فصاعدًا عرتهم الانقسامات فقد شهد القديس ايريناوس (في كتاب ١ راس ٢١) ان ارطقة سيمون الساحر انقسم اصحابها دون تاخر الى بدع كثيرة وصدر عنها تباع ميناندروس وباسيليدي وساتورنينوس وغيرهم وقال (في ك ١ راس ٥) في تباع والنتينوس انهم كانوا كثيرين ومع هذا لم يكن اثنان او ثلثة منهم على اتفاق في جميع العقائد وكذا كان في تباع دوناتوس وتباع مركيون وتباع مونتانوس وتباع اريوس وتباع اوطيخا كما شهد الاباء القديسون المعاصرون لهم وهلم جرًا في باقي البدع .

واما الابروتسطنت فبدعهم لا تكاد تحصى نعم ان عندهم الوحدة بمعنى ان كل فرد منهم على ايمان وحده قل ما يشاركه بهِ اخر بل ان الفرد الواحد يغير لنفسه التعليم دفعات والانقسام موسس عندهم على المذهب نفسه فان مبدا الفحص المطلق عن امور الدين والكتاب

المقدس الذي اوجده لوتاروس وتابعوه فيه الى الان يجعل المذهب متقسما طبعًا ومتعددًا ومختلفًا تعدد العقول واختلافها ولا رابط يربط راي الواحد بالاخر لتعليمهم باستقلال كل فرد في ما يعتقد و بنفي كل سلطة في الدين لاحدهم على الاخر وكيف يمكن مع هذا وجود الوحدة فهي منفية عنهم لا بدليل الاختبار وحده بل بمقتضى المبدا نفسه ايضًا ولذلك لا ترى في اقوال علمائهم بل في مجامعهم ايضًا الا الاختلافات في العقائد الاساسية ايضًا والاجتياز المتواصل الى الكفر وقد تعبوا منذ مباديهم الى الان لعمل قانون لايمانهم فلم يستطيعوا القرار على العقائد ولو قللوا عددها ليقللوا الاختلاف فيها ولو وجد هذا القانون لما كان موجبًا الوحدة ولا ملزمًا اذ ينقضهُ مبدا الحرية في فحص حقائق الدين وتحكيم الروح الفردي وكذا لم يستطيعوا الاتفاق على قانون للاداب لان حكمها عندهم حكم العقائد فليت شعري اي عاقل يرى ان المسيح اراد ان تكون هذه الحال حال كنيسته التي ابتهل الى الاب ان يجعل بنيها واحدًا كما هو والاب واحد فاذًا كنايسهم خلية عن الخاصة الجوهرية في كنيسة المسيح وعن اخص العلامات المبينة لها و بالتالي ليست كنيسة المسيح الحقيقية

❋ القسم الثاني ❋

ان العلامة الثانية للكنيسة الحقيقية هي القداسة فان الله منشي الكنيسة هو قدوس بل ينبوع القداسة ولا يريد الاَّ تقديس الناس فلا يمكن ان ينشي كنيسة اي يختار له جماعة لا تكون القداسة حيوةً لها وخاصة

جوهرية فيها وعلامة مميزة لها الا اذا قلنا انه يريد الشر والاثم وهذا كفر ومستحيل فاذًا الكنيسة التي توجد فيها القداسة من جهة التعليم ومن جهة اعضائها تكون كنيسة المسيح الحقيقية والكنيسة التي تخلو عن هذه القداسة لا تكون كنيسته الحقيقية . وقد اوضح الوحي ان الكنيسة يلزم ان تكون مقدسة بالتعبير عنها طورًا بملكوت السموات وطورًا بجسد المسيح (افسس ص١ عد٢٣) وتارةً بعروس المسيح (افسس ص٥ عد٢٥) وتارةً بهيكل مقدَّس ومسكن الله (هناك ص٢ عد١٩) وبيت الله (تيموتاوس ١ ص٣ عد١٥) ومدينة الله (عبرانية ص١٢ عد٢١) وقال الرسول «احب المسيح كنيسته وبذل نفسهُ دونها ليقدسها ويطهرها» (افسس ص٥عد٢٥) وقال ايضًا «انهُ انتخبنا....لنكون قديسين بغير عيب امامه» (هناك ص١ عد٤) ثم «هذا الذي بذل نفسهُ دوننا لينقذنا من كل اثم ويطهرنا لنفسهِ شعبًا جديدًا يتنافس في الاعمال الصالحة (طيطوس ص٢ عد١٤) وقال ماريوحنا الانجيلي في المومنين «والذين قبلوه اعطاهم السلطان ان يكونوا ابناءَ الله» (ص١ عد١٢) ولا حاجة الى ذكر شي من اقوال الاباء هنا لوضوح الامر ولانه معلوم ان اقوالهم بهذا المعنى لا تحصى والحاصل من كل ما ذكرت من برهان العقل والوحي ان كنيسة المسيح الحقيقية يلزم ان تكون مقدسة وان تكون القداسة علامة لها وهذه القداسة تظهر في تعليم الكنيسة وفي اعضائها .

ان هذه القداسة بقسميها المذكورين لا توجد الا في كنيستنا الكاثوليكية فنظرًا الى التعليم انما هي المحافظة على تعليم المسيح الحقيقي الكلي القداسة

والموجه لتقديس الناس اجمع ولا تعلم الا كل ما كان صالحًا وطاهرًا ومقدسًا وتحرم كل شر ورذيلة وتامر وتشير بكل خير وفضيلة حتى ان اعداءها انفسهم يشكونها بالصرامة والتضييق لا بالتسامح والتفسيح وما يذمونهُ فيها مثل الاصوام والقطائع وعفة الكهنة والتعليم بلزوم الاعمال الصالحة للخلاص وما اشبه هو بمقتضى ارشاد العقل السليم نفسه فضائل لا رذائل كما برهنا في احدى خطبنا السابقة وبذلك يشهدون على غير تعمد لقداستها ولعدم قداستهم نعم يشكونها برذيلة عبادة الاوثان لتكريمها القديسين وصورهم لكن ذلك تهمة جهل منهم وقد فندناها في خطبة مخصوصة في السنة السابقة وبينا كون ذلك التكريم فضيلة لا رذيلة فليتبصر كل منكم ما شاء ويقول لنا اية فضيلة ولم يامر او يشور بها تعليم الكنيسة الكاثوليكية واية رذيلة او شر ولم يحرم لا افتعالها فقط بل الفكر فيها ايضًا وتاملوا هل احل تعليم الكنيسة نظرةً لشهواني او بارة من مال الغير لطميع او لطمة لمحب انتقام وليجمع كل الفلاسفة والحكماء ويبينوا لنا في تعليم كنيستنا اقل شي يخالف سنة الطبيعة او ارشاد العقل القويم او يمكن قوة بشرية ان توجد وسائط للقداسة نظيره . ونظرًا الى القداسة في اعضاء الكنيسة فلا يستدل من وجود بعض اعضاء اشرار في الكنيسة على كونها غير مقدسة بنفسها فان المسيح قد شبه كنيستهُ بحقل زرع فيهِ القمح والزوان وباندر كان عليهِ الحنطة والتبن وبمحفل عرس كان فيهِ من عليهِ ثياب العرس ومن لم تكن عليهِ وبشبكة جمعت اسماكًا جيدة وردية وبعشر عذاري نصفهنَّ حكيمات ونصفهنَّ جاهلات بل يكفي ان

يوجد بين اعضائها كثيرون متصفون با لقداسة و بعض متسامون فيها
حتى يشهد الله لهم با لعجائب والمواهب الفائقة الطبيعة فاقرأوا تواريخ كل
جماعات العالم وقبائله فلا تروا جماعة وجد فيها من المتصفين با لبرارة
والقداسة بمقدار ما وجد في كنيستنا التي لا ترون في غيرها البتة من
شهد الله لقداستهم با لعجائب والمواهب الفائقة الطبيعة ومن ترون
او تعلمون انهم احسنوا سيرتهم مع انهم من غير كنيستنا فقد عملوا بمقتضى
تعليم كنيستنا ولم يتبعوا طريق غيرهم من اصحاب بدعتهم ولن تروا الدهر
كله احدًا من ابناء مذهبنا عمل خيرًا لم يكن يقتضيهِ هذا المذهب الذي
اذا وجد فيهِ اشرار فلا يستدل منهم على عدم قداسة المذهب الآمر بكل
ما هو خير ومقدس بل يستدل من ذلك على شرهم وفساد الطبع البشري
وعدم ارادة الله ان يعصم الانسان من ارتكاب الاثم وكم وكم كان في
كنيستنا في كل عصر من الشهداء والمعترفين والنساك والعذارى الذين
اشتهرت فضائلهم في المسكونة كلها وتكررت شهادة الله لهم بعجائبهِ ولا يمكن
كنيسة من الكنائس او جماعة من الجماعات ان تتشبه بالكنيسة الكاثوليكية
بشي من ذلك وكل ما مر تحققهُ تواريخ وشهود عدل من غير ابناء
كنيستنا ايضًا لا يمكن رفض شهادتهم الا اذا رفضنا كل تصديق لشهادة
الناس او لشهادة الله با لنظر الى ما ذكروا في وحيه فيمكن الاخصام
ان يناقشوا على تسامي عشرة او مائة او الف ايضًا من هولاء با لقداسة
فيبقى مع ذلك منهم الوف في الوف لا يرتاب بقداستهم وقد اقر لوثاروس
نفسه في راس ٢ من كتابهِ في السبي البابلي وفيلبوس ما لنطون في

محاماته جزء ٥ و٢٧ وغيرها من الابروتسطنت ان برنردوس وعبد الاحد وفرنسيس قديسون فاذاً لاشك بوجود علامة القداسة في الكنيسة الكاثوليكية نظراً الى تعليمها ونظراً الى اعضائها واما في خارج هذه الكنيسة فلا اثر لهذه العلامة فاننا اذا نظرنا الى جماعات الوثنيين او الفلاسفة او الاراطقة فلا نجد جماعة الا وعلمت اضاليل فظيعة بعضها يخالف القداسة وبعضها يضاد صراحة ارشاد العقل المستقيم فالوثنيون خرافاتهم وفظائعهم مشهورة وقد رواها كثيرون من المولفين فلانحتاج الى بيانها وتعدادها والفلاسفة ايضاً قد علموا كبائر واباح بعضهم قتل الاطفال وبعضهم قتل الشيوخ وبعضهم القاء جثث الموتى للكلاب وبعضهم دفن الاحياء مع الموتى وافلاطون الذي فضلت شرائعه على الجميع سمح ومدح رذائل فظيعة كقتل الاطفال واسقاط الاجنة والتسامح لشهوات الجسد وما اشبه.

والاراطقة القدماء قد علموا فظائع لا تخالف الصواب فقط بل ينفر منها الطبع نفسه ايضاً كما يظهر لمن طالع تواريخهم ولا محل لتعداد تعاليمهم السيئة والاراطقة الحديثون لاسيما شيع الابروتسطنت قد تناهوا بتعليم ما يبعد عن الفضائل ويقطع اعصاب القداسة ويحرر الانسان من وصايا الله ومن اعمال الخلاص الشاقة فمن ذلك تعليم بعضهم ان الله فاعل الخطية فينا وان الانسان لاحرية له في عمل الخير او الشر ومن ذلك تعليمهم بان الاعمال الصالحة ليست لازمة للخلاص ومنه تعليمهم بان الايمان وحده يكفي للبر والخلاص حتي قال بعضهم

كن قاتلاً او زانياً او سارقاً وان تخلص ومنه تعليمهم بان قاعدة الانسان في معتقده وعمله هي ما يرشد اليه عقله وروحه الخاص بنوع انه لا يلتزم ان يومن الا بما يراه عقله صواباً ويحق له ان يفعل كل ما يراه حسناً وجائزاً بمجرد عقله ومن ذلك تعليمهم بان الاصوام والقطائع وباقي الاماتات الجسدية كلها خرافات لا طائل لها ومن ذلك انكارهم عفاف الكهنة والرهبان الى غير ذلك مما لا يكاد يحصى افما هذه التعاليم جميعها تخالف القداسة وتبعد الانسان عن الفضائل فمن اين علامة القداسة لكنائسهم وهل تكون كنيسة المسيح القدوس دون خاصة القداسة وعلامتها هذا بالنظر الى عدم القداسة في التعليم

واما نظراً الى عدم القداسة في اعضاء الكنائس الغير الكاثوليكية فقد علمتم اني احاذر بكل جهدي اظهار معائب الغير وان موتى وان اخصاماً لنا ولكن لا بد لنا هنا من ان نقول انهُ من البين بالتواريخ الاكيدة ان روساء البدع حملهم عليها اما الكبرياء والطمع كما حدث لاكثر المبتدعين الشرقيين خاصة اما الخلاعة واطلاق عنان الحواس كما ترى في اكثر المبتدعين الغربيين خاصة فان اكثر اولئك انشقوا عن الكنيسة لتكبرهم او لطمعهم برياسات وكرامات واكثر هولاء انشقوا عن الكنيسة لانهم كانوا اكليريكيين فارادوا ان يتزوجوا وقل ما وجد رئيس بدعة ابتدعها عن جهل او غلط ولا وجد ولا يمكن ان يوجد في جميع الاراطقة من شهد الله لقداسته باعجوبة نع[illegible] يجد في اتباع الارطقات من يصنع الخير او يسلك بموجب سنة الطبيع[illegible]

الا ان مثل هولآء لا يقيمون علامة القداسة في كنيستهم حال كون تعليمها غير مقدس ومنشئها واخص اعضائها بعيدين عن القداسة وقليلون منهم الذين يستسيرون حسنًا بالنسبة الى كثرة مثل هولاء في ابناء الكنيسة ولنا في ذلك شهادة لا ترد وهي شهادة لوتاروس في كلامهِ على انجيل الاحد الاول قبل الميلاد حيث قال « ان العالم يتاخر يومًا فيومًا الى الوراء فالناس في هذه الايام اكثر رغبة في الانتقام واشد بخلًا وابعد عن كل رحمة واقل ادبًا واكثر تقهقرًا مما كانوا عليه في ايام البابوية »

❊القسم الثالث❊

ان العلامة الثالثة للكنيسة هي كونها كاثوليكية و يراد بكونها كاثوليكية انها عامة وجامعة اي توجد في كل قطر وفي كل وقت وعصر وعليهِ فتقسم الكاثوليكية الى مكانية وزمانية والقسمان خاصة جوهرية لكنيسة المسيح الحقيقية وعلامة دالة عليها والبرهان على ذلك واضح بين فانه لمن الواضح ان المسيح جاء ليخلص الناس اجمع ويهديهم جميعًا طريق الحق والحيوة ولم ياتِ من اجل سكان مكان مخصوص او عصر مخصوص وقد جعل هذا الخلاص في كنيستهِ فاذًا من المستلزم ان تمتد الى كل قطر وان تكون في كل وقت وعصر ولهذا فيكون انتشارها هذا في كل مكان و زمان خاصة جوهرية يقتضيها نفس طبع الكنيسة وغاية منشيها وهو ايضًا علامة اكيدة دالة عليها .

على ان كاثوليكية الكنيسة المكانية لا يراد منها ان جميع الناس

في المسكونة كلها يخصون الكنيسة ويلزم ان يكونوا اعضاء لها فان المسيح نفسهُ قد تنبا لرسلهِ ان تبشيرهم لا يقبلهُ الجميع بل يرفضهُ بعضهم (متى ص ١٠ عد ١٤ وقال الرسول "لم يذعنوا كلهم لبشارة الانجيل (رومية ص ١٠ عد ١٩) وقال "لا بد ان تكون الانشقاقات" (قرنتية ١ ص ١١ عد ١٩) فالمفهوم بالكاثوليكية اذًا ان الكنيسة الحقيقية تنتشر في المسكونة كلها ليعرف اسمها في كل مكان ويوجد من اعضائها في كل محل وتفوت كل كنيسة امتدادًا .

وقد اثبت الوحي ان كاثوليكية الكنيسة بقسميها خاصة في الكنيسة الحقيقية وعلامة لها وقد كثرت النبوات على ذلك في العهد القديم فقد ورد في الزبور ان الله الآب قال للمسيح "سلني فاعطيك الامم ميراثًا واملكك اقاصي الارض (مزمور ٢ عد ٨) وقيل في مزمور ١٩ عد ٤ خرج صوتهم في الارض كلها وكلامهم الى اقاصي المسكونة" وقد خص الرسول هذا الكلام بمبشري الانجيل (رومية ص ١٠ عد ١٨) وقال في مزمور ٢٢ عد ٢٧ "وترجع الى الرب كل اقاصي الارض وتسجد قدامه كل قبائل الامم لان للرب الملكوت وهو المتسلط على الامم" وقد تنبا على ذلك اشعيا بقوله (ص ٢ عد ٢) "ويكون في اخر الايام جبل بيت الرب ثابتًا في راس الجبال ويرتفع فوق التلال وتقبل اليه كل الامم فالمراد ببيت الرب الكنيسة وقال دانيال النبي (ص ٢ عد ٤٤) "يقيم اله السماء مملكة لن تقرض ابدًا وملكها لا يترك لشعب اخر . . . . وهي تثبت الى الابد .

واوضح مما مر آيات العهد الجديد فان المسيح قال لرسله " امضوا اذاً وعلموا كل الامم (متى ص ٢٨ عد ١٩) اذهبوا الى العالم كله واكرزوا بالانجيل على الخليقة كلها (مرقس ص ١٦ عد ١٥) وستكونون لي شهوداً في اورشليم وفي كل اليهودية والسامرة والى اقاصي الارض " (ابركسيس ص ١ عد ٨) وقد عمل الرسول بامر المخلص هذا اذ قال مرقس (ص ١٦ عد ٢٠) "وهم خرجوا فكرزوا في كل مكان" وكتب الرسول الى اهل كولوسائس " (ص ١ عد ٦) بشارة الانجيل " التي بشر بها لكم كسائر اهل الدنيا وهي وتنمو تثمر كما هي فيكم " وكتب ايضاً (عد ٢٣) " الانجيل الذي سمعتموه الذي كرز بهِ في جميع الخليقة التي تحت السماء " ويغنينا عن هذا خاصة بالنظر الى الكاثوليكية الزمانية مواعيد المسيح لكنيستهِ بانهُ يبقى معها الى الابد ولن تقوى عليها ابواب الجحيم اذ قال وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي وابواب الجحيم لن تقوى عليها (متى ص ١٤ عد ١٦) وها انا معكم كل الايام والى انقضا العالم " (متى ص ٢٨ عد ٢٠) " وانا اطلب الى الاب ان يعطيكم برقليطاً اخر يمكث معكم الى الابد " فاين تذهب مواعيد المسيح هذه ان قلنا ان الكنيسة لم تكن في زمان ما من بعد المسيح

وان احببتم ان تسمعوا كلام الاباء فترونهم مجمعين على نسبة الكاثوليكية الى الكنيسة التي اسسها المسيح لكن قصر الوقت يضطرنا الى ذكر قليل من كلامهم قال القديس كبريانوس (في رسالة ٥٢) " ان الكنيسة واحدة في العالم كله متجزية الى اعضاء كثيرة " وقال القديس كيرللس

الاورشليمي (في تعليم ١٨) "ان الكنيسة تسمى كاثوليكية لانها منتشرة في المسكونة كلها ولانها تعلم بنوع كاثوليكي اي عام ومن دون ان يبطل تعليمها" وقال اوريجانوس (في خطبة ٢ في متى) "من حيث ان الكنيسة اقيمت باسم المسيح فتستمر الى انقضا الدهور" وقال القديس اتناسيوس (في خطبتهِ في المسيح الاله) موردًا قول الانجيل ان ابواب الجحيم لن تقوى عليها "ان هذا الكلام صادق وهذا الوعد لا يخلف فان الكنيسة شي لا يغلب ولو هاج الجحيم نفسه عليها" وقال القديس امبروسيوس (ك ٤ راس ٢) "ان للكنيسة ايام اضطهاد وايام سلم فانه يخال انها اوشكت ان تبطل لكنها لا تبطل تلطمها الامواج لكنها لا تغرق تهتز لكنها لا تسقط تشاهد غرق غيرها وهي آمنة ثابتة ناجية من الخطر" وقال فم الذهب (في خطبتهِ على نفيهِ) "لا تستطيع قوة ان تغلب الكنيسة فان الله مع الكنيسة وهو اقوى من كل شي فكيف تظن ايها الثلاب الشرير انك تستطيع ان تهدم الكنيسة وانت لم تستطع ان تهدم جدارا هاويًا" وقال القديس اغوسطينوس (في تفسير مزمور ٦٠) "ان الكنيسة لا تغلب ولا تتزعزع ولا تقوى عليها التجارب حتى تاتي نهاية هذا العالم" واكون مملًا ان اوردت من اقوالهم اكثر من ذلك.

فاذًا قد ظهر ببرهان العقل والوحي وكلام الاباء ان من طبع كنيسة المسيح الحقيقية ان تكون كاثوليكية وهذه الصفة الملازمة او الخاصة الجوهرية هي علامة للكنيسة الحقيقية بمعنى انهُ حيث وجدت هذه العلامة فهناك الكنيسة الحقيقية . ان وجود هذه الخاصة او العلامة في كنيستنا

ظاهر كالنهار فان كنيستنا من ايام الرسل انفسهم انتشرت في الافاق حتى كتب ما بولس رسائل الى اكثر القبائل الشهيرة حينئذٍ وقال ان الانجيل ذاع في زمانهِ ايضاً في كل مكان وكتب الرسل بطرس ويعقوب ويوحنا ويهودا رسائل كاثوليكية اي عامة لكل المومنين في كل صقع

ثم ان كل بدعة يعرف منشيها والزمان الذي نشأت فيه والتعاليم التي احدثتها فنعرف مثلاً ان الاريوسيين انشأ بدعتهم اريوس القس الاسكندري وكان ذلك في مبادي الجيل الرابع وانه احدث التعليم بعدم مساواة الابن للاب بالجوهر ونعرف ان البروتسطنت انشأ بدعتهم لوتاروس وكلوينوس وتلاميذهما في مبادي الجيل السادس عشر واحدثوا جملة عقائد كانكار الغفرانات ثم كفاية الايمان وحده للخلاص الى باقي غواياتهم وكذا نعرف مبادي جميع الارطقات . واما كنيستنا الظاهر انتشارها في كل مكان فمن يعرف لها منشئاً غير المسيح والرسل ومن يعين زماناً لابتدائها غير زمانهم واي تعليم احدثتهُ ولم تبرهن انه كان منذ القديم فاخصامنا مع كل اجهاد نفوسهم بمقاومتنا ما استطاعوا ان يوجدوا لنا منشئاً او مبدعاً الاَّ المسيح والرسل ولا اتفقوا على زمان ابتدأنا فيهِ بل قالوا دون حجة ان الكنيسة كانت صحيحة ففسدت وكل منهم يقول في عصر مع ان ذلك مستحيل لانه مخالف مواعيد المسيح ببقاءِ كنيسته وبقاء مساعدته لها الى الابد وما قدروا ان يثبتوا اننا احدثنا شيئاً لم يكن قبلاً في الكنيسة بل برهنا خلافاً لهم ان كل ما نعتقد من الايمان كان من ايام الرسل . واما هم فيحق لنا ان نقول لهم ما كان ترتوليانوس يقوله لاراطقة

عصره (في كتاب الاضمحلال) "من انتم ومن اين ومتى جئتم واين كنتم مختفين اجيالاً" ومن من كل اصحاب البدع يمكنه ان يصنع سلسلة لرؤساء بدعته تمتد من ايام المسيح الى هذه الايام كما تصنع الكنيسة سلسلة الاحبار الرومانيين دون ان يستطيع اخصامها ان ينكروا تلك السلسلة ومن من كل الاراطقة من سيمون الساحر الى اراطقة هذه الايام يمكن ان يدعي انه كان قبل الكنيسة الكاثوليكية او لم تكن في زمانه او انشقت عنه او لم تكن مقاومة له فاذاً هي وجدت قبلهم جميعاً وشاهدت اضمحلال اكثرهم وستشاهد اضمحلال باقيهم وهي ثابتة غير متزعزعة او ما نعرف تواريخ بداية جميعهم فكيف تكون كنائسهم كنيسة المسيح الحقيقية ولا يمكنهم ان يوصلوا تاريخهم بايام المسيح" وجميعهم متاخرون كثيراً عن الاساقفة الذي سلم الرسل الكنائس اليهم" كما يقول القديس ايريناوس (في ك ٥ ضد الارطقات) ويحق ان يقال لهم "امس لم تكونوا" كما يقول ترتوليانوس فماذا ترى يقولون هل لا يلزم ان تكون كنيسة المسيح من ايامه وفي كل وقت بعده فهذا مخالف للعقل وللوحي ولكل ما قدمناه من البينات هل يقولون ان لهم هذه العلامة اي كانوا دائماً فزمان مولدهم وانتشائهم معروف لا سبيل الى انكاره ولا الى مدمدة وجودهم الى وقت لم يكونوا فيه ولا يمكنهم الانتساب الى من تقدمهم من الاراطقة للاختلاف الكبير الكثير الانواع بينهم فلا يبقى الّا الحق وهو بالنظر الى الابروتسطنت انهم وجدوا منذ ثلثة اجيال اي اذا كان للكنيسة في كل العالم خمسة عشر جيلاً قبلهم ونحن نعتقد ان كنيسة المسيح الحقيقية جامعة اي توجد في

كل قطر وعصر فلا نعرف اذاً كنيستهم كنيسة حقيقية للمسيح ونظراً الى امتداد بدعتهم فاي نعم انهم قد امتدوا في اقاليم كثيرة ولكن مع كل اجتهادهم وكدهم ومصاريفهم الباهظة على رسالاتهم الغير الشرعية واذا ضمت اليهم كل البدع على الفروق الكبيرة التي بينهم فالى الان هيهات ان يبلغوا ربع عدد الكاثوليكيين في العالم . وقد حاولوا ان يضموا اليهم الروم الغير المتحدين فحبطت مساعيهم لان كنيسة الروم المذكورة حرمت تعاليمهم في المجمعين القسطنطيني والاورشليمي سنة ١٦٧٢ واذا امكنهم ان يدعوا الامتداد في كل مكان فكيف يمكنهم ان يدعوا الوجود في كل زمان

❋ القسم الرابع ❋

ان العلامة الرابعة للكنيسة هي كونها رسولية اي اسسها الرسل وتعلم تعليمهم وقد ابتدات من ايامهم وما انقطعت حتى الان والاساقفة الذين فيها خلفاء شرعيون للرسل فان ذلك ايضاً بمنزلة خاصة يقتضيها طبع الكنيسة وبمنزلة علامة لها والامر واضح ببرهان العقل والوحي وشهادة الاباء . فانه لبين ان المسيح انشا كنيسته بواسطة الرسل وامرهم ان يعلموا جميع الناس و يولفوا منهم الكنيسة ولهذا يقتضي طبع الكنيسة ان تكون موسسة من الرسل وتعلم ما علمهُ المسيح والرسل ثم ان المخلص اراد ان تكون كنيسته في كل جيل لافي جيلهِ وجيل رسله فقط بل ان تبتدي فيهِ وفي رسلهِ وتنتهي بانقضاء العالم ولذلك يستلزم طبع الكنيسة ان تكون من ايام الرسل وتدوم ما دام العالم . ثم ان المسيح راس الرسل على كنيسته واقام بطرس رئيساً لهم ولها كما برهنا في اخر خطبنا السنة الماضية وتلك

الرياسة لازمة ابداً والناس مائتون طبعاً فاذاً طبع الكنيسة يقتضي ايضاً ان يكون فيها روساء متخلفون شرعاً للرسل وحائزون تلك الخلافة من الراس الاسمى ومركز الوحدة الذي هو الحبر الروماني خليفة بطرس والرياسة والسلطة التي يلزم ان تكون دائماً في الكنيسة لا يمكن ان ترد الا الى المتخلف عن الرسل ومن ادعى ذلك لنفسه وهو غير متخلف عن الرسل لايسوغ له ان يمارس فروض تلك الخلافة التي اخصها التبشير والتعليم فاذاً الكنيسة يلزم بمقتضى طبعها ان تكون رسولية بالمعاني المذكورة وذلك يدل دلالة صريحة على انها كنيسة المسيح الحقيقية بمقتضى ارشاد العقل المستنير بالوحي.

وبهذا المعنى قال الرسول (في رسالتهِ الى افسس) للمؤمنين "وقد بنيتم على اساس الرسل" وشبه يوحنا الرسول الكنيسة بمدينة فقال "واسوار المدينة لها اثناعشر اساساً وعليها اسماء الرسل الاثني عشر" (رويا ص ٢١ عد ١٤) وبمعنى الرسالة والخلافة الشرعيتين قال الرسول "وليس احد ينال الكرامة لنفسهِ الاّ من يدعوه الله كما دعا هارون كذلك المسيح ايضاً فانه لم يمدح نفسه ليكون رئيس احبار لكن مدحه الذي قال له انت ابني وانا اليوم ولدتك" (عبرانية ص ٥ عد ٤) فان كان المسيح نفسه لم يمارس وظيفة التعليم والكهنوت دون ان يرسلهُ الاب فلا يمكن رعاة العهد الجديد ان يستعلموا ذلك دون رسالة شرعية ممن اقامهُ المسيح نائباً له ومن خلفائه ولهذا قال الرسول ايضاً "فكيف اذاً يدعون بمن لم يومنوا به وكيف يومنون بمن لم يسمعوا به

وكيف يسمعون من غير مناد وكيف ينادون ان لم يرسلوا " (رومية ص ١٠ عد ١٤) وقال ايضاً " وهو اعطى بعضاً ان يكونوا رسلاً وبعضاً انبياء وبعضاً مبشرين وبعضاً رعاة وبعضاً معلمين لكمال القديسين ولمباشرة الخدمة ولبنيان جسد المسيح " (افسس ص ٤ عد ١١) ولهذا من يدعون من دون حق الرسالة وان كنيستهم رسولية يحسبون منشقين ومن مصاف من قيل فيهم " لم ارسل انبياء وهم يسعون ولم اناجهم وهم يتنباون " (ارميا ص ٢٣ عد ٢١) وعنهم قال المخلص " ان من لم يدخل من الباب الى حظيرة الخراف بل يتسلق من محل الى اخر فهو لص وسارق " (يوحنا ص ١٠ عد ١)

ومن اقوال الآباء بهذا الصدد قول القديس ايريناوس (ك ٣ ضد الارطقات " اننا نحن (الكاثوليكيون) يمكننا ان نعد من اقامهم الرسل اساقفة في الكنائس وخلفاءهم الى ايامنا " ثم يعدد خلفاء بطرس في الكرسي الروماني ويقول اخيراً اننا بهذا التخاف نخزي جميع الاراطقة وقول ترتوليانوس (في كتاب الاستدلال راس ٣٢) " فليبينوا اصول كنائسهم وليظهروا تتابع اساقفتهم بتخاف جارٍ منذ البداية بنوع ان ذلك الاسقف الاول كان له سلطة او سالف من الرسل او الرجال الرسوليين الذين عاشوا مع الرسل فان الكنائس الرسولية تبين هذا التتابع كما ثبت كنيسة رومية ان اكليمنضوس اقامه بطرس وقال ايضاً (هناك راس ٣٧) بلسان الكنيسة " ان الملك لي وانا المالك من قبل وانا المالك الاسبق ولي اصول ثابتة هي للمنشئين نفسهم الذين كان لهم

الشي'' اي الرسل . وقول القديس ايرونيموس (في الراس الاخير من كتابهِ ضد لوشيفوروس) ''انه يلزم الثبوت في تلك الكنيسة التي اسسها الرسل وما برحت قائمة الى هذا اليوم'' وقول القديس كبريانوس (في كتابهِ في وحدة الكنيسة) ان الاراطقة ''هم الذين يتخذون لانفسهم اسم الاسقفية دون ان يعطيهم احد الاسقفية'' وقول القديس اغوسطينوس (في كتابهِ ضد اخصام الشريعة والانبياء) ''ان الكنيسة ثبتت من ايام الرسل الى ايامنا ولا تبرح ثابتة بتخلف الاساقفة الذي لا ريب به البتة'' وقال في محل اخر انهُ يمسكه في الكنيسة تخلف الاساقفة في بطرس الرسول الى الحبر الحاضر فقد تقرر اذًا بشهادة العقل والوحي واقوال الاباء ان الكنيسة يلزم ان تكون رسولية فهذه الخاصة والعلامة لا توجد الاَّ في كنيستنا الكاثوليكية لانها مستمسكة بتعليم الرسل جميعه ولا تتمسك بغيره فجميعه لانها تعلم كل ما علموه مكتوبا او منقولاً عنهم بالتقليد ولا تتمسك بغيره لانها لا تقدم للمومنين شيئًا ليعتقدوه الا ما يظهر ان الرسل علموه نقلاً عن المسيح ثم كنيستنا رسولية لانها ابتدات منذ ايام المسيح والرسل ولم تنكف عن وجودها كذلك البتة كما مر ولان فيها خلفاء الرسل الذين لهم وحدهم السلطان على رسامة الخدام الكنائسيين الذين من دونهم لا تكون كنيسة حقيقية وفيها خليفة بطرس الذي لم يكن ممكنا ان تجتاز سلطته العليا ورياسته السامية الا الى الحبر الروماني ولا سلطة شرعية لغير رعاتها الحقيقيين

واما كنائس الاراطقة لاسيما الابروتسطنت فلا يمكن ان تصدق

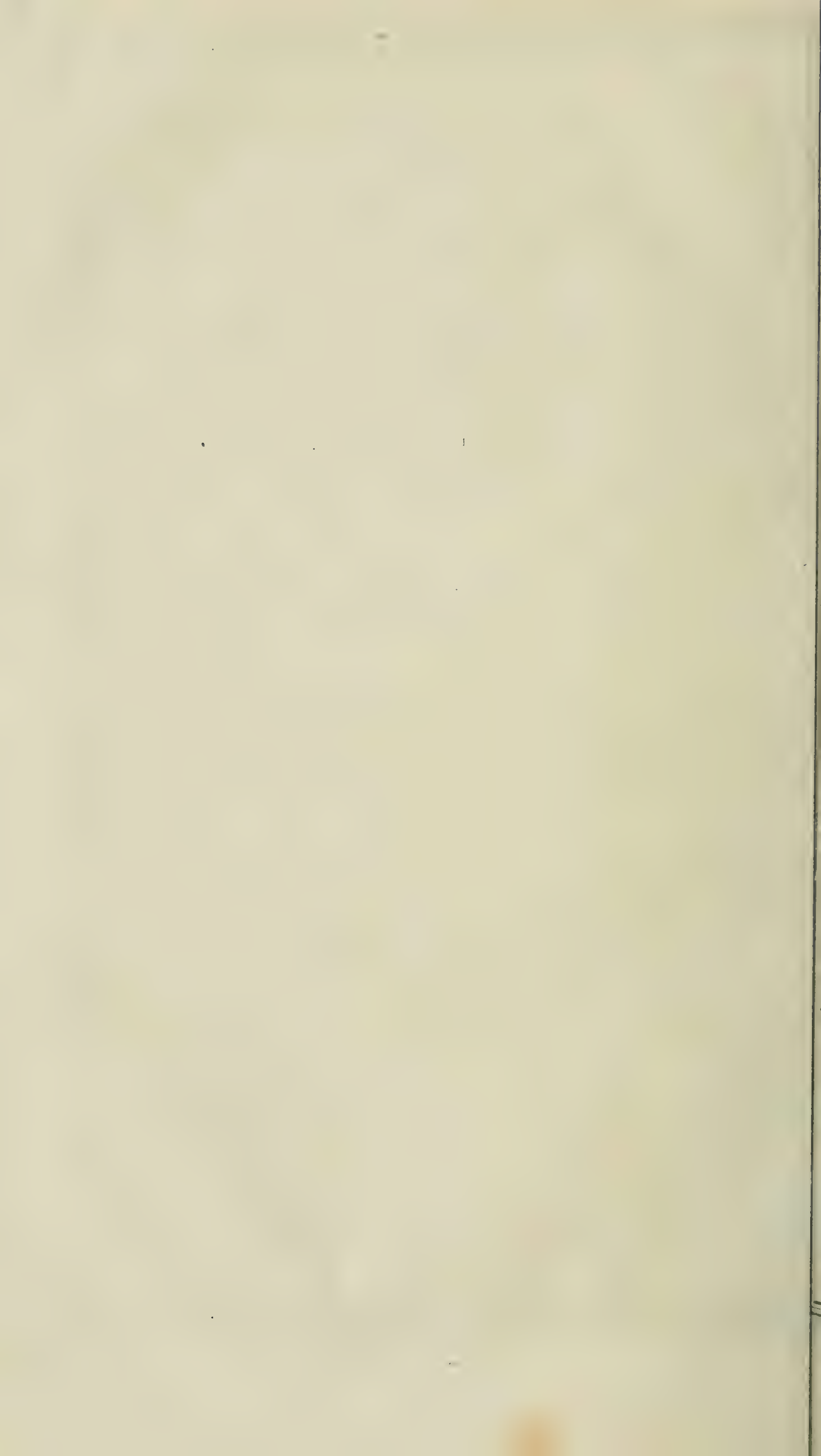
عليها علامة الرسولية اولاً لانها لم تكن من ايام الرسل واصحابها لم يقدروا مع كل جهدهم وتعسفاتهم ان يقدموا ولو ظل برهان على ان كنيستهم كانت من ايام الرسل . ثانيا لانهم لا يتمسكون بتعليم الرسل كله لانكارهم التقليد مع انهُ الينبوع الثاني لتعليم الرسل ولا يتمسكون بتعليم الرسل وحده لانهم يحكمون في عقائد الايمان عقلهم وروحهم الخاص الخاضع للغلط والضلال ثا لثا لانهُ ليس عندهم خلفاء الرسل ولم ترسلهم سلطة شرعية وليس لهم السلطان اللازم فان لوتاروس وكلوينوس ادعيا اصلاح الكنيسة دون رسالة وسلطة شرعيتين ودون سلطة اعتيادية لانكارهم الحبر الروماني والاساقفة والسلطة والرسالة الغير الاعتيادية يقتضي اثباتها بالعجائب او النبوات لتكون مويدة بشهادة الله ولم يبدوا شيئا من ذلك بل ابدوا خلافه ومثل ذلك قل في الملك انريكوس الثامن منشي انشقاق الانكليز وارطقتهم وفي باقي منشئي بدع الابروتسطنت فان هولاء جميعًا كانوا خاليين عن السلطة الشرعية فكيف يمكنهم ان يخلفوها لغيرهم .

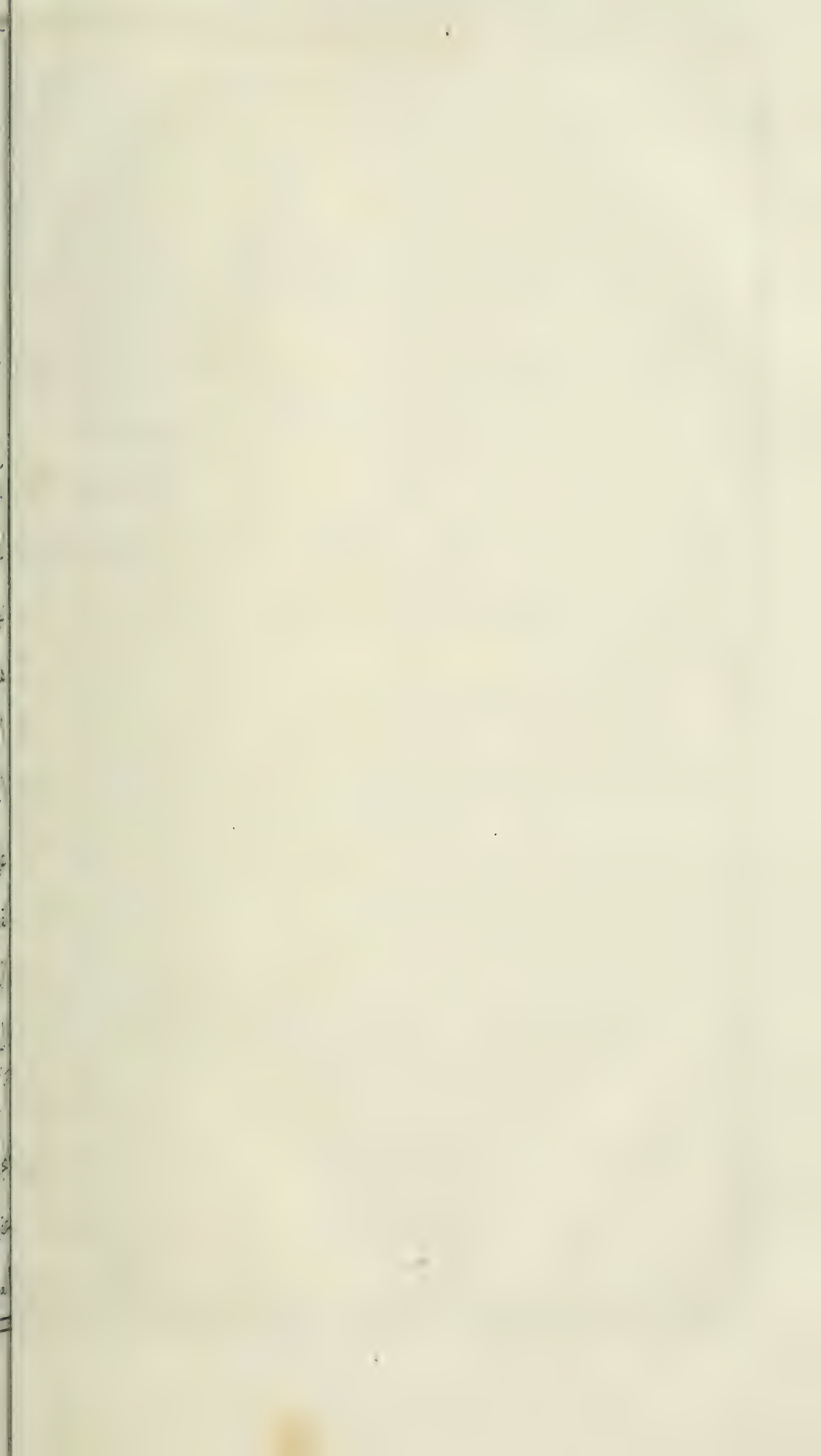
❋ النتيجة ❋

والحاصل اولادي انهُ قد اتضح لكم ان طبع كنيسة المسيح الحقيقية يستلزم ان تكون الكنيسة واحدة لان المسيح واحد وهو معلم الحق والحق واحد وان تكون مقدسة لان القداسة غايتها وغاية موسسها وان تكون جامعة اي عامة قايمة في كل قطر وفي كل عصر لان المسيح اراد خلاص جميع الناس لا خلاص جيل واحد او سكان اقليم واحد وان تكون رسولية لانها موسسة

على الرسل ولانها تقتضي السلطة والسلطة اعطيها الرسل ليباشروها في ايامهم ويخلفوها لغيرهم وتستلزم مركز الوحدة ورئيسها الذي كان بطرس ثم خلفاوه من بعده وقد رايتم ان هذه الخواص الاربع المستلزمها طبع الكنيسة هي ايضاً علامات دالة على كنيسة المسيح الحقيقية واثبتنا ذلك ايضا بشهادات الوحي واقوال الاباء وعرفتم جليا ان هذه العلامات الاربع تصدق كلها في الكنيسة الكاثوليكية ولا يصدق منها شي على كنائس الاراطقة لاسيما الابروتسطنت وباولى حجة لا تصدق على جماعات الغير المومنين ولذلك تكون النتيجة واضحة ثابتة وهي ان الكنيسة الكاثوليكية وحدها هي كنيسة المسيح الحقيقية وهي بيت الله وعمود الحق واساسهُ.

فاسدوا لله الشكر اذاً على انه اراد ان نولد ونربى في هذه الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية واجهدوا نفوسكم في حفظ وصاياها ورسومها التي منها الصوم في هذه الايام والانقطاع عن اكل اللحم فان لروسائها قول المخلص من سمع منكم فقد سمع مني ومن اهانكم فقد اهانني ومن لم يسمع للكنيسة فليكن عندك كوثني وعشار ونسأله تعالى ان يثبتنا في كنيسته الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية في هذا العالم ويلحقنا اخيراً ببني الكنيسة المنتصرة في السماء كما اترجى ذلك لي ولكم بنعمة الاب والابن والروح القدس امين.





موعظة

في عصمة الكنيسة والحبر الاعظم من الغلط في مواد الايمان والاداب
القاها في الاحد الثالث من الصوم غرة اذار سنة ٧٤

كي تعلم كيف يجب ان تتصرف في بيت الله الذي هو كنيسة الله الحي عمود الحق واساسه تيموثاوس ١ ص ٣ عد ١٤

اني في خطبتي الماضية شرحت علامات الكنيسة الحقيقية واختصاصها بكنيستنا الكاثوليكية دون غيرها من الكنائس ولما كنت متعمدًا بخطبي لايضاح اخص عقائد ايماننا المقدس وقد بقي مما يلاحظ الكنيسة باخص نوع عقيدة يفيد الكلام فيها خاصة في هذه الايام فقد اثرت ان يكون كلامي هذا المساء في هذه العقيدة وهي عصمة الكنيسة من الغلط والضلال في مواد الايمان والاداب وكون هذه العصمة تختص براس الكنيسة العام المنظور الحبر الروماني الاعظم بالاعتزال عن المجمع ايضًا * ان الذي يحملني على الكلام في هذه العقيدة ليس كونها احدى عقائد ايماننا فقط بل كثرة تقولات اخصام كنيستنا ايضًا بسبب اشهار كون هذه العصمة من عقائد الدين في المجمع المسكوني الواتيكاني وتفلسفات بعض المتعنتين بهذا الشان وازعامهم الباطلة ان كنيستنا بحكمها بعصمة رئيسها الاعظم قد الَّهتهُ وعدم ادراك بعض السذج منا حقيقة هذه العصمة وما حكم به المجمع التيبلي المشار اليه بخصوصها وتوهم بعضهم ان الكنيسة احدثت عقيدة لم تكن قبلاً في الوجود او حكمت ان الحبر الاعظم معصوم من الغلط والضلال في اعمالهِ واقوالهِ الشخصية مع انهُ ليس الامر كذلك

فكلامي في هذا المساء يبين الحقيقة وبطلان تلك الازعام ويزيل هذه الاوهام اذا ثبت في القسم الاول منهُ لزوم هذه العصمة في الكنيسة وفي القسم الثاني ابين ان الحبر الاعظم معصوم مع المجمع او رضى الاساقفة العام ودونهما من الغلط وان هذه الحقيقة لم تحدثها الكنيسة بل اشهرت فقط الحكم بكونها من عقائد الدين كما صنعت مرات كثيرة قبل هذه بحكمها كذلك على حقائق اخرى وكون هذه العصمة مقصورة في الحبر الاعظم على مواد الايمان والاداب اي على ما يقدمهُ للكنيسة كلها لتعتقدهُ بمنزلة حقيقة دينية وعلى ما يحكم بانهُ جائز او غير جائز حلال او حرام من مواد الاداب دون امتداد عصمته الى باقي اقواله او اعماله الشخصية او ارائهِ بمنزلة عالم خصوصي لا بمنزلة معلم وقاضٍ في الكنيسة كلها فاحسنوا الاصغاء الى ما اقول على جاري عادتكم الحميدة واستمدوا نعمة التنوير لي ولكم

❋ القسم الاول ❋

قد برهنت في خطبي الماضية ان الله لم يمن على الناس بالوحي ويسلمه الى مرضاة كل منهم ليفهمه ويتأوله ويحكم عليهِ كيف شاء بل جعل بين الناس من يُلجَأُ اليهِ لمعرفة معنى الوحي الصحيح ولبتّ المحاورات التي تنشا فيهِ وللمحافظة عليهِ سالما كاملاً كما يقتضي ان يصنع كل مشترع حكيم وكما نرى جميع المشترعين في العالم صنعوا اذ اقاموا قضاة وحافظين لشرائعهم ولم يكتفوا بوضع المداد على الورق فقط وحيث ان المسيح جعل الكنيسة شاهدًا لما علمه وقاضيًا في المحاورات عليهِ ومعلمًا لهُ فكانت حكمته

وعنايته با لكنيسة تستلزم وطبع الكنيسة المسلمة اليها هذه الوظائف يقتضي ان تكون الكنيسة معصومة من الغلط لئلا تشهد لشي انهُ من تعليم المسيح ولا يكون كذلك او تقضي بمجاورة ان مادتها توافق تعليمها او تخالفهُ ويكون حكمها غير مصيب او تعلم شيئًا ليومن الناس بهِ ويكون مخالفا الحق او الصواب او بانهُ جائز ويطابق القداسة ويكون حرامًا وشرًا

وعليهِ فهذه العصمة في الكنيسة كانت لازمة كل اللزوم اولاً للمحافظة على الوحي بنفسهِ لانهُ من دون شهادة معصومة من الغلط بان هذا السفر من الاسفار المقدسة هو موحى او لا كيف يمكن المومنين ان يثقوا وعلامَ يركزون ضميرهم ليومنوا بالحق ايمانًا الهيًا فائقا الطبيعة فالشهادة البشرية بنفسها لا توجب الا توكيدًا بشريًا ولا اصدارها توكيدًا اي ايمانًا الهيًا يقتضي ان تكون صادرة عن الله وحيث لم يكن ممكنا ان الجميع يسمعون من الله فتلزم شهادة بشر نوقن ان الله عصمهم من الغلط وامدهم امدادًا خاصا لئلا يضلوا والكتاب بنفسهِ لا يثبت انهُ موحى ولو صرح بذلك اذ الكلام يحتمل الصدق والكذب والمدار على الكتاب بنفسهِ فلا يثبت نفسهُ بل لا بد من شاهد معروف بالعصمة عن الغلط ثانيًا لبيان المعنى الصحيح في الوحي فان كل كلام يحتمل التاول واختلاف العقول في الناس موجب طبعًا الاختلاف في فهم معاني الكلام فان لم يكن قاضٍ نوقن ان الله عصمه من الغلط في الحكم على المعنى الصحيح كيف يمكننا ان نومن ايمانًا ثابتًا لا يخامره ريب بان هذا هو المعنى الصحيح

في الكتاب لا المعنى الذي يدعيه الاخر. ثالثاً لبتُّ المحاورات التي تنشا في العقائد فان هذه المحاورات كثيراً ما نشات وتنشا فان لم يكن قاض سام مقر لهُ بالعصمة من الغلط في حكمهِ فكيف تنتهي المحاورات وكيف يذعن من انشاوها وباقي المومنين ان الحق هذا او ذاك على يقين فالحكم البشري مجردًا عن اعتقاد امداد الهي يبقى دايماً محلاً للبحث والجدال وما هو من الايمان يقتضي ان يكون منزهاً عن كل ريب واعلى من التوكيد البشري وقاعدة الايمان واساسه يلزم ان تكون راسخة غير متقلقلة من احد الوجوه والا فلا يكون الايمان ايماناً . رابعاً للحكم على ما هو جائز وجيد اومحرم وردي في الاداب فان لم اكن موقناً بنوع لا يخامره ريب ان هذا العمل حلال اوفضيل وذاك حرام او رذيل فالامَ يركن ضميري لا تحمل مشاق الفضيلة او لاعاني حرب الرذيلة موقناً ان الله يثيبني . لعمري لو كان المسيح لم يمنح كنيستهُ العصمة لما كان تلافى حالها ملافاة كافية ولكان عملهُ ناقصاً من هذا الامر الجوهري الضروري وقد تنزه الله عن كل نقص ولهذا سمى الرسول الكنيسة عمود الحق واساسه . وكذا قد فهمها الشعوب والقبائل الذين اذعنوا لحكمها وتعليمها موقنين انهُ لا سبيل الى ان ينخدعوا بما علمتهم اياه فان لم تكن الكنيسة معصومة من الغلط فياول انخداعهم الى الله الذي قال انه جعل الكنيسة معلمة الحق

ثم قد برهنا في خطبتنا الماضية ان وحدة التعليم في الكنيسة لازمة ويقتضيها طبع الكنيسة نفسه وضم الجميع الى الوحدة في الايمان يستلزم

ان يفهم الجميع الكتاب المقدس بمعنى واحد بالنظر الى العقائد وان يوقنوا ايقانًا تامًا ان هذا المعنى الواحد هو الصحيح دون ريب ليتمسكوا بالايمان تمسكًا ثابتًا ولصيرورة هذا بين الناس المختلفي الافكار والمناظر والآراء يلزم واسطة منظورة سهلة وموكدة ليستخدموها في معرفة الحقائق ويذعنوا لها لا بالتسليم الخارج فقط بل بالتوكيد الباطن ايضًا ولا نجد واسطة مثل هذه ولو مهما اجهدنا افكارنا الا بحكم الكنيسة المعصوم من الغلط .

فان الينابيع التي عينها الفلاسفة لاصدار جميع المعارف البشرية ثلثة الاختبار والعقل والشهادة فيلزم الالتجاء الى احد هذه الينابيع الثلثة لايجاد الواسطة المشار اليها فالاختبار لا يصلح لذلك فان حقائق الايمان لا تخضع بنفسها للحواس والعقل لا يصنع هذه الوسيلة لانهُ لا يكفي لدين طبيعي فباولى حجة لا يكون كفوًا لدين موحي فان العقل ولو امكنه اكتساب التوكيد الادبي فلا يمكنهُ ذلك في الحقائق النظرية الّا اذا كانت واضحة وباولى حجة لا يمكنهُ اكتساب التوكيد في الحقائق التي تفوق فهمه فتبقى الشهادة لتصدر عنها الواسطة اللازمة لغاية الوحي والشهادة قسمان بشرية والهية فالبشرية لا تصلح واسطة لاحتمالها الغش والانخداع ولهذا لا يذعن لها الجميع ولا يركنون اليها وبالجملة لا تصدر الوحدة في الايمان ولا الايقان الثابت . فتبقى الشهادة الالهية وحدها كافية لتنويل المقصد فهذه الشهادة الالهية يمكن الحصول عليها باحد ثلثة انواع . الاول ان الله يظهر كل حين للناس ويكشف لهم عن الحقائق بعجائب وايات ويعلم كلاً منهم ما يعتقد ويعمل وهذا لا يقبلهُ العقل ونرى

عمل المسيح بخلافهِ . والثاني ان يرسل الله كل فترة انبياء ومعلمين يعلمون الناس معاني الوحي و يثبتون ارسال الله لهم بعجائب ونبوات وهذا ايضاً لانرى الله صنعهُ في العهد الجديد فضلاً عما يكون فيهِ من الشوائب . والثالث ان يقيم الله قضاة يتخلف احدهم للاخر على التواصل ويمد جميعهم بعنايتهِ كيلا يضلوا في الحكم على العقائد الموحاة . فهذا النوع هو الواسطة الكلية المناسبة لنوال المخلص مقصده لتاسسها على المبشرين با لوحي ودوامها بخلفائهم ولوجود المواعيد الصريحة والاكيدة بها من المخلص وهي منظورة لتالفها من بشر وسهلة يفهمها كل احد وامنة ووكيدة فانه مع تحقق العصمة يذعن لها الجميع دون تردد البتة وبهذه الواسطة تحصل الوحدة في الايمان والتيقن بعقائده فمن حيث ان المخلص يطلب الوحدة بالايمان والتيقن بحقائقهِ فبلا بد يجعل واسطة تناسب لهذه الغاية فمما يضاد الحكمة والجودة كثيرًا ان تفرض غاية سامية وتفرض لها وسائط قاصرة غير كافية لادراكها وهل يمكن ان ينسب مثل ذلك لله كلا فاذًا يلزم ان نقول انه امد كنيسته بالعصمة من الضلال لادراك وحدة الايمان والثبات في حقائقه وكما عصم من كتبوا الاسفار المقدسة عن الغلط هكذا كان يمكنهُ ان يمنح العصمة منه لمن اقامهم محافظين عليها ومبينين لصحيح معانيها وباتين المحاورات التي تنشأ عليها وقد منحهم هذه العصمة فعلاً .

كل ما مر من برهانات العقل المستنير بالوحي فلننظر الان في ما علمناه الوحي بهذه العقيدة ان الكنيسة المعلمة تكون معصومة من الغلط اذا كانت حاصلة على مساعدة المسيح والروح القدس في تعليم الحق والحال ان المسيح

وعد ووعد انجاز بمساعدته ومساعدة الروح القدس للكنيسة فانه عند صعوده الى السمآء قال للرسل . قد اعطيت كل سلطان في السمآء والارض فاذهبوا اذاً وعلموا جميع الامم وعمدوهم بسم الاب والابن والروح القدس وعلموهم كل ما اوصيتكم به وها انا معكم كل الايام والى انقضآء العالم . (متى ص٢٨ عد١٨) فان المسيح من كونه منشي الكنيسة وسيدها القى الى الرسل وظيفة ثقيلة ان يعلموا جميع الامم كل ما علمهم اياه وان يجعلوهم يحفظونه ولكي يكونوا اهلاً للقيام بهذه الوظيفة المتعلق بها خلاص الناس امدهم بامداده الغير المنظور عند انفصاله المنظور عنهم وقال انه يمدهم به الى انقضآء العالم مع علمه بانهم اناس مائتون وانه سيتوفاهم عن قرب ولهذا يلزم ضرورةً ان يفهم من ذلك انه اعتبر الرسل بهذا لا بمنزلة افراد بل بمنزلة شخص ادبي يعيش دائمًا بخلفائهِ اي بمنزلة رئاسة تقوم بروسائها الى انقضآء العالم وهكذا وعدهم ايضًا قبل موته بمساعدة الروح القدس اذ قال . وانا اطلب الى الاب ان يعطيكم بارقليطاً اخر يثبت معكم الى الابد روح الحق . . . . الذي يحل عندكم وهو بكم . . . . وهو يعلمكم كل شي ويذكركم بكل ما اقوله لكم . (يوحنا ص١٤ عد١٧ وعد٢٦) ومن قوله يمكث معكم الى الابد ومن صلاته لاجل العتيدين ان يومنوا بكلام الرسل (كما يظهر من قولهِ في ص١٧ عد ٢٠) هناك يبان جليًا ان هذا الوعد لم يكن مقصورًا على الرسل وحدهم بل يعم خلفاءهم ايضًا . وما اعظم الالزام الذي وضعهُ المخلص على المومنين ليسمعوا للكنيسة المعلمة اذ قال لرسلهِ . من سمع منكم فقد سمع مني ومن احتقركم فقد احتقرني (لوقا ص١٠ عد١٦) فيساوي

بهذه الالفاظ حكم الرسل بحكم المسيح والعقل نفسه يرشد انه شتان بين الحكم القابل الغلط وبين الحكم المعصوم منه وعلى حد ما مر قوله. واذا لم يسمع للكنيسة فليكن عندك كوثني وعشار. (متى ص ١٨ عد ١٧) فمن يلتزم ان يخضع لعقوبة قاسية كهذه اذا كان الحكم عليهِ غير معصوم من الغلط ولا يمكن قصر كل ذلك على الرسل لان ما خاطبهم المسيح به من التعاليم هو لكل الكنيسة ولم يقم الكنيسة في مدة رسله فقط ولم يشاء تغيير نظامها بعد ذلك.

وقد صرح المخلص ايضاً بعصمة كنيسته بقولهِ . وابواب الجحيم لن تقوى عليها. فالمفهوم بابواب الجحيم سلطة الجحيم اي ابليس وجنوده المخالفين لمقاصد المسيح والمحاولين ادخال الكذب موضع الحق ومن حيث ان المخلص يقول انهم لن يقووا على الكنيسة فبهذا نفسه يبين ان الكنيسة لا تزيغ عن الحق وبالتالي هي معصومة من الغلط حتى اقر روزانمولار الابروتسطنتي نفسه ان المراد بابواب الجحيم محاولات الشياطين والمضطهدين واعداء الكنيسة لاقلابها وتكذيبها والمسيح يعدها بعدم انتصارهم عليها فاذاً لا تبقى دائمة ابداً فقط بل لا تضل عن حقيقة الدين الذي علمها اياه المسيح ايضاً

فجل ما يعترض الابروتسطنت به خلافاً لما قدمناه قولهم ان مواعيد المسيح بمساعدة الرسل وخلفائهم شرطية وافتراضية اي انه يساعدهم اذا لبثوا محافظين على تعليمه الصحيح ولذلك لا تكون الكنيسة معصومة ابداً.

فاجيب ان اعتراضهم هذا مضحك اولاً لان المسيح لم يذكر شرطاً لمساعدتهِ فمن اين اتوا بالشرط . ثانياً لو فرض وجود هذا الشرط لكان

مخالفًا مقصد المسيح فالمسيح وعد الرسل بمساعدته ليعزيهم على فراقهِ ويجعلهم اهلاً للقيام بوظيفتهم والحال ان وعد المسيح لهم بانه يساعدهم ان حفظوا تعليمه صحيحًا يخيفهم لا يعزيهم فالتعزية بمساعدته لهم وارشادهم في ان يعلموا تعليمه صحيحًا ويقبله الناس منهم موقنين به كانه يعلمهم من فمهِ لا بانهُ يساعدهم اذا اتموا عمله كما ينبغي بل ليتموه كما ينبغي. ثالثًا لان هذا الشرط لا يكون له معنى ولا فائدة اذ يكون المعنى ان ابواب الجحيم لن تقوى عليها اذا لم تقوَ عليها والروح القدس يعلمكم كل حق اذا لم تحتاجوا الى تعليمهِ وانا اكون معكم الى انقضاءِ العالم اذا لم تحتاجوا مساعدتي واما اذا احتجتموها لخطر انحرافكم عن المعنى الصحيح فلا اكون معكم ولا يعلمكم الروح القدس فما هي هذه المواعيد واي معنى لها ومن يصدق ان المخلص عنى هذا.

ان الرسل بعد صعود المخلص كانوا موقنين منح المسيح كنيسته العصمة من الغلط ولهذا قال مار بولس ما استهللنا به كلامنا وهو "اكتب اليك بهذا ... كي تعلم كيف تتصرف في بيت الله الذي هو كنيسة الله الحي عمود الحق واساسه" فيسمي الكنيسة عمودًا واساسًا يركز عليهِ الحق او الدين الحقيقي وكما ان العمود والاساس يقيان البيت السقوط هكذا تقي الكنيسة الدين الصحيح من السقوط ولا تستطيع الكنيسة هذا اذا كانت غير معصومة من الغلط وليس من المعقول ان تسمى الكنيسة عمودًا او اساسًا للحق وهي يحتمل ان تضل فيهِ. وقد صرح مار بولس بغاية الرياسة والسلطة اللتين اقامها المسيح في كنيسته وهذه الغاية لا يتوصل اليها دون العصمة فان الرسول قال (افسس ص٤ عد ١٢)

ان الله اعطى بعضاً ان يكونوا رسلاً وبعضاً انبياء وبعضاً مبشرين وبعضاً رعاة وبعضاً معلمين لكمال القديسين ولمباشرة الخدمة ولبنيان جسد المسيح حتى نكون جميعنا شيئاً واحداً في الايمان ومعرفة ابن الله ونكون رجلاً كاملاً . . . ولانكون اطفالاً متقلقلين نتصرف مع كل ريح تعاليم الناس الخادعة الذين يحتالون بمكرهم ليضلوا" فاذاً غاية المسيح من الوظائف في الكنيسة ان يكسب الناس التعليم المسيحي كاملاً وان يتفق الجميع في ايمان واحد وان تكون لهم قاعدة وطيدة في امور الايمان حتى لا تزعزعهم عنها مخادعات المحتالين ليضلوهم وهذه الغاية المثلثة لا تحصل في كنيسة غير معصومة من الغلط لانها اذا كانت قابلة الغلط فلا تكسب الناس تعليم المسيح كاملاً ولا يمكنها ان تضمهم جميعاً الى ايمان واحد اذ وجد ويوجد متفلسفون ومتعنتون كثيرون لا يذعنون لحكمها اذا عرفوا انها قابلة الغلط وان ليس لها في معرفة الحق الا ما لهم من الفهم البشري وبالتالي لا تكون قاعدة وطيدة في امور الايمان لنقاوم بها حيل الضلال وتفحم المخادعين والمضلين

ثم ان الرسل عند ما اجتمعوا في المجمع الاورشليمي للنظر في حفظ ما كانت ترسمه الشريعة الموسوية نسبوا حكمهم فيه الى الروح القدس اذ قالوا" روي للروح القدس ولنا ان لا نضع عليكم ثقلاً الخ" (ابركسيس ص ١٥ عد ٢٨) فاذاً لم يكونوا مرتابين بان الروح القدس يساعدهم في احكامهم وبالتالي انها معصومة من الغلط ويلزم الجميع الاذعان لها وما كان للرسل بما انهم روساء كنيسة المسيح من امداد الروح القدس

يكون لخلفائهم لوعد المخلص ان البارقليط يمكث معهم الى الابد وهم ماتوا فيمكث اذًا مع خلفائهم فلا يبقى للمتعنت ان يقول الا ان الروح القدس يساعد الكنيسة ومع ذلك تغلط في احكامها الاعتقادية والادبية وهذا كفر.

وان احببتم ان اذكر شيئًا من اقوال الآباء القديسين فهوذا بعض كلامهم قال القديس اغناتيوس الشهيد (في رسالتهِ الى اهل ازمير) "ان المسيح سوف يكون دايمًا مع الكنيسة الكاثوليكية" وقال القديس ايريناوس (في ك ٥ ضد الاراطقة راس ٢٤) "ان الايمان الصحيح يحفظه روح الله بمنزلة وديعة ثمينة وبمنزلة هبة من الله في الكنيسة... وهذا الروح نفسه ضمانة لعدم انتقاص التعليم وايدٌ للايمان فان الله لهذا وضع في بيعتهِ الانبياء والرسل والمعلمين مع باقي اعمال الروح الذي لا يشترك فيهِ من لم يتمسك في الكنيسة ولهذا يعدمون نفوسهم الحيوة الروحية" وقال في المحل المذكور (راس ٢٠) "ان الكنيسة استودعت نور الله وهي تتكلم بالحق في كل مكان وهي نور المسيح" وقال ترتوليانوس (في كتابه في الاستحلال راس ٢٧) فلنفرض ان جميع الكنائس غلطت والروح القدس لم يعتبر احداها اهلاً لمساعدته مع انها ارسلت لتكون معلمة للحق ولنفرض ان وكيل الله هذا ونائب المسيح تقاعد عن وظيفته وسمح بان الكنائس ترتاي شيئًا غير ما علمه هو بواسطة الرسل ولكن لا يقرب من الصدق ان كل هذه الكنائس الكثيرة تغلط في ايمان واحد ... بل كان يلزم ان يختلف غلط هذه الكنائس بعضه عن بعض اذا

كانت علمت الكذب لان ما يكون عند كثيرين لا يكون غلطاً بل
تقليداً وتسليماً" فهل اوضح من هذه العبارات واقوى من هذا البرهان.
وقال اوريجانوس (في ك ٦ ضد شلسوس) "كما ان النفس تحيي وتحرك
الجسد الذي ليس له من نفسهِ حركة حية هكذا الكلمة... يحرك كلاً
من اعضاء الكنيسة" وقال (في مقالتهِ في الصلوة) "ان المسيح نور
العالم والكنيسة بقبولها هذا النور تنير الجميع وتصير هي ايضاً نور العالم
اذ تنير الجالسين في الظلام فان المسيح قال للرسل ايضاً انتم نور العالم
فانهم لا عيب فيهم" فان كان المسيح يحرك الكنيسة كما تحرك النفس
الجسد ويحل نوره فيها حتى تصير نوراً للعالم فكيف يمكن ان تغلط
وقال القديس كبريانوس (في رسالة ٦٩) "لايسوغ الابتعاد عن
الكنيسة اصلاً لان الكنيسة لاتبتعد عن المسيح البتة" فان كانت لا
تبتعد عن المسيح فلا تغلط . وقال موميلوس (في المجمع القرطاجني الثاني
سنة ٢٥٢) "ان كنيسة الله تساس وترشد بالالهام" ومن يرشده الهام
الله فهو معصوم من الغلط. وقال القديس اتناسيوس (في كلامهِ في
المجمع النيقاوي عد ٥) "من العبث وما لا طائل لهُ ان ترد الى الفحص
العقائد التي جزم عليها الاباء الذين اجتمعوا من كل المسكونة الى نيقية
وقال تاوافيلوس الاسكندري (في رسالتهِ الى ابيفانيوس) "ان الرب
يمنح في كل من الاوقات الكنيسة نعمته ليحفظ الجسد كاملاً ولا يدخل
السم بشي من تعاليم الاراطقة" وقال القديس ايرونيموس (في كتابهِ
ضد لوشيفوروس) "انه يمكنني ان اجفف بشمس الكنيسة الواحدة

جميع القضايا الاراتيكية ” ومن المشهور قول القديس اغوسطينوس ” اني لما كنت اومن بالانجيل لولم تحملني على ذلك شهادة الكنيسة الكاثوليكية ” وقال في الزبور ضد حزب دوناتوس ” احصِ الكهنة في كرسي بطرس في نظام الاباء وانظر تخالف الواحد للاخر فهي الصخرة التي لاتقوى عليها ابواب الجحيم المتكبرة ” فهل اوضح من هذا ولولا مللكم لما كفى وقت الوعظ هذا لتلاوة اشهر شهادات الاباء لهذه العقيدة ثم ان المومنين في كل عصر كانوا يعتبرون انهُ متى برز حكم الكنيسة في امر فينتهي الجدال ولا يعود للريب بحقيقة ما حكم به من سبيل . وقد سلم الروم الغير المتحدين بعصمة الكنيسة من الغلط في مجمعهم القسطنطيني سنة ١٦٧٢ خلافًا للابروتسطنت اذ قالوا (في قانون ١٠) نعترف ان الكنيسة الكاثوليكية اي الارتودكسية معصومة من الغلط لان المسيح الذي هو الحق نفسه يدبرها بمنزلة راس و روح الحق يرشدها من السماء ومثل ذلك قالوا في المجمع الاورشليمي تلك السنة ولتلك الغاية نفسها ” نومن ان الروح القدس يعلم الكنيسة الكاثوليكية ولهذا نعترف بثباتٍ انهُ لايمكنها ان تغلط البتة او ان تختار الكذب موضع الحق ” فمن اين للروم هذا الاعتقاد الا انهم حفظوه عند الانفصال فاذًا قد كان هذا التعليم في الكنيسة قبل انفصالهم في الجيل التاسع . على ان لوتاروس نفسه مع انهُ ازدرى بحكم الكنيسة فمع ذلك اقر بعد هذا بشهادة الكنيسة المعلمة خلافًا لنا كري معمودية الاطفال بقولهِ ” ان الكنيسة لايمكن ان تكذب ولا ان تعلم الغلط ولا في قضية واحدة وان علمت

كذبًا واحدًا فتكون بكليتها كاذبة " (مجلد ٧ من تا ليفه)

❊ القسم الثاني ❊

قد اتضح ببرهان العقل والوحي وشهادة الاباء ان الكنيسة معصومة من الغلط ولكن اين مركز هذه العصمة هل هي في الكنيسة المعلمة اي في كل من روساء الكنيسة على انفراد او هي فيهم على اجتماع مع راسهم الاسمى اي في المجامع المسكونية وهل هي في هذا الراس الاسمى خارجًا عن المجمع المسكوني ايضا اذ حدد امرًا اعتقاديًا اوادبيا وقدمه لتعقده الكنيسة بمنزلة عقيدة دينية فهذه مسائل ثلث عليها مدار هذا القسم وفي الاولى منها نقول ان العصمة ليست في كل من روساء الكنيسة على انفراد وهذا لا يحتاج تطويلاً وليس له مخالف يستوجب التفنيد وفي الثانية نقول انهُ لا شك بان روساء الكنيسة المجتمعين في مجمع عام مع راسهم الاسمى الذي هو الحبر الاعظم سواء حضر بنفسهِ او بنوابهِ او اثبت ما حتم بهِ الاساقفة هم معصومون من الغلط في امور الايمان والاداب وهذا ينكره الابروتسطنت وجميع من حرمتهم الكنيسة من المبدعين بعد حرمهم ولكن كل ما مر في القسم الاول من هذه الخطبة يفند زعمهم اذ اثبتنا فيهِ عصمة الكنيسة من الغلط بالعموم واين تكون عصمتها اذا لم توجد في مجمع مسكوني مولف من روسائها ورئيسهم الاعظم ولهذا لا يلزمنا بعد ما مر الوقوف على اثبات هذه الحقيقة

فتبقى المسالة الثالثة وهي هل الحبر الاعظم وحدهُ اي بالاعتزال عن المجمع العام هو معصوم من الغلط في امور الايمان والاداب اي متى

قدم للكنيسة كلها عقيدة من ذلك لتعتقدها والجواب على هذه المسالة هو الذي كان فيه الخلف قبل المجمع الواتيكاني بين كثيرين من اللاهوتيين الذين كانوا يحامون الراي المنسوب الى بعض علماء افرنسه خاصة بعض القرار المسمى قرار اكليروس افرنسه سنة ١٦٨٢ وبين عامة اللاهوتيين فان هؤلاء كانوا يعلمون ان للبابا العصمة في ما ذكر من الغلط منفردًا عن المجمع العام ايضًا وان الحبر الاعظم اعلى من المجمع واللاهوتيين المذكورين كانوا يقولون ليس للبابا وحده هذه العصمة والمجمع اعلى من البابا فهذه المحاورة ان اعتبرناها اعتبارًا نظريًا وجدليًا فقط نراها كبيرة ولكن ان اعتبرناها اعتبارًا عمليًا ووضعيًا وجدناها لا شي لان الحبر الاعظم لا يوجد منفردًا عن المجمع او الكنيسة التي يقيم معها جسدًا واحدًا اي هو الراس والباقي الاعضاء . ولانه لا يكون وحده في الحكم على امور اعتقادية بل لا بد ان يكون معه كثير من الاساقفة واذا انقسم الاساقفة على بعضهم فحيث بطرس فهناك الكنيسة بحسب مبدا مار ايرونيموس اي حيث يكون الحبر الاعظم فهناك التعليم الصحيح ثم لانه عند الحكم على عقيدة لا بد ان يكون الاساقفة اولاً نهضوا مقاومين ما يكون استجد من الضلال وعقدوا مجامع خصوصية وكاتبوا الحبر الاعظم وبالجملة والايجاز لا يكون الحبر الاعظم وحده ومن الممتنع عمليًا ان ينفرد الحبر الاعظم في مجمع عام عن اباء المجمع جميعهم لاسيما اذا اعتبرنا مساعدة المسيح للكنيسة ولهذا كانت هذه المحاورة نظرية وجدلية احرى من ان تكون عملية ووضعية ثم اذا كنتم سمعتم ان بعض

اباء المجمع الفاتيكاني كانوا يخالفون غيرهم في امر عصمة البابا هذه فينبغي ان تعلموا ان اكثر هولاء المقاومين لم يكونوا يخالفون عصمة الحبر الاعظم بنفسها بل كانوا يرون ان اشهار كونها من عقائد الدين في تلك الظروف لا يوافق الكنيسة اي ان جدالهم كان مقصوراً على عدم مناسبة الظروف حينئذٍ لتحديد العصمة والقلائل منهم الذين كانوا يخالفون الراي العام كان ذلك مباحاً لهم وقتيئذٍ اذ لم تكن الكنيسة حددت بعد هذه العصمة وبعد تحديدها اذعن جميعهم الا العلماء القلائل الذين تقراون اخبارهم في الصحف والذين يرجعون واحداً بعد الاخر وقد حدث مثل ذلك مرات في الكنيسة كما ينبغى ان تعلموا ان المجمع الواتيكاني بحكمهِ للحبر الاعظم بالعصمة اراد وصرح بانها العصمة من الغلط في امور الايمان والاداب اي انه يكون معصوماً من الغلط متى قدم للكنيسة تعليماً دينياً لتعتقده من الايمان او حكم حكماً الزم الكنيسة كلها به ان تعتبر شيئاً حراماً او حلالاً ولا يكون معصوماً في اعمالهِ واقوالهِ وارائهِ بمنزلة عالم فردي لا معلم الكنيسة كلها فهذه هي العصمة التي حكم بها المجمع الواتيكاني للحبر الاعظم واضحت من بعده من عقائد الدين.

واذ تقرر ذلك نقول ان الحبر الاعظم معصوم من الغلط في مواد الايمان والاداب وهذا اضحى الان عقيدة دينية بنوع ان من علم خلافاً لذلك كان اراتيكياً وهوذا البينات على ذلك من العقل المستنير بالوحي ومن الوحي نفسه ومن شهادة الاباء منذ اجيال الكنيسة الاولى ومن عمل الكنيسة والمجامع ايضاً

واولاً من العقل على عادتنا ان نقدم برهان العقل على غيره ان الذي يدل عليه العقل ونعتقده نحن الكاثوليكيون وقد برهنته في الخطب السابقة ان المسيح جعل رئيساً في كنيستهِ ليكون بمنزلة الراس لتدبير الكنيسة وبمنزلة راعٍ يرعى الخراف ويهديها طريق الخلاص بامن وبمنزلة اساس يوطد بناء الكنيسة والحال انه اذا لم يكن هذا الرئيس معصوماً من الغلط في العقائد الدينية وكان باقي الكنيسة اعلى منه ويصلح احكامه وفيه العصمة من دون الرئيس وليس في الرئيس العصمة من دونه فيكون الجسد مدبراً الراس لا الراس مدبراً الجسد وتكون الخراف ترعى الراعي وتهديه طريق الصواب لا هو يهديها اياه ويكون البناء موطداً الاساس لا الاساس موطداً البناء وهذا بعيد عن العقل وبعيد عن نية المسيح وغايته من اقامة الرياسة في كنيستهِ .

ثم اذا كان المسيح لم يمنح رئيس كنيسته العصمة من الغلط فلا يكون اهتم بها ولا تلافى حالها كما ينبغي فان المجامع العامة لا يمكن عقدها دائماً ويحتاج انعقادها الى زمان طويل خاصة اذا اعتبرنا حالة جميع الاجيال السابقة هذا الجيل اذ لم تكن وجدت بعد السفن البخارية والطرق الحديدية والتلغرافات وكان يقتضي اشهراً وسنين لاستدعاء اساقفة البلاد القاصية وقدومهم الى محل المجمع ومثله لاستشارتهم وتصريح رضاهم بما يلزم بته فاذا نشأت محاورة دينية والحالة هذه ولم يكن الحبر الاعظم معصوماً من الغلط فيلزم المومنين ان يلبثوا كل تلك المدات متزعزعين بايمانهم او يزيغون عن وحدة الايمان واصحاب الاضاليل يبثونها آمنين مدة طويلة الى ان يصادق على ما يخالفهم اساقفة المسكونة كلها واي مشترع

عاقل يسن لقومهِ شريعة كهذه لا يمكن احدًا ان يحكم على احد بخا لفتها الا حتى تجتمع القبيلة كلها او روساؤها من اقاليم بعيدة ويونبوا المخالف ويهددوه. لعمري لوكان كل منا مشترعًا او منشيًا جماعة لما سن لها فريضة كذا لمخالفة ذلك الصواب وخير قومهِ فاذًا كيف يمكننا ان نظن ان المسيح الذي احب كنيسته وبذل نفسه دونها وهو حكمة الاب السرمدي لم يقم لكنيستهِ رئيسًا مستقلاً في احكامهِ الدينية وعصمه من ان ينغش او يغش اولادها بل اراد ان لا يحكم احد على احد بالغلط الا حتى تجتمع روساء كنيسته المنتشرة في كل افق من كل الافاق وتبرز هذا الحكم سلبًا او ايجابًا وما تكون على ذلك منفعة الرياسة السامية التي اثبتنا قبلاً وجودها ببرهانات لا تنقض

وهوذا البرهان من الوحي مطابقًا لما ارشدكم العقل نفسه انهُ صواب ولازم. ان المسيح قال لبطرس بما انهُ رئيس حي ابدًا بخلفائهِ "انت هو الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ولك اعطي مفاتيح السماء ومهما تربطهُ في الارض يكون مربوطًا في السماء ومهما تحله في الارض يكن محلولاً في السماء" (متى ص ١٦ عد ١٧) فقد ارجع بعض الاباء القديسين الهاء من عليها في قولهِ لن تقوى عليها الى الصخرة اي الى ايمان بطرس فكانه يقول على ذلك ان ابواب الجحيم لن تقوى على هذه الصخرة اي ان حيل الابالس لا تتمكن البتة من ايقاع رئيس الكنيسة في الضلال ومن هولاء الاباء القديس كيرللس الاسكندري الذي قال (في ك ٤ في الثالوث) "ارى ان المراد بالصخرة ليس الا ايمان التلميذ

الكلي الثبات والغير المتزعزع الذي اسست عليه وشيدت الكنيسة حتى لا يمكن ان تسقط ولا تغلبها ابواب الجحيم" على ان الراي العام يرجع الضمير الى الكنيسة اي المعنى ان ابواب الجحيم لن تقوى على الكنيسة ولكن ولو سلمنا ان هذا هو التفسير الصحيح فيبقى البرهان من الاية قايماً فان الاية تشبه الكنيسة ببناء وبطرس باساس والحال انه اذا سقط الاساس فمن الضرورة ان يسقط البناء والحال ان البنا بموجب مواعيد المسيح لا يمكن ان يسقط فاذاً يلزم الحكم بمثل ذلك على الاساس لانهُ من البعيد عن الصواب القول ان المسيح جعل البناء في كنيستهِ ثابتاً والاساس مزعزعاً هاوياً مع انهُ قال ان الرجل العاقل يبني بيتهُ على صخر والرجل الجاهل يبنيه على الرمل . ثم ان تسمية بطرس نفسها بصخرة تشعر بانهُ معصوم من الغلط وكل خليفة لبطرس هو صخرة نظيره لبناء الكنيسة ولماذا سمي الحبر الاعظم صخرة الا بسبب ثباته وعدم تزعزعه ولعمري انهُ اذا كان صخرة فلا يتزعزع ولا يحركه كل ريح تعليم اعني لا يغلط في الايمان بما انهُ صخرة اي بما انه حبر اعظم كذا برهن العلامة بلرمينوس قائلاً وكذا فسر الاباء جميعاً ومن هنا نتجوا ان بطرس وبالتالي سائر الاحبار الاعظمين لا يمكن ان يغلطوا فقال اوريجانوس في تفسير هذه الاية "من الواضح وان لم يصرح به ان ابواب الجحيم لن تقوى على بطرس ولا على الكنيسة لانها ان قويت على بطرس الموسسة الكنيسة عليهِ فتقوى على الكنيسة ايضاً"

ثم ان المخلص قال لبطرس . ياسمعان هوذا الشيطان يسال ان

يغربلكم كالحنطة وانا طلبت من اجلك لئلا ينقص ايمانك وانت ارجع حيناً ما وثبت اخوتك . (لوقا ص ٢٢ عد ٣١) فالمسيح منَّ على بطرس بهذا الطلب من اجلهِ بانعامين الاول شخصي لكي لا يفقد بطرس الايمان الصحيح وان جربهُ الشيطان والثاني عام يشملهُ مع غيره اي منحهُ هذا الانعام بما انه حبر اعظم فيعمهُ مع خلفائهِ وهو بان لا ينتقص ايمانهُ اي يكون معصوماً من ان يعلم شيئاً مخالفاً الايمان و يدل على ذلك قولهُ وانت ارجع حيناً ما وثبت اخوتك فان ذلك خاص بوظيفة الراعي والرئيس فاذاً الطلب لم يكن من اجل بطرس بشخصهِ بل من اجل رئيس الكنيسة وراعيها العام وطلب المسيح مستجاب دائماً كما قال لابيهِ . وانا عارف انك تسمع لي كل حين . (يوحنا ص ١١ عد ٤٢) وعليهِ فنبرهن هكذا ان من طلب المسيح من اجلهم لئلا ينقص ايمانهم يلزم ان نحسبهم معصومين من الغلط في امور الايمان والاداب لان طلب المخلص لا يرد والحال ان المسيح طلب من اجل بطرس وخلفائه الاحبار الرومانيين ان لا ينقص ايمانهم وامرهم ان يثبتوا اخوتهم فاذاً بطرس وخلفاوه معصومون من الغلط في امور الايمان والاداب فان المسيح طلب من اجل بطرس لخير الكنيسة وبطرس كان مائتاً وخير الكنيسة كان دائماً فاذاً طلب هذه العصمة له ولمن يخلفهُ في وظيفتهِ .

فيقول من كانوا يحامون العصمة للكنيسة كلها و ينكرونها على الحبر الاعظم منفرداً عن المجمع ان المسيح طلب من اجل الكنيسة كلها بشخص بطرس ونال ما طلب للكنيسة كلها لكن تفسيرهم هذا غير مصيب لان

المخلص عيَّن شخصاً بقولهِ ياسمعان وفي اليونانية مكرراً اي سمعان سمعان ثم خاطبهُ بضمير المخاطب المفرد قائلاً من اجلك وايمانك وانت ارجع وثبت اخوتك وكل هذا بعد ان كان افتتح معهُ الخطاب بضمير جمع المخاطبين قائلاً ان الشيطان يسال ان يغربلكم فلماذا هذا التغيير من الجمع الى المفرد ولماذا لم يقل وانا طلبت من اجلكم لئلا ينقص ايمانكم الا لانهُ اراد ان يخصهُ بما ذكر واين اخوة الكنيسة ليصدق قوله ثبت اخوتك فالكنيسة واحدة لا اخوة ولا اخوات لها فلا يصدق عليها القول ثبت اخوتك وكذا لا يصدق عليها القول انت ارجع حيناً ما كما في العربية او انت راجع حيناً ما كما في اللاتينية فكيف ترجع الكنيسة كلها الا اذا قلنا انها تجحد المسيح كلها ثم ترجع وهذا لا قائل بهِ وهو عن الصواب بمعزل .

ثم ان المخلص قال لبطرس . ارعَ خرافي . . . . ارعَ نعاجي . (يوحنا ص ٢١) فالمسيح بهذا اقام بطرس رئيساً وراعياً يرأس ويدبر الكنيسة كلها المعلمة والمتعلمة الروساء والمروسين ليكون من يخلفهُ كذلك لما مر وكما ان الرئيس يلزمهُ ان يعلم جميع مروسيهِ هكذا يلزم جميعهم ان يسمعوا له فاذا غلط وعلم الكذب فلا يخلو الامر اما ان يسمع لهُ الجميع ويتمسكوا برايهِ فيقعون بالضلال وهذا مخالف لكل ما مر من ان الكنيسة لا تبطل ولا تضل كلها كما قدمنا . واما ان تقوم الخراف على الراعي فتبين له غلط تعليمه وكذبه وحينئذٍ يحصل خلاف ما رتب المسيح اذ لا يكون الراعي راعياً الخراف بل الخراف راعية لهُ وحيث ان الوجهين مستحيلان فيلزمنا ان نقول ان المسيح منح الحبر الروماني العصمة من الغلط في مواد الايمان والاداب .

فيقولون خلافاً لهذا البرهان السديد ان الكنيسة يلزمها ان تسمع للحبر الاعظم اذا علم تعليماً مستقيماً والا فيلزم ان تطيع الله اكثر من الناس نجيب ومن يحكم ان الحبر الاعظم علم تعليماً مستقيماً او لا فلا يخص الخراف ان تحكم على راعيها خاصةً في المواد المشكلة وليس لخراف المسيح قاضٍ او معلم اعظم من الحبر الاعظم لترفع الدعوى اليهِ فيقولون ان الدعوى ترفع الى المجمع العام فنجيب ان كل ما مر من البرهانات يبين ان البابا اعلى من المجمع فضلاً عن ان المجامع العامة غلطت مرات عندما خلت من رياسة الحبر الاعظم عليها كما جرى في المجمع الافسوسي الثاني وغيره وذلك المجمع يكون على هذا الافتراض جسداً من غير راس فيقولون ترفع الدعوى الى مجمع عام يحضر فيه الحبر الاعظم فان المجمع العام مع البابا اعلى من البابا منفرداً فنجيب ان المسيح قال لبطرس وحده انا طلبت من اجلك وارعَ خرافي ولم يقل هذا لبطرس والمجمع وكذا سمى بطرس منفرداً صخرة واساساً لا بطرس مع المجمع ومن هذا يظهر ان قوة المجامع الشرعية توخذ عن الحبر الاعظم واذا انقسم في هذا المجمع الاباء عن الحبر الاعظم فمن يكون القاضي وما يكون العلاج فالمجمع لا يكون قاضياً لانهُ يصبح في هذا الافتراض مدعياً ولانهُ لا يكون حينئذٍ مويداً بسلطة البابا واذا خلت المجامع من ذلك فتغلط كما غلطت فعلاً فلا يبقى الا ان البابا يكون قاضياً فاذاً لا يغلط فضلاً عن انهُ لا يتيسر كل حين عقد مجمع مسكوني كما مر.

فقد اتضح اذاً من كلام المسيح ان الحبر الاعظم معصومٌ من الغلط

فلنرَ ما قالهُ الاباء الاقدمون ولكي اتحاشى التطويل اقول ان قوله انت الصخرة الخ قد فهمه بمعنى عصمة البابا وخلفائهِ من الغلط كثير من الاباء منهم اوريجانوس الذي قال في تفسير الاية المذكورة (عدا ما رويناه عنه قبلاً) "من المراد بقولهِ عليها (من قولهِ ابواب الجحيم لن تقوى عليها) هل الصخرة التي يبنى عليها او الكنيسة ففي الكلام اشكال او هل الصخرة والكنيسة شي واحد وهذا ما اراه صحيحًا ان ابواب الجحيم لن تقوى لا على الصخرة التي بنى المسيح الكنيسة عليها ولا على الكنيسة" ومنهم فم الذهب وكيرلّس الذي ذكر كلامه مار توما وتاوادوريطوس في رسالته الى راناتوس القس الروماني وايرونيموس في رسالتهِ الى داماسوس حيث اثبت انه يذعن لراي الحبر الاعظم بكل امن لانه يعلم ان الكنيسة موسسة عليه ولا يمكن ان يسقط اساس الكنيسة. ومنهم اغوسطينوس في تفسير الزبور ضد حزب دوناتوس وفي رسالته ١٥٧ حيث قال "ان الايمان الكاثوليكي هو قديم وموسس في كلام الكرسي الرسولي وطيد وواضح حتى لا يجوز الريب به" والبابا جيلاسيوس في رسالته الى الملك انسطاس والقديس غريغوريوس في ك ٤ رسالة ٣٢

ثم ان قولهُ وانا طلبت من اجلك لئلا ينقص ايمانك قد فهمهُ بمعنى عصمة الحبر الاعظم من الغلط كثيرون من الاباء ايضًا منهم القديس لوشيوس الاول البابا والشهيد الذي كتب في رسالتهِ الاولى الى اساقفة اسبانيا وافرنسة. ان الكنيسة الرومانية الرسولية هي ..... التي لم يقل قط انها ضلت عن محجة التقليد الرسولي ولم تتدنس بما احدثه الاراطقة بحسب

وعد الرب القائل انا طلبت من اجلك الخ . ومنهم البابا فاليكس الاول والبابا لاون في خطبة ٣ على ارتقائهِ الباباوية والبابا اغاتون في رسالتهِ الى الملك قسطنطين اللحياني التي تليت في المجمع السادس المسكوني ومنها قوله . ان الرب وعد ان ايمان بطرس لا ينقص ونبهه الى ان يثبت اخوته وهذا صنعهُ الاحبار الرسوليون سلفاء حقارتي كل وقت وبكل ثقة كما هو معلوم عند الجميع . ومنهم نيقولاوس الاول في رسالتهِ الى ميخائيل ولاون العاشر في رسالتهِ الى بطرس الانطاكي ومن غير الباباوات تاوافيلكتوس في ص ٢١ من بشارة لوقا وبطرس غريسولوغوس في رسالتهِ الى اوطيخا حيث قال . نسالك ايها الاخ الموقر ان تصيخ طائعًا لما كتبهُ بابا رومية الكلي الطوبى فان بطرس الطوباوي الذي ما زال حيًا ومترأسًا في كرسيهِ يقدم للسائلين حقيقة الايمان . والقديس برنردوس في رسالة ١٩٠ الى البابا اينوشنسيوس حيث قال . من اللازم ان تعرض لرسوليتكم المخاطر والمعاثر التي تلم بملكوت الله لاسيما ما يعرض للايمان منها لان الواجب على ما ارى انهُ حيث الايمان لا يمكن ان يشعر بنقص فهناك خاصة يكون اصلاح مضرات الايمان لانهُ لمن من الكراسي غير كرسيكم قيل انا طلبت من اجلك لئلا ينقص ايمانك . وغير هولاء كثيرون وكذا فسر كثير من الاباء قول المخلص في يوحنا ارعَ خرافي بما ان الراعي العام يلزم ان يكون معصومًا من الضلال في امور الايمان ومنهم القديس اغوسطينوس والقديس كيرللس الاسكندري الذي قال (في كتابهِ الكنز) انهُ يجب الالتجاء الى الحبر الروماني لان له وحده ان يوبخ ويصلح ويقيم ويرتب ويربط ويحل

نيابة عمن اقامهُ ولم يعطِ غيره ما اعطاه اياه بالتمام بل اعطاه وحده وهو الذي يخضع الجميع رووسهم له بالحق الالهي ورؤساء العالم يطيعونه كطاعتهم ليسوع المسيح نفسه" والقديس نولجنسيوس (كتابه في التجسد والنعمة راس ١١ وغيرهم.

واذا كانت المجامع نفسها تعلم بان الحبر الاعظم معصومٌ من الضلال واعلى من المجامع فاي مجال لنا الى الجدال فالمجمع السينوساني الذي عقد في ايام البابا مرشلينوس نقرأ في خاتمته "ان الكرسي الاول لايحكم عليه احد" ومن بعده المجمع الروماني في ايام البابا سليبستروس قيل في قانونهِ الاخير "مامن احدٍ يحكم على الكرسي الاول" وفي اعمال المجمع الخلكيدوني نقرا ان الاباء المجتمعين فيهِ قالوا عند تلاوتهم رسالة البابا لاون "ان بطرس تكلم بفم لاون" وقالوا ايضاً "ان لنا بطرس الصخرة ملجا ولهُ وحده الحق ان يحكم بمقتضى المفاتيح المسلمة اليهِ من الله بسلطة مطلقة ونيابة عن الله وكل ما حدده يحصل التمسك به كانه من نائب العرش الرسولي" وفي العمل الثالث نقرأ رسائل عديدة واردة الى المجمع من محال مختلفة وهي مفتتحة هكذا" الى البطريرك العام الكلي القداسة والطوبى لاون بطريرك رومية العظمى (لم يكن اسم بابا استعمل بعد للاحبار الاعظمين) والى المجمع العام المقدس المنعقد في خلكيدونية الخ" ولم يقل حينئذ احد ان الحبر الاعظم لا ينبغي ان يتقدم على المجمع بل توجد في اخر هذا العمل رسالة من اباء المجمع الى البابا لاون يقرون له بها انه رئيسهم وابوهم وقد حرم المجمع حينئذٍ ديوسقوروس مع المجمع

الافسوسي الثاني كله خاصة لانه جسران يحكم على لاون الحبر الروماني وكيف لم يستطع المجمع ان يحكم عليه لو كان المجمع اعلى من البابا . وقد عقد مجمع في اسبانيا سنة ٤٦٥ فكتب الى ايلاريوس الحبر الروماني " اننا لجانا الى الايمان الذي يمدحه الفم الرسولي طالبين الجواب حيث لا يومر شي بغلط ولا بادعاء بل بتعميد حبري " وفي المجمع القسطنطيني الثالث قيل في رسالة المجمع الى البابا اغاتون " اننا ندع ما ينبغي التبصر بعمله لكم انتم القائمون على صخرة الايمان الثابتة " ثم يمتدحون رسائل الحبر الروماني ويقولون انهم يقرون بانها كتبت من هامة الرسل السامي بالهام الله وبها يدفعون البدعة الكثيرة الاضاليل. والمجمع القسطنطيني الرابع سمى الكرسي الروماني معلمًا لسائر الكراسي . وفي العمل السابع منه يقال ان الحبر الروماني حكم على جميع روساء الكنائس ولم يحكم عليهِ احد البتة وفي المجمع اللاتراني الرابع قيل " ان للكنيسة الرومانية نظام مخصوص اذ لا يمكن الالتجاء الى رئيس اعلى " فهل اوضح من هذه الاقوال هذا وان المجمع دون البابا يمكن ان يغلط في مراسيم الايمان ايضًا كما ظهر في مجمع سيرميوس ومجمع مديولان ومجمع ارمينا والمجمع الافسسي الثاني المدعو اللصي والمجمع القسطنطيني في ايام يوستنيانوس الثاني والقسطنطيني في عهد لاون الايصوري والاخر في ايام قسطنطين الزبلي وغيرها ولا يوجد مجمع غلط مع البابا .

ومن شهادة الاعمال سندًا الى تواريخ محققة لا ينكرها ولا يجهلها الاخصام اولًا ان الكاثوليكيين اعتبروا في كل وقت من حرمهم البابا

راطقة ومبدعين قبل حكم المجامع ثانياً انهم اعتبروا رسوم المجامع المسكونية
قابلة الاصلاح قبل اثبات الحبر الروماني لها ثالثاً ان الاساقفة لجاوا
من كل محل الى الحبر الروماني لما نشات محاورات دينية او بدع في
ابرشياتهم ليعلموا اما يلزم ان يحكموا به واذعنوا لتعليمهِ رابعاً ان الكاثوليكيين
اذعنوا في كل وقت لمراسيم الاحبار الرمانيين الاعتقادية ولم يابَ
الطاعة لها الا الاراطقة خامساً ان الكنيسة كلها قبلت قانون البابا
هرميزدا الذي علم بهِ ان شهادة الكرسي الرسولي معصومة من الغلط

ومن ذلك ان البابا اكليمنضوس الروماني خمد خصومات اهل
قرنثية والقديس انيشاتوس البابا عين وقت تعييد الفصح خلافاً لاساقفة
اسيا والقديس اسطفانوس البابا اوضح ان معمودية الاراطقة صحيحة خلافاً
للقديس كبريانوس الاسقف والقديس ملكياد البابا حرم الدوناتيين
والبابا سافار ينوس حرم تعليم ترتوليانوس فقال هذا "سمعت ان الامر
ذاع وهو قاطع فالحبر الاعظم واسقف الاساقفة قال" والقديس
سلبسترس البابا حرم اريوس ولما كان الاساقفة الاريوسيون يبثون
تعاليمهم الكاذبة وعزلوا القديس اتناسيوس فاعاده البابا يوليوس وكتب
اليهم يقول "هل تجهلون ان العادة ان يكتب الينا اولاً ليمكن ان نرسم
من هنا ما يكون عادلاً" والبابا ليباريوس كتب عند انتشاء بدعة
مكدونيوس بان الروح القدس غير مساوٍ للاب والابن جوهراً الى
الكنائس الشرقية يقول ان الثالوث الاقدس متساوٍ جوهراً فانحلت
المحاورة بحكمهِ وانتهت .وحرم البابا اينوشنسيوس والبابا زوسيموس ارطقة

بيلاجيوس وقال القديس اغوسطينوس في ذلك (في كتابه ضد رسالتي بيلاجيوس) "ان رسالة اينوشنسيوس ازالت كل ريب في امر بيلاجيوس هذا" وقال (في ك ٢ من تاليفهِ الناقص ضد يوليانوس) لم تطلب حتى الان الفحص عما جرى عند الكرسي الرسولي ... فاذاً لا ينبغي من الاساقفة ان يفحصوا بعد ذلك عن الارطقة بل يجب مقاومتها بالسلطات المسيحية" وكتبت القديس كيرللس الاسكندري الى البابا شالستينوس في دعوى نسطور "ان العادة القديمة في الكنائس تقضي ان تعرض هذه الامور لقداستكم فتتنازلوا الى ان توضحوا ما ترون بهذا الشان... ورايكم الكامل وحكمكم في هذا الامر ينبغي ايضاحه برسائل للاساقفة ولجميع روساء المشرق" وبولس البطريرك القسطنطيني عزلهُ المجمع من كرسيه فارجعه اليهِ البابا يوليوس والقديس افلابيانوس البطريرك القسطنطيني ايضاً حكم عليهِ مجمع افسس الثاني فاستغاث من المجمع بالبابا لاون وكذا استغاث تاودوريطوس اسقف قورش من حكم المجمع المذكور بالبابا لاون ايضاً كما هو ظاهر من رسالته المعلقة في خاتمة تاليف البابا لاون. والقديس يوحنا فم الذهب عزله المجمع فاستغاث بالبابا اينوشنسيوس كما هو بين من رسالة فم الذهب اليهِ كل هذا من مشهورات التاريخ ومن الاجيال الخمسة الاولى ولولا خشيتي من مللكم لاطلت الكلام فيهِ.

فجل ما يعترضوننا بهِ بهذا الشان ان بعض الاحبار الرومانيين ارتكبوا غلطاً يخالف الايمان وخاصةً البابا ليباريوس والبابا اونوريوس

ففي البابا ليباريوس يقولون انهُ امضى صورة ايمان توافق بدعة الاريوسيين والحال ان البابا ليباريوس كان الاريوسيون نفوه لانهُ لم يشا ان يوافقهم ونعم يقال انهُ اخيرًا امضى لشدة المضايقة لهُ ولتعذيبهِ في المنفى صورة ايمان الفها الاريوسيون في سيرميوس الآ ان تلك الصورة كان ظاهرها كاثوليكيًا بكليتهِ لكن الاريوسيين كانوا ابطنوا فيها شيئًا يؤيد بدعتهم ولم يكن عمل البابا بمنزلة تعليم يقدمه للكنيسة كلها لتعتقده وما امكنهم اجباره على نفي كلمة مساوي للاب في الجوهر التي كانت أضيفت الى قانون الايمان بل امضى صورة ايمان لم يكن فيها على ظاهرها شي يخالف الايمان الكاثوليكي فلم يعلم خلاف هذا الايمان ولا اراد ان تقتدي الكنيسة بعملهِ بل انهُ قبل ان يبارح سيرميوس اشهر اعلانًا بهِ يحرم من ينكرون ان الابن يشبه الاب بالجوهر وبكل شي كما روى زوزومانوس ونيكوفوروس في تاريخهما هذا بافتراض ان ليباريوس امضى حقيقة صورة الايمان المذكورة مع ان سولبيسيوس وسقراط وزوزومانوس ونيكوفوروس وكثيرين من المتجددين يثبتون ان ليباريوس لم يمضِ تلك الصورة لان الاريوسيين لم ياتوا بذكر ذلك في مجمعهم في اريمينا ولان الاثار التي يوخذ عنها الخلاف هي مزورة او محرفة ولان زوزومانوس يقول صراحة (في ك٤ من تاريخهِ راس١٥) ان الاريوسيين اشاعوا هذا الخبر كذبًا ولان امبروسيوس وابيفانيوس و باسيليوس وتاوادوريطوس اطنبوا في مدح ليباريوس البابا .

اما البابا انوريوس فيتهمونه انه علم بالمشيئة الواحدة وواقع الامر

هو ان سرجيوس البطريرك القسطنطيني كتب الى البابا انوريوس يخبره بانه يوجد من يعلم ان في المسيح مشيئة واحدة وفعلاً واحدًا وانه اذا علمنا بمشيئتين وفعلين فنوجب تضادًا في جسد المسيح ونفسه ويلتمس من البابا ان يامر بالصمت عن هذه المباحثة لان الكلام فيها يجدد التشويش والانقسامات فالبابا اونوريوس اجابه بما نصه " اننا نعتقد ان في سيدنا يسوع المسيح مشية واحدة " فسندًا الى هذا يدعي الاراطقة بان البابا علم بضلال المشيئة الواحدة مع انه اردف قوله السابق بقوله التابع " لان اللاهوت اخذ طبعنا لا خطيتنا اي الطبع الذي خلق قبل الخطية لا الذي فسد بواسطة المخالفة .... اذ لم يكن في المخلص شريعة اخرى في اعضائهِ (كما يقول الرسول) ولا ارادة مختلفة او متضادة " والواضح من ذلك ان البابا عنى ان الطبع البشري في المسيح لم يكن فيه التضاد الذي نشعر به اذ تشتهي النفس ما يضاد الجسد وهو ما يضادها وهذا صريح كلامه وهو لا يخالف الايمان بشيء وكذا شهد البابا يوحنا الرابع خليفة انوريوس دون متوسط بينهما اذ كتب في رسالتهِ الى قسطنطين اللحياني " فاذًا سالفي المذكور اذ علم في سر تجسد المسيح قال لم يكن فيه كما فينا نحن الخطاة مشيتان متضادتان للنفس والجسد فهذا تاوله البعض وفهموه بمعنى رايهم فاشتبهوا بانهُ علم بمشية واحدة في لاهوت المسيح وناسوتهِ وذلك مضاد للحق من كل وجه " وروى القديس مكسيموس (الذي كان في ذلك العصر) في جدالهِ مع بيروس ان الانبا يوحنا الذي كان كاتب اسرار اونوريوس كتب رسالة الى سرجيوس شرح

فيها معنى كلام اونوريوس فقال " قلنا ان في ربنا مشية واحدة لا في اللاهوت والناسوت بل في الناسوت وحده ولما كان سرجيوس كتب ان البعض يقولون ان في المسيح مشيتين متضادتين قلنا ان المسيح ليس فيهِ مشيتان متضادتان للجسد والروح كما فينا بعد الخطية بل مشية واحدة في ناسوتهِ " وقد علم انوريوس بالمشيتين والفعلين في المسيح بالمعنى الكاثوليكي كما هو بين من قولهِ في رسالتهِ الثانية الى سرجيوس "ونظرًا الى التعليم الكنائسي فيلزمنا ان نعتقد ان في المسيح طبيعتين مقترنتين بالوحدة الطبيعية فاعلتين باشتراك الواحدة مع الاخرى فالالهية تفعل ما لله والبشرية ما للجسد " فالواضح من ذلك ان فيهِ فعلين وعلى كل ما مر فاين الغلط في الايمان بكلامهِ نعم انخدع بكلام سرجيوس فقال يلزم ان نترك لعلماء اللغة القول ان في ناسوت المسيح مشيتين او فعلين او مشية وفعلًا لئلا اذا قلنا الاول نظن نسطوريين نعتقد اقنومين او قلنا الثاني نظن اوطاخيين نعتقد طبعًا واحدًا لكن هذا مجرد حسن تصرف ذا برهنهُ بلرمينوس (في ك ٤ في الحبر الروماني راس ١١) ولا شي فيهِ يخالف الايمان .

فقد اتضح اذًا اولادي من خطبتي هذه ان الكنيسة معصومة من الغلط وان الحبر الاعظم الروماني هو مركز هذه العصمة وانها مقصورة على ما يتعلق بمواد الايمان والاداب وان هذه الحقيقة كانت في الكنيسة منذ مباديها ولم يحدثها اباء المجمع الواتيكاني كما يتقاول اخصامنا ولم ينسبوا الى الحبر الاعظم عدم الغلط الا في ما ثبت ان المخلص وعد ووعد

كنيسته بهِ بانهُ يساعد مساعدة مخصوصة لئلا يضل به فلنزدد اذاً تمسكاً بهذا الايمان الكاثوليكي المقدس وبالطاعة للكنيسة الرومانية ام سائر الكنائس ومعلمتهن وعمود الحق واساسه ولرئيسها المنظور الحبر الروماني الاعظم نائب المسيح في الارض ونحافظ على الفخر الذي اورثهُ لنا اجدادنا بمحافظتهم كل حين ودون انقطاع على هذا الايمان المقدس ونقرن ذلك بتحلية نفوسنا بالاعمال الصالحة والفضائل وحسن الخصال لنؤهل الى الانتقال من هذه الكنيسة المجاهدة وبواسطتها الى الكنيسة المنتصرة في السماء كما ارجو لكم ولي بنعمة الاب والابن والروح القدس.

خطبة

* في سلطة الكنيسة على فرض شرائع تلزم المومنين ذمةً *

القاها في عيد القديس يوحنا مارون في ٢ اذار سنة ٧٤

من سمع منكم فقد سمع مني ومن احتقركم فقد احتقرني لوقا ص ١٠ عد ١٦

اني خطبت في مثل هذا العيد سنة ٧٣ مبيناً ومثنياً على فضائل القديس يوحنا مارون واعماله الحسنة ومعظم اجتهاده في كرم الرب الذي سلم اليه وعرضت بذكر تآليفه وتصانيفه وحرضت على الاستشفاع به والالتجاية اليهِ فعود عيده في هذا اليوم لايوجب علينا اعادة شي من كلامنا الماضي سوى تكرار الحث والاغراء بتكريمهِ بتقديم صلواتنا الى الله على يده والالتجاء اليهِ ليشفع بنا لدى الوسيط بين الله والناس يسوع المسيح مخلصنا ويستمد لنا منهُ النعم اللازمة لخلاصنا وللافاة احتياجات الكنيسة واحتياجاتنا الروحية فان هذا القديس العظيم شفيع طائفتنا ولعل الله بصلواتهِ وصلوات القديس مارون حفظها كل وقت وما برح حافظاً لها في سراط الايمان الكاثوليكي المستقيم ولعمري اننا في عصر طما بالفساد والضلال فنحتاج الى احر التوسلات والابتهالات لنفوز باقوى الشفاعة والعون في ايام الضيق لحفظ شعبنا على الايمان القويم والاداب المسيحية والخصال المحبوبة والممدوحة التي حافظ عليها اجدادنا واكتفي بهذا بالنظر الى العيد راجعاً الى سلك كلامي المعتاد في هذه السنة

وبما كنت في خطبي الماضية برهنت على اقامة المسيح كنيسته وجعله الرياسة المستقلة فيها مركزًا للوحدة وابنت العلامات والخواص المميزة لها واثبت عصمتها وعصمة رئيسها الاعظم من الضلال في مواد الايمان والاداب فكان نسق كلامي الماضي يستلزم ان تكون مادة خطبتي الان اقامة البرهان على ان المخلص اعطى الكنيسة السلطة على فرض سنن وشرائع تلزم المومنين ذمة و ياثم امام الله من خالفها ثم تفنيد ما يعترض بهِ اخصام الكنيسة خلافًا لذلك ولذا كانت خطبتي مقسومة الى قسمين اثبت في اولهما لزوم هذه السلطة ووجودها في الكنيسة وافند في ثانيهما ما يخالف ذلك والمقصد من هذا امران الاول توطيد هذه الحقيقة في عقولكم لزيادة الاحترام والطاعة لوصايا الكنيسة الملزمة لكم كوصايا الله والثاني المدافعة عن هذه العقيدة ومحاماتها من ازعام اخصام ديننا وكنيستنا لاسيما الابروتسطنت الذين انكروا ان للكنيسة هذه السلطة الملزمة الضمير وكثيرًا ما تهكموا على وصايا الكنيسة خاصةً الصوم والقطاعة كانها امور محرمة او تحفظات باطلة خلافًا بينًا لقول المخلص لرؤسائها من سمع منكم فقد سمع مني ومن احتقركم فقد احتقرني فاصغوا الخ

❋ القسم الاول ❋

ان العقل والوحي وشواهد الاقدمين وعملهم مجمعة على ان للكنيسة السلطان على فرض شرائع ووصايا تلزم الضمائر ونبتدى من البرهان العقلي على عادتنا . قد برهنا قبلاً ان المسيح أراد ان تكون له جماعة كباقي الجماعات بل اكثر نظامًا وثباتًا منها وان تكون مولفة من روساء ومروسين

نظير كل جماعة وجدت في العالم وان يكون لروسائها رياسة وسلطة وحيث كان الحال كذلك فكيف يمكن ان تكون رياسة دون جوهريات الرياسة التي اخصها السلطة على الامر والنهي والتدبير وبالتالي على فرض شرائع وسنن يلزم المروسين الخضوع لها والعمل بها والا فلا يكون لها نفع ولا تستحق الشرائع اسم شرائع ولا الرياسة اسم رياسة ولا السلطة اسم سلطة بل تكون ولا تكون معاً فتكون بافتراض كل ما برهناه قبلاً وبافتراض ان كل جماعة لابد لها من رياسة ولا تكون بافتراض ان تلك الرياسة خلية عن خواصها الجوهرية التي لا تقوم بدونها كما هو الامر من جهة الرئيس والخضوع والالتزام من جهة المروس ومن اعظم المستحيلات ان الشي يكون ولا يكون معاً وكذا قل في الشرائع والسلطة

ثم ان فرض الكنيسة الشرائع والوصايا كان لازماً كما كان لازماً في كل حكومة وجماعة فرض شرائع ونظامات وترتيبات مدنية ما امكن الاستغناء عنها في كل جماعة او قبيلة من اول العالم حتى الان نعم ان للكنيسة شريعة الانجيل وشريعة الطبيعة لكن هذه الشرائع عامة وتحتاج بلا بد الى تفسيرات وتخصيصات في الحوادث والظروف الخصوصية والى فرض ما يساعد على حفظ تلك الشرائع الالهية ووقايتها من المخالفات او الاهمالات والحكومات عندها شرائع الطبيعة ومع ذلك احتاجت وتحتاج الى فرض سنن ونظامات وكما ان شرائع الملوك او الحكومات هي بمنزلة نتائج وايضاحات لشرائع الطبيعة هكذا شرائع الكنيسة هي بمنزلة نتائج من شرائع الانجيل وايضاحات لها ومساعدات على حفظها

مثلاً قد امر المخلص في الانجيل بمناولة جسده ودمه بقولهِ ان لم تاكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه فليست لكم حيوة في ذاتكم ولكن لم يعين الانجيل كيف ومتى يلزم ان نتناول فعينت الكنيسة ان يكون التناول ولو مرة واحدة في الفصح وكان الرسل فرضوا ان يكون التناول قبل كل اكل تورعًا واحترامًا لجسد المسيح وكذا نقرأ في الانجيل ان المسيح صام اربعين يومًا وامر ان نصوم لكننا لا نرى الانجيل عين لنا وقتًا نصوم بهِ فالكنيسة منذ ايام الرسل فرضت شريعة الصوم وكذا اسهب الانجيل بذكر الام مخلصنا وذبحه على الصليب من اجل خلاصنا وامر الرسل والكهنة ان يقدسوا جسده ودمه ذكرًا لموته والامه واراد ان نتذكر ذلك لنعلم حبه لنا ونمتنع من اهاناتنا له بالاثام ونربح الخلاص ولكن لم يعين المخلص وقتًا ولا اسلوبًا لذلك ففرضت الكنيسة شريعة سماع القداس على المومنين ايام الاحاد والاعياد وهلم جرًا في باقي شرائع الكنيسة فان مرجع كلها اما الى تفسيرات وتعيينات وتخصيصات لشريعة الانجيل واما الى تدبيرات ونظامات للمحافظة عليها ولضبط المومنين وسياستهم بموجبها ودون مخالفة لها البتة والنوعان لم يكن يمكن الاستغناء عنهما قطعًا كما هو بين باقل تكلف وباقل تامل بباقي الحكومات والجماعات في كل العالم وفي كل عصر وباقل تبصر بحالة الامر بنفسهِ

واما كون تلك الشرائع ملزمة ذمة فيكفي موونة البرهان له كونها شرائع او وصايا فان غاية الشريعة او الوصية وخاصتها الذاتية هي الالزام ولا يمكن تصور شريعة دون الزام اما بعقاب زمني مجرد واما مع اثم ايضًا

وحيث لم يكن الزام فلا شريعة ولا نفع من الشريعة التي لا تفرض الا المنع الناس عن مساوٍ او لا لزامهم بعمل خيري فان لم تكن فيها قوة لذلك بطلت غايتها وتغير جوهرها واضحت عبثًا وهدرًا وعلى الكثير مشورة لكن الناس المنفسدون طبعًا والمستحوذة عليهم الشهوات والاميال والمطامع لا تكفي المشورات والتحريضات في سياستهم وان كانت المخالفات كثيرة مع اعتقاد الالزام والنزل بهِ من جانب الروساء والولاة فكيف تكون حالة جماعة لا تعتقد في روسائها سلطة فرض شرائع ملزمة بل تملقات ومشورات فقط فهل من جماعة مدنية في كل العالم هذه حالها فلمَ اذًا لا يستحسن اخصام كنيستنا هذه الحال المنحطة الا لجماعة المسيح التي كان ينبغي لتاسسها من اله متانس ان تكون اكثر نظامًا وثباتًا واحسن سياسة وتدبيرًا من جميع الجماعات التي اسسها او دبرها الناس·

واما ايات الوحي المثبتة هذه الحقيقة فاكثر من ان تعد في خطبتي هذه فاكتفي بذكر بعضها عن ايراد كلها فقد جاء في التثنية (ص ١٧) « ومن تكبر ولم يشا ان يطيع امر الكاهن الذي يخدم الرب الهك وقتئذٍ فيموت ذلك الانسان بحكم القاضي وتزيل الشر من اسرائيل » فهل ليس للروساء في العهد الجديد ما كان للكهنة او الاحبار في العهد القديم من السلطان لعمري ان روساء العهد الجديد يفضلون على احبار العهد القديم كما يفضل المصور على الصورة وكما تفضل الحقيقة على الرسم ولم يقل للاويين ما قاله ابن الله لروساء الكنيسة كما ارسلني ابي هكذا انا ارسلكم . ولا تقل ان الفعل المامور في شريعة او وصية كنائسية يكون احيانًا مجردًا عن الخير او الشر

بنفسهِ فاذاً الامر بهِ لايلزم فلوصح هذا القول لكانت وصايا الله الوضعية اي الغير المامور بها من شريعة الطبيعة لاقوة الزامٍ فيها لانها مجردة بنفسها ايضاً فكيف الزم اذاً الختان اليهود وهو بنفسهِ لاخير ولا شر فيهِ ولِمَ التزم اليهود بامر الله لهم ان لا ياكلوا لحم الخنزير مع ان اكله مجرد بنفسهِ واننا نرى المكابيين ارادوا ان يموتوا ولاان ياكلوا منه وقد امر الله بذلك من حيث هو مشترع لا من حيث هو اله

واما السيد المخلص فقد صرح باعطائه رسله وخلفاءهم هذا السلطان كل التصريح بايات عديدة واساليب مختلفة فنراه تارة يقول لهم كما ارسلني ابي هكذا ارسلكم (يوحنا ص ٢٠) اي كما ارسلني ابي لارشد الناس الى طريق الحق والخلاص وافرض عليهم سنناً وشرائع يساسون بها وتقودهم الى السماء وقد اعطيت كل سلطان في السماء والارض هكذا ارسلكم لتصنعوا بعد صعودي الى ابي اي « يتركهم وظيفته ويقلدهم سلطانه » كما قال فم الذهب وهل من ينكر على المسيح سلطان فرض الشرائع · وتارة اخرى يقول لهم « من سمع منكم فقد سمع مني ومن احتقركم احتقرني ومن احتقرني احتقر الاب الذي ارسلني » مبيناً تائيداً لسلطانهم ان احتقار وصاياهم ياول الى احتقاره واحتقار ابيه وان من خالفهم خالف الاب والابن وقد امر بعقوبة من خالفهم ولم يسمع منهم بقوله « واذا لم يسمع للكنيسة فليكن عندك كوثني وعشار » اي تجانبه ولاتتعامل معه ولاتحسبه اخاً وزاد على ذلك انهُ جعل سلطانهم يعمل بهِ في اليوم الاخير ايضاً اذ يدينون معه اثنى عشر سبط اسرائيل الذين لم

يسمعوا كلامهم ولم يذعنوا لاوامرهم فقد قال للرسل « اذا جلس ابن الانسان على كرسي مجده تجلسون انتم على اثنى عشر كرسياً وتدينون اثنى عشر سبط اسرائيل » بل جعل سلطانهم ممتداً الى السماء ومعمولاً بهِ امام الله نفسه عزوعلا اذ قال « مهما ربطتموه على الارض يكن مربوطاً في السماء » فهذا لا يعم ربط الاشخاص على انفراد فقط بل ربط عامة المومنين بوصايا وشرائع ايضاً فانهُ قال مهما او كل ما لاكل من للتعميم كما يعلم من علم اصول العربية وكذا الاية في غير العربية من النسخ وكثيرا ما ورد فعل ربط في الكتاب المقدس بمعنى فرض وصية اوسنة ومن ذلك قول المخلص في الكتبة والفريسيين « يربطون احمالاً ثقيلة ويضعونها على مناكب الناس وهم لا يريدون ان يحركوها باحدى اصابعهم » (متى ص ٢٣) اي يفرضون سنناً ثقيلة على الناس وهم لا يعملون بها . وقد قال المخلص لبطرس اذ سلمه رعاية خرافه اي المومنين اجمع « ارعَ خرافي ارعَ نعاجي » (يوحنا ص ٢١) وكيف يرعى الخراف او النعاج ان كان ليس لهُ ان يامرها بشي وليس عليها الزام بان تطيعه بشي ولا يمكنه ان يردها عن المراعي المضرة ولا ان يقودها الى المراعي المفيدة ولا ان يفصل الجرباء منها وهلمَّ جرًا في كل ما تقتضيه وظيفة الراعي او سلطة الرئيس والمدبر ويكفيني هذا القليل من كلام المخلص .

وقد اوضح الرسل بعد صعود المخلص ان لهم هذا السلطان منه تعالى باقوالهم واعمالهم فمن اقوالهم قول مار بولس (في رسالته الى الرومانيين ص ١٣ عد ١) « كل نفس فلتخضع لسلطان العظمة لان

ليس سلطة الاَّ من الله... ومن قاوم السلطة فانما يقاوم امر الله والمقاومون يكسبون الدينونة ... ولذلك يلزمنا ان نخضع ليس من اجل الغضب فقط بل من اجل نيتنا ايضاً » ولا يراد بالسلطة هنا السلطان العالمي فقط بل الكنايسي ايضاً بل يراد السلطان الكنايسي باولى حجة لاتجاهه الى خير النفوس التي هي اولى واشرف من الاجساد التي جل اتجاه السلطان العالمي اليها فان غايته الراحة والسعادة المدنية الزمنية وغاية السلطان الروحي خلاص النفوس وسعادتها الابدية وقد اقر كلوينوس (في ك ٤ من رسومه راس ١٠)ان المراد بالسلطة من الاية السلطان الروحي ايضاً وقد صرح الرسول بان وصايا السلطة تلزم ذمة ايضاً اذ قال يلزمنا ان نخضع ليس من اجل الغضب فقط الذي يراد بهِ العقوبة والقصاص بل من اجل النية ايضاً ويريد بها الذمة والضمير اللذين تثقلهما المخالفة وتوجب عليهما الخطية امام الله والانتقام

وقد قال هذا الرسول ايضاً (في قرنتية ١ ص ٤ عد ٢١) « كيف تشآون ان اقدم اليكم ابالعصا ام بالمحبة والروح المتواضع » فيبين ان لهم من الله السلطان لا على فرض وصايا وشرائع فقط بل على المعاقبة لمن خالفوها ايضاً وقد فهم الاباء بالعصا السلطان على معاقبة من خالف الوصايا سنها الله او انصاره . وبهذا المعنى قال المرتل متنبئاً على المسيح « وترعاهم بعصا من حديد » (مزمور ٢) واشار بكونها من حديد الى قوتها وعدم التوائها فهذه العصا قد سلمها المسيح الى الرسل وبها ضرب بطرس حنانيا وصفورا فاماتهما لانهما اخفيا من ثمن القرية خلافاً لامر

الرسل وبها ضُرب عليما الساحر بالعمى . وبها سلم مار بولس اسكندر وهيمانوس الى الشيطان (تيموتاوس ١ ص ١)

وقد صرح الرسل خاصة مار بولس بذكر السلطان الذي خولهموه المسيح ليسنوا وصايا وشرائع ويذكر الوصايا التي فرضوها على المومنين في ايات اخرى كثيرة يقضى علينا طلب الايجاز بذكر بعضها فقط فقد قال (في رسالة تسالونيكي ١ ص ٤ عد ٢) « فانكم تعرفون اي وصايا استودعناكم بربنا يسوع » وقال ايضاً (في تسالونيكي ٢ ص ٣ عد ١٤) "وان كان احد لا يطيع كلامنا هذا في الرسالة فافرزوه ولا تخالطوه فيخزى » وقال (في قرنتية ١ ص ١١) « اني امدحكم يا اخوتي على انكم تذكرونني في كل شي وانتم متمسكون بوصاياي كما اودعتكموها » وقال (في قرنتية ٢ ص ١٣ عد ١٠) - ولهذا اكتب بهذه الاشياء وانا بعيد لئلا افعل بالقساوة اذا قدمت بحسب السلطان الذي اعطانيه الرب لبنيانكم لا لهدمكم - وقال (في عبرانية ص ١٣) - طيعوا مدبريكم واخضعوا لهم فانهم يسهرون عنكم كاناس يؤدون حسابكم - وقال فم الذهب في تفسير هذه الاية الاحسن للانسان ان لا يكون لهُ مدبر من ان يكون لهُ مدبر لا يطيعه لان من لهم مدبر ولا يطيعونه يعاقبهم الله

ومن اعمال الرسل اى من فرضهم وصايا وشرائع نكتفي بذكر شريعتهم التي امروا بها بالامتناع عن اكل ذبائح الاوثان والمخنوق والدم اذ قالوا - روي للروح القدس ولنا ان لا يوضع عليكم ثقل اخر الَّا هذه الامور اللازمة ان تمتنعوا عن ذبائح الاوثان والمخنوق والدم (ابركسيس

ص ١٥) وتلك شريعة حديثة سنها الرسل فلا شي منها في الانجيل ومادتها مجردة بنفسها وكانت ملزمة ولو الى وقت للقول عنها انها ثقل وانها من الامور اللازمة ولانهٔ فرض في قانون ٦٢ من القوانين المعروفة بقوانين الرسل على من يخالفها ان اكليريكيًا العزل وان عالميًا الحرم وحقق كثير من الاباء انها كانت وصية ملزمة مع نفي كل شك ومعثرة ايضًا خلافًا لزعم كلوينوس

وقد فرض ماربولس (في طيموثاوس ١ ص ٣) الشريعة بان لا يرتقي الى الدرجات المقدسة من اتخذ اكثر من امراة . ولتكن الشمامسة من كان لهُ امراة واحدة . ولا شي من ذلك في الانجيل . وفرض (في ص ٥ من الرسالة المذكورة) سنة عدم قبول الشكاية على القسيس الا بشاهدين او ثلثة شهود ولا شي منها في الانجيل . وفرض (في قرنتية ١ ص ١١) وصايا تلاحظ كيفية الصلوة وكشف رووس الرجال وستر روس النساء في الكنيسة ولا شي من هذا ايضًا في الانجيل وفرض (في قرنتية ١ ص ٧) شريعة مساكنة الرجل المومن للمراة الغير المومنة ومفارقة احدهما الاخر وكل ذلك لا ذكر لهُ البتة في الاناجيل فهل تحتاج بعد هذه الحقيقة الى اثبات وبينات اكثر مما مر من الوحي

فلننظر الان كيف يثبتها التقليد . ان المجامع والاباء مجمعون على اثبات سلطان الكنيسة على فرض الشرائع وهذا لا يمكن الاخصام انكاره لكنهم يحاولون تغشية هذه الحقيقة بزعمهم ان الشرائع الكنائسية غير ملزمة ولذا نجتزي بان نورد من اقوال الاباء والمجامع بعض ما يثبت

كون الشرائع الكنائسية ملزمة كالزام وصايا الله ويأثم مخالفها كما يأثم من خالف الوصايا الالهية مع اعتبار ثقل الخطايا او خفتها بحسب مادة الاثم وشرعه . انهُ قل ما وجد مجمع لم يامر بشيء اولم ينه عن شي تحت عقوبة الحرم او العزل وكذا رسائل وبرآت الاحبار الاعظمين من اقدم الايام مشحونة بوصايا يرافقها التاديب الكنائسي. اننا نقصر كلامنا هنا على وصية واحدة كنائسية يذمها الاراطقة كثيرًا وهي فريضة الصوم وما نقوله فيها احسب انه يمكننا ان نقوله في غيرها ايضًا · ان الاخصام لا ينكرون كون شريعة الصوم الاربعيني وضعية وكنائسية وقد علم الاباء الاقدمون والمجامع القديمة انها تلزم ذمة فقد امر في قانون ٦٨ من القوانين المعروفة بقوانين الرسل ان الصوم المفروض اذا خالفه اكليريكي عزل او عالمي حرم · وامر مجمع كنكرا في قانون ١٩ ان يحرم من خالفوا وصية الصوم المفروض لغير ضرورة · ورسم مجمع توليتو في قانون ٨ و٩ ان يمنع من المناولة في الفصح من خالف الصوم وان لا يتناول اللحم السنة كلها · وقال القديس باسيليوس في خطبة ٢ في الصوم · احذر لئلا تسقط في في الهلاك لشهوة اكل قليل - وقال فم الذهب في خطبة ٦ للشعب الانطاكي - اتى الصوم فلو حرّض احدكم الف مرة وعذّب واجبر ان يشرب الخمر او ان يذوق شيئًا لاتبيحه شريعة الصوم فليفضل كل منكم ان يتحمل كل شي على ان يمس طعامًا محرمًا او محظورًا - وكذا قال القديس امبروسيوس في خطبة ٢٥ - ان مخالفة الصوم الاربعيني المفروض على المومنين ليست خطية خفيفة وقال القديس اغوسطينوس في

خطبة ٦٢ ـ ان الصوم في بعض الايام دواء او نفل واما عدم الصوم في صوم الاربعين فاثم ـ ومثله قال القديس لاون في خطبة ٣ في الصوم ـ من التقوى الصوم الغير المفروض ومن النفاق والاثم ترك الصوم المفروض ـ

ومن حيث ان بعض الابروتسطنت يقولون ان الكنيسة ينبغي ان تساس بشرائع الملوك والمالك لا بشرائع خاصة بها فينبغي ان نبين ما كان راي الكنيسة وعملها في الاجيال الاولى ونكتفي عن التطويل بان نورد اولاً قول أُسيوس اسقف قرطبا الى الملك قسطنطين الكبير في مبادي الجيل الرابع اى الف ومائة سنة قبل ان يكون الابروتسطنت كما رواه القديس اتناسيوس في تاريخ الاريوسيين عد ٤٤ وهذا قوله ـ لا تتداخل بالامور الكنائسية ولا تامرنا بشي من هذه الاشياء بل الاولى ان تتعلم هذه منا قد سلم الله اليك الملك واستودعنا الامور الكنائسية وكما ان من يختلس منك الملك يقاوم الله الذى رتب ذلك فكذا احذر لئلا اذا اختلست الامور الكنائسية ونسبتها اليك تصير مجرماً جرماً كبيراً فقد كُتب اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ـ ثانياً قول القديس امبروسيوس مخاطباً الملك والنتنيانوس في الجيل الخامس وهو ـ لا تهوَ ايها الملك ان تثقل نفسك بظنك ان لك في الامور الالهية حقاً ما ملكياً ٠ ٠ فالبلاط يخص الملك واما الكنيسة فتخصنا ـ وقال مثل ذلك كثير من الآباء

القسم الثانى

قد اوردنا حتى الان بعض ما لنا من البينات على ان الكنيسة

السلطان على فرض شرائع تلزم ذمة فلننظر الان في ما الاخصامها من الاعتراضات خلافاً لهذه الحقيقة ونزيدها تأييداً وثباتاً بتفنيد تلك الاعتراضات عقلية كانت ام كتابية

فيقولون ان الله خالق كل شي من اجل الانسان كما هو بين من سفر التكوين ص ١ وص ٩ والحال أن بعض الاشياء لا يفيد الانسان الأَّ باكله كلحم الطيور وغيره فاذاً لا يسوغ للكنيسة ان تمنع من ذلك وتخالف ترتيب الله فاجيب من البين ان ليس كل شي مما اشاروا اليهِ خلق لياكله الانسان بل خلق بعضه للدواء وبعضه لمنافع اخرى وخاصة لزينة العالم والا فلياكلوا الحيات والعقارب وما اشبهها فضلاً عن ان اكل اللحم لم تسبق العادة فيهِ الطوفان فهل كان ذلك خلافاً لترتيب الله والكنيسة لاتنهي عن اكل اللحم بالاطلاق بل في اوقات معينة فقط طلباً للاماتة وكما يمنع الطبيب المريض احياناً من اكل اللحم لمنفعة صحة جسده هكذا يحق للكنيسة ان تمنع اولادها من ذلك احياناً لمنفعة نفوسهم بممارسة الفضيلة وقد نهى الله في العهد القديم عن اكل بعض اللحوم بالاطلاق فهل خالف الله بذلك ترتيبه او كان عدل عن مقصد خلق ذلك من اجل الانسان وكما كان نهى الله عن تلك اللحوم لرمز وسرٍ ما هكذا يمكن الكنيسة التي اقامها الله ان تمنع من اكل اللحم بعض ايام لغاية روحية كبيرة هي ممارسة فضيلة الامساك والاماتة فاذاً اعتراضهم باطل فلننظر في غيره

فيقولون ان المخلص عندما ارسل تلاميذه الى التبشير قال لهم

انذروا الناس . وعلموهم حفظ كل ما اوصيتكم بهِ (متى ص ٢٨) ولم يقل لهم افرضوا وصايا او سنوا لهم شرائع او علموهم وصاياكم . والجواب بين وسهل فان من وصايا الرب وصية حفظ ما يامر بها الروساء كما قال من سمع منكم فقد سمع مني ومن احتقركم فقد احتقرني واذا لم يسمع للكنيسة فليكن عندك كوثني وعشار هذا وان الاية المعترض بها نفسها تفترض ما نحن مثبتون فانه كيف يعلم الرسل المومنين حفظ ما اوصاهم به المخلص وهم لا يقدرون ان يامروهم بشي يلاحظ كيفية التعلم او كيفية الحفظ ولا ان يعينوا وقتًا ولا نوعًا ولا حدًا مع وجود وصايا كثيرة في الانجيل تحتاج الى تعيين . كذا كما برهنا في بداية كلامنا واي معلم لا يحتاج الى فرض وصايا لتلامذته لتدبيرهم في حفظ ما يتعلمون على الاقل وهل لم يكن يدرك مار بولس معنى كلام المسيح عند تكراره ذكر وصاياه وعند ما قال لتلميذه طيطوس . لهذا خلفتك في اقريطش لتصلح الامور الناقصة

فيقولون قد جاء في سفر التثنية ص ٤ ان الله قال . لا تزيدوا على الكلام الذي اخاطبكم بهِ ولا تنقصوا منه . وفي ص ١٢ . ان ما امرك به فاصنعه للرب لا تزد عليه ولا تنقص . فان كانت الزيادة على ما في العهد القديم محرمة فالزيادة على ما في العهد الجديد اولى بالحرمة كذا قال لوتاروس وكلوينوس وغيرهما فاجيب : ان الكلام في الايتين على الوصايا الطقسية كتقدمة الذبائح واكل خروف الفصح وما اشبه ثم على الوصايا القضائية كعقوبات المجرمين وكيفية اثبات الجرائم والجنايات وما اشبه فهذه ينهي الله عن الزيادة عليها او الانتقاص منها وقد تكون الزيادة

والنقصان على نوعين اولهما في العدد مثلاً ان يزاد على الوصايا العشر وصيتان لتصير اثنتي عشرة او يحط منها وصيتين لتصير ثماني ثانيهما في الشي المامور نفسه مثلاً قد امران يتخذ كل بيت في الفصح خروفاً فتكون الزيادة بان يتخذ كل بيت خروفين والنقصان في ان يتخذ كل بيت نصف خروف فالنوع الاول لم ينهَ عن الزيادة فيه بالاطلاق والا لما كان محل لكل الاسفار المقدسة التي كتبت بعد سفر التثنية لانها تكون من باب الزيادة على كلام الله المحرمة الزيادة عليه وقد زاد مردخاي عيداً في الرابع عشر والخامس عشر من اذار كما في سفر استير ص ٩ وذكر في سفر يهوديت في الاصحاح الاخير زيادة عيد اخر . وكذا زيد عيد تكريس المذبح مدة ثمانية ايام كما في سفر المكابيين الاول ص ٤ وهذا العيد شرفهُ المخلص بحضوره فيهِ في الهيكل و زاد داود شريعة قسمة الغنايم بين من ينزل للحرب ومن يحرس امتعة المعسكر وكل ذلك من الوصايا الطقسية والقضائية واما النوع الثاني فتحرم الزيادة عليهِ او النقصان منهُ قطعاً لانهُ كان في هذه الطقوس اسراراً ورموزاً لم يشأ الله ان يعدلوا عن شى منها واما الوصايا السياسية والتهذيبية والدينية فلم ينهَ عن الزيادة عليها البتة بشاهد كل ما كتب من الاسفار المقدسة بعد التثنية وهذا واضح . ثم يمكن ان يجاب بما اجاب به بعضهم وهو ان كلام موسى موجه الى الشعب لا الى الروساء فالشعب تحرم عليه الزيادة او النقصان لا يحرم على الروساء زيادة ما روي لازماً والكلام في العمل بالوصايا لا في فرضها . ويمكن ان يقال ايضاً ان الكلام في منع الزيادة المخلة لا في

الزيادة المكملة او الشارحة كلام الله فوصية الصدقة مثلاً لاتخل بوصية لاتسرق بل هي كمال لها واما تعيين الرب ان تكون التقادم من خراف وحمام ويمام يخل به تقدمة كلاب وخنازير وغيرها مما جعله الله نجساً غير مقبول هذا وقد يمكن التفريق بين الشعب اليهودى والمسيحي فناموس اليهود كان لشعب مخصوص ووقت مخصوص واما الانجيل فللعالم كله.

فيقولون ايضا ان المخلص قال في بشارة متى ص ١٥ منتحلاً كلام اشعيا. ان هذا الشعب يكرمني بشفتيه وقلبه بعيد عني يعلمون وصايا الناس. فاجيب ان المراد بوصايا الناس التسليمات الباطلة او المخالفة الشريعة التي كان الفريسيون يدخلونها ويعلمون الناس اياها وكان المخلص يونبهم عليها لوجهين الاول لان بعضها كان يخالف وصايا الله كتعليمهم ان يقدم الاولاد للهيكل ما كان يلزم تقديمه لوالديهم وبهذا المعنى قال. ابطلتم وصية الله من اجل تقليداتكم. ومن هذا القبيل تونيبه لهم على ما فرضوه من غسل كوس وقصع وتعشير النعنع والسذاب مما لافائدة منهُ ولاطائل لهُ والثاني لانهم كانوا يفضلون وصاياهم على وصايا الله وبهذا المعنى قال لهم في بشارة متى ص ٢٣. كان يجب ان تصنعوا هذه ولاتتركوا تلك. والامر بين لكل من طالع الانجيل. وليس في وصايا الكنيسة شي من ذلك فانها لاتخالف وصايا الله ولا تفضل عليها وليس فيها شي خلى من النفع والفائدة الروحية وليست الآ نتائج من الشريعة الالهية والطبيعية او مساعدات ونظامات لحفظها وليست وصايا الناس مجردة بل وصايا اناس اقامهم الله ليفرضوها ويامروا بحفظها ويحافظون على سننه الالهية

فيقولون ايضًا الى الرسول قال في رسالته ٢ الى قرنتية ص ٣. حيث روح الرب فهناك الحرية. وقال ايضًا في رسالتهِ ٢ الى اهل غلاطية ص ٤. لسنا ابناء الامة بل ابناء الحرة. ويتفلسفون باطلاً قائلين اذا كان المسيح حررنا واعتقنا من العبودية فكيف يستعبدنا روساء الكنيسة بوصاياهم فنجيبهم نعم الحرية ان يكون الانسان معتقًا من كل من كل سلطة ووصية وامر فيمكنهم على هذا الاسلوب ان يدعوا العتق من وصايا الله فانه اذا كان تحرير المسيح لنا بمعنى رفعه السلطة والوصايا عنا فلا يكون حررنا تحريرًا منصفًا اي بالنسبة الى بعض الوصايا فقط بل تحريرًا كاملاً من جميع الوصايا والسنن وحينئذٍ لا يبقى حرام بل نباح ان نفعل ما شئنا ولا تبقى حاجة ولا الى الانجيل والصحيح ان للحرية التي منح المسيح الناس اياها ثلثة معانٍ الاول الحرية من عبودية الخطية اي اننا اذ كنا عبيدًا للخطية تسوقنا الى الهلاك بمقتضي حكم الله على الانسان بعد المعصية قد حررنا المسيح من هذه العبودية وجعلنا عبيدًا لله ومحا بدمه الخطية وفتح لنا باب السماء الذي كانت الخطية اقصتنا عنه وبهذا المعنى قال الرسول. وحين انعتقتم من الخطية صرتم عبيدًا للبر. (رومية ص ٦ عد ١٨) الثاني الحرية من عبودية الشريعة فان الشريعة وضعت على الناس ليحفظوها وكان دون حفظها صعوبات ومشاق اذ لم تساعد الانسان عليه نعمة الله وكان الله مع هذا يهدد المخالفين بالعقاب الابدي فكان هذا نوعًا من الاستعباد فاعتقنا المسيح وحررنا منه لا بانه ازال الزام الشريعة او نقض كل سلطة وسنة او جعل الناس يعيشون محررين من كل ولاية

روحية عليهم بل بانه افاض نعمته ومحبته عليهم ليتيسر لهم العمل بالشريعة والنجاة من العقاب وبهذا المعنى قول الرسول المعترض بهِ حيث روح الرب فهناك الحرية . الثالث الحرية من الوصايا الطقسية والقضائية التي كانت في العهد القديم فالمسيح نسخ هذه الوصايا وحرر الناس من الخضوع لها وبهذا المعنى قيل في الابركسيس في مثل هذه الوصايا . لماذا تضعون نيرًا على اعناق التلاميذ . فهذا هو المراد بالحرية المسيحية · واما اننا انعتقنا من طاعة روساء الكنيسة ومن الخضوع لوصاياهم فهذا لا نرى لهُ اثرًا ولا عينًا في تعليم المسيح بل نرى خلافه اي نرى المسيح يامران نعامل من لا يطيع الكنيسة كوثني وعشار ويصرح بان من يسمع من رسله فقد سمع منه ومن اهانهم فقد اهانه وعليه فيصح في من ينكرون هذه الحقيقة ويعلمون بالحرية المنكرة ما قاله مار بطرس (في رسالتهِ ٢ ص ٢ عد ١٩) . يعدون بالحرية وهم انفسهم عبيد الفساد لان كل من انغلب لشي فهو عبد لهُ . ويحق لنا ان نقول لهم ما قاله مار بولس الرسول دعيتم للحرية ولكن لا تكون حريتكم علة للجسد . (غلاطية ص ٥)

ان اخص وصايا الكنيسة العامة اربع حفظ الاحاد والاعياد مع سماع القداس والصوم مع القطاعة والاعتراف بالخطايا وتناول القربان المقدس ولو مرة في الفصح كل سنة وكل هذه الوصايا تعيين او تخصيص للوصايا الالهية فان شريعة الطبيعة نفسها توجب تخصيص وقت بعبادة الله وقد امر الله في العهد القديم ان يكون ذلك الوقت يوم السبت في كل اسبوع فالكنيسة لم تصنع بوصية حفظ الاحاد والاعياد الا تخصيص يوم الاحد

عوضا عن السبت لعبادة الله لتفضيل الاحد لقيامة المسيح فيه وتخصيص بعض ايام اخرى لعبادة الله ذكراً السر صنعه المخلص او لتوقير احد خلانه الذين تفاضلوا با لقداسة وللاقتداء باعمالهم الحسنة · كما عينت نوعاً واحداً من العبادة في تلك الايام وهو حضور القداس الذي هو رسم يذكرنا بتلك الذبيحة الدموية التي قدم المخلص نفسه لله بها على الصليب وتكرار لتقديس جسده ودمه في العشا السري اذ قال اصنعوا هذا لذكري · وكذا وصية الصوم ليست الا تعيين اوقات نعمل فيها بامر الرب الذي امرنا ان نصوم ولم يعين وقتاً لذالك وسبيل للاقتداء بصومه ولما كانت غاية الصوم التقشف وقمع الجسد واماتته فسرت الكنيسة ان الصوم وهذه غايته يستلزم لا الانقطاع عن الماكل في بعض الساعات فقط بل الانقطاع عن الماكل الملذذة والمرفهة ايضاً كاكل اللحم . وهكذا قل في وصية الكنيسة بالاعتراف فانه لما كان المخلص قال من غفرتم له خطاياه غفرت ومن امسكتموها عليه مسكت ومهما ربطتموه في الارض يكن مربوطا في السماء ومهما حللتموه في الارض يكن محلولاً في السماء وكان هذا يستلزم اعراض المومن حالة نفسه على الكاهن ليغفر لهُ او يمسك ويحل او يربط فلم تصنع الكنيسة بهذه الوصية الا تعيين الوقت لمباشرة هذه السلطة والانتفاع بهذا السر فرسمت ان يكون الاعتراف ولو مرة في السنة · ومثل ذلك وصية تناول القربان المقدس في الفصح فان المسيح جعل جسده ماكلاً حقاً ودمه مشرباً حقاً وقال ان لم تاكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه فليست لكم حيوة في ذواتكم وامر بالتالى بهذا التناول

دون تعيين وقت له فلم تصنع الكنيسة بوصيتها الاَّ تعيين الوقت في عيد الفصح وكذا نرى في باقي الوصايا اذا حللناها كما مر. ثم ان الكنيسة صرحت بان وصاياها لا تلزم من لم يستطع العمل بها الاَّ بمضرة او مشقة جسيمة وعليهِ عفت الاولاد والشيوخ والمرضى ومن اشبه من شريعة الصوم والقطاعة وهلمَّ جرًّا في باقي الاعذار من حفظ وصايا الكنيسة. وكل ما تقدم يبين انه ليس في وصايا الكنيسة عبودية ولم يستعبد روساؤها المومنين بل حافظوا على شريعة المسيح وعينوا اوقاتا للعمل بها وفسروا ما احتاج تفسيرًا وباشروا سلطة التدبير والردع التي اولاهم المسيح اياها

فيقول اخصام كنيستنا ايضًا ان المسيح قال ان ما يدخل الفم لا ينجس الانسان. متى ص ١٥ والحال انه لو كان الاكل في الصوم او اكل اللحم فيه حرامًا بموجب وصية الكنيسة لكان ما يدخل الفم ينجس الانسان خلافًا لقول المخلص فاجيب ان الفريسيين كانوا يزعمون ان اللحوم اذا اكلت بايدى مدنسة اصدرت نجاسة تتعلق بالنفس ذاتها وكذا ان بعض اللحوم نجسة بنفسها وتدنس النفس بذات طبعها لا من اجل مخالفة الوصية او مضادة الامانة المامورة وان الله حرمها في العهد القديم لانها كانت محرمة بطبعها وهكذا كان يزعم قبلهم بيتاغوروس فالمسيح اراد ازالة هذا الغلط بقوله ان الذي يدخل الفم لا ينجس الانسان فكانه يقول ان كل ما خلقه الله جيد بطبعه وكل ما يوكل ليس فيهِ نجاسة ملازمة طبعه حتى ينجس آكله بمجرد اكله بل الذى يخرج من قلب الانسان الى فمه من الشرور هو الذي ينجس الانسان وهذا لا ينفي تحريم بعض الماكل بعض الاحيان

في العهد الجديد كما كان بعضها محرماً في العهد القديم لا لنجاسة طبيعية كما كانوا يزعمون بل لاشارة و رمز في العهد القديم ولغاية فضيلة في العهد الجديد ولو اباح المسيح بهذا الكلام اكل كل شي لا قاموا عليه الحجة بتعليمه خلافاً للشريعة التي حرمت بعض المآكل . ولو كان كل ما يدخل الفم لا ينجس الانسان لحل السكر والشراهة لانها ما يدخل الفم ولماذا كان اكل لحم الخنزير محرما في العهد القديم ان كان لا ينجس الانسان بما ان اكلهُ مخالفة للوصية . ولِمَ يحق للطبيب ان ينهي المريض عن اكل اللحم الى وقت لعلة فائدة الجسد ولا يحق للكنيسة ان تنهي عن اكله بعض الايام لفائدة النفس:

فينثنون قائلين ان الرب امر رسله ان ياكلوا من كل ما يقدم لهم (لوقا ص ١٠) وقال الرسول . كلوا من كل ما يباع في المجزر . (قرنتية ١ ص ١٠) فاذاً لا وجه لنهي الكنيسة عن بعض المآكل . فاجيب ان قول المخلص لا ينافي نهي الكنيسة عن بعض المآكل ايام القطاعة والصوم بل يحض رسله بهِ على القناعة والحشمة موصياً اياهم ان لا يثقلوا من يضيفونهم بطلب مآكل فاخرة ومنمقة بل سبيلهم ان ياكلوا ما يقدم لهم وان حقيراً ولا شك ان مدار كلامه على ما لا يضر ويحل اكله هل امرهم بهذا القول ان ياكلوا السم او لحم الخنزير لو قدم لهم وكانت شريعة موسى الناهية عن اكل لحم الخنزير باقية فاذاً المراد من قوله كلوا من كل ما يقدم لكم لا تتطلبوا مآكل ماذذة وثمينة واكتفوا بما يقدم لكم بحيث يحل اكله ولا يضر بكم . واما قول الرسول فالمراد بهِ تخلص المومنين من

الفحص هل ما يباع في المجزر هو من فضلات ذبائح الاوثان التي كانوا يضعونها في المجزر للبيع او هو لحم غير مذبوح للاوثان فالرسول اراد اراحة ضمائر المومنين من الوسواس بذلك فقال كلوا من كل ما يباع في المجزر ولا يلزمكم الفحص عنه وهذا لا ينافي نهي الكنيسة عن اكل اللحم من احد الوجوه فالرسول نفسه كان يامر المومنين بحفظ الوصية التي فرضها الرسل في مجمع اورشليم ان يمتنعوا من اكل الدم والمخنوق (ابركسيس ص١٥ و ١٦) فكيف يامر بذلك لو كان كل ماكول حلالاً في كل وقت . وهل اراد بهذا ان ياكلوا الدم والمخنوق لو وضع في المجزر ليبتاعوه لا لعمري . والذي قال انه لا ينبغي ان آكل اللحم او اشرب الخمر لئلا اشكك اخي (رومية ص ١٤) كان يرغب باولى حجة ان يحفظ المومنون الصوم المفروض مع القطاعة فان من يخالف هذه الوصية لا يشكك اخوة كثيرين له فقط بل يقترف اثم الشراهة والمعصية ايضاً

فيقولون ايضاً ان الرسول قال في رسالته الاولى الى تلميذه تيموتاوس ص ٤ انه في الازمنة الاخيرة يفارق قوم الايمان ... ويمنعون من الزواج ويبعدون عن الاطعمة التي خلقها الله . فيقولون ها ان الرسول يتنبأ على الكاثوليكيين بانهم يمنعون من الاطعمة ويجعل ذلك من اعمال من يفارقون الايمان . فنجيب ان كلام الرسول انما هو في من كانوا يعتبرون اللحوم نجسة بنفسها كما مر ثم في تباع ساتورنينوس ومرقيون وماني كما حققه فم الذهب وامبروسيوس وتاوفيلكتوس وغيرهم في تفسير هذه الاية وايرونيموس في ك ٢ ضد يوفنيانوس فان تباع ساتورنينوس ومرقيون

كانوا يزعمون ان من اكل اللحم اثم كمن اكل النفوس ولذا كانوا ينهون عن اكل اللحم وتباع ماني كانوا يقولون ان اللحم خلقه اله الشر (اذ كانوا يعلمون بالهين اله الخير واله الشر) ولذا يمنعون من اكله ففي هولاء يتكلم الرسول كما يتخلص من قوله التي خلقها الله لا في تعليم الكنيسة التي تنهى عن اكل اللحم بعض الايام تنسكًا واماتة. ولا يشير الى الخلاف قول الرسول في الايام الاخيرة مع ان هولآء الاراطقة كانوا في الاجيال الاولى لان الرسول يريد بالايام الاخيرة المدة التي من مجي المخلص الى نهاية العالم كما تبين من قوله في افتتاح رسالته الى العبرانيين. وفي هذه الايام الاخيرة كلمنا بابنه الوحيد. ومار بطرس اعزى الى زمانه ما تنبأ يوال على انهُ يكون في الايام الاخيرة (ابركسيس ص ٢) ويوحنا الرسول كان يقول منذ ايامهِ يا اولادي ان الزمان هو الاخير... ومن هذا نعلم انهُ الزمان الاخير. (يوحنا ١ ص ٢ عد ١٨) فهذا جل ما يعترضنا بهِ خصام كنيستنا:

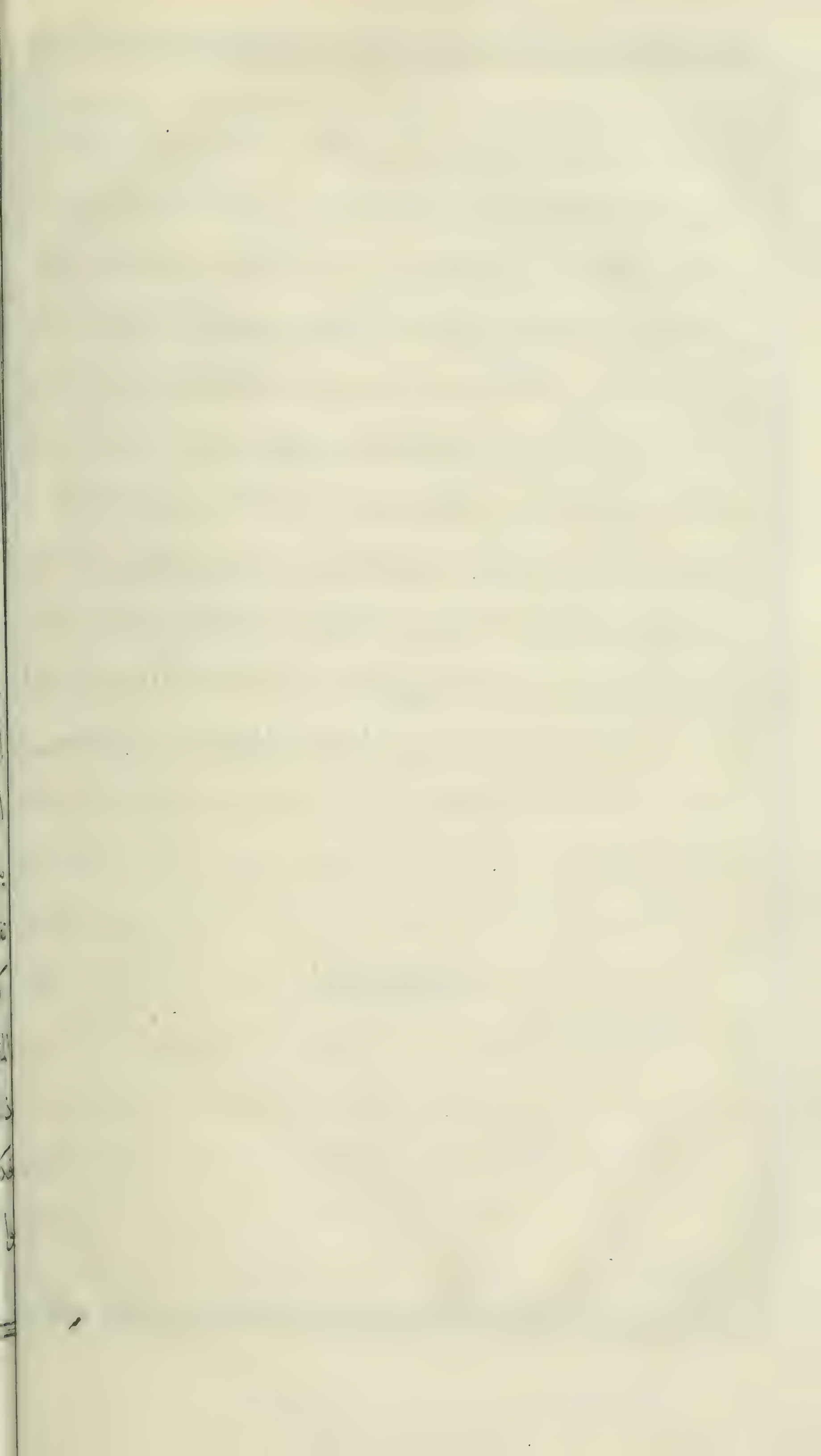
النتيجة

والحاصل اولادي اني قد برهنت ان للكنيسة السلطان على فرض شرائع ملزمة ذمة ببرهان العقل ثم ببرهان الكتاب والتقليد وايدت براهاناتي بتفنيد اخص ما يعترضنا بهِ اخصام كنيستنا بهذه الحقيقة فثبت لدى مسامعكم ثبوتًا لايخامره ريب ان للكنيسة هذا السلطان واننا ملتزمون ذمة بالطاعة والاحترام لوصاياها وشرائعها كالتزامنا بحفظ وصايا الله

وهو القائل لرسله وخلفائهم روسائها من سمع منكم فقد سمع مني ومن احتقركم فقد احتقرني فليرَ اذًا من يحتقرون وصايا الكنيسة الملاحظة الصوم او القطاعة او الاعتراف والتناول الفصحي او سماع القداس ايام الاحاد والاعياد انهم ياثمون اثمًا ثقيلاً ويستوجبون العقاب الابدى ان خالفوا هذه الوصايا ولم يكن لهم ما يعذرهم من حفظها وهكذا يشترون هلاكهم باكلٍ قليل او براحة وجيزة من انزعاجهم بالاعتراف او التناول او الحضور للكنيسة لسماع القداس ايام الاحاد والاعياد ويدعون ان التمدن يبيحهم ذلك فكأن التمدن هو عدم ادراك الصواب او عمل الانسان كل ما عن له او تحرير الناس من حفظ وصايا الله ووصايا بيعته ومن التامل بكون فرائض الدين يلزم العمل بها وان كان هولآء اكثر احتشامًا واقل خلاعة جعلوا لنفوسهم اعذارًا غير عاذرة مدعين انهم مرضى او ان الصوم او القطاعة تضر بجسمهم المرفه او ان اشغالهم لا توذن لهم بالاعتراف والتناول وسماع القداس فان كان مرض مثل هولآء صحيحًا مشهودًا بهِ من طبيب يركن اليهِ او كانت مضرتهم اكيدة فلا تلزمهم حقيقة وصايا الكنيسة امهم الراوفة واما ان كان ذلك غير ثابت فليكونوا على يقين ان الله سيحاسبهم في الموقف الرهيب على كل ما احتقروا بهِ وصايا كنيسته وعلى كل مخالفة اقترفوها وهو فاحص القلوب والكلى ولا ينسى امامهُ شيء وليس عنده محاباة واما الاعتذار بالاشغال عن الاعتراف وسماع القداس فغير ثابت البتة لوجهين الاول ان الانسان مهما كبرت وكثرت مشاغله فلا يمكنها ان تعيق عن صرف نصف ساعة في كل احد وعيد

لسماع القداس ونصف ساعة اخرى في كل شهر او في عدة اشهر للاعتراف . والثاني ان تلك المشاغل مهما عظم نفعها او التزامه بها فلا يمكنه ان يساوي التزامه بحفظ وصايا الله وبيعته وبعمل خلاص نفسه فلا يحق لهُ بل يكون جائراً كل الجور في حقوق الله وحقوق نفسه اذا صرف الاسبوع كله في عمل العالم والجسد ولم يشا ان يصرف نصف ساعة من كل اسبوع في التعبد لله والاهتمام بنفسه فاتعظوا اولادي بهذه العبارات الموجزة الظاهر الصواب بها كالنور وجدوا في العمل بوصايا الله ووصايا كنيسته عالمين ان لكم على ذلك اجراً لا يزول ولا ينقضي وان اتعاب هذه الحيوة اليسيرة في عمل الفضائل لا توازي بشي المجد الذي سيظهر فينا اهلنا الله واياكم جميعاً الى ذلك بنعمه الفعالة وبشفاعة سيدتنا مريم العذراء ومار يوحنا مارون وجميع القديسين امين





موعظة

في التقليد

القاها في الاحد الرابع من الصوم ٨ اذار سنة ٧٤

فاثبتوا اذًا يا اخوة وتمسكوا بالتقليدات التي تعلمتموها اما من الكلام واما من رسالتنا تسالونيقي ٢ ص ٢ عد ١٤

❋ مقدمة ❋

ان سلك كلامي السابق في الكنيسة وعلاماتها وعصمتها من الغلط في امور الايمان والاداب وسلطانها على فرض وصايا كنايسية ملزمة ذمة وتعمدي لايضاح اخص حقائق ايماننا المقدس يناسبهما ان يكون كلامي هذا المسآء في لزوم التقليد ووجوده ووجوب الاعتماد عليهِ في بعض الحقائق ثم اني ارى كلامي هذا لازمًا لا لان وجود التقليد هو من حقائق الايمان في كنيستنا فقط بل لان البعض من اخصامها خاصة الابروتسطنت يتقولون عليها كثيرًا من جرى التقليد ويوهمون السذج تارةً بان الكنيسة تفضل التقليد على وصايا الله وكلام الكتاب المقدس وتارة بانها تزعم ان كل ما قاله احد العلمآء او الابآء يجب تنزيله منزلة ايات الكتاب المقدس وانها لذلك تركت تعليم الله وتمسكت بتعاليم الناس الى غير ذلك من تقولاتهم التي ليست الاَّ تهم مصدرها الجهل او عدم الانصاف كلامي هذا المسآء يثبت هذه العقيدة ويفند هذه التهم مبينًا الحقيقة الصحيح من الكاذب

ارى لازمًا قبل الشروع في اقامة البرهان على لزوم التقليد ووجوده

ان ابين ما المراد بالتقليد وما هي اقسامه فاقول ان للتقليد معنىً عاماً يتناول كل تعليم اوصله الينا غيرنا مكتتباً كان او غير مكتتب ومعنىً خاصاً يتناول كل تعليم بلغ الى المتاخرين ولم يكن منطوياً في الاسفار المقدسة ويقسم التقليد الى اعتقادي وتهذيبي فالاعتقادي هو ما أُخذ عن المسيح معلماً تلاميذه ولم يودع في الاسفار الالهية كالتعاليم المتعلقة بمواد الاسرار وصورها ومادته امور الايمان والاداب ويسمى الهياً ايضاً لان المسيح الاله علم بحقائقهِ ورسولياً لا لان الرسل وضعوه بل لانهم اخذوه عن المخلص والتهذيبي هو ما أُخذ عن الرسل بما انهم رعاة الكنيسة ولم يودعوه في رسائلهم كفريضة الصوم وموضوعه ترتيبات تتعلق بسياسة الكنيسة وتدبيرها وبتقديم العبادة وما اشبه وهذا التقليد التهذيبي يقسم ايضاً بالنظر الى مصدره الى رسولي وكنائسي اي بحسب كونه صدر من الرسل او الكنيسة وبالنظر الى مدّاته الى دائم كفريضة الصوم ورسم الصليب على الوجه والصدر والى موقوت كحفظ بعض طقوس من شريعة موسى في الجيل الاول الى ان تكاملت اذاعة الانجيل وبالنظر الى الزامهِ الى ما هو وصية كتعييد الفصح يوم الاحد الواقع بعد الرابع عشر من المستهل الربيعي والى ما هو مشورة كالدهن بالماء المبارك وما اشبه وبالنظر الى امتداده الى عام وهو ما كان في الكنيسة كلها كعيد الفصح والعنصرة والى مكاني وهو ما كان في كنيسة مخصوصة او في بعض كنائس فقط كما كان صوم السبت في ايام مار اغوسطينوس في كنيسة رومية وبعض الكنائس فقط مسلماً اليها من

مار بطرس كما روى القديس اغوسطينوس في رسالتهِ ٨٦ الى كازولانوس

ان كلامنا الان هو في التقليد الاعتقادي الالهي وهو مادة الجدال بيننا وبين الابروتسطنت فهم يقولون لو وجد هذا التقليد لوجب اعتبار ما يعلمه اعتبار كلام الله المكتوب نفسه لكنه غير موجود والاسفار المقدسة تنطوي على كل ما يتعلق بالايمان والاداب اما نحن الكاثوليكيون فنقول ان هذا التقليد موجود ولازم لايضاح بعض حقائق لم يصرح بها في الاسفار المقدسة وهذا ما ابرهنهُ في هذا المساء على مسامعكم فاصغوا اليهِ على جاري عادتكم الحميدة .

* القسم الاول *

اذا اثبت ان كتابة الكتاب المقدس لم تكن لازمة لزوماً مطلقاً ولا كافية من دون التقليد وان التقليد لازم وانهُ موجود حتى بعمل الاخصام انفسهم وشهاداتهم واثبت ان لنا طرقاً الى معرفة التقليدات الصحيحة فهل يبقى من سبيل لاحدٍ الى الريب بوجود التقليدات ولزومها في بعض الحقائق الدينية ايضاً

وهوذا اثبات الاول اي ان كتابة الكتاب المقدس لم تكن ضرورية على الاطلاق. لا شك انه من ايام ادم الى ايام موسى كان في العالم كنيسة الله تعبده بالايمان والرجا والمحبة والطقوس الخارجة كما يظهر من سفر التكوين في كلامهِ على ادم وهابيل وشيت وانوش ونوح وابراهيم وملكيزادق وغيرهم من الانام الابرار وعلى عباداتهم لله وتقدماتهم له

والحال انهُ لم يكن كتاب الهي قبل موسى كما هو ظاهر ولان الكل مجمعون على ان موسى هو اول من كتب سفرًا مقدسًا فاذًا قد حفظ الدين الفي سنة بالتقليد وحده وليس الكتاب لازمًا لزومًا مطلقًا وكما امكن حفظ الدين القديم الفي سنة دون كتاب هكذا كان ممكنًا حفظ التعليم المسيحي الف وثمانماية واربعًا وسبعين سنة ثم من موسى الى المسيح اي مدة الفي سنة اخرى وجد عند اليهود اسفار مقدسة الا انه وجد كثيرون من القبائل الاخرى يعرفون الدين الحقيقي والايمان بمجرد التقليد الغير المكتتب كما هو ظاهر في ايوب واصدقائه وكما اثبت مار اغوسطينوس (في ك ٢ في الخطية الاصلية راس ٢٤ وك ١ في انتخاب القديسين راس ٩ وك ١٨ من مولفه في مدينة الله راس ٤٧) هذا وان شعب اليهود وان كانت عندهم الاسفار المقدسة فكانوا يستعملون غالبًا التقليد اكثر من الكتاب كما هو ظاهر من ايات عديدة في الوحي منها قوله في الخروج ص ١٥ ” تخبر ابنك في ذلك اليوم قائلاً هذا ما صنعهُ الرب “ وفي التثنية ص ٣٢ اسال اباك فيخبرك واجدادك فيقولون لك “ وفي ايوب ص ٨ ” اسال الجيل السالف وافحص بجهد تذكار الاباء “ وفي سفر القضاة ص ٦ ” اين العجائب التي اخبر بها اباونا “ وفي مزمور ٤٣ ” اللهمَّ سمعنا باذاننا واباونا اخبرونا بما صنعت “ وفي مزمور ٧٨ ” اقام شهادة في يعقوب ووضع شريعة في اسرائيل اوصى اباءنا ان يعرفوا بها ابناءهم لكي يعلم الجيل الاخر بنون يولدون فيقومون ويخبرون ابناءهم “ وهلم جرًا والظاهر ان وجه استعمال اليهود التقليد

اكثر من الكتاب هو ان ما كتب لم يكن الى ايام عزرا منضماً الى كتاب يسهل مقتناه بل كان مشتتًا في تواريخ واوراق وتغاضي الكهنة كان يمنع من وجدانه زمانًا طويلاً كما يظهر من سفر الملوك ٤ ص ٢٢ حيث ذكر بمنزلة شي حديث وجود مجلد واحد من شريعة الرب في الهيكل في ايام يوشيا الذي اظهر العجب عند تلاوة هذا السفر عليهِ اذ قيل هناك " فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه وامر الملك ... قائلاً اذهبوا اسالوا الرب لاجلي ولاجل الشعب ولاجل كل يهودا من جهة كلام هذا السفر الذي وجد لانه عظيم غضب الرب الذي اشتعل علينا من اجل ان اباءنا لم يسمعوا الكلام هذا السفر ليعملوا كما هو مكتوب علينا" الى ان جمع عزرا بعد السبي كل ما كتب الى كتاب واحد والحق بسفر التثنية الاصحاح الاخير في حيوة موسى وغير ذلك ما لزم لتكملة التاريخ

ثم من بعد مجي المسيح لبثت كنيسة المسيح سنين دون وحي مكتتب فاول سفر كتب من العهد الجديد انجيل متى كتب في السنة الرابعة بعد صعود المخلص على راي وفي السابعة على راي اخر وانجيل مرقس في سنة ١٢ ولوقا سنة ٢٠ او سنة ٢٥ ويوحنا سنة ٦٦ ورسائل مار بولس من سنة ٢٠ الى سنة ٢٢ بعد صعود المخلص وهلم جرًا في باقي اسفار العهد الجديد فضلاً عن ان القديس ايريناوس كتب (في ك ٣ راس ٤) في مباذي الجيل الثالث انه كانت حينئذٍ قبائل مسيحية تسير سيرة حسنة ولم يكن عندها اسفار مقدسة مكتتبة بل التقليد وحده ومما مرّ

جميعه يظهر جليًا ان كتابة الاسفار المقدسة لم تكن لازمة لزوما مطلقًا

ونزيد ذلك توكيدًا بقولنا اننا نرى فرقًا بين تبشير الرسل وكتابتهم فلو كان في قصد المسيح والرسل حصر كلام الله وقصره على الكتابة لامرهم المسيح ان يكتبوا ولشهد الرسل بهذا الامر المهمّ اي ان المسيح امرهم ان يكتبوا كما ذكروا امره لهم ان يكرزوا ويعلموا والحال اننا لا نرى البتة المسيح امرهم ان يكتبوا ولا شهدوا هم لهذا الامر مع اهميتهِ ولا يخالف ذلك القول ليوحنا في الرويا « اكتب ما تراهُ » فانهُ يامره هناك ان يكتب بعض مناظر ذات اسرار لا تعليمًا انجيليًا او وصايا ادبية حيث هو محور كلامنا الان . ثم اننا نرى الرسل في امر التبشير لم ينتظروا وقتًا ولا فرصة ولا حاجة للانذار والتعليم شفاهًا مع اننا لا نراهم كتبوا الاَّ لداعٍ وحاجة فان متى على ما شهد اوسابيوس (في ك٣ من تاريخه راس ٢٤) كتب انجيله لانهُ كان يبشر اليهود واراد الانتقال الى تبشير الامم فطالبوهُ بان يدون لهم ما كان ينذرهم بهِ تذكرةً فكتب انجيلهُ وكذا مرقس على ما روى اوسابيوس ايضًا (في ك٣ راس ١٥) حملهُ على كتابة انجيله الحاح الرومانيين عليهِ بكتابتهِ ولوقا حملهُ على الكتابة ما راهُ من ان كثيرين ارادوا ان يكتبوا تعاليم المخلص والرسل مع عدم معرفتهم بها كما ينبغي وهذا ظاهر من افتتاح انجيلهِ بقولهِ « لاجل ان كثيرين راموا ان يكتبوا قصص الامور التي نحن بها عارفون » ويوحنا داهمهُ الهرم وهو يبشر في اسيا الصغرى ولم يكتب شيئًا ولكن اساقفة اسيا طلبوا اليهِ اخيرًا ان يكتب ما يقاوم بهِ الاراطقة تبَّاع كيرينتوس وابيون فدوَّن

انجيله سنة ٩٨ للميلاد كما روى اوسابيوس في تاريخهِ المذكور وايرونيموس في كتابهِ في المولفين الكنايسيين وكذا لم يكتب مار بولس رسائله الا بعد مدة من اخذهِ بالتبشير ولدواعٍ تظهر من كل رسالة ومن كل ما ذكر يظهر انه لم يكن مقصدهم الاول الكتابة بل التبشير ولو قصدوا كتابة تعليمهم مجرّدًا لالَّفوا كتابًا على اسلوب كتاب التعليم المسيحي او شيئًا يشبههُ لكنهم كتبوا اما تاريخًا كالاناجيل او رسائل لداعٍ ما كما صنع بطرس وبولس ويعقوب ويوحنا ويهودا. ولم يتكلموا فيها على العقائد غالبًا الَّا استطرادًا وبالعرض ولو كانت الكتابة جوهرية لا يستغنى عنها لكتب كل منهم تعليمًا انجيليًا اذ كان لكل منهم الاهتمام باقليم او لاجتمعوا معًا على الاقل قبل تفرقهم الى الافاق وكتبوا كتابًا واحدًا عامًا ولا يظهر شي من الامرين نعم الفوا جميعًا قانون الايمان لكنهم لم يكتبوهُ بل سلموهُ بالتقليد الشفاهي كما حقق ابريناوس في ك ٣ راس ٤ وايرونيموس في رسالتهِ الى باماخوس واغوسطينوس في كتابهِ في الايمان والعمل راس ٩ وغيرهم كثيرون .

ثم ان الاسفار المقدسة لاتحوى كل الحقائق الاعتقادية وبالتالي ليست كافية دون التقليد وهوذا البرهان اما ان الاسفار المقدسة بجملتها تحوى كل الحقائق وهي لذلك كافية واما ان كل سفرٍ منها كافٍ بذاتهِ فلا يمكن اخصام كنيستنا ان يقولوا كل سفرٍ يحوى كل الحقائق وهو كافٍ لاننا نرى كلًّا من الاناجيل لايحوى كل الحقائق بل يبين كل منها بعض الحقائق مثلًا لا ذكر في انجيل يوحنا للبشارة بالمسيح او لمولده او لختانته او لظهور

وكذا باقي الاناجيل يخلو كل منها عن ذكر شيء في غيره . هذا وانه اذا كان كل سفر حاويًا كل شي وكافيًا فما تكون الحاجة الى غيره من الاسفار على ان اخصامنا يصرحون بان الاسفار المقدسة لازمة برمتها لتحوى تعليمًا كافيًا فلا نحتاج الى اطالة البرهان على هذا بل نبحث في الاول اي هل مجموع الاسفار المقدسة يحوى كل الحقائق وهو كافٍ فهذا ايضًا لا يمكنهم اثباته اولًا لان اسفارًا كثيرة مقدسة وقانونية قد فقدت ولم تبلغ الينا وهذا لم يقل بهِ الآباء والعلماء فقط بل هو ظاهر جليًا من الاسفار المقدسة ايضًا فانهُ قيل في سفر الايام الاول ص ٢٩ "واما اعمال داود الاولى والاخيرة فهي مكتوبة في سفر صموئيل الرائي وفي سفر ناثان النبي وفي كتاب جاد الرائي" وفي سفر الايام الثاني ص ٩ "اما باقي اعمال سليمن فهي مكتوبة في كلام ناثان النبي وفي اسفار اخيًا الشيلوني وفي روى يعدو الرائي" وفي سفر الملوك الثالث ص ٤ قيل ان سليمان "تكلم بثلاثة الاف مثل وكانت قصائده خمسة الاف" (على ما في اللاتينية) فاين هذه جميعها ومن العهد الجديد من الموكد فقدان رسالة لبولس كتبها الى اهل قرنتية واشار اليها في رسالتهِ الاولى اليهم ص ٥ بقولهِ "كتبت اليكم في الرسالة" على ما قال العلامة بلرمينوس ومن المرجَّح فقدان رسالة اخرى له كتبها الى اهل اللاذقية وهي التي اشار اليها على قول بعضهم بقولهِ في رسالة كولوسايس ص ٤ "ومتى تُليت هذه الرسالة عندكم فاهتموا ان تُتلى في كنيسة اللادقية ورسالة اللادقية اقراوها انتم ايضًا" (هذا على موجب النسخة اللاتينية) فان كانت الاسفار المقدسة لازمة بمجموعها لتحوى كل الحقائق ويقوم

عنها تعليم كافٍ فكيف السبيل الى معرفة التعاليم المفقودة مع هذه الاسفار ومن اين يستعيض الابروتسطنت عنها واذًا ايماننا وايمانهم ناقص لنقص هذه الاسفار .

ثانيًا انهُ يوجد امور عديدة لا يمكن ان تكون مجهولة ومع ذلك لاوجود لها في الكتاب المقدس واولًا لا شك انهُ كان في العهد القديم دوآء لتطهير النسآء من الخطية الاصلية كما كان دوآءٌ لتطهير الرجال منها وهو الختان على راي كثيرين واما ما كان دوآء النسآء فلا اثر له في الكتاب المقدس ولا بد ان ذلك كان في التقليد . ثانيًا لا يصدق البتة انه لم تكن وسيلة لهذا التطهير في الذكور الذين يموتون قبل اليوم الثامن اذ لم يكن يحل الختان قبله وهذا ايضًا لا اثر له في الاسفار المقدسة ويلزم ان يكون بالتقليد . ثالثًا ان كثيرين من الامم كان يمكنهم ان يخلصوا وكانوا يخلصون في العهد القديم وكانوا يخصون الكنيسة حقيقة كما مثلنا آنفًا بايوب وخلانه ومع ذلك لم يقل الكتاب شيئًا في واسطة تبريرهم من الخطية الاصلية وغيرها فاذًا كتابة الاسفار المقدسة لم تكن غير لازمة لزومًا مطلقًا فقط بل كانت غير كافية ايضًا وهذا يزداد ظهورًا باثباتنا ان التقليد كان لازمًا وهوذا البرهان عليه .

ان لزوم التقليد كان يمكننا ان نكتفي للبرهان عليه باثباتنا ما مر اي ان كتابة الاسفار المقدسة غير لازمة بالاطلاق ولا تحوى كل الحقائق وليست بالتالي كافية فما لزوم التقليد الاَّ نتيجة من مقدمات تقدم برهانها خاصةً لانه واضح ان الله لا يترك عملهُ ناقصًا ومع ذلك نثبت هذا ببرهانات

اخرى واولاً من اللازم ان يعرف وجود كتب الهية حقيقةً ولايمكن عرفان
ذلك من الكتاب المقدس بتوكيد لانه وان قال الكتاب ان اسفار
الانبياء وكتب الرسل الهية ولكن كيف يمكنني ان اعتقد هذا قبل ان
اعتقد ان الكتاب الذي يقول هذا الهي فانهُ يكون تحت الريب كغيره
ولا يلزمني ان اعتقد الهيًا بمجرد قوله ودون واسطة اجنبية عنه كما هو واضح
وعليهِ فهذه العقيدة اللازمة كثيرًا وهي انه يوجد كتاب الهي لايمكن استحصالها
دون التقليد من الكتاب المقدس ولهذا فمن حيث ان الايمان يستند الى
كلام الله وكلام الله المكتوب لايمكن ان يتاكد انه كلام الله حقيقةً الاّ بكلامهِ
الغير المكتوب اي التقليد فاذًا لا ايمان دون التقليد . ثانيًا لا يكفي ان
نعرف انه يوجد كتاب الهي بل يلزم ان نعرف اي الكتب هو الكتاب
الالهي وهذا لا يمكن ان يعرف اصلاً من الكتاب المقدس لاننا كيف
ننتج من الكتاب المقدس ان انجيلي مرقس ولوقا هما كلام الله حقًا وان
انجيلي توما وبرتولماوس ليسا من كلامهِ تعالى مع ان العقل يرشد ان الكتاب
المعنون باسم رسول يوثق بهِ اكثر من المعنون باسم غير رسول ومن اين
اعرف ان رسالة الرومانيين لبولس حقيقةً ورسالة اللادقيين التي
تتداولها الايدي ليست له مع ان كلتيهما باسم بولس ومع ان بولس قال
في اخر رسالتهِ الى اهل كولوسايس انه كتب الى اهل اللادقية ولم يقل
البتة انه كتب الى اهل رومية فلا حيلة في توكيد ذلك الاّ التقليد اذ
الكتاب لاتصح شهادته لنفسهِ ولا تقبل والكتاب الاخر يحتاج شاهدًا
اخر وهلمّ جرًا . ثالثًا لا ينبغي ان نعرف اي الكتب هو مقدس فقط بل

يلزم ان نعرف بالخصوص ايضاً ان هذه الكتب التي في يدنا هي تلك الكتب المقدسة لانه لا يكفي مثلاً ان اعتقد ان انجيل مرقس الهي وانجيل توما ليس الهياً بل يلزم ان اعتقد ان هذا الانجيل الذي اقراه الان معنوناً باسم مرقس هو الانجيل الصحيح والغير المحرَّف الذي كتبهُ مرقس وهذا لا يمكن تحصيله من الكتاب المقدس بل يستلزم التقليد فكيف اعرف من الكتاب نفسه ان هذا الانجيل ليس مزوراً او محرفاً كما كان يزعم المانيون وغيرهم.

ثم ان الاقدمين يشهدون بالاجماع اننا لا نعرف كون الكتاب المقدس الهياً واية هي الكتب المقدسة الاَّ من التقليد فكذا روى اوسابيوس (في ك٦ من تاريخه راس ١٠) ان سرابيون رفض كتاباً منسوباً زوراً لبطرس لانه عرف من التقليد ان بطرس لم يكتب كتاباً كذا . وروى (في راس ١١) ان اكليمنضوس الاسكندري علم ما هي الاناجيل الحقيقية سنداً الى التقليد الذي سلمهُ اليهِ الاقدمون وروى (في راس ١٨) ان اوريجانوس قال "اني عرفت من التقليد الاناجيل الاربعة وان هذه وحدها" الخ وقال باسيليوس (في كتابه في الروح القدس راس ٢٧) انه اذا اهملت التقليدات الغير المكتتبة فيحتمل الانجيل مضرة كبرى ومن المشهور قول اوغوسطينوس اني لما كنت اومن بالانجيل لو لم تامر الكنيسة به.

فيقول كلوينس (في ك١ من رسومه راس ٧) ان الكتاب المقدس يمتاز عن الغير المقدس بنفسه كما يمتاز النور من الظلام والحلو من المرّ

والجواب ان كان الامر كذلك فمن اين الاختلاف على بعض الاسفار
ولم حكم لوتاروس ان رسالة ماريعقوب غير مقدسة وكلوينوس انها
مقدسة فيقول كلوينوس ان هذا الفرق لايظهر للجميع بل لمن كان
فيهم الروح فان الاعمى ايضاً لايميز النور من الظلام فهل يقول كلوينوس
ان لوتاروس لم يكن فيه الروح فنسلم له ان قال ذلك لكنه يقول ايضاً
(هناك راس٩) ان الرسل والمومنين في الكنيسة الاولى كان فيهم الروح
الحقيقي وهم حكموا ان سفر الحكمة مقدس وكلوينوس الذي يفتخر ان فيه
هذا الروح ينكر كونه مقدساً فما العمل اذا نفينا التقليد.

فينثني كلوينوس قائلاً ان اساس الكنيسة كتب الرسل والانبياء كما
قال الرسول في رسالة افسس ص٢ فاذاً لانعتقد كون الكتاب المقدّس
الهيًا سندًا الى تقليد الكنيسة والاَّ فتكون الكنيسة اساس الكتاب المقدس
فنجيب ان الرسول لايقول ان كتب الرسل والانبياء اساس بل ان
الرسل والانبياء اساسٌ وهم لم يكتبوا فقط بل قلدوا ايضاً ولهذا فنعرف
من كلامهم الغير المكتوب المقلد لنا من الكنيسة ما هو كلام الرسل المكتوب.

اما برنيسيوس احد علماء الابروتسطنت فلما ضاقت به الحيل من
جرى البرهانات المارذكرها ولم يجد منها مفرًا فاقرَّ بان هذا التقليد وحده
الملاحظ الكتاب المقدس يلزم قبوله وباقي التقليدات يجب رفضها
والحال انه اذا كان الامر كذلك فلا يكون الكتاب المقدس وحده
كافياً كما يعلمون في كل معرض وفرصة. مع انه اذا خلا الكتاب المقدس
عن هذا التقليد وشهادة الكنيسة فلا يبقى نفعهُ الاَّ قليلاً. واذا كان

امكن بلوغ هذا التقليد الينا فلِمَ لايمكن ان يبلغ الينا باقي التقليدات . ثم اما ان هذا التقليد الذي يسلمون بهِ كلام الله او لا فان لم يكن كلام الله فلا ايمان لنا فان الايمان يستلزم الاسناد الى كلام الله ولا يتحقق ان ذاك الكلام كلام الله الاَّ بهذا التقليد وان كان هذا التقليد من كلام الله فما لهم يهتفون في كل فجٍ ان لا كلام لله الاَّ ما كان مكتوبًا .

رابعًا من اللازم لا ان نقرا الكتاب المقدس فقط بل ان نفهمه ايضًا والحال ان ايات الكتاب كثيرًا ما كانت مبهمة ومشكلة وما لم يفسرها مفسر نعتقد امداد الله له لا يمكن فهمها بحصر معانيها فاذًا لا يكفي الكتاب وحده وامثال ذلك كثيرة فان مساواة الاقانيم الالهية وانبثاق الروح القدس من الاب والابن بما انهما مبدا واحد والخطية الاصلية وما اشبه تحصل من الكتاب ولكن بصعوبة حتى لو وجب الاعتماد على مجرد ايات الكتاب لاستحال اقناع المتعنتين بها ففي الكتاب المقدس شيئان الالفاظ المكتوبة والمعاني المكنونة فيها الالفاظ كالغمد والمعاني سيف الروح الالفاظ للجميع وكل من عرف القراءة قراها واما المعاني فلا يمكن للجميع ادراكها ولا يمكن التحقيق عليها في مواقع عديدة الا بواسطة التقليد ولعل هذا معنى ما قالهُ القديس باسيليوس (في كتابهِ في الروح القدس راس ٢٧) ان الانجيل دون التقليد الغير المكتتب يكون اسمًا مجردًا اي يكون الفاظًا من دون معنى فاذًا التقليد لازم

فبقي علينا ان نبرهن كون التقليد موجودًا حتى يعمل الاخصام

وشهاداتهم وهوذا البرهان ان وجود التقليد يبرهنه كل ما مر لانه متى ثبت ان كتابة الاسفار المقدسة لم تكن لازمة لزوماً لا يستغنى عنه وانها غير كافية وان التقليد لازم فينتج انه موجود با لنظر الى ان الله لا يترك عمله ناقصاً وسنثبت ذلك بايات الوحي وغيرها والمقصد الان اثبات وجوده من الاخصام فقط فنقول اولاً ان اللوتاريين والكلوينيين يعتقدون معنا خلافاً لناكري معمودية الاطفال ان تعميد هولاء صحيح وان العماد الذي يمنحه الاراطقة والغير المومنين بمقتضى الرسوم هو صحيح ايضاً والحال انه لا يمكن اقامة البرهان على ذلك من الكتاب المقدس ثم ان لوتاروس قال في فصل ٣٧ "انا اومن بالمطهر واشير واقنع بوجوب الاعتقاد به" والحال انهُ قال في ذلك الفصل نفسه ان المطهر لا يمكن اثباته من الكتاب المقدس فاذاً اقر بان الكتاب المقدس لا يحوى كل الحقائق وليس بمغنٍ عن التقليد . ثانياً ان الابروتسطنت يوافقوننا على ان الكتب المقدسة ملهمة والكتاب المقدس لا يذكر ذلك ولا يركن الى شهادته قبل اثبات كونه ملهماً فإلامَ يستندون في ذلك الاَّ الى التقليد . ثالثاً ان الاسفار التي يسلمون بكونها قانونية لا يمكنهم اثبات قانونيتها من الكتاب المقدس فمن اين يثبتون ذلك ويتمسكون بهِ فقواعد التنكيت لا يمكنها ان تثبت ذلك والذوق والروح الخاص وارشاد الروح القدس قد ابنّا قبلاً وسنبين انها ليست الواسطة للاثبات فلا يبقى الاَّ التقليد ويظهر انهم اعتمدوه في ذلك بدليل انهم نفوا منذ البداية الاسفار التي يسمونها القانونية المتاخرة لانهُ لم يظهر لهم

انها اعتبرت في كل مكان وزمان مقدسة بل ارتيب بها في بعض الكنائس ذات حين . رابعاً انهم يوافقوننا على ان شريعة الامتناع من اكل الدم والمخنوق كانت بشرية وموقتة وقد انتسخت ولا اشارة الى ذلك في الاسفار المقدسة . خامساً قد جعلوا نظيرنا يوم الاحد موضع يوم السبت مع انه لا اشارة امر بذلك في الكتاب المقدس فإلامَ استندوا في ذلك كله الاَّ الى التقليد . اخيراً ان جميعهم يقرون بانه لا كلام لله الاَّ المكتوب وهذا الزعم لا يوجد شي منه في الكتاب المقدس كله فعلامَ يدعمون فيهِ . فاذاً نفس زعمهم الذي يخالفوننا به ناكرين التقليد لا يمكنهم ان يثبتوه الاَّ بالتقليد فكيف ينكرون وجود التقليد .

ومن شهادات علماء الابروتسطنت بوجود التقليد ولزومه نورد اولاً شهادة لوتاروس نفسه فكانه سها عن تعليمهِ فقال في رسالتهِ الى مركيون "انه لامر مخطر يشمأز منهُ ان نسمع او نعتقد شيئاً يخالف ايمان الكنيسة المقدسة والكاثوليكية وتعليمها المجمع عليهِ الذي حفظتهُ منذ البدء مدة الف وخمساية سنة ونيف" ثانياً شهادة ما لنطون في رسالتهِ الى كراتون الطبيب حيث قال "اني ارى ان اتفاق القدماء يفيد كثيراً في تثبيت العقول ويسوغ لنا ان نتخذ ايريناوس وترتوليانوس واغوسطينوس الذين خلفوا كثيراً من هذه الامور للمتاخرين بمنزلة معلمين صالحين وقواد ماهرين ومن هذه الاثار يستطيع كل واحد ان يعرف انهم استعملوا ولاَّقاعدة الايمان والحقوا بها اراء الاتقياء والفقهاء واجماع الكنائس الرسولية التي كان يظهر ان اصلها من الرسل او الرجال الرسوليين"

ثالثًا شهادة هوغو كروسيوس الذي قال (في حواشيهِ) "ان التعاليم التي يدافع عنها الابروتسطنت لا توجد جميعها نصًا في الاسفار المقدسة فيقولون يلزم التسليم بالنتائج ويسلمون بالتائج تبعًا للعقل الفردي في كل واحد ولهذا ترى عندهم الاختلافات العديدة والكبيرة والانشقاقات اليومية واما الكاثوليكيون فيسلمون بالنتائج التي سلمت بها الكنيسة المقدسة باتفاق قديم وعام وكذا تقوم كل كلمة بشاهدين الكتاب المقدس والتقليد اللذين يساعد احدهما الآخر" رابعًا شهادة جيراردوس مولانوس الذي قال مبينًا رايه وراي قومه بشان التقليد "ان الابروتسطنت الاكثر تهذبًا يسلمون باننا لا نعرف الكتاب المقدس نفسه فقط بل لا نعرف معناه الصحيح والاصلي ايضًا في القضايا الاساسية دون التقليد هذا لكي اترك لكاليستوس واورنيوس وكامنيسيوس امورًا ذكروها ولا تعرف الا بالتقليد خامسًا شهادة برانسيوس في المقدمات في الراس في التقليد حيث قال " لا ينبغي ولا يمكن ان ينكر ان المسيح قال وفعل امورًا كثيرة وان الرسل قلدوا ورسموا اشياء عديدة لم يضمنوها في كتبهم" سادسًا شهادة بلانك في تاريخ عقائد لوتاروس (مجلد ٦ وجه ٧٠٥) حيث قال " لو تقدم المصلحون فتبصروا بكل ما تضمنه ذلك المبدا بان الكتاب المقدس هو الينبوع الوحيد للايمان وبجميع نتائج هذا المبدا الكبير الذي اسس لوتاروس مذهبه عليهِ لاثروا هم ولوتاروس رفض هذا المبدا " وبمثل ذلك اقر غرابيوس وبرسونيوس وسميث وبضاجيوس ودلبروك وتيرامين وغيرهم كثيرون

ان الاراطقة القدماء لجأ بعضهم لا الى الكتاب المقدس فقط بل الى التقليد ايضًا في المدافعة عن ضلالهم ومن هولآء النوفاسيانيون والبيلاجيون والمونوتيليتيون وغيرهم وانكر بعضهم التقليد واحتقر شهادته كتباع والتينوس ومركيون والدوناتيين والاريوسيين وغيرهم كما حقق الاباء المعاصرون لهولآء جميعًا ومن الطرفين لنا البرهان على وجود التقليد فمن اعتبروا شهادته من تلك الاجيال الاولى لا مرية بان اعتبارهم بينة على وجوده في الكنيسة في تلك الايام اذ انتحلوه عنها عند انفصالهم منها ولم يخالفوها به بل لبثوا يدافعون عن ضلالهم بالتقليد ايضًا كاعتقاد الكنيسة منذ ذلك الحين. ان الحقائق الدينية تبرهن بالوحي والتقليد واما الذين احتقروا شهادته وخالفوا الكنيسة به فمن مخالفتهم هذه نفسها بينة ايضًا على وجوده في الكنيسة في ايامهم والاّ فكيف يخالفون ما ليس بموجود ولِمَ ينكرون على الكنيسة الاذعان للتقليدات ان كانت الكنيسة لم تقاومهم بها ايضًا فاذًا يشهدون بعملهم ان التقليدات كانت في الكنيسة فاذًا التقليد لازم وموجود ببينات من اخصام الكنيسة انفسهم

لما كان جل ما يعترض به الابروتسطنت خلافًا للتقليدات من البرهان العقلي اللاهوتي زعمهم ان هذه التقليدات لا يمكن ان تمر عليها اجيال وتبقى سالمة لوجود الضعف في القوة الذاكرة والنسيان وعدم الخبرة والخبث وسوء المقاصد في الناس وما يجتاز من فم الى فم يسهل تغييره وتكبيره وتحريفه وافساده كان لازمًا ان نبين ان لنا وسائل ووسائط اكيدة يعتمد عليها في ابلاغ تعاليم التقليد الينا سالمة من التحريف والتزييف

دون خشية من الانخداع وقواعد وشرائط مفروضة لذلك خاصة فنقول

من المعلوم الواضح ان التقليدات لم تعد شفاهية بل كتبت من اقدم الايام واذ نقول انها كلام الله الغير المكتوب نعني انه غير مكتوب في الاسفار المقدسة لانهُ غير مكتوب البتة واذ نقول انها شفاهية نعني كما هو بين انها اخذت مشافهة عن المسيح او الرسل لا انها بقيت وما برحت شفاهية فانها قد كتبت من اقدم الايام في كتب الرجال الرسوليين اي تلاميذ الرسل وكتب الاباء القديسين والمجامع والعلماء الكنائسيين وحافظت عليها في كل وقت سلطة الكنيسة التي جعلها المخلص محافظة لا على كلامه المكتوب في الاسفار المقدسة فقط بل على كلامه الغير المكتوب فيها ايضاً وليس كل ما كتبه احد الاباء او العلماء نعتبره تقليداً عاماً بل لنا في ذلك قواعد وشرائط بينة واكيدة كما لنا وسائل نعتمد عليها لا على غيرها في ايصال التقليد الينا وهي تنزه الامر عن كل غلط وانخداع كما سترون ومع هذا كله يعاملنا الابر وتسطنت كاننا نعتمد على التقليد وحده ويعتمدون هم الاسفار المقدسة وحدها واننا لا نحفل بكون التقليد يوافق الكتاب المقدس او يخالفه وكل ذلك تهمات باطلة وتمويهات سيئة فاننا نعتبر الكتاب المقدس اكثر من اعتبارهم لهُ ولا نسلم البتة بتقليد يخالف الكتاب المقدس من احد الوجوه ولا نعتبر تقليداً صحيحاً الاَّ ما قامت عليه البينات الاكيدة والوضيحة والعديدة من الاقدمين وظهر عدم مخالفته لكلام الله المكتوب من احد الوجوه وصدقت عليه القواعد والشرائط المفروضة لذلك وتوصل الينا باحدى

الوسائل الموثوق بها والاني ذكرها وختمت الكنيسة بحكمها على صحته

ان الوسيلة او الواسطة الاولى لتبليغ التقليد الاعتقادي الينا ومعرفته بامن انما هو ارشاد الكنيسة لنا فقد اثبتنا قبلاً ان المسيح جعل الكنيسة حافظة ومعلمة لتعليمه وامدها بالعصمة من الضلال لتعلم الناس في كل مكان و زمان الحقائق الدينية دون ريب ومنذ اخذت بممارسة وظيفتها هذه بعد حلول الروح القدس على انصارها في الغرفة الصهيونية لم تنكف عنها البتة وتدوم كذلك الى نهاية العالم وهي بشرت الناس فارتدوا الى الايمان وعلمت المرتدين كل ما علمت ان الله اراد ارشاد الناس اليه وكل ما ظهر بين اولادها ما يخالف تعليمه نبذته وحرمته وكل ما راته موافقاً لتعليمه قبلته واثبتته واذا علمت ما لا نراه في الاسفار المقدسة فيجب ان نوقن انها عرفته بالتقليد اذ كانت مع المسيح بالرسل وما برحت بخلفائهم الى اليوم دون انقطاع فشهادتها هي الوسيلة والواسطة الاولى لنا لمعرفة التقليد والتيقن بما يعلمه من العقائد ونعم الوسيلة والواسطة التي لاتبطلها ولا تضعفها تقولات الاخصام ومدعياتهم

الواسطة الثانية هي المجامع لاسيما المسكونية ان اعمال المجامع المسكونية هي اعمال الكنيسة المجتمعة كانها جسد واحد وعليه فالاوامر الاحتفالية المبرزة في هذه المجامع والمثبتة والمويدة من الاحبار الاعظمين هي بينات كلية التوكيد على الايمان وبالتالي على التقليد العام الاعتقادي وقد اثبتنا قبلاً ان الكنيسة والاحبار الاعظمين معصومون من الضلال في مواد الايمان والاداب فاذاً كل ما علمونا اياه خاصة في المجامع المسكونية

من تقليد اعتقادي يحق لنا بكل صواب ان نعتبره ككلام الله المكتوب وان نثق بهذه الواسطة ونعتمد عليها ونركن اليها ولا نخشى الضلال وكذا قل في ما ورد من التقليدات الاعتقادية وفي المراسيم الاعتقادية المبرزة من الاحبار الاعظمين حيث يجعلون نفوسهم شهودًا لتقليد عام ويشهدون به للكنيسة كلها لتعتقد فانهم يكونون حينئذٍ بذلك معصومين من الغلط واما اعمال المجامع الخاصة اي الطائفية او الاقليمية فيمكنها ايضًا ان تبلغ الينا حقائق التقليد خاصة بمنزلة شهادة على ما في تلك الكنيسة من التقليدات وان كانت شهادتها ليست معصومة من الضلال الى ان تحكم بها الكنيسة او الحبر الاعظم

الواسطة الثالثة لمعرفة التقليدات هي اعمال الشهداء فان مجاوباتهم على اسئلة الولاة المضطهدين لهم وعباراتهم التي نطقوا بها عند تعذيبهم يتبين منها ما كانوا يعتقدون به في تلك الايام وما كان يعلمهم اياه الاساقفة ثم من هذه الواسطة الليتورجيات المقدسة فانه يتبين منها ما كان اعتقاد الكنيسة القديمة بالنظر الى الذبيحة وحضور المسيح حقيقة في الاوخاريستيا والخطية الاصلية وانتشارها والعبادة والاستغاثة بالقديسين وتكريم صورهم وذخائرهم وما اشبه ومنها تمل الكنيسة في مباشرة الاسرار وفروض التعبد الذي يظهر منه عدد الاسرار وفاعليتها وما اشبه بتوكيد اذ الكلام في ما يصنع كل يوم دون انقطاع ولذلك تبلغ الينا التقليدات كانه من يد الى يد وكذا قل في احتفال الاعياد والاصوام في الكنيسة تكرمة للعذراء والرسل والشهداء ويظهر من

ذلك ما كان ايمان الكنيسة بهذه الامور

الواسطة الرابعة هي كتب الاباء القديسين فان هولاء لتساميهم بالقداسة والعلم شرحوا في كتبهم الغراء الحقائق الدينية وانباونا بما كانت معتقدات الكنيسة في ايامهم وشهدوا للتقليدات ولاعتبار شهادتهم في ذلك يقتضي ان يكونوا صرحوا بالتعليم او دافعوا عنه بمنزلة موكد ومقبول في الكنيسة او قاوموا الارطقات المخالفة له واجمع على ذلك كثير منهم ومن هذه الواسطة كتب اللاهوتيين الجدليين فان هولاء خلفوا الاباء في شرح تعاليم الايمان والبحث فيها وبلغوا التعليم والتقليدات التي انحلوها عنهم الى المتاخرين . ومن هذه الواسطة ايضاً كتب الاراطقة فانه من مقاومتهم لتعليم الكنيسة نعرف ما كانت تعلم في ايامهم وما حفظوه بعد انفصالهم منها نستدل انه كان فيها عند الانفصال .

الواسطة الخامسة هي التاريخ الكنائسي فان المورخين الكنائسيين يروون ما كان التعليم القديم واصل الكنيسة وانتشارها واخبار من انفصلوا عنها وتعليمهم ومقاومة الكنيسة والاباء والمجامع لهم وعناية الله بكنيستهِ وليس المقصد ان كل ما قاله مورخ كنائسي وجب الايقان به بل ان شهادتهم لامور كانت في ايامهم او تلقوها عمن يوثق به تستحق الاعتبار وتبين ما كان من التقليد ومن هذه الواسطة ايضاً الكتابات القديمة والنقوش والصور والمعابد وباقي اثار المومنين الاولين .

ويلزم ان تعتبروا ان كل ما مر ذكره من هذه الوسائط الثلث الاخيرة نعتبره بمنزلة شهود او بمنزلة ينابيع تصدر عنها معرفة التقليدات

فذلك شهود والكنيسة قاضٍ فاذا حكمت بان ما ورد في اعمال الشهداء او اقوال الآباء او المورخين الكنائسيين او غيرها من الاثار هو تقليد صحيح والهي او كنائسي اعتقدناه كذلك وان رفضته رفضناه ومن المعلوم انها لا تغلط في فحصها وحكمها على ذلك متى كان اعتقاديًا واذا شاء لاهوتي ان يبرهن عقيدة بالتقليد لجأ الى الوسائط المار ذكرها وبين بايراد الشهود صحة الحكم واصابته وان كان كلامه في قضية غير محكوم بها بعد بين صحة رايه.

ثم ان للحكم على صحة التقليد اصولًا وقواعد اولها انه متى تمسكت الكنيسة كلها بشيءٍ بمنزلة عقيدة من الايمان ولم تكن موجودة في الاسفار المقدسة فمن الضرورة ان يقال ان تلك العقيدة من تقليدات الرسل الاعتقادية ووجهه واضح لان الكنيسة كلها لا تغلط لانها عمود الحق واساسه ولا شي من الايمان الا ما علمه المسيح او اوحاه الله بواسطة الرسل والانبياء او ما ينتج من ذلك نتجًا واضحًا فان الكنيسة لا تتدبر الان بوحي جديد بل بما تسلمته ممن كانوا خدام الكلمة فاذًا كل ما تعتقده من الايمان وليس في الاسفار المقدسة فيكون بالتقليد فكذا هي عقيدة دوام بتولية مريم العذراء وعدد الاسفار القانونية وما اشبه.

القاعدة الثانية ان كل ما تصنعه الكنيسة ولا يقدر احد ان يامر به الا الله ولا يوجد مكتوبًا في الاسفار المقدسة فمن الضرورة ان يقال ان الكنيسة تسلمته بالتقليد من المسيح والرسل ووجه هذه القاعدة اشبه بالوجه الاول لان الكنيسة كلها معصومة من الغلط لا بما تعتقده فقط بل بما تعلمه

ايضاً في المواد الاعتقادية ومن ذلك عمل الكنيسة في تعميد الاطفال فان الكنيسة تغلط غلطاً فظيعاً اذا عمدت دون امر الله الاطفال الذين لا يومنون فعلاً .

القاعدة الثالثة ان ما حفظته الكنيسة كلها في الازمنة العابرة ولم يكن في الاسفار المقدسة فيكون فرضه الرسل ولو كان مما يمكن الكنيسة فرضه مثال ذلك الصوم الخمسيني فاننا نرى الكنيسة حفظته دائماً ومع انها كان يمكنها ان تفرضه فاذا بحثنا في تواريخ الاجيال العابرة فلا نرى الكنيسة فرضتهُ وقتاً ما ولذلك نقول ان المسيح او الرسل فرضوه .

القاعدة الرابعة اذا علم اباء الكنيسة اجمع سواء كانوا مجتمعين في مجمع عام او كتب كل منهم على انفراد بان امراً ما هو من التقليد الرسولي فيلزم الاعتقاد انه كذلك . ووجهه هو انه لو امكن اباء الكنيسة المجمعين على امر ان يغلطوا لامكن ان تغلط الكنيسة كلها مثال الاول تكريم الصور الذي اجمع اباء الكنيسة المجتمعون في المجمع النيقاوي الثاني العام على انه من التقليد الرسولي واما في الثاني اي اذا علم كل من الاباء على انفراد فالظاهر انهُ يكفي ان يعلم بعض الاباء المشاهير صراحة بامر ولا يخالفهم الباقون مع ذكرهم لذلك الامر فحينئذٍ يمكن ان يقال انهُ راي الجميع دون جسارة فانهُ كل ما ضل احد القدماء او بعضهم في امر ثقيل جداً دائماً من يقاومهم فيمكن على هذا المنوال ان يثبت كون الصوم الاربعيني تقليداً الهياً اذ علم بذلك صراحةً ايريناوس وابيفانيوس وايرونيموس وامبروسيوس ولاون ولم يخالفهم احد مع ان جميعهم ذكروا

حفظ هذا الصوم . واما في الحقائق الموسسة على الاسفار المقدسة فيكون التقليد ينبوعاً اخر لاثباتها .

ارايتم اولادي اية وسائط لنا في معرفة التقليد واية قواعد وشرائط صارمة لقبولنا ما يعلمهُ وكيف يقتضي للاعتقاد بشي من التقليد حكم الكنيسة كلها او عملها في كل عصر وتعليم ابائها اجمع به دون مخالف وما كان كذلك مع امداد المسيح كنيسته بالعصمة من الغلط كيف يمكنها الغلط بهِ فهذا الاعتبار الحقيقي يبين لكم بلا بد ما ابطل دعوى الابروتسطنت على كنيستنا بانها تعلم تعاليم الناس وتقدمها على تعليم المسيح وكيف يتهموننا باننا نعتقد كل ما علمه احد الاباء او ذكره احد العلماء وان مخالفاً للوحي كما ان هذا الاعتبار يبين لكم ما ابطل اعتراضهم لنا بضعف القوة الذاكرة والنسيان والخبث وسوء المقاصد وسهولة التحريف والتزييف في النقل الشفاهي فاي محل لذلك اذا كنا لا نعتقد تقليداً الا بموجب الشرائط المار ذكرها فاذاً قد ثبت بكل ما مر ان كتابة الاسفار المقدسة لم تكن لازمة لزوماً مطلقاً وان هذه الاسفار لاتحوى جميع الحقائق الدينية وهي بالتالي غير كافية وثبت ان التقليد لازم وانهُ موجود حتى عند الابروتسطنت وان لنا طرقاً آمنة وكيدة نعرف بها التقليد الاعتقادي الصحيح بنوع لايخامره ريب ولا يعتريهِ خلل او فساد فظهر ظهور النهار بشمسهِ ان التقليد الاعتقادي لازم وموجود وهذا ما قصدنا اثباته بالبرهان العقلي اللاهوتي حتى الان ولزيادة التيقن بذلك فلننظر ما يقولونهُ خلافاً له من برهانات العقل المستند الى الوحي عدا ما مر من اعتراضاتهم .

فيقولون ان حفظ التقليدات الغير المكتتبة يظهر غير ممكن اذ توجد دائمًا موانع كثيرة من حفظهِ فاجيب ان ما برهناه في كلامنا الاخير هنا يفند هذا الاعتراض اذ ابنا الطرق الآمنة والوكيدة التي يمكن حفظ التقليدات بها وهذا كافٍ ومع ذلك لا نكتفي به بل نقول ايضًا ان حفظ التقليدات ليس غير ممكن بل عدم حفظها هو الغير الممكن لان الاهتمام بحفظها ليس للناس فقط بل لله ايضًا الذي يدبر الكنيسة وكما حفظ الله الكنيسة حتى اليوم رغمًا على اضطهادات الملوك والفلاسفة واليهود والاراطقة وكما حفظ التقليدات الفي سنة من ادم الى موسى وكما حفظ الاسفار المقدسة اربعة الاف سنة من موسى الى الان هكذا يمكنه ان يحفظ التقليدات من المسيح الى الان. وخاصة لانه عدا عناية الله التي هي العلة الاولى توجد اربع علل اخرى تساعد على حفظ التقليدات .

العلة الاولى الكتابة فان التقليدات وان لم تكتب في الاسفار المقدسة فقد كتبت في اعمال المجامع وبرآت الاحبار الاعظمين وكتب الاباء وغيرهم . الثانية الاستعمال الدائم والمتواصل فان تقليدات كثيرة يعمل بها بتواصل كطقوس مباشرة الاسرار وايام الاعياد والاصوام وتلاوة القداس وما اشبه فاللغة التي يتكلم فيها اهل اقليم لا عجب من حفظها بينهم ووسائط حفظها لا تحتاج تكلفًا للبحث عنها. الثالثة الاثار الخارجة التى تدوم الى اجيال عديدة كالهياكل والمذابح القديمة والصلبان والصور والكتب وما اشبه قال بلرمينوس (في ك ٤ في كلام الله راس ١٢) اتيت الى مدينة في فلاندرا سنة ١٥٧١ فقص عليَّ راعي المحل قصة فقال

ان الخادم الابروتسطنتي اقنع الشعب بان تشييد المذابح اختراع حديث هيهات ان يكون له ماية سنة فاخذ اهل المدينة بهدم مذبح كنيستهم وبين كانوا يهدمون راوا كتابة قديمة على حجر ارخ بها تكريس ذلك المذبح وكان التاريخ اقدم بمئات سنين من الوقت الذي قال الخادم انه ابتدأ تشييد المذابح فيهِ فاخجل الحجر الاراتيكي وحفظ التقليد الكنائسي

العلة الرابعة وجود الاراطقة في كل جيل فان حكمة الله وعنايته استخدمت اعداء الكنيسة لنفعها فانهم بما قاوموا الكنيسة به من التعاليم وبما حفظوه منها عند انفصالهم عنها شهدوا لوجوده فيها كما مر وتُحِيءَ علماء الكنيسة الى ذكر التقليدات والمدافعة عنها

فيقولون ايضاً ان الاسفار المقدسة كتبت لتكون لنا قاعدة ودستورًا للايمان والاداب والحال ان اعمال الله كاملة فاذًا الاسفار المقدسة قاعدة كاملة لايماننا فاذًا كل ما هو فيها من الايمان وما ليس فيها ليس من الايمان واذًا الكتاب المقدس وحده لازم وكافٍ لحفظ الايمان

فاجيب اولًا ان الغاية الخاصة من الكتاب المقدس ليس ان يكون وحده قاعدة للايمان بل ليكون مذكرًا مفيدًا لحفظ التعليم وتاييده ولو صح قول الاخصام لوجب ان لا يحوى الا ما تعلق بنفسهِ بالايمان كما نرى في قانون الايمان الذي الف ليكون قاعدة موجزة للايمان ففي الكتاب المقدس قسم كبير من التاريخ في العهدين وهذا لم يكتب ليومن به بل يومن به لانه كتب وقد ابنا قبلًا انهُ يوجد امور كثيرة تستلزم الايمان بها ولا وجود

لها في الاسفار المكتتبة وبعضها لازم ولا يستغنى عنهُ لمعرفة الاسفار نفسها فاذاً الغاية الجوهرية من الكتاب لا ان يكون قاعدة للايمان بل ان يساعدنا في ايام غربتنا هذه ببرهانات ونموذجات وتحريضات تارة مرشداً وتارة مخوفاً وطوراً مهدداً وطوراً معزياً لنسلك كما ينبغي ولذلك لم يكن الكتاب منتظماً في سلك واحد كما يجب ان تكون قاعدة الايمان بل يحوي تآليف كثيرة اي تاريخاً ونبوات واشعاراً ورسائل الخ اقول ايضاً اننا لا ننكر ان في الكتاب قاعدة الايمان وهذا لا ينفي ان تكون قاعدة اخرى ولا يكون لذلك عمل الله ناقصاً فان التقليد من عمل الله ايضاً وكما ان كل سفر عمل الله ولا يقال انهُ عملهُ ناقص لتضمن حقائق اخرى في السفر الاخر هكذا لا يمكن ان يقال في الكتاب برمتهِ ان عمل الله فيهِ ناقص لتضمن التقليد حقائق اخرى هذا وان عمل الله هو التعليم والتعليم كامل لكن بعضهُ كتبهُ خدام الكلمة دون امر صريح وبعضه سلموه بالتقليد كما تسلموه وعليهِ فيكون الكتاب قاعدة للايمان والتقليد قسم اخر من هذه القاعدة كما ان الكتاب قاعدة بمعنى ان كل ما خالفهُ وجب رذله لا بمعنى انه يحوي كل الحقائق دون استثناء ٠

يقولون ثالثاً ان التسليم بالتقليد يفتح سبيلاً لادخال عقائد كثيرة كاذبة تحت اسم التقليد فكذا زعم بابيا ان المسيح سيملك الف سنة بعد القيامة سنداً الى التقليد وكذا زعم ايريناوس ان المسيح تالم اذ كان عمره خمسين سنة سنداً اليه فاجيب لو صح هذا البرهان لوجب نفي الكتاب ايضاً فانهُ ظهرت قديماً كتب كثيرة بمنزلة قانونية منسوبة

لبطرس وبولس و برتلماوس وغيرهم من الرسل ثم ان بابيا لم يستند بغلطه المذكور الى التقليد بل حمله عليه سوء فهمه بعض ايات الانجيل والرويا وايريناوس قد حملهُ على غلطهِ خاصة قول اليهود للمسيح المذكور في الانجيل « انت لم تبلغ الخمسين سنة وقد رايت ابراهيم » (يوحنا ص ٨) وزد على ذلك ان التسليم بالتقليد يفتح هذا السبيل اذا لم تكن سلطة في الكنيسة تميز التقليد الصحيح من الكاذب لا مع وجود سلطة الكنيسة المعصومة من الضلال التي ترذل كل تقليد غير صحيح كما ترذل كل سفر غير قانوني

كل ما مر من البرهانات العقلية اللاهوتية فبقي ان نثبت ذلك بايات الكتاب المقدس وبعمل الكنيسة والمجامع ونرد ما يعترض بهِ الابروتسطنت من الاسفار المقدسة في القسم الثاني لكنني ارى اني قد اطلت عليكم كلامي في هذا المسآء وحيث النهار الاتي عيد الاربعين شاهدًا ففي المسآء القادم نستوفي باقي الكلام في عقيدة التقليد .

القسم الثاني

من الموعظة في التقليد

القاه في يوم عيد الاربعين شهيدًا ٩ اذار سنة ٧٤

اقمت المسا البارح البرهانات العقلية اللاهوتية على لزوم التقليد ووجوده فناتي هذا المساء الى ايراد الشهادات من الاسفار المقدسة لاثبات ذلك · ان في العهد الجديد ايات كثيرة وضيحة يتبين منها ان الرسل لم يودعوا الاوراق كل ما قاله وعلمه المخلص ومن ذلك انه ورد في محال عديدة في الاناجيل ان المسيح علم او كرز ولم يروِ الانجيليون ما علمه · فقد جآء في بشارة متى ص ٤ عد ٢٣ . وكان يسوع يجول في كل الجليل معلمًا في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت . ولم يفصل ولم يصرح بما كان يعلمه ويكرز بهِ ومثل هذا في ص ٩ عد ٣٥ من بشارة متى ايضًا وفي ص ٦ عد ٢ من بشارة مرقس وفي ص ١٩ عد ٢٧ من بشارة لوقا . بل روي مرقس في ص ٦ عد ٣٠ . وشرع يسوع يعلمهم امورًا كثيرة . ولم يذكر ما هي تلك الامور التي وصفها بالكثرة . وجآء في الابركسيس ص ١ عد ٢ ان يسوع كان يتردد بين تلاميذه اربعين يوما بعد قيامته متكلمًا في ملكوت الله . وقل ما ذكروا من هذا الكلام . وروى مار لوقا في انجيله ص ٢٤ عد ٢٧ ان يسوع ظهر بعد قيامته لتلميذين كانا منطلقين الى قرية عمواص . وابتدأ من موسى والانبياء كافة يفسر لهما من الكتب كلها عن ذاته . ولا نرى شيئًا من هذه التفاسير المسهبة وقد كتب يوحنا الرسول

انجيله بعد كل من كتبوا اسفار العهد الجديد ومع ذلك صرح بقوله في
ص ٢١ عد ٢٥ - وفعل يسوع ايات اخرى كثيرة لو كتبت واحدة
واحدة ظننت العالم لم يسعها صحفًا مكتوبة - فاذًا لا مرية ولاشك البتة
بان الرسل لم يدونوا كل ما علمهم المخلص اياه بل بقي امور كثيرة
استودعوها المومنين بالتقليد الشفاهي

وليس ما مر كل ايات الكتاب المثبتة ما نحن مثبتون فان لنورد
ايات اخرى كثيرة اكثر صراحة وقوة في اثبات مقصدنا · اننا نرى
الرسل لم يحرضوا المومنين على مراجعة ما كتبوه او كتب قبلهم اكثر من
التمسك بما علموه او استودعوه مشافهة فقد قال مار بولس للتسالونيكيين
ما افتتحت به كلامي وهو - اثبتوا اذًا يا اخوة وتمسكوا بالوصايا (وفي
اللاتينية بالتقليدات) التي تعلمتموها اما من الكلام واما من رسالتنا
فيحض المومنين ان يتمسكوا بكلام الله المكتوب والغير المكتوب على حد
سوى مبينًا ان للتعليم الموحى ينبوعين الكلام الذي علموهم به شفاهًا وما
حرروه في الرسائل ومقدمًا الينبوع الاول اي الكلام على ما دونه في
رسالته فيقول كمنيسيوس احد علماء الابروتسطنت ان الوصايا التي علمها والتي
كتبها واحدة اي انه علم اولًا ثم كتب ما علمه · لكن قوله هذا مردود من وجوه
اخصها ان حرف التقسيم اما ينفي هذا المعنى ولو كان ما زعمه كمنيسيوس
صحيحًا لقال الرسول على الاقل اثبتوا على الوصايا التي تعلمتموها من
الكلام ومن رسالتنا - لا اما من الكلام واما من رسالتنا - كما هو بين ·
لو صح هذا الزعم اي ان الرسول كتب ما علمه للزم ان يكتب اليهم

لانجيل كله لانهُ يظهر من ص ١ و ٣ من هذه الرسالة انهُ بشرهم بالانجيل.
قال فم الذهب في تفسير هذه الاية ـ يظهر من هنا ان الرسل لم يكتبوا
كل شي بل سلموا امورًا دون كتابة

قال الرسول ايضًا للقرنتيين في رسالته الاولى اليهم ص ١١ عد ٢ ـ
اني امدحكم يا اخوتي على انكم تذكرونني في كل شي وانتم متمسكون
وصاياي كما اودعتكموها ـ ولما كانت هذه اول رسالة كتبها اليهم فكان
تعينًا ان تلك الوصايا لم يودعهم اياها شفاهًا ليحفظوها ٠ وقال في
الفصل المذكور ايضًا عد ٣٢ ـ اما باقي الاشياء فساوصيكم بها متى قدمت ـ
ولم يقل فساحررها لكم ولم يحررها وقتئذٍ ٠ والظاهر ان الوصايا المذكورة
في الاية الاولى كانت تلاحظ كيفية الصلوة ولا ذكر لذلك في كلام
الرسول المكتوب. ومما قاله مار اغوسطنوس في تفسير هذه الايات ان
المسيح ابدع الاوخاريستيا وناول تلاميذه جسده ودمه بعد العشاء ومع
ذلك يلزم بوصية التقليد ان يكون من يتناول القربان المقدس صائمًا

ولما نشات اغلاط في غلاطية في مادة حفظ بعض ما رسم في
شريعة موسى لم يجعل الرسول المرجع الى ما كتبه بل الى ما علمه اذ قال ـ
ان كنا نحن او ملك من السماء يبشركم بخلاف ما بشرناكم فليكن محرومًا ـ
غلاطية ص ١ عد ٢. ولم يقل يحرر لكم بخلاف ما حررنا. وقال في رسالته
الى الرومانيين ص ١٠ عد ١٧ ـ فالايمان اذًا هو من السماع والسماع من
كلمة الله ولكني اقول العلهم لم يسمعوا وقد خرج صوتهم في الارض كلها
وكلامهم الى اقاصي المسكونة ـ فلم يقل ان الايمان من القراة او التلاوة ولا

العلهم لم يقراوا ما كتب الرسل بل لم يسمعوا ما علموه

وقال مخاطبًا تلميذه تيموتاوس في رسالته الاولى اليهِ ص ١ عد ٦ . ياتيموتاوس حافظ على ما استودعت وفي رسالته الثانية ص ١ عد ١٣ قال له . فلتكن لك مثالاً صالحًا الكلمات الصحيحة التي سمعتها مني في الايمان ... احفظ الوديعة الصالحة بروح القدس الذى حل فينا - قال فم الذهب في تفسيره هذه الاية - لم يعلم تلميذه بالكتابة فقط بل بالكلام ايضًا ما يجب ان يعمله - وقد علمه كيف يحافظ على التقليد ويبلغه غيره اذ قال في ص ٢ عد ٢ من الرسالة المذكورة - والامور التي سمعتها مني بشهود كثيرين اودعها اناسًا امناء يقدرون ان يعلموا غيرهم ايضًا . ومن البين انه لا يراد بالوديعة الكتاب بل كنز التعليم ومعاني الايات الاعتقادية كما فسر فم الذهب وغيره وكما هو واضح من قوله سمعتها وبشهود كثيرين واناسًا امناء يقدرون ان يعلموا فان ما كان مكتوبًا لا يحتاج هذا التحريض ولو كان كلامه في ما كتب لما قال اودعها اناسًا امناء يقدرون ان يعلموا غيرهم بل لقال اودعها الكتب لتنسخ نسخًا عديدة ولما قال التي سمعتها بل التي كتبتها اليك في الرسالة او الكتاب وكل هذا واضح يابى التاوّل والتعويج :

ثم ان مار يوحنا الرسول بقي حيا بعد كل من كتبوا اسفار العهد الجديد ولما امر المومنين ان يثبتوا على ما تعلموه منهم لم يذكر كتبهم بل تعليمهم الذي سمعه المومنون منهم اذ قال في رسالته الاولى ص ٢ عد ٢٤ ماسمعتموه قديما فليثبت فيكم فانه ان ثبت فيكم ما سمعتموه قديما فانكم

تثبتون في الآب والابن . وقال في رسالته الثانية عد ١٢ . وحيث عندي اشياء كثيرة اكاتبكم بها لم احب ان تكون في قرطاس ومداد ولكني ارجو ان اقدم اليكم فنتكلم مشافهة - وكرر قوله في رسالته الثالثة عد ١٢ قائلاً - ان عندي اشياء كثيرة اكاتبك بها لكني لا اريد ان اكتب اليك بمداد وقلم وانما ارجو ان اراك عن قريب ونتكلم مشافهة - فاذاً لم يعتمد الرسل الكتابة فقط في تعليم المومنين بل علموهم اموراً كثيرة تعليما شفاهيا كما علمهم المسيح تعليمه كله دون كتابة فكتب بعضهم بعضه وعلموا المومنين باقيه

ان جل ما يوردونه من ايات الكتاب خلافاً لما اقمنا البرهان عليهِ هو ما ياتي . فيقولون اولاً قال المخلص « فتشوا الكتب التي تظنون ان لكم فيها حيوة الابد فهي تشهد لي » يوحنا ص ٥ عد ٣٩ فيعلمنا اذاً التمسك بالكتاب لا بالتقليدات. فنجيب من البين ان المسيح يتكلم في الآية المذكورة ليبرهن انهُ المسيح الذي وعد الله اليهود بمجيئه وتنبأ عليه الانبياء نبوات عديدة وصريحة باساليب متنوعة فيستدعى اليهود لاجل الايمان بهِ الى مراجعة كتب الانبياء والتفتيش بها فانها تشهد لهُ انهُ المسيح ومن الواضح ان هذا لا ينفي التقليد ولايضعف برهانه البتة فان ذكر شي موجب لا ينفي غيره فامره بتفتيش الكتب لاينفي التقليد لانهُ يستدعيهم الى بينة اكثر صراحة كانوا يستشهدون بها عليه فيعكس عليهم برهانهم نفسه وهذا لاينتج منه ان ليس له برهان اخر لهذا المقصد ولالغيره والكلام في كتب العهد القديم لافي كتب العهد الجديد ولو صح زعمهم بان ذكر الكتب ينفي

التقليد لحصل منه ايضا نفي كل كتاب لم يعينه و با لتالي نفي اسفار العهد الجديد اذ لم تكن كتبت بعد

يقولون ثانيًا ان الرسول قال « ان كل كتاب كتب با لروح فهو مفيد للتعليم والتوبيخ وللتقويم وللتهذيب با لبر لكي يكون رجل الله كاملاً ومكملاً بكل عمل صالح » تيموتاوس ٢ ص ٣ عد١٦ فنجيب ان كلام الرسول لايخالف مقصدنا بشي فانه يقول ان كل كتاب مفيد الخ. ومن ينكر ذلك واي متى سمعونا نقول ان الاسفار المقدسة لافائدة منها للتعليم والتوبيخ لكنه لايقول ان كل كتاب كافٍ لما مر وهذا هو ما ننكره وان قالوا ان الكفاية مدلول عليها بقوله لكي يكون رجل الله كاملاً ومكملاً قلنا نعم ان الكتاب كافٍ لذلك لان من جملة وصاياه حفظ وصايا التقليدات كما قدمنا في ذكر البرهانات. ثم ان كلام الرسول في كتب العهد القديم بدليل قوله لتلميذه تيموتاوس قبل ما مر « فانك من صبائك تعلمت اسفارًا تقدر ان تحكمك للحيوة بالايمان » ولم تكن اسفار العهد الجديد كتبت لما كان تيموتاوس صبيًا فهل تكفي كتب العهد القديم لكي تصير رجل الله اي المسيحي مسيحيًا كاملاً ومكملاً هذا وان قوله كل كتاب يراد بهِ كل كتاب على حدة لا جميع الكتب جملة واخصام كنيستنا لا يقولون ان كل كتاب من الكتب المقدسة على حدته كافٍ لتعليم وصايا الخلاص جميعها وبعض اسفار العهد الجديد لم يكن كتب لما قال ماربولس هذا القول. وليت شعري لو قلت الاكل مفيد با لصحة فهل ينتج من قولي ان الشرب والهواء ليسا بمفيدين بل المفيد الاكل ليس الا

يعترضون ثالثًا بقول الرسول ايضًا « لكي تتعلموا منا الا تفتكروا بازيد عما هو مكتوب » (قرنتيه ا ص ٤ عد٦) و بقوله (احذروا لئلا يسلبكم احد بالفلسفة والضلالة الباطلة حسب تعاليم الناس وحسب استقصات العالم) (كولوسايس ص٢ عد ٨) فاجيب لو كان في قصد الرسول بقوله الاول نفي التقليدات لخالف نفسه بنفسه فانه امر بحفظ التقليدات والوصايا الشفاهية فجل مقصده من قولهِ المذكور ان يخفض ترفع بعض القرنتيين وكبرياءهم اذ كان بعضهم يدعي بان بولس عمده واخر بان الصفا عمده واخرانهُ من حزب افلو فيحرضهم الرسول ان لايتكبر احدهم على الاخر من اجل اقباله الى الايمان على يد الرسل والمبشرين فان هذا ليس من حقائق الدين ويدل على ذلك قوله التابع « لا يرتفع احد على صاحبه من اجل احد » والذي قال فيه انهُ مكتوب هو ما تحرر في الاصحاح الثالث السابق من الرسالة المذكورة حيث قيل (لا يفتخر احد بالناس) عد ٢١ وتحرير معنى الاية الاولى المعترض بها هو . قد كتب لا يفتخر احد بالناس واراكم تتفاخرون بمن عمدوكم وهم بشر مثلكم فلا تفكروا بازيد مما هو مكتوب في النهي عن التفاخر بالناس ومن البين ان هذا لايخالف التقليد بشي .

واما الاية الثانية المعترض بها فلا تنفي التقليدات الالهية بل البشرية المجردة المصطنعة بالفلسفة والضلالة كما هو بين من قول الرسول نفسه (احذروا لئلا يسلبكم احد بالفلسفة والضلالة الباطلة) فيحذر الرسول اهل كولوسايس من العلما المتهودين الذين كانوا يريدون ان يدخلوا

في الدين المسيحي الطقسيات الموسوية وتقليدات الفريسيين .

واما الايات الاخرى التي يعترضون بها كقولهِ (باطلاً يعبدونني يعلمون تعاليم وصايا الناس) (مرقس ص ٧) وكقولهِ (ابطلتم وصية الله لاجل تقليداتكم) (متي ص ١٥) وغيرها فقدمر ردها في اثباتنا سلطان الكنيسة على فرض الشرائع حيث ابنا ان المراد بوصايا الناس وتقليداتهم تقليدات الفريسيين الباطلة وتفضيلها على وصايا الله او مخالفتها لها كاخذ الكهنة مايتقدم للهيكل وترك الوالدين يتضورون جوعاً وكالاهتمام المفرط في التنظيفات الخارجة وترك باطنهم مملوءًا شراً وخطفاً حتى قال المخلص لهم (ياناقصي الراي اليس الذي صنع الظاهر هو الذي صنع الباطن)

فقد ثبت اذاً بالايات الصريحة من الكتاب المقدس وبايضاح المعنى الصحيح للايات المعترض بها ان التقليد موجود ولازم ونزيد ذلك اثباتاً بقولنا ان وجود التقليد ولزومهُ يثبتها طبع الكتاب المقدس نفسهُ فان هذا الكتاب عسر الفهم في محال كثيرة ويحوي نبوات ورموزاً يعسر حلها وقد كتب من اقدم الايام وكان لاهل ذلك الزمان اصطلاحات واستعمالات تغيرت وتبدلت في الازمنة التابعة فيصعب فهمها من دون التقليد وقد برهن اير ونيموس هذه الصعوبة من اشكال كلام الانبيا ورسائل الرسل ورموز الرويا وبرهنها الليري بالاختبار في عمل الاراطقة فلم يكن مبتدع الا واسند ضلالهُ الى ايات من الكتاب فكذا فعل سابليوس في انكاره ان الله ذو ثلثة اقانيم واريوس في جحوده لاهوت الابن ومكدونيوس في زعمه ان الروح القدس خليقة وبيلاجيوس في تعليمهِ

ان النعمة ليست بضرورية وهلم جرًا الى الابروتسطنت في كل ما علموا من غواياتهم والى مبتدعي هذا العصر ولو كان الكتاب سهلاً لا يحتاج التقليد في تفسيره لما كان محل لشي من ذلك بل كان يتفق عليه كل من طالعه او سمعه متلوًا بل ان الابروتسطنت انفسهم يشهدون بعملهم لما ينكرونه بقولهم فانهم قد وضعوا قواعد واصولاً وكتب بعضهم كتبًا كاملة في تعليم تفسير الكتاب ولا بد في ذلك من الاستناد الى التقليد ولو في معرفة المكاييل والمقاييس المذكورة في الكتاب على الاقل فان كان كل يستطيع ان يفهم الكتاب ويفسره دون التقليد فلمَ تلك القواعد والاصول وما لنا وكل ما مر فلنسلم الكتاب الى قوم من عامة الناس التي هي اكثر الناس ونكلفهم الى تفسيره وفهم معانيه فهل من يرى انهم يحسنون ذلك او يقدرون عليه فاذا طبع الكتاب بنفسه يستلزم التقليد لتفسيره وفهم معانيه كما ينبغي . وقد صرح الكتاب نفسه بهذه الحقيقة ومن شهاداته لها قول مار بطرس (رسالة ٢ ص ٣ عد ١٦) في رسائل مار بولس « كما كتب اليكم اخونا بولس الحبيب ... كما انه في رسائله كلها تكلم على هذه الامور التي فيها اشياء صعب فهمها يعوجها اولئك الذين لا معرفة لهم ولا رسوخ كما يعوجون باقي الكتب لهلاكهم »

وقد اعترفت الكنيسة بعمومها بلزوم التقليد ووجوده وصرحت بهذا الاقرار في المجامع المسكونية التي يظهر من تواريخها انها عقدت للبحث عن العقائد وعن مفهوم ايات الكتاب بمقتضى التقليد . فالمجمع الروماني الذي عقده في الجيل الثالث القديس اسطفانوس البابا لحل المشكل الذي

كان مع القديس كبريانوس قال « لايجدد الاما قلد » واباء المجمع النيقاوي الاول اخذوا حدود الايمان عن التقليد كما يظهر من اعمال هذا المجمع وقال القديس اتناسيوس في رسالته على رسوم هذا المجمع « ها اننا قد اقمنا البرهان على ان هذه القاعدة سلمت من اباء الى اباء يدًا بيد فانتم اي مولف يمكنكم ان تستشهدوا لتعليمكم » وقد قيل في المجمع الافسوسي « ان ايراد الشهادات من الاباء الذين بعضهم شهداء وبعضهم معترفون وجميعهم كهنة كاثوليكيون استمروا على الايمان الصحيح هو مما يطابق المذهب والايمان الكاثوليكي كثيرًا ويحسن جدًا » والمجمع الخلكيدوني لم يحرم اوطاخي قبل ان يتلو فصولاً كثيرة من تعاليم الاباء الشرقيين والغربيين ويبين ان الموافقة لتعليم الاباء امر لازم . والمجمع القسطنطيني الثالث حرم مكاريوس البطريرك الانطاكي لانهُ حرف نسخ كتب الاباء والمجامع وعزله وحد التعليم الكاثوليكي « حسب تعليم الاباء القديسين » والمجمع النيقاوي الثاني اسند تكريم الصور وجعله من الايمان اعتمادًا على التقليد اذ لا ايات بينة في الكتاب تثبت هذا . والمجمع القسطنطيني الرابع رسم نصًا « اننا نتمسك بان الرسوم الرسولية في الكنيسة الكاثوليكية المسلمة بالتقليد يلزم ان نحفظها ونحافظ عليها » ومما قاله المجمع النيقاوي الثاني المار ذكره في العمل الاخير منه « من جعل كل تقليد كنائسي مكتوبًا كان ام غير مكتوب باطلاً فليكن محرومًا » فهذه بعض شهادات الكنيسة مجتمعة في المجامع المسكونية .

ولو رمنا ان نورد شهادات اباء الكنيسة متفرقين اطال بنا المجال

فهم مجمعون على وجود التقليد ولزومه وقد صرحوا بهذا في كل عصر ونكتفي بذكر اسماء بعضهم فقد علم كذلك في الجيلين الاول والثاني هاجيسبوس واغناتيوس وبوليكربوس وايريناوس وترتوليانوس وفي الجيل الثالث اكليمنضوس الاسكندري واوريجانوس وكبريانوس وفي الجيل الرابع اوسابيوس وابيفانيوس واتناسيوس وفم الذهب وباسيليوس وفي الجيل الخامس ايرونيموس واغوسطينوس وكيرللس الاسكندري وغيرهم كثيرون فقد ثبت اذًا بدليل العقل والكتاب واجماع الكنيسة والاباء ان التقليد موجود ولازم اي لزوم فانهُ يوجد عقائد دينية اساسية كلية الاهمية ما من سبيل الى اثباتها الا با لتقليد

القسم الثالث

ان الابروتسطنت لانكارهم التقليد لايمكنهم ان يثبتوا وجود كتاب مقدس ولاعدد اسفاره ولا انه ملهم ولا المعنى الاعتقادي الصحيح في اياته وهوذا البرهان على كل من هذه

فلايمكنهم اثبات الاول وهو وجود كتاب مقدس لانه لايخلو برهان ذلك ان يوخذ اما من الكتاب المقدس نفسه واما من التقليد والامور القديمة اومن شهادة كنيستنا او من شهادة مجمع اليهود والحال انهم لايمكنهم الاستناد الى شيء من ذلك ليبرهنوا وجود كتاب مقدس فلا يستطيعون الاستناد الى الكتاب المقدس نفسه لان هذا يوقعهم في الدور الفاسد اي برهان الكتاب المقدس من الكتاب المقدس فلا يمكنهم ان يثبتوا

وجوده ما دام تحت الجدال والريب عندهم وهذا بين ولا يمكنهم ان يثبتوه من التقليد لانهم لا يسلمون بهِ ولا يذعنون لشهادته واثباته من الآثار القديمة يكون تقليداً احط من تقليدنا الذي يرذلونه كما لا يستطيعون ان يستندوا بذلك الى شهادة كنيستنا لانهم لا يعتبرونها معصومة من الغلط بل يقضون عليها بالفساد والضلال . وكذا لا يستطيعون التعويل بهذا على شهادة مجمع اليهود لانه لم يقض رسمًا بعدد الكتب المقدسة ولا يسلمون لهُ بالعصمة من الضلال والآيات التي وردت من العهد القديم في العهد الجديد لا تقدم لهم برهانًا لان الجدال شامل العهد الجديد ايضًا ولان تلك الآيات قليلة فقد ثبت اذًا ان الابروتسطنت لا يستطيعون ان يثبتوا وجود كتاب مقدس ولا سند راهن لهم في اقامة البينة على وجوده ولذلك رذل كثير منهم كل وحي واجتاز الى الكفر واما نحن فيسهل علينا اثباته لاعتقادنا وجود التقليد ولزومه وعصمة شهادة الكنيسة من الغلط .

واما الثاني وهو عدد الاسفار فليس لهم ان يقيموا البرهان عليهِ ايضًا فان ذلك البرهان لا يصدر الا عن احد الينابيع المار ذكرها وبعضها لا يصلح لاخذ البرهان عنه كالكتاب المقدس الذي لا يعدد اسفاره وان عددها فكلامهُ في التعداد من جملة ما هو تحت الجدال وبعضها لا يسلمون بهِ كالتقليد وشهادة كنيستنا وشهادة مجمع اليهود ولهذا لا يستطيعون ان يحددوا عدد الاسفار كما لم يتفقوا فعلاً على كثيرٍ منها

وكذا القول والحكم في الامر الثالث وهو كون الكتب المقدسة ملهمة

فانهم ليس لهم الى ذلك من سبيل الاَّ بالاستناد الى الينابيع المذكورة وقد ابنا عدم صلوحيتها للبرهان بمقتضى مباديهم نعم يلتجئون بهذا الى وسيلة الذوق اي يزعمون ان كلاً يدلهُ ذوقه على كون ذلك الكتاب المبحوث عنهُ مقدساً وملهمًا او لا لكن بطلان هذا الزعم اوضح من ان يبين لان الذوق فردي واضافي فلكلٍ مذاق حتى في الاشياء المادية فكيف في الامور النظرية والعقلية . وقد اختلف ذوق كلوينوس ولوثاروس لرسالة مار يعقوب فذاق احدهم انها ملهمة وذاق الاخر انها ليست كذلك وذاق الابروتسطنت الالهام في اكثر الاسفار المقدسة ولم يذقهُ البرهانيون في شي منها او ذاقوه في ما وافق عقلهم ولم ينفهُ فقط وذقناه نحن الكاثوليكيون في الاسفار المقدسة التي ينكرها الابروتسطنت فلم يذوقوه هم فيها والحاصل ان الذوق لايمكن ان يكون قاضياً في الحكم على كون الكتاب منزلاً وملهما وهو حيلة يكشفها الذي تبصر بعاقبتها ولا يصدقها عاقل فلا سبيل اذاً لاعتقاد الهام الكتاب المقدس الا شهادة الكنيسة والتقليد والابروتسطنت ينكرونها فلا يمكنهم ان يثبتوا كون الكتاب منزلاً وملهمًا .

واما الرابع وهو التفسير الاعتقادي لايات الكتاب المقدس فالامر واضح ان الابروتسطنت لايمكنهم الحصول عليه فالاعتقاد يلزم ان يكون منزهًا عن كل ريبة وخطر الخداع او سوء فهم وللحصول على اعتقاد او ايقان كذا لابد من شرطين جوهريين اي سلطة لنا من الله الحق ان تفسر هذه الايات بهذه المعاني الاصلية التي لها وعصمة من الغلط

ممنوحة من الله لهذه السلطة ليكون لكل انسان اساس متين راهن الهي لايمانهِ الوطيد الالهي الفائق كل توكيد بشري والحال ان الابروتسطنت لا يسلمون البتة بسلطة لاحد على غيره بل يزعمون ان كلاً مستقل في تفسير الايات على ما يحب ويرى وينكرون العصمة اصالة فلا يسلمون بها لاحد او الاحق ان نقول انهم يسلمون بالعصمة لكل منهم اذ يبيحون بموجب مباديهم كلاً ان يفسر ويعتقد ما يرى صواباً يكون معصوماً من الغلط ولكن من ينكر اختلاف الروءيات والاراء في الناس ولذلك تكون العصمة كلا عصمة بل تكون منبعاً للاغلاط لا لكل ليخالف غيره فقط بل ليخالف نفسه ايضاً عند تغير روءيته ورايه فيضحون ولا عصمة عندهم كما لا سلطة ومن دون السلطة والعصمة لا يمكن الحصول على التفاسير الاعتقادية اي لا يمكن ان يثبت ان الايات المقدسة هذا هو معناها الصحيح لا غيره او خلافه فاذاً الابروتسطنت لا يمكنهم خلواً من شهادة الكنيسة والتقليد ان يتوصلوا الى تفسير اعتقادي ايضاً لايات الكتاب المقدس

فيقولون انه يمكنهم ادراك معاني الكتاب الاعتادية دون التقليد وشهادة الكنيسة وكيف قد اختلفوا في الوسيلة فقال بعضهم ان الوسيلة لذلك الكتاب بنفسهِ اي ان الكتاب المقدس يفسر بعضهُ بعضاً وقال غيرهم ان الوسيلة لكل انسان عقله الفردي فهو يفهمه معنى الايات الصحيح الاعتقادي وقال اخرون انما الوسيلة روح الانسان مستنيراً بالروح القدس فلنبحث عن هذه الوسائل الثلث . اما الكتاب بنفسهِ

فلا يصلح ان يكون هذه الوسيلة اولاً لانهُ قاعدة ميتة لايمكنها ان تبرز
حكمًا عند وقوع المحاورات . ثانيا لان المعنى الصحيح لاياته هو مادة
الجدال وعليها مداره فكيف يحكم الكتاب والجدال على معانيه وكيف
يذعن احد الخصمين لحكمه وكلٌ منهما يدعي انهُ يحكم له . ثالثًا لان
الكتاب ينهج سبيلاً الى المحاورة كما شهد الاختبار ولم يكن مبدع من ايام
الرسل حتى الان الاَّ وادعى الاسناد اليه . رابعًا لانهُ يستحيل اقامة
الشريعة نفسها قاضيًا فاية مملكة او حكومة استغنت بكتب الشريعة
عن القضاة فاذًا لايمكن ان يكون الكتاب بنفسهِ وسيلة لتفسير اياته
التفسير الاعتقادي وخاصةً لانه ليس واضحًا حتى يفهمه على الاقل بمعنى
واحد كل من طالعهُ كما مر . واما العقل الفردي اي عقل كل فرد فلا
يصلح ايضًا ان يكون وسيلة لادراك المعنى اليقيني في ايات الكتاب ولا
ان يكون قاضيًا فيهِ . اولاً لان عقل كل يتبع ميله وفهمه والنظر العقلي
في الناس كثير الاختلاف والتباين والتغير كما هو بين باقل تبصر . ثانيًا
لانا لو جعلنا العقل قاضيًا على ضعفهِ وعدم ثباته لاضحى الايمان متقلقلاً
متغيرا مختلفًا اختلاف العقول بل اختلاف الاوقات كما برهنا قبلاً
باسهاب وكما حقق الاختبار. ثالثًا لان تحكيم العقل الفردي يقتاد الى
مذهب البرهانيين اذ لا يسلم العقل بما لا يدركه فينفي الاسرار وكل ما
كان فوق طبعه ويرد الى مقياس الطبيعة ما هو اعلى من الطبيعة او
يجعل ما كان كذلك من جملة الحكايات والخرافات ويبطل ارشاد
الكتاب ونفعه . اذ يفهم حينئذٍ كل من الكتاب لاما حواهُ الكتاب بل

ما كان سبق الى فكره او ما ظهر له بحسب ميله ودرجة فهمهِ وهذا كان مبدأ الخرافات الكثيرة التي اسندها بعض الابروتسطنت الى الكتاب.

واما روح الانسان المستنير بالروح القدس فلا يصلح ايضاً ان يكون قاضياً للمعاني الاعتقادية في الكتاب فاننا نعتقد ان المسيح وعد روساء الكنيسة بالاستنارة والمساعدة لا كلاً من افرادها ولو صح هذا لما امكن وجود اراطقة او ضالون لان وعد المسيح انجاز وفعل والاختبار بين لنا ان المبدعين والضالين لم يخالفوا الكنيسة فقط بل خالف بعضهم بعضاً ايضاً في معاني ايات من الكتاب فهل تجزى الروح القدس المنير ارواح هولاء او علم الضدين او كان متقلباً. علم تارةً هذا المعنى وتارةً غيره مثلاً قول الانجيل هذا هو جسدي هذا هو كاس دمي قد فهم لوتاروس منه ان الخبز والخمر انما قيل عليهما هذا الكلام وجد فيهما جسد المسيح ودمه حقيقةً مع جوهر الخبز وفهم كلوينوس منه ان لا وجود البتة لجسد المسيح ودمه في الخبز والخمر بعد تلاوة هذا الكلام عليهما فكيف انار الروح القدس عقل امامي الابروتسطنت وافهم كلاً منهما معنى ينافي ما افهمهُ الاخر وهلمَّ جراً في كل ما بين شيعهم وافرادهم من الاختلافات اليقينية والادبية فقد علم السوشينيون ان قول المخلص انا والاب واحد يريد بهِ وحدة الارادة والاتفاق لا وحدة الذات وبرهنوا له من الكتاب مستشهدين له بقول المخلص في صلاتهِ من اجل تلاميذهِ « يا ابتاه اجعلهم يكونون واحداً كما نحن واحد» وقائلين هل من قائل ان التلاميذ ذاتاً واحدة وخالفهم اللوثاريون فقالوا المراد من الاية الاولى

وحـ... من الاية الثانية وحاة الازاة بين التلاميذ فلم يدعن احد الطرفين لراي الاخر حتى لجا اللوتاريون الى التقليد وتفسير اباء الكنيسة فاين كان الروح القدس حينئذٍ او كيف ارشد كل طرف الى معنى وكيف احتمل انكار السوشينيين للاهوت الابن ولم يهدهم الصواب بانارة ارواحهم فاذاً لايمكن الكتاب ولا عقل كل انسان ولا روحه مستنيرًا بالروح القدس ان يكون قاضياً في المعاني اليقينية في الاسفار المقدسة ولم يوجد الابروتسطنت وسيلة اخرى لذلك. فاذاً لا يمكنهم وهم معتزلون عن شهادة الكنيسة والتقليد ان يحصلوا على تفاسير يقينية للكتاب كما لايمكنهم خلواً من شهادة الكنيسة والتقليد ان يثبتوا وجود كتاب مقدس او عدد اسفاره او كونه موحى وملهمًا بمقتضى ما قدمناه من البرهانات

وهكذا هولآء الذين املاوا الخافقين من الهتاف. الكتاب المقدس الكتاب المقدس اذا انكرت عليهم وجود الكتاب المقدس او عدد اسفاره او كونه ملهمًا او كون اية منه بهذا المعنى لم يستطيعوا اثبات شي من ذلك فاذا سالتهم اين الكتاب ومن قال انه مقدس فلا يمكنهم ان يجيبوا جوابًا مقنعاً لانهم ان قالوا ان الكتاب نفسه قال انه الكتاب المقدس قلت الجدال عليه كلهُ فكيف يبرهن نفسهُ وكيف تبرهنون ما هو تحت الجدال. وان قالوا التقليد قلت لهم انتم تنكرونهُ فليس لكم اخذ بينة منهُ اولا فوافقونا عليهِ. وان قالوا الكنيسة الرومانية قلت لهم انكم تزعمون انها فاسدة فلربما فسدت بهذا ايضًا وانتم تحتقرون شهادتها فكيف تستشهدونها. وان قالوا مجمع اليهود قلت اين جزم بذلك وانتم

لا تسلمون لهُ بكل شي ولا تعتقدون عصمتهُ . وان قالوا العهد الجديد شهد للعهد القديم قلت العهد الجديد من جملة الكتاب وهو لذلك تحت الجدال فكيف يبرهن نفسهُ وان هذا الاطلب المبدا . وان قالوا العقل قلت لهم لي عقل كعقلكم ولهُ الحقوق التي لعقلكم نفسها . وان قالوا الذوق قلت لي ذوق نظير ذوقكم فلم اذق ما تذوقون . وان قالوا الروح القدس قلت لهم هل ارشاده لكم فقط او هو مشترك بيننا فقد ارشدني خلاف ما تزعمون انهُ ارشدكم ولا حق لكم ان تحجبوا لانفسكم ارشاده وتسلبوه عني وكذا تضيق بهم الحيلة فلا يبقى ما يقولون . وهكذا تخصمهم اذا اوردت عليهم هذه الاسئلة با لنظر الى عدد اسفار الكتاب او الى احدها او با لنظر الى كون الكتاب منزلاً وموحى او با لنظر الى تفسير اية منهُ تفسيرًا اعتقاديًا

ارايتم اولادي كيف ان الابروتسطنت بانكارهم التقليد وشهادة الكنيسة لا يعود يمكنهم الاعتماد على الكتاب المقدس نفسه ايضًا وارايتم ان التقليد لازم لا يستغني عنهُ واذا استجمع شرايطه كان ككلام الله المكتوب نفسهِ بل كان لازمًا للاعتماد على هذا الكلام المكتوب وشاهدًا ومويدًا لهُ فلنتمسك اذًا بما تعلمهُ الكنيسة من كلام الله المكتوب والمقلد ولنقل ما كان يقولهُ ماراغوسطينوس اني لما كنت اصدق الانجيل لولم تقل لي الكنيسة ان هذا هو الانجيل ولنزدر بتقولات الاراطقة والابروتسطنت خاصة ونتشبث باذيال الكنيسة المقدسة الكاثوليكية الرومانية ونعتقد كل ما تعلمنا اياه ونرذل كل ما ترذلهُ فان الله جعلها معلمة لنا وحارسة لتعليمهِ المكتوب والمقلد ولا يمكن ان تضل بهِ ولا ان تعلمنا الضلال ولنوقن

اننا اذا ثبتنا في تعليمها الالهي وعملنا بموجبه الاعمال الصالحة وتحاشينا الآثام التي ينهانا عنها فنبلغ بلا بد الى السعادة الابدية التي خلقنا لها وهي غايتنا القصوى بلغنا الله جميعًا اليها بنعمته ورأفتهِ فانهُ ارحم الراحمين امين .

عظة

القاها في الاحد الخامس من الصوم في ١٥ اذار سنة ٧٤

في كون العالم مخلوقًا

في البدء خلق الله السماء والارض تكوين ص ١ عد ١

اذ قد انجزنا كلامنا في حقائق ايماننا الاساسية اي استوفينا الكلام في الدين الحقيقي والكنيسة الحقيقية وعلاماتها وسلطتها وعصمتها وعصمة رئيسها الحبر الاعظم من الغلط وفي كلام الله المكتوب اي الكتاب المقدس وكلامه المقلد اعني التقليدات كما سمعتم برهان هذه الحقائق في خطبي السنة السالفة وهذه السنة وان تخلل الكلام في هذه الحقائق كلام في حقائق غير اساسية اقتضتهُ في السنة الماضية بعض الاعياد والاحتفالات كالكلام في جواز تكريم القديسين وفي الخطية الاصلية وما اشبه فقد وجب الان ان ناتي الى الكلام في اخص الحقائق التي تبنى على هذه الاساسات ولا ارى حقيقة اولى بالتقديم على سواها من الحقيقة التي اتكلم بها في هذا المساء وهي ان العالم مخلوق وانهُ لم يكن ولا كان ممكنا ان

يكون منذ الازل وان الله خلقه في الزمان بموجب التاريخ الذي ذكره موسى فهذه ثلثة اقسام يكون مدار كلامي عليها في هذا المساء الاول ان العالم مخلوق لاواجب الوجود من نفسه والثاني انه لم يكن منذ الازل ولا خلقه الله منذ الازل والثالث ان الله خلقه في البدء بموجب التاريخ الذي ذكره موسى فاصغوا على حميد عادتكم الخ

القسم الاول

ان كلامنا في خلق العالم كان يستلزم الكلام في وجود الله لكننا قد برهنا في احدى خطبنا الماضية وجود الله بالايجاز وهذا لايحتاج تطويلاً اذ لا صحيح عقل ينكره فلهذا نعدل الآن عن التطويل مكتفين بما قدمناه قبلاً . وبيقيننا ان ليس بيننا من يحتاج هذا البرهان على وجوده تعالى وكلامنا في خلق العالم لايخلو من البرهان على ذلك

ان المراد بالعالم هنا جميع الموجودات التي يطرا عليها الزمان والتغيرات من روحية وهيولية وبالجملة كل موجود عدا الله وهذه تسمى المحدثات ويراد بالخلق اصدار الله جميعها من العدم الى الوجود وقد اعتاد العلماء قسمة الخلق الى قسمين الخلق الاول وهو الخلق بالحصر ويراد به ابراز المادة من العدم الى الوجود والخلق الثاني ويسمى الابداع والتكوين وهو تكون الموجودات الهيولية من تلك المادة الاولى واذ تقرر ذلك نقول

ان العقل والوحي يبرهنان ان العالم خلقه الله واولاً العقل فان الموجودات المحدثة لاتخلو من ان تكون اوجدت نفسها او اوجدها آخر

فالاول غير ممكن لان ايجادها لنفسها مستحيل ويلزم منهُ ان توجد قبل ان توجد لان من يوجد يلزم ان يكون موجوداً قبل ما يوجده والا فكيف يوجد نفسه او غيرهُ وهو غير موجود. فذلك على حد قولنا ان فلاناً ولد اولاناً قبل ان يولد هو وهذا واضح . ويلزم ان يقال ايضاً انها كانت ولم تكن معاً فكانت لافتراضها فاعلةً وموجدة والاَّ فعلامَ تعلق الفاعلية ومن هو غير موجود كيف يفعل ولم تكن لافتراض انها برزت حينئذٍ اول دفعة الى الوجود ولم تكن قبلاً واي عقل يمكنهُ ان يتصور شيئاً يكون ولايكون في وقتٍ واحد لان وجوده ينقض عدم وجوده وعدم وجوده ينقض وجوده فهما متناقضان فاذاً لا مفر من التسليم بالثاني وهو ان المحدثات اوجدها آخر وحيث ان هذا الاخر لايمكن ان يكون من جنسها والاَّ فيكون منها ويحتاج مثلها الى موجدٍ فينتج انهُ يلزم ان يكون اسمى من جميعها ومن طبع غير طبعها اعني ان يكون واجب الوجود بنفسهِ وليس كذلك الاَّ الله فاذاً العالم قد اوجده اي خالقهُ الله ولم يكن ممكناً ان يوجد نفسهُ اوان يوجده غير واجب الوجود .

ثم ان كل موجود عدا الله محدث وخاضع للزمان وقابل التغير ونرى كل ما هو منظور من الموجودات يولد او ينبت ويشب ويشيخ وينحل ويضمحل فلا يمكن ان يكون وجد منذ الازل اي وجد من نفسه لان الازلية تنافي البداية والتغير والتبدل والانحلال وكون الموجودات خاضعة للزمان يستلزم سلسلة غير متناهية من الدقائق والساعات والايام والاشهر والسنين ويزاد عليها دائماً عدد آخر وذلك مستحيل

ويحوى تناقضاً بيناً لان بعض الغير المتناهي يكون اكثر من بعض وما
كان كذلك لا يمكن ان يكون غير متناهٍ ولا ازليًا لا لان الغير المتناهي
بالفعل والازلي بالذات فقط بل لان الغير المتناهي لا يكون اعظم منه ولا
يقبل زيادة ايضاً والا فيصبح متناهياً وكذا قل في الازلي. فاذاً هذه
الموجودات متناهيه وغير ازلية واذاً قد ابتدأ وجودها في وقت ما ومن
حيث انها لا يمكن ان توجد بنفسها ولا بغيرها من المحدثات فمن اللازم
ان تكون خلقت وان يكون خالقها واجب الوجود وهو الله

ثم اذا وجد شي لم يخلقه الله فلا يخلو اما ان الله يعرفه او لا يعرفهُ فان
لم يعرفهُ لم يكن بكل شي عليماً ومن لم يكن كذلك لم يكن الهاً واذا كان
يعرفهُ ولم يخلقه فتكون معرفتهُ له اكسبتهُ كمالاً لم يكن له قبلاً ومن
لا يحوى كل كمال من نفسهِ فلا يكون الهاً وكذا لو عرف الله شيئاً ولم
يخلقه لكان متعلقاً بهِ وغير مستقل ومن لم يكن مستقلاً لم يكن الهاً.
فلهذا لا يمكن ان يوجد شي ولا يكون الله خالقاً لهُ والا فلا يكون الله
الهاً والعياذ بهِ. فاذاً اخيراً كل ما في العالم قد خلقه الله وكما يعلم الله
كل شي هكذا قد اوجد كل شي

علم بعض الفلاسفة القدماء ان العالم اوجدتهُ المصادفة والاتفاق
اي انهُ كان في فسحة العالم هبا فتكوّن منهُ اتفاقاً جميع الاجرام السماوية
والارضية وهذا الزعم المستحيل قد فندناه في خطبة اخرى وهو لا يستحق
تفنيداً فنقول الان بايجاز من اوجد هذا الهبا وهلا يصدق عليهِ ما يصدق
على غيره من المحدثات وكيف عقيمت هذه المصادفة حتى لم تعد توجد

تشة كي لا اقول شمسا ولا قمرا ولا شجرة ولا انسانا وكيف احد
نظام هذا العالم والغير المنظم لا يصدر منتظماً كما هو بيّن

وهذا يزداد ظهوراً بما ياتي ان الله خالق العالم من العدم اي جعله موجوداً بعد ان لم يكن موجوداً واذا كان الله كوّن بعض الموجودات من المادة الاولى فهذه المادة الاولى لم تكن موجودة ايضاً بل اوجدها الله والاَّ لكانت موجوداً ازلياً واجب الوجود ومستقلاً عن الله وهذا يخالفهُ عدا ما مر ان ما كان كذلك لا يمكن ان يتغير فكيف امكن الله اذاً ان يغير تلك المادة ويخضعها لفعلهِ ويجعل لها كاختياره هيئات وصوراً مختلفة. ثم كيف تكون المادة ازليـة وقابلة للتغير وخاضعة لكرور الزمان مع ان هذا ينافي الازلية كما مر. هذا من برهانات العقل وهلمَّ ننظر ما يبينهُ الوحي في هذه الحقيقة.

ان ايات الوحي الشاهدة لهذه الحقيقة كثيرة وبينة بل الوحي بجملتهِ يفترض هذه العقيدة فنجتزي فراراً من التطويل بايراد بعض الايات فقط فاول اية من الوحي في مطلع سفر التكوين هي « في البدء خلق الله السما والارض » يعني اذ لم يكن في الوجود الا الله واجب الوجود خلق الله كل ما في السماء والارض وقد فهم العبرانيون وغيرهم بقولهِ السماء والارض المحدثات كلها . وقد كرر المرتل بيان هذه الحقيقة مرات منها قوله « كل ما شاء الرب صنع في السماء والارض في البحر وجميع اللجج » مزمور ١٣٤ عد ٦ ومنها « رجاؤه في الرب الههِ الذي صنع السماء والارض البحر وكل ما فيه » مزمور ١٤٥ . ومنها « لانهُ قال فكانت وهو امر فخلقت »

مزمور ١٤٨ وقد صرح بذلك اشعيا بقولهِ « هكذا يقول الرب خالق السماوات وباسطها والمكون الارض وما ينبت فيها » ص ٤٢ عد ٥ وقال ايضًا « هذا ما يقولهُ الرب الخالق السماوات وهو المكوّن الارض » ص ٥٥ عد١٨ وقال ارميا « الذي صنع الارض بقوتهِ واعدَّ المسكونة بحكمتهِ وبسط السماوات بفهمهِ » ص ١٠ عد١٢ هذا شي من ايات العهد القديم.

وآيات العهد الجديد في هذه الحقيقة كثيرة ايضًا فمنها قول يوحنا الحبيب في انجيله ص ١ عد٣ « كلٌّ بهِ كان وبغيره لم يكن شيء مما كان » وقوله عد ١٠ « والعالم بهِ كوّن » وقال الرسل « يا رب انت هو الذي صنعت السماء والارض والبحر وكل ما فيها » ابركسيس ص٤ عد٢٤ وقال الرسول « الله الذي صنع العالم وكل ما فيهِ » ابركسيس ص١٧ عد٢٤ وقال ايضًا « بهِ خالق كل شي في السماء والارض ممَّا يرى وممَّا لا يرى المراتب والسلطات الخ » كولوصايص ١ ص١٤ وقال في الرؤيا « انت خلقت كل شيء ولاجل ارادتك كانت وخلقت » ص٤ عد ١١ ووضوح هذه الحقيقة في الكتاب يغنينا عن التطويل بذكر الآيات كما يغنينا عن ذكر شهادات التقليد واقوال الكنيسة والمجامع ونذكر فقط فاتحة قانون الايمان « نومن باله واحد آب ضابط الكل خالق السماء والارض »

فيعترضون على هذه الحقيقة بالمبدا المشهور « من العدم لا يكون شيء » قائلين اذًا ما امكن العالم ان يخلق من العدم بل لزم ان تكون المادة

ازلية • . فاجيب ان الاعتراض ناشيء من التمويه بلفظة العدم فاي نعم انهُ من العدم لا يكون شيء بمعنى ان العدم العلة الفاعلة لانه حيث ليس علة فليس معلول كما انهُ من العدم لا يكون شيء بمعنى ان العدم علة مادية لان العدم هو اللاَّ وجود ومن اللاوجود لا يكون وجود اي شيء ولكن اذا جعلنا العدم بمعنى حد يجتازمنه الشيء من عدم الوجود الى الوجود اي يبتدي يكون موجودًا بعدان كان غيرموجود فحينئذٍ لا تكون منافاة في ان العالم يخلق من العدم بهذا المعنى ولا يكون اقتضاءٌ لكون المادة ازلية اذان العلة الفاعلة لا تكون العدم بل قدرة الله التي اوجدت الاشياء من العدم كما لا يكون العدم مادة للوجود بل حالة او حدًا كانت بهِ الاشياء غيرموجودة فاصبحت بقدرة الله موجودة واي نعم ان هذا النقل من عدم الوجود الى الوجود يستحيل على قوى البشر والطبيعة لكنه سهل على قوة الله الغير المتناهية فليس عند الله امر عسير

فيقولون لا يمكننا ان نتصور كيف تبرز الاشيامن العدم الى الوجود لذا قال روسو ان تصور الخلق يفوق فهمي فلا يلزمني ان اومن باكثر مما افهم . فاجيب ان من يرون كذلك يدعون ان الله لا يفهم اكثر منهم او لا يقدر او لا يحق لهُ ان يفهمهم شيئًا وهل هذا الا جنون او يدعون انهم يفهمون كل شيء وهم يلتزمون ان يقروا عند التامل باقل شيء من الطبيعة انهم لا يدركون الحقيقة ولو صح القول لا اومن باكثر مما افهم لما كان الايمان ايمانًا بل فهمًا وادراكا ولما كانت حاجة الى الوحي بل لاكتفي الله بارشاد الناس بنور العقل

وقد برهنا قبلاً خلافاً لهذا كما برهنا ان في الطبيعة والانسان اسراراً يقر اخصامنا بعدم ادراكهم لها ويعتقدون مع ذلك حقيقتها . فقد ثبت اذاً ان العالم مخلوق وليس بواجب الوجود بل اوجده الله فهلمّ ننظر متى اوجده الله اي هل اوجده منذ الازل وهل كان يمكن ان يوجد كذلك

القسم الثاني

ان الله خلق العالم في الزمن . انه لمن الايمان ان العالم ليس بازلي بل كان له بدء عندما خلقهُ الله فان فعل الله وان لم يخضع للزمان فهو نفسه جعل الموجودات التي لم تكن قبلاً تاخذ بالوجود مع الزمن فليس الزمان الا تتابع الاشياء التي يتالف منها العالم فتصور الزمان والعالم مرتبط احدهما بالاخر فاجهد فكرك ما استطعت فلا يمكنك ان تتصور عالماً بلا زمان ولا زماناً بلا عالم ولهذا لما خلق الله العالم خلق الزمان معه وعليه علم كثيرون مع القديس اغسطينوس ان الاولى ان يقال ان الله خلق العالم مع الزمان لا خلق العالم في الزمان

ان للعقل نفسه ان يبرهن ان العالم ليس بازليّ بل وجد مع الزمن فمن الموكد ان العالم خاضع للزمن والزمن قائم بتتابع الدقائق دون انقطاع فلنفي ازلية العالم يكفي ان نسال هل هذه السلسلة المولفة من الدقائق متناهية او غير متناهية فان قيل متناهية قلنا العالم ليس بازلي لان الازلي لا يكون متناهياً . وان قيل غير متناهية قلنا ان من الحقائق الراهنة كون الغير المتناهي لا يمكن ان يزاد عليه شيء وان زيد

كان متناهيًا ونرى العالم تزاد فيه على كل دقيقة دقيقة اخرى . ثم ان
الدقائق الماضية يتالف منها عدد والعدد من المستحيل ان يكون غير
متناهٍ لقبوله الزيادة ابدًا ولامكان كل عدد ان يتجزى ويقسم فاذا قسمناه
مثلاً الى جزئين متساويين فيسال هل النصف متناهٍ او غير متناهٍ فان
قيل غير متناهٍ قلنا اذًا يوجد نزح متناهيين يتصل احدهما بالاخر
ويقيمان غير متناهٍ واحدًا ونبدا كقولنا ان الاثنين يساويان واحدًا
وهو مستحيل وان قيل ان النصف متناهٍ قلنا اذًا الغير المتناهي يقوم على
هذا الافتراض من متناهيين وهذا محال ايضًا لان الكل يتبع اجزاءه
والغير المتناهي لايتالف من اجزاء متناهية فاذًا من المستحيل بالاطلاق
ان توجد سلسلة غير متناهية من الدقائق اي ان يوجد زمن غير متناهٍ
واذا كانت هذه السلسلة متناهية فلا بد لها من بداية وهكذا العالم
المرتبط مع الزمن والذي معهُ وجد الزمان لا بد له من بداية كبداية
الزمن الذي لا يمكن ان يكون بدونه كما مر.

قد ذكرت قبلاً برهانًا اخر بهذا المعنى وهو انه لو فرضنا العالم
خلق والشمس في برج الحمل فعند عودتها السنة الثانية الى هذا
البرج يقال ان للعالم سنة بعد خلقتهِ وكذا بالتتابع والحال ان الازل
يستلزم نفس طبعه ان يكون دايمًا ولا يصدق عليه البتة القول انه
ابن سنة او سنتين او مليون من السنين

ان اللاهوتيين الكاثوليكيين مجمعون على التعليم بان العالم ليس بازلي
بل ابتدا في الزمان او مع الزمان وهذه عقيدة من الايمان ولكن

بينهم بحث على مجرد الامكان فيقولون

نعتقد ان العالم خلق في الزمان ولكن هل كان ممكنًا بقدرة الله القادرة على كل شي ان يخلق العالم منذ الازل. فقال بعضهم في هذه المسالة الاخيرة هذا ممكن بالنظر الى العالم كله. وقال غيرهم انهُ ممكن بالنظر الى الاشياء الثابتة. وقال آخرون هو ممكن بالنسبة الى الارواح كالملايكة والنفوس الناطقة. والاكثرون على ان ذلك غير ممكن البتة بالنسبة الى مجموع الاشياء والى كل منها حتى لا يمكن ان يفهم كيف يستطيع العلماء الذين ذكرناهم اولاً ان يثبتوا زعمهم ولعمري اننا اذا تاملنا بالله فنعم انه منذ الازل يعلم ويجزم ويفعل ولا ينقصه الفعل في الازلية كلها وليس بخاضع للزمان بل كل شي عنده حاضر ابدًا وليس ماضي ولا مستقبل ولكن اذا تاملنا بالعالم وجدنا انه يستحيل على الاطلاق خلقه منذ الازل لان الازلية تنافي طبعه. ولهذا يكون عدم خلقه منذ الازل لمنافاة طبع العالم لذلك لا لعدم القدرة في الله فالنقص في العالم لا في قدرة الله هذا وان ما يخلق لابد لهُ من علةٍ. والعلة من اللازم ان تكون قبل المعلول خاصة اذا لم يكن ملازمًا لها فالشمس مثلاً علة النور وهي متقدمة عليه طبعًا وان وجد النور الذي هو معلولها معها ابدًا لملازمته طبعها فلا تكون الشمس بلا النور. وكذا النار علة الحرارة وهي متقدمة طبعًا عليها وان لازمت الحرارة النار ابدًا ولم تكن النار دون حرارة الاّ باعجوبة لكنّ العالم ليس شيًا ملازمًا لطبع الله وقد كان يمكن ان يكون الله من دون العالم لانه شي خارجي عنه وغير ملازم

له ويقتضي ان يكون محدثًا فلا يمكن ان يكون معاصرًا لله في الازلية للمنافاة بينها وبين طبع العالم

فقال بعضهم ان الله من حيث هو على كل شي قدير فيمكنه ان يشرك الخليقة بازليته فيكون العالم ازليًا لا بنفسهِ بل باشراك الله له بازليته. الّا ان هذا محال ايضًا لان الازلية تكون على ذلك اما مستقرة دون تتابع او متتابعة كما نرى في موجودات العالم. فالازلية المستقرة لا تختص الّا بالله ولا يمكن ان تحمل على الخليقة لما تقدم ولانها ذاتية في الله اي انها من ذات الله فلو اشرك الله موجودات العالم بها لاشركها بذاته الالهية فيعود البحث حينئذٍ عن هذا وهو هل كان الله يمكنه ان يخلق الاهًا اخر لانه لا يبقى حينئذٍ فرق بين ان يخلق الله العالم ازليًا فيكون الاهًا وبين ان يخلق الاهًا اخر. والحال انه مستحيل ان يخلق الله الاهًا اخر فاذًا من المستحيل ايضًا ان يخلق العالم ازليًا ازلية مستقرة لا تتابع فيها ولا اجزاء لها وكلها وقت واحد

اما الازلية المتتابعة فلا يمكن أن يشرك الله الخليقة بها ايضًا لانها مستحيلة لمنافاة التتابع للازلية وقد علم اللاهوتيون بالاجماع ان ما كان مستحيلاً بالاطلاق لا يمكن الله ان يصنعه لا لنقص في قدرته بل لعدم الاهلية من الموضوع ولهذا نقول ان العالم ليس انه لم يخلق منذ الازل فقط بل لم يكن ممكنًا ولا بقدرة الله نفسها وهو على كل شي قدير ان يخلق منذ الازل

ونزيد ذلك اثباتًا بقولنا من الواضح ان في العالم كما نراه الان موجودات

متتابعة من تواليد الحيوانات وبروز النباتات وتغيير الحالات فلو كانت
هذه الموجودات خلقت او امكن ان تخلق منذ الازل لوجدت تواليد
وتغييرات وحركات كواكب وتتالى فصول وايام وليال غير متناهية
حقيقة وكل نوع من المعدودات وعليه فتكون وجدت اعداد غير متناهية
حقيقة وقد مرّ البرهان على ان ذلك مستحيل وهذه التواليد والاصدارات
بل افعال الموجودات نفسها ينبغي ان تزداد شيئًا فشيئًا من جهة البعدية
لتكون غير متناهية وعلى ذلك يمكن ان يقال فيها انها لم تكن غير متناهية
ثم صارت او تصير كذلك بكرور الزمن وما كان قبلاً متناهيًا لا يمكن ان
يصير غير متناهٍ لما قدمناه هذا وان كل تتابع لابد فيه من متقدم ومتاخر
فاذًا لابد فيه من اول او بداية والا فلا يكون حد المتضايفين وفيما يتبدل
كالليل والنهار لابد من ان وجود احدهما يدل على عدم وجود الآخر اذ
لا يمكن وجود الليل والنهار معًا فاذًا لابد ان يبتدي احدهما بالوجود اذ
يكون الآخر غير موجود فمن لازم الضرورة اذا ان نقول انهُ كان نهار
لم يتقدمه ليل او ليل لم يتقدمه نهار وهذا يفترض لامحالة بداية للعالم
والزمان

ونضيف الى ما مرّ بعمومه البرهانات الآتية ان الازلية بالحصر ليست
الا صفة للموجود الواجب الوجود بالاطلاق اذ لا يمكن فصلها عن وجوده
المتصل وكما انه من المستحيل ان يكون الموجود المحدث واجب الوجود
بالاطلاق هكذا من المستحيل ان يكون ازليًا وذا دوام غير متناهٍ ولا تقل
ان ليس الكلام هنا في الازلية المطلقة والذاتية بل في ابراز الله الخليقة الى

الوجود لتكون موجودة معه في الازلية كلها دون ان يمكن تعيين وقت لم تكن الخليقة فيه لان وجود الخليقة على هذه الحال يجعلها ازلية حقيقة وشاهد ذلك في مراسيم الله وارادته التي نسميها ازلية وهي كذلك حقيقة لا لوجه آخر الا لانه لا يمكن ان يعين وقت في الازلية لا تكون هي فيه مع الله . ثم ان خلق المحدث وحفظه يلزم ان يكونا متعلقين بارادة الله واختياره وكما يكون الله حرًا في ان يخلق ذلك الموجود المحدث او لا يخلقه هكذا يلزم ان يكون حرًا في ان يحفظه او لا يحفظهُ والحال انهُ لو امكن ان يكون موجود منذ الازل لما امكن الله ان يكون حرًا في ان يحفظه او لا يحفظهُ لان افتراضهُ ازليًا يوجب لهُ الدوام الغير المتناهي اي ان يوجد ابدًا وان يبقى محفوظًا ابدًا ولو امكن اعدامه في وقت ما لكان ذلك حدًا لديمومتهِ فيصبح زمنيًا ومتناهيًا بعد ان كان (لافتراضنا اياه منذ الازل) ازليًا وغير متناهٍ وهذا يضاد قدرة الله على كل شي وينافي طبع المحدث اذ من جوهر تصوره ان يكون غير واجب الوجود وبالتالي ان يمكن ان يوجد وان لا يوجد وبالجملة اننا كيفما لاحظنا العالم نرى انهُ لم يكن ممكنًا ان يخلق منذ الازل بل قد خلق في الزمان او مع الزمان كما برهنا وكما يبين ذلك نفس النظر الى العالم لانهُ لو كان ازليًا لكان سطحهُ مستويًا في كل مكان خاليًا من الاودية والجبال والآكام لان الامطار وجري الماء ومهب الارياح تاخذ دايمًا شيئًا من المحال المرتفعة فتضعه في المحال المنخفضة فلو مرت على العالم الازلية لاستوى سطحه بالتمام ويدل على هذا ايضًا حدوثية الصنائع والعلوم ومعرفة اصول الممالك

والشرايع فان كل ما في العالم من صناعة او حرفة او فن او علم او قبيلة او مملكة او شريعة مشتهرة ينبئنا التاريخ باصلها واختراعها وانشائها وكل ذلك لا يتجاوز الزمان الذي يعينه ايماننا لوجود العالم فلو كان هذا العالم ازليًا وكان الناس وجدوا منذ الازل فهل كان يمكن معرفة اصول ما مرَّ وزمان ابتدائه فهل كان الناس الذين يفترض وجودهم قبل ذلك لا عقل لهم او لا رغبة في العلوم والفنون وكيف كانوا يغتنون عن الصنائع والحرف واين ذهبت مصنوعاتهم واثارهم وكيف انقرضت تواريخهم حتى لم يصل الينا منها شي هذا وانا نرى جميع القبائل والامم القديمة مجمعة على كون العالم محدثًا ومخلوقًا ولم يكن منذ الازل فكذ كان راي المصريين والفينيقيين والفرس والصينيين وهلمَّ جرًّا في باقي القبائل القديمة والحديثة وسنرد في اخر هذه الخطبة ما يورده اخصامنا من شهادة الاثار خلافًا لذلك ونفند الان اعتراضاتهم الفلسفية

فيقولون اذا لم يكن العالم ازليًا فتكون العلة في ذلك اما لان الله اراد ان يخلقهُ ازليًا فلم يستطع او استطاع فلم يرد او لا استطاع ولا اراد والثلثة غير لايقة بالله لانهُ اذا كان اراد ولم يستطع فلا يكون على كل شي قديرًا وان كان استطاع ولم يرد فلا يكون جوَّادًا صالحًا بل بخيلًا حسودًا وان كان لا استطاع ولا اراد فلا يكون قادرًا على كل شيء ولا صالحًا بغير تناهٍ وكل ذلك ينافي صفات الله فيلزمنا اذًا ان نقول انهُ استطاع واراد ان يخلق العالم منذ الازل فخلقه كذلك .

فاجيب ان هذا القياس المثلث رده سهل لاننا اولًا اذا قلنا ان الله

ما استطاع ان يخلق العالم منذ الازل لانوجب عليه جل وعلا العجز وعدم المقدرة بل نوجب على العالم ان وجوده منذ الازل من المستحيلات التي لا يقدر الله ان يصنعها لا لنقص قدرته بل لعدم اهليتها وللمنافاة في حدودها لان احدها ينقض الآخر فهل يستطيع الله مثلاً ان يخلق حلقة واحدة مستديرة ومربعة معاً لا لعمري لان استدارة الحلقة تنقض كونها مربعة وكونها مربعة ينقض استدارتها او يستطيع تعالى ان يوجد النور والظلمة معاً في محل واحد لا لعمري فان وجود النور ينفي الظلمة ووجود الظلمة ينفي النور واصبعي هذا نفسه لا يقدر تعالى ان يجعله في وقت واحد منبسطاً ومطوياً لان انبساطه ينقض طيه وطيه ينقض انبساطه فهو قادر ان يخلق الف عالم مثل هذا العالم بكلمة كن لان ذلك ممكن وهو على كل شيء قدير ولا يمكن ان يصنع ما ذكرتهُ من المتناقضات لا لعدم قدرته والعياذ بهِ بل لعدم اهليتها ان تكون معاً ينقض ما تكون عليه ومن هذه المتناقضات والمستحيلات وجود العالم منذ الازل فلهذا اذا قلنا ان الله لم يستطع ان يخلقه منذ الازل لا ننفي قدرته على كل شيء واما اذا قلنا ان الله استطاع ان يخلق العالم منذ الازل ولم يرد لا نكون شكوناه بالحسد او البخل لانهُ لم يخلق العالم بالخصوص لاجلنا بل لاجل ذاتهِ وكان لازماً ان تبقى في الخليقة علامة حدوثيتها ظاهرة و[illegible] عاقلة بالبعد الغير المتناهي بينها وبين الله وهو تعالى حرٌّ بما يصنع وأحكم ما في اعمالهِ ويكفي للدلالة على جوده ايجاده العالم ولو في اي وقتٍ كان

يقولون ايضاً انهُ متى وجدت علة كافية وجد المعلول والعلة التي

لاتصدر معلولها تعتبر ناقصة لاحتياجها الى شيء اخر والحال ان الله علة كافية لايجاد العالم من كل وجهٍ فيلزم اذًا ان يكون العالم ازليًا مع الله . اجيب بقول ماري توما (بحث ٤٦ جزء ١) « كما ان المعلول يصدر من العلة الفاعلة طبعًا بحسب نوع صورتها هكذا يصدر من العلة الفاعلة بارادتها معلول بحسب الصورة التي تتصورها قبلاً وتجزم عليها ... فاذًا وان كان الله علة كافية للعالم فمع ذلك لايلزم ان يصدر العالم الذي يبدعه الا بحسبما سبق وتصور في جزم ارادته اي ليكون له الوجود بعد عدم الوجود ليعرف باكثر ايضاح بادعه » وكذا قال « ان الله اراد من الازل ان يكون العالم ولكن ليس من الازل بل حينما رسم من الازل ان يكون » في الزمان ويظهر من خلق العالم ان ارادة الله علة كافية وشديدة الفاعلية لان العالم وجد لانه اراد ولما اراد وكما اراد هذا ولا يصدق القول انهُ متى وجدت علة كافية وجد المعلول للحال الاَّ على العلة الاضطرارية والمعلول الملازم فكل منا مثلاً علة كافية للسفر الى اوروبا ولايكون هذا السفر الاَّ متى وكيف اراده كل منا اي ان العلة الفاعلة بحرية لا تبرز مفعولها الاَّ متى ارادت وان كانت كافية فاي اضطرار يحمل ارادة الله الى خلق العالم منذ الازل او هل ارادتهُ لم تكن فعالة الاَّ عندما ابدع العالم منذ الازل على هذا الافتراض

واما آيات الوحي الشاهدة لذلك فاكثر من ان تحصى ولم تكن حاجة الى ايراد شيء منها الاَّ على سبيل المثل فمن ذلك ما استهللنا بهِ وهو في البدء خلق الله السماوات والارض اي في بدء الزمان فاذا لما ابتدا الزمان

خلق العالم فاذا لم يكن منذ الازل قال ماري توما (بحث ٤٧ جزء ٢) « زعم بعضهم ان العالم كان دائمًا وان الزمان لابدء لهُ وتكفي مؤونة رد هذا الزعم كلمة في البدء » اي في بدء الزمان. قال المرتل (مزمور ٨٩ عد ٢) « قبل ان تكون الجبال وقبل ان تتكون الارض والمسكونة من الدهر والى الدهر انت يالله » وقال في سفر الامثال (ص ٨ عد ١٢) « الرب امتلكني في بداية طريقهِ قبل ان يخلق شيئًا من البدء قبل ان تكون اللجج » وقال المخلص « مجدني ايها الاب بالمجد الذي كان لي عندك قبل ان يكون العالم » يوحنا ص ٧ عد ٥ « احببتني قبل انشاء العالم » هناك عدد ٢٤ « تعالوا يامباركي ابي رثوا الملك المعد لكم قبل انشاء العالم » ص ٢٥ عد ٣٤ وقال الرسول « اختارنا بهِ قبل انشاء العالم » كولوصايص ص ١ عد ٦ فكل هذه الآيات وكثير غيرها نص صريح في ان الله ازلي والعالم زمني اي حادث في الزمان او مع الزمان

اما اقوال الاباء القديسين المثبتة هذه العقيدة فاكثر من ان تعدّ او تورد فنجتزي بالاشارة الى بعض مباديهم المؤسسة على هذه الحقيقة فمنها انهم جعلوا آية الفرق بين الله والخلائق كون الله ازليًا والخلائق محدثة بالزمان ومنها انهم برهنوا خلافًا للاريوسيين لاهوت المسيح من نسبة الكتاب الازلية لهُ حتى قال اباء المجمع النيقاوي. كل من قال الابن خليقة قال انهُ ابتدى. وهكذا اثبتوا لاهوت الروح القدس من نسبة الكتاب الازلية اليهِ فكذا برهن القديس اتناسيوس في رسالتهِ الى سرابيون والقديس باسيليوس في خطبة ١ عد ٦ والقديس امبرسيوس في

فاتحة كتابهِ خلافاً للمشابين والقديس يوحنا فم الذهب في خطبة ا في بشارة يوحنا والقديس اغسطينوس في ك ١١ من مؤلفه في مدينة الله وغيرهم كثيرون لا حاجة الى ذكرهم خاصة لانهُ ليس من ينكران الاباء القديسين علموا ان العالم محدث ومخلوق بالزمن

فقد تقرر اذاً ان العالم وكل ما فيهِ محدث وان الله خلقهُ في الزمن وليس منذ الازل بل لم يكن ممكناً ان يخلقهُ منذ الازل فبقي علينا ان نبين في اي زمن اي في اي تاريخ من الزمان خلق الله العالم هل في التاريخ الذي ذكره موسى كما نعتقد نحن الكاثوليكيون او في تاريخ اسبق منهُ كما يدعي بعض اصحاب الفلسفة الباطلة.

القسم الثالث

ان العالم خلق في التاريخ الذي ذكره موسى في بداية سفر التكوين وكلام موسى المذكور اعتادوا قسمته الى مقدمة وشرح ونعت او وصف فالمقدمة قوله في الايتين الاوليين في البدء خلق الله السماوات والارض وكانت الارض خاوية خالية وكانت الظلمة على وجه الغمر وروح الرب يرف على المياه فيريد بذلك ان الله امر فكانت السماوات والارض ولكن كانت الارض خاوية خالية من النبات والساكن ولم تكن انوار تنيرها من السماء وكانت الارض مغمورة بالماء والمادة غشيمة غير مرتبة فاخذ روح الرب يرتبها وينظمها بموجب الشرح الذي ذكره موسى اي ان الله خلق في اليوم الاول النور وفصل بينه وبين الظلمة وكان ذلك

النور مادة ينبعث النور منها وفي اليوم الثاني خلق الله الرقيع وفصل بين المياه اي جعل جوًّا وارضًا وفي اليوم الثالث جمع المياه في البحار فظهرت اليابسة وخلق فيها النبات والشجر وفي اليوم الرابع خلق النيرين العظيمين الشمس والقمر وسائر النجوم والكواكب وفي اليوم الخامس خلق الله الاسماك والطيور والدبابات وفي اليوم السادس خلق باقي الحيوانات وفي اخرها خلق الانسان وفي اليوم السابع استراح من اعماله فهذا هو ملخص الشرح الذي ذكره موسى في الاصحاح ا من سفر التكوين واما النعت او الوصف فقوله على كل شيء مما ذكر ورأى الله كل ما صنعه حسنًا وما اشبه

اما تفسير هذه الآيات فاختلف فيه الاباء والعلماء ففسرها بعضهم بالمعنى الحرفي وبعضهم بالمعنى المجازي اي قال بعضهم ان الايام الستة التي ذكرها موسى يراد بها ايام طبيعية وتفهم اقواله على حرفيتها وقال بعضهم ان الله خلق الاشياء كلها بدقيقة واحدة وذكر هذه الايام مجازي وقال آخرون ان تلك الايام عبارة عن مدات طويلة وليست اياما طبيعية وكنيستنا الكاثوليكية لم تحكم بشيء خلافًا لاحد هذه الآراء الثلثة

فمن قالوا ان الله خلق كل ما في العالم بوقت واحد برهنوا رايهم بقوله في ص ٢ من سفر التكوين « هذه هي مبادي السما والارض حين خلقتا في اليوم الذي صنع فيه الرب الاله السما والارض وكل شجر الحقل قبل ان ينبت في الارض وجميع عشب الصحراء قبل ان ينبت » وبقول الحكيم ص ١٨ « الذي يحيي الى الابد خلق كل شيء معًا » واستشهدوا

ببعض الاباء لرايهم هذا وقالوا ان التفسير الحرفي يفضي بنا الى مشاكل لاتحل منها انه كيف يمكن تمييز الثلثة الايام والليالي الاولى مع ان الشمس والقمر وباقي الكواكب خلقت في اليوم الرابع لتستولي على الليل والنهار وتفصل بين النور والظلمة ومنها قولهم كيف صرف الله في عمل ما في السماء يوماً وما في الارض خمسة ايام فلهذا قالوا نعدل عن التفسير الحرفي الى تفسير مجازي واخص من قال بهذا التفسير القديس اغسطينوس لكنه اباح التفسير الحرفي ايضاً .

اما من قالوا بالتفسير الحرفي اي ان الايام التي ذكرها موسى طبيعية فبرهنوا رايهم بقولهم ان من قواعد تفسير الكتاب ان لا يعدل عن معناه الحرفي الا لحاجة جوهرية ولا حاجة هنا الى العدول عن المعنى الحرفي وتأولوا آية الاصحاح الثاني من سفر التكوين بان كلمة اليوم فيها وُضِعت موضع الجمع او المراد بها الخلق الاول المشار اليهِ بقوله في البدء خلق الله السماء والارض واما قول الحكيم فخرجوه الى ان قوله معاً يراد بهِ ان الله خالق كل الاشياء دون استثناء وقالوا ان هذا يطابق قول مار يوحنا في انجيله كلٌّ بهِ كان وبغيره لم يكن شي مما كان او ان كلمة معاً يراد بها ان الله خلق كل شي في الايام الستة دون انقطاع ومما قالوه ان قوله كانت الارض خاوية خالية يستدل منهُ على تخلل زمن ولم تخلق الاشياء كلها معاً واستشهدوا بقوله في سفر الخروج ص ٢٠ عد ١١ « في ستة ايام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل ما فيها » واكثر الاباء اتبع هذا الراي .

وهوذا خلاصة تفاسيرهم بالمعنى الحرفي لهذه الآيات فقالوا ان المراد بالسماء من قوله في البدء خلق الله السما والارض مسكن القديسين والملائكة على راي وعلى راي اخر كل ما فوقنا من محل الملئكة والنجوم والشمس والقمر والجو وان المراد بالارض المادة الاولى التي كُوّنت بعد ذلك الاجرام منها وان قوله كانت الارض خاوية يراد بهِ خلو الارض من نبات وشجر وسكان وقوله كان روح الرب يرف على المياه. قال بعضهم المراد بالروح ريح عاصفة . وقال بعضهم يراد بهِ قوة حية . وقال اخرون وهو الاصح ان المراد الروح المحيي ليرتب العالم وقالوا في النور انهُ كان ممتداً في المسكونة كلها او في جهة منهـا لينير وان هذا النور كان فيهِ حرارة لتجفف الماء وتيبس الارض. واما في الجَلَد وفصل المياه عن المياه الذي كان في اليوم الثاني فقالوا ان المراد بالجلد الجو والمراد بالمياه مياه حقيقية جعل بعضها في الجو وهو ارق من مائنا . وابقى بعضها على الارض هذا على راي . وعلى راي اخر ان المراد بامواه الجَلَد السحب والبخار واما جمع المياه فقالوا انه كان بواسطة عمل تجاويف بالارض تمسك الماء وبظهور الجبال وان بروز النبات والشجر لم يكن القاء بذرها في الارض بل بابداعها كاملة على الاصح وفي خلق الشمس والقمر والكواكب قال بعضهم انها خُلِقت في اليوم الرابع نظراً الى اجرامها ونورها وبعضهم قال ان اجرامها خلقت في اليوم الاول وهي التي كانت تبعث النور وفي اليوم الرابع جعل الله النور المخلوق في الشمس واشرك بهِ باقي الكواكب وقالوا في ابداع الاسماك انها من الماء واما في

الطيور فقولان احدهما ان الطيور من الماء ايضاً والثاني انها من الارض واما دبابات الارض وبهائمها وآدم فمن تراب الارض والطيور وحيوانات البحر خلقها في اليوم الخامس ودبابات الارض وبهائمها وادم في اليوم السادس وفي اليوم السابع استراح الله من اعمالهِ ومعناه انهُ لم يعد يبدع انواعاً جديدة من الموجودات

واما اصحاب الراي الثالث اي من قالوا ان الايام التي ذكرها موسى عبارة عن حقبات طويلة من الزمان فقد حملهم على رايهم هذا زعم فلتر وغيره من الكفرة المحدثين ان لهم من علم الطبيعة وعلم الارض والفلك ادلة تنافي هذا التاريخ وتخالفهُ ومن هذه الادلة اولاً ان الجبال على رايهم تتكون من حمل امواه المطر والينابيع التراب وان المدة العابرة من بدء تاريخ موسى الى الان لا تكفي لتكوّن الاودية العميقة والجبال الرفيعة . ثانياً انه يوجد صدف بحري في محال بعيدة كثيراً عن البحر ويفترضون ان البحر كان ممتداً الى هناك فتقهقر الى الوراء كما نراه يتقهقر في بعض المحال بسبب ما يقذفهُ الى الشاطي والزمان السالف من تاريخ موسى الى الان لا يكفي لكل هذا التقهقر من محل الصدف الى محل البحر الان . ثالثاً ان بعض المواد التي تقذفها البراكين اصبحت ارضاً خصبة والحال ان مدة ستة الاف سنة لا تكفي لجعل مواد البراكين ارضاً مثمرة . رابعاً انه وجد متواتراً عظام حيوانات واعشاب واخشاب متحجرة او متزججة ولا تكفي مدة العالم بموجب تاريخ موسى لتحجرها وتزججها الى غير ذلك من الادلة الارضية والملاحظات الفلكية ولهذا راى هولاء

العلماء اصحاب هذا الراي الثالث ان الايام التي ذكرها موسى ليست اياماً طبيعية بل هي عبارة عن حقبات طويلة من الزمان تخللت بين ابداع كل نوع من الموجودات وغيره فراتيهم هذا لم ترذ له الكنيسة الكاثوليكية ولا يخالف روح الكتاب الذي لا ينبغي ان تفهم اياته دايماً بالمعنى الحرفي بل توجد ايات كثيرة ينبغي ان تفسر بمعنى مجازي كما فسر الاباء اصحاب الراي الاول هذه الايام نفسها التي ذكرها موسى بمعنى مجازي وقالوا ان الموجودات كلها خلقت في وقت واحد وعلى موجب هذا الراي المقبول في الكنيسة تحل بسهولة المشاكل الموردة انفاً وكل ما اشبهها فاننا متى افترضنا تلك الايام التي ذكرها موسى حقبات طويلة فلا تبقى صعوبة على راي الاخصام ايضاً من قبل ارتفاع الجبال ووجود الصدف في محال بعيدة عن البحر ولا من قبل ارض البراكين او تحجر العظام او الاعشاب والاخشاب وتزججها

فعلى تفسير اصحاب هذا الراي لايات الاصحاح الاول من سفر التكوين ان الله امر العالم ان يكون فكانت الارض خالية من الساكن والنبات بل كانت الارض متلبنة غير يابسة ومضي على ذلك حقبة طويلة . ثم اخذ يوجد الموجودات فيها حقبة بعد حقبة بنوع ان كل ما قال في التكوين كان مساء وكان صباح يراد من ذلك مرور حقبة طويلة الى ان كان المساء والصباح التاليان . الى ان خلق اخيراً الانسان على صورته ومثالهِ وعليه فتلك الايام التي ذكرها موسى عبارة عن حقبات زمان طويلة وليست اياماً طبيعية مولفة من اربع وعشرين ساعة ويؤيد

رايهم كون الايام الثلثة الاولى لم تكن ابدعت فيها بعد الشمس والقمر تسمية النور والظلمة نهارًا وليلاً هذا وان تاريخ موسى يلاحظ من تعيينه عمر الاباء الاولين فسنوه تبتدي من ابداع ادم على اننا اذا عدلنا عن هذا الراي الاخير وتمسكنا بالراي العام القائل بانَّ تلك الايام التي ذكرها موسى ايام طبيعية فيتيسر ايضًا حل المشكلات المارذكرها التي اوردوها على تاريخ موسى فانه يحق لنا ان نقول بصوابٍ ان الجبال اصدرها الطوفان العام او انها من اصل الخلق اذ يظهر من الكتاب انها كانت قبل الطوفان لقوله ان امواه الطوفان ارتفعت فوق الجبال العالية خمسة عشر ذراعًا والاصداف البحرية التي توجد في جبال بعيدة عن البحر يمكن نسبتها الى الطوفان ايضًا فان امواه البحر عند فيضانها حينئذٍ حملتها الى محالها وتركتها فيها عند ارتجاعها واما الاعشاب والاخشاب والعظام المتحجرة والمتزججة فتكفي ستة الاف سنة لصيرورتها كذلك وليس لاخصامنا قاعدة راهنة في التحجر والتزجج عدا ان ذلك يتعلق بزيادة الحرارة ومن يعلم ان كان الله عجل فعل الفواعل الطبيعية في بداية العالم لمقاصد حكمته وكذا قل في ماتقذفه البراكين من المواد واما ما يعترضون به من الملاحظات الفلكية فجميعهُ غير موكد وقد بين العلماء المدققون والمحققون ان الاثار التي يتباهون باقدميتها والتي وجدت في مصرٍ او غيرها لم تكن قبل ايام المخلص باكثر من الفين وخمساية سنة فاذًا ان اردنا اتباع الراي العام حللنا هذه المشاكل وما اشبهها على هذا الاسلوب وان لم يعجب اخصامنا هذا الحل لجانا الى الراي الثالث الذي يحل كل صعوبة وهو

مقبول في كنيستنا ولايخالف ايماننا بشيء وفي كلتا الحالين لامفر لاخصامنا من صدق تاريخ موسى ولا بينة لهم تخالفهُ حقيقةً

فاذا قد اتضح ان هذا العالم وكل ما فيه من المحدثات قد خلقه الله ولم يخلقه منذ الازل ولاكان ذلك ممكنًا بل خلقه في الزمان او مع الزمان وان هذا الزمان هو الذي ذكره موسى في تاريخهِ الذي لاسبيل لهم الى تكذيبهِ

فلم يبقَ علينا اذا الآن نزدري باصحاب الفلسفة والمذاهب الكاذبة ونعتقد ما يعلمناهُ الوحي بهذا الشان ونعرف عظمة هذه النعمة والمنة لايجاد الله لنا من العدم الى الوجود ونسديهِ شكرًا لا ينقضى على انهُ اختارنا من مليونات اناسٍ كان بامكان الله ان يوجدهم في العالم ففضلنا عليهم ولم يخلقنا ابناء الكفر والضلال بل ابناء بيعتهِ المقدسة وهينا الخلاص وطريق الملكوت السماوي ولنحذر كل الحذر من ان نغمط هذه النعمة او نستخف بها ونزيغ عن طريق الملك المويد ونسلك في الطريق المبلغة الى العذاب الخالد بواسطة اقترافنا الآثام وانهماكنا في مطامع العالم وانغماسنا بملاذهِ فان ذلك يخسرنا الغاية التي خلقنا الله لاجلها ويوصلنا اخيرًا الى دركات الجحيم اجارنا الله واياكم من ذلك بشفاعة سيدة العالمين وبنعمة الاب الخ.

خطبة

القاها في عيد القديس ماري يوسف في ١٩ اذار سنة ٧٤

في عناية الله

بدوني لا يمكنكم ان تعملوا شيئًا يوحنا ص ١٥ عد ٥

اني في مثل هذا اليوم سنة ٧٣ جعلت مادة خطبتي بيان شرف القديس يوسف الاعذر وفضائله وبعض مباحث دينية تتعلق بهِ وفي السنة الماضية يوم عيده كان كلامي في شفاعته وشفاعة سائر القديسين وتكريم صورهم وذخائرهم فلا يبقى الان ما يناسب العيد الحاضر تذكار القديس ماري يوسف الا ان اغريكم بالتكريم لهُ والالتجاء اليهِ والاستشفاع بهِ وتقديم الصلوات لله على يده ليخولنا الله بشفاعته النعم التي يحتاجها كل منا والتي يسره تعالى ان يمن علينا بها فان شفاعة هذا القديس المعظم مقبولة جدًا لديه عز وعلا وتكريمهُ في يوم عيده يكون اكثر قبولاً لديهِ وبالدالة التي لهُ لدى المخلص لاختياره لهُ ابًا ومربيًا يستطيع ان يستمد لنا ما نساله من جوده تعالى باسمه.

واذ اكتفي بهذا بالنظر الى العيد اعود الى نسق كلامي في برهان العقائد الدينية ولما كانت مادة خطبتي الماضية خلق الله للعالم وجب ان تكون مادة خطبتي الان عناية الله بالعالم لان الله لم يخلق العالم ويهمله بل ما برح حافظاً له ومعتنيا بهِ وكأن العناية تواصل الخلق ولهذا اقسم

كلامي هذا المساء الى قسمين ابين في اولها ما هي العناية واثبت وجودها وافند في القسم الثاني ما يعترض بهِ اخصام ديانتنا خلافاً لها فاصغوا الخ

القسم الاول

ان المراد بالعناية اهتمام الله بالاشياء المخلوقة وقال سينكا ((في رسالة ٧١)) ان العناية صناعة ازلية يمارسها الله في تدبير كل شيء وعرفها اللاهوتيون المتجددون بانها عمل الله القدير المتصل الذي بهِ يحفظ العالم بجملته وكل شيء فيه ويهتم بهِ ويدبره بالحكمة وبحسبما يناسب طبع كل شي وحاله لخير الموجودات ومجد اسمه .

ان العناية في الله تستلزم فعل العقل وفعل الارادة وقال احد العلماء تقتضي العناية ثلثة تدبير العقل وامر الارادة وتنفيذ القدرة على ان القدرة والارادة في الله شيء واحد كما ان العقل والارادة في الله لا يتميز احدهما عن الاخر حقيقة بل نميزهما بالنسبة الى فهمنا وتمييزاً بالقوة كما يسميه اللاهوتيون ثم ان الخلق والعناية يرتبط احدهما بالاخر ومن امن بالاول ترتب عليه ان يومن بالثاني . وقال شيشرون (في ك ١ في طبع الالهة) في ارتباط العناية بالدين « يوجد الان فلاسفة وكان غيرهم قبلاً يقولون ان الالهة لا عناية لهم بامور الناس ولو صح رايهم فما تكون التقوى وما تكون القداسة وما يكون الدين .... فان لم يستطع الالهة ان يساعدونا او لم يريدوا ذلك ولم يكن يهمهم ولا ينتبهون الى ما نصنع ولا يجدون بنفع على حيوة الانسان فلماذا نقدم العبادة والاكرام والصلوات للالهة الغير المائتين .... واذا

نفينا التعبد للالهة لا اعلم هل يبقى او لا الايمان والفة النوع البشري وفضيلة العدل السامية » وقال تواد وريطوس في حكايات الاراطقة ك٥ من المستحيل ان نقول ان الله خالق كل شيء وانه لم يعتنِ بما صنعه واهمل خليقته .

ان عناية الناس قصيرة ضعيفة تمتد الى اشياء يسيرة وليس لها من القوة ما يبلغ من يعتنون بهِ الى ما يحبون له وكثيرًا ما تحبط المساعي بها ولا تنجح واما عناية الله فهي فعالة قادرة على كل شيء لا تحتاج الا ارادته تعالى ومن صفاتها انها اولاً فعل واحد بسيط في الله يعم كل ما في الكون ثانيًا انها مطلقة ومستقلة فلا تتعلق باحد البتة ولا يمنعها مانع ولا يوقفها شيء ثالثًا هي كلية الفاعلية والقدرة كقول الرسول من يقاوم ارادته رومية ص ٩ عد ١٩ رابعًا هي غير مدركة كقوله ايضًا يا لعمق حكمة الله وعلمه ويا لغور احكامه رومية ص ١١ عد ٣٣ . خامسًا ان الله يدبر العالم بهذه العناية بطريقة فعالة وعذبة كما يتكلم اللاهوتيون ففعالة لان كلما شاء الرب صنع في السماء والارض وعذبة لانهُ تعالى لا يصنع الاشياء كل حين بالعجائب بل بتدبيره الفواعل الطبيعية وسوقه الحالات والظروف الى ما بهِ ارادته بنوع ان حفظ كل ما في العالم في كل دقيقة وكل فعل حدث ويحدث فيه لا يمكن ان يكون خلوًا من عناية الله

قد انكر العناية من القدماء تباع ابيكوروس لزعمهم ان العالم كون من الهباء ثم الرواقيون لزعمهم ان العالم يتدبر بمقدر لا مفرَّ منهُ ثم كثير من ناكري عبادة الله لزعمهم ان الله اعلى من الاهتمام بالعالم لكن لنا برهانات

العقل وبرهانات الوحي على ما يثبت العناية ويخالف ازعام هولاء اجمع
واولاً لنا برهان الاختبار الواضح ومصادقة ناكري العناية انفسهم
فان هذا العالم والخلائق المولف منها ذات نظام وترتيب يجعل العالم
عجيباً قلما يكون اذا اعتبرنا الاشياء الكبيرة فيه كدوران الكواكب وضياءها
اوتكوُّن الحيوان وحفظ الانواع وانتشارها بافرادها وما اشبه فاننا نرى هذه
جميعها مذ خلق العالم حتى الان تجري على نظام واحد لا بد لهُ من حكمة
سامية وعناية متصلة لمنع كل خلل او مفسد يعتور عليهِ فمن منا اذا دخل
الى دار او بيت فوجده محكم النظام ثم كرر دخوله اليهِ اوقاتاً متعددة
فوجده على نظامه دون ان يطرا عليه خلل او تشوش يمكنه ان لا يرى
ان ذلك البيت او الدار ليس من يهتم بهِ فكيف يمكننا اذاً ان لا نرى
عناية الله بالعالم ونحن نجد ابداً محكم النظام بحركات افلاكه وتبديل
فصوله وعدم مصادمة اجرامه الفلكية احدها بالآخر وتوليد حيواناته
ونمو نباته وميزانية عناصره وتدبير ممالكه وسكانه وما اشبه ذلك فليت
شعري كيف يمكن ان تمر ستة الاف سنة ولا تنقص عشبة من كل ما في
العالم من انواع النبات ولا ينقطع بذرها ولا يباد نوع من البعوض ولا
من الدبابات والحشرات ولا يفقد شي من الموجودات خواصهُ وقواه
الطبيعية بل حفظ كل نوع ولا يبرح محفوظاً حتى نهاية العالم ثم اي
ارتباط ضروري بين قوة العلل المحدثة والمعلولات الصادرة عنها بهذا
الثبات الدائم واي تناقض في ابطال قواها حتى لا تصدر المعلولات
المذكورة ومن هو اليقظان على اصلاحهما تفقده من القوى ومن هو الذي يمنع

مجموع هذه العناصر المختلفة من ان يعتريها فساد او ابادة ويجعل في افرادها علامات تميزها حتى لا يكون احدها مثل الاخر بالتمام فانك لا تجد ورقة من اوراق الشجر كله الا وفيها ما يميزها عن غيرها لعمري ان حفظ هذه الموجودات على هذه الصورة ليس اقل من ايجادها والحال ان وجود المحدثات يستلزم وجود واجب الوجود فاذًا حفظ هذه المحدثات ونظامها وتوجيه وسائطها الى غاياتها وادراك تلك الغايات المخلوقة لها تستلزم بلا بد ولا اشكال عناية الخالق

وكذا قل في حفظ النظام الادبي فكيف يمكننا من دون عناية الخالق ان نتأكد ثبوت الهيئة الاجتماعية وبقاء الشرائع الادبية أليس الكفرة نفسهم يقرون ان الانسان ولو كان في قمة الكمال يستطيع ان ينحط في وقت وجيز الى اعمق درجات الاثم ويصبح شريرًا فمن اين يظهر لنا ان هذا الشر لا يستحوذ غدًا على الناس اجمع فيفترض بعضهم بعضًا أليس الناس اجمع احرارًا تحملهم مطامعهم ولذاتهم لكن عناية الله جعلت في قلوبهم محبة الحق والفضيلة فتحفظ النظام الادبي بهم وتريهم الزاماتهم وتغريهم بالعمل بها ولا تدع الفساد يعم اهل العالم باجمعهِ وقد جعل الله في كل من الناس مناخس تذكر الانسان بعنايتهِ حتى ولو مهما كان الانسان اثيمًا او كافرًا لا بد ان يشعر في نفسهِ بالعناية الربانية وهذا نراه بنفوسنا لاننا اذا فاجاتنا مصيبة او داهية رفعنا اعيننا وايدينا الى السماء حتى دون انتباه احيانًا ولا تنزل بنا ملمة الا ونتذكر العناية ونلتجيء اليها ولا نقترف اثمًا كبيرًا الا ويعترينا الخوف من قبل ضميرنا

ومطالبة الله لنا بهِ وان وجد من لا يشعر بذلك فلا ينتقض برهاننا كما ان وجود العميان ليس حجة لانكار قوة البصر ومن ينكرون هذه الحقيقة نظريًا كثيرًا ما اثبتوها بعملهم حتى ان الوثنيين انفسهم كانوا يعتقدون هذه العنـاية بالهتهم واقتسموها بينهم فجعلوا للمشتري العنايـة بالسماء والارض ولنبتون العناية بالبحر ولمرس العناية بالحرب وهلمّ جرًّا. وفلاسفتهم علموا هذه الحقيقة فعلمها افلاطون في كتابهِ في الشرائع حيث مدَّ عناية الله الى الاشياء الحقيرة ايضًا وشيشرون في كتابهِ الثاني في الشرائع وسينكا في كتابهِ في العناية ورسايلهِ وبلوتينوس الَّف كتابهُ في العناية وما لي اقول هذا فان تجاديف الكفرة انفسهم على جود الله وعدله وباقي صفاته تثبت هذه الحقيقة اذ لولا العناية واعتقادهم لها لما كان ما يحملهم على التجديف ولا كان اساس لتذمرهم على الله

ان صفات الله نفسها تثبت لنا عنايتهُ بالعالم اذ لو قلنا انهُ لا يعتني بهِ لكان ذلك اما لانه لا يعلم واما لانه لا يستطيع واما لانهُ لا يريد ان يعتني والثلثة محالات اما الاول فلانهُ ينقض علم الله الصفة الجوهرية فيهِ وهي كونهُ بكل شي عليمًا ومن لا يكون عليمًا لا يكون الهًا ايضًا. واما الثاني وهو انه لا يستطيع فلانه ينقض قدرة الله فاذا كان لا يستطيع العناية بالعالم فلا يكون على كل شي قديرًا ومن لم يكن قديرًا لم يكن الهًا خاصةً وان عناية الله لا تستلزم تعبًا بهِ تعالى وليس فيها ما لا يليق بهِ لانه يصدر المفعولات بمجرد فعل ارادتهِ الوحيد وخلوًا من تغيير او انثلام في شرفهِ بالنسبة الى الامور الحقيرة او القذرة فاية اهانة لنور الشمس

من انمائهِ او اشراقهِ على مواد حقيرة او قذرة . واما الثالث وهو انه لا يريد فهو محال لانه ينقض جود الله ومن لم يكن جوَّادًا لم يكن الهًا فاي نعم ان الله لا يتوجب عليهِ شي للخليقة سلفًا ولكن اذا خلق شيئًا فتوجب عليهِ حكمته وجودهُ ان يدبره ويحفظه ويخوله الوسائل الكافية لحسن نظامهِ قال القديس امبروسيوس بهذا المعنى (في ك ١ في وظائف الخدَمة راس ١٣) « لو لم يبدع الله شيئًا لما كان شي يخالف العدل من قبلهِ ولكن اذا لم يعتنِ بما ابدع فتلك قساوة كبرى » فاذًا عدم الاقرار بعناية الله يفضي الى انكار علمه وحكمته التي تقضي عليه ان يدبر ما خلق خاصةً لانهُ ليس احكم منه في معرفة الشرائع والسنن اللازمة لحفظ الكون وسياسته واستدراك ما يعثور عليهِ من المضار والمفاسد . كما يفضي ايضًا الى انكار قدرته على كل شيء و وجوده في كل مكان او بالاحرى وجود كل مكان في عدم ممسوحيتهِ فانه تعالى لا يكون في كل مكان بطالاً بل فاعلاً ومحييًا قال ماري توما (بحث ٨ جزء ١) « ان الله يوجد في كل شيء كما يوجد الصانع في ما يصنع » لكن صنع الله متواصل فانه من حيث هو ازلي فما يصنعه يبقى صانعًا له ابدًا فان كل شيء لديه حاضر وبهذا المعنى قال المخلص « ابي حتى الان يفعل وانا افعل » فاذًا اذا ارتفعت العناية ارتفعت الالوهية وكل دين . قال لاكتنسيوس (في ك ٥ في غضب الله) « اذا وجد اله فيلزم ان يكون معتنيًا ولا يمكن احد هذين ان يكون او يتصور دون الاخر » وقال القديس اغسطينوس (في كتابه في فوائد المعتقد) « ان كانت عناية الله لا تتولى امور الناس فلا يحفل بالدين »

ان عناية الله تمتد الى الامور الصغيرة والحقيرة ايضاً وهذا نبرهنه بالخصوص بما ياتي. ان كل مخلوق ومتناهٍ هو اقل من حقير وصغير بل كانه عدم بالنسبة الى الله فاذاً اما انه تعالى يهتم بكل الاشياء على حد سوى واما انه لا يهتم بشيء منها فالاخير ينقضه كل ما قدمناه من البراهين فالمعول على الاول وهو انه تعالى يهتم بكل شي ثم وان. كانت ارضنا بالنسبة الى باقي الاجرام التي في العالم شيئًا صغيرًا فمع ذلك اجرام العالم كله بالنسبة الى الممكنات كلها شيء قليل بالنسبة الى الله الغير المتناهي والذي يستطيع ان يخلق مليارات عوالم مثل هذا العالم بكلمة كُنْ . على ان ارضنا وان كانت صغيرة بنفسها فتحوى الناس اي الموجوذ الناطق المخلوق على صورة الله ومثاله والمتسامي على باقي المخلوقات الغير الناطقة مقامًا فلا يعاب الله بعنايته بها وبكل شيء فيها الا اذا جعلنا العناية بعمومها عيبًا وقد تبين مما مرَّ انها لازمة في الله

ان كل ما قدمناه من البرهانات يصلح لافحام الكفرة ومن لا يعتقدون شيئًا من الوحي ايضًا فكيف من يعتقدون الوحي والوحي الصحيح نظيركم فان لهم من الوحي برهانات ساطعة لا ترد ولا تنقض بل ان الوحي برمتهِ يبرهن عناية الله ويفترضها فمصدر الوحي نفسه عناية الله واذا حولنا فكرنا الى الاسفار المقدسة بنظر عام شامل وجدنا اكثر الوحي ايراد اخبار عناية الله بالناس والعالم فانَّا نرى اول هذه الاسفار المقدسة يحوى ذكر عناية الله في خلق العالم وآدم ثم حوآء معينة لهُ على اكثار الناس في العالم ثم اهتمام الله بالاباء الاولين ومعاقبة الناس في جيل نوح بالطوفان لمخالفتهم

اوامره ثم عنايته بنوح وعائلتهِ و باستبقاء ما يحفظ ويجدد كل نوع من الحيوان واهتمامه بابرهيم واسحق ويعقوب الى ايام موسى ومن ايامه فصاعدًا اهتمامه بشعب اسرائيل خاصة باقامة القضاة والاحبار والملوك والانبياء ومجازاته كل محسن منهم ومعاقبته كل مخالف وتوفيقه عموم الشعب احيانًا لرضاه عنه لحسن مسعاه وغضبه عليه احيانًا لسوء تصرفه حتى تظهر عناية الله ساطعة واضحة في كل شيء وكل وقت وتتبين كانه في كل اية من العهد القديم . واما في العهد الجديد فمن يمكنه ان ينكر عناية الله بالناس وكل مادة كلام اسفار العهد الجديد الاخبار بعناية الله بارساله ابنه الوحيد لخلاص العالم وفدآيه وتجسد ابن الله من عذراء وحياته بين الناس معتنيًا بتعليمهم وابراء امراضهم وافتعال باقي العجائب رافة بهم وابداعه لهم اسرارًا واختياره لهم رسلاً ومبشرين وموته على الصليب عنهم وارساله تلاميذه لتبشير الخليقة كلها وعنايته بهولآء التلاميذ وبمن آمنوا على يدهم و بباقي الناس اجمع فاذًا مدار الوحي كله على الانبآء بعناية الله وبمفعولات هذه العناية فاي مومن بالوحي اذًا يستطيع ان ينكر هذه العناية المبرهنة بكل آية من الوحي

واما ان احببتم ان تسمعوا شيئًا من آيات الوحي الدالة بنوع اخص على العناية فهوذا بعضها على سبيل المثل . قال الجامع ص ٥ عد ٥ « لا تقل قدام الملك ان ليس عناية لئلا يغضب الله على كلامك ويبدد جميع اعمال يديك » وقال في الحكمة ص ٦ عد ٨ صنع الكبير والصغير وهو يعتني بالجميع على حد سوى » وقال في نبوة اشعيا ص ٤٥ عد ٦ « انا هو

الرب وليس غيري المكون النور والخالق الظلام صانع السلام وخالق الشرانا الرب صانع كل هذه » وقال دانيال ص ٢ عد ٢٠ » ليكن اسم الرب مباركًا من الدهر والى الدهر لان لهُ الحكمة والجبروت وهو يغير الاوقات والازمنة ينقل المالك ويقيمها يعطي الحكماء حكمة » الى ما لايحصى من آيات العهد القديم ومن العهد الجديد يكفينا موءنة البرهان قوله الذي استهللنا به بدوني لايمكنكم ان تفعلوا شيئًا ونزيد عليه الآيات التابعة » الذي يشرق شمسه على الاشرار والاخيار ويسكب غيثه على الابرار والفجار متى ص ٥ عد ٤٥ « أليس عصفوران يباعان بفلس وواحد منهما لا يسقط على الارض دون ارادة ابيكم شعور روءوسكم كلها محصاة لا تخافوا » متى ص ١٠ عد ٢٩ « تاملوا بطير السماء التي لا تزرع ولا تحصد ولاتخزن في الاهراء وابوكم السماوي يقيتها الستم بالحري افضل منها ... تاملوا بزهور الحقل كيف تربو ولا تتعب ولاتغزل ... فان كان زهر الحقل الذي يوجد اليوم وغدًا يطرح في تنور النار يلبسه الله هكذا فكم انتم احرى لذلك ياقليلي الايمان متى ص٦ « وقال في الابركسيس ص١٧ عد ٢٩ بهِ نحيي ونتحرك ونوجد » وقال مار بطرس في رسالته الاولى ص٥ عد ٦ « اتضعوا الان تحت يد الله القوية لترفعكم في الزمان الموافق والقوا همكم كله على الله لانه مهتم بكم » ولاحاجة كما هو واضح ان نذكر شيئًا من اقوال المجامع او الاباء

فقد اتضح اذًا ببرهان العقل وشهادة الوحي ان الله معتنٍ بكل ما في العالم من الاشياء الكبيرة والصغيرة والجليلة والحقيرة فلننظر الان ما يقوله

الكفرة وناكروا العناية الالهية خلافًا لها

القسم الثاني

ان قلتر لم يخجل من ان يقول ان الله لا يهتم بالناس أكثر من اهتمامنا بالجرزان التي تلعب في حقولنا والطبيعيين الذين ينسبون كل شيء الى قوى الطبيعة وسننها يوردون على عناية الله اعتراضات يظهر عند اول النظر اليها انها مشكلة عسرة الحل لكنها خاوية باطلة يسر حلها كما سترون

فيقولون ما من ناكرٍ ان في العالم شرورًا كثيرة مصائب ونوازل ونكبات واوجاعًا تنكل بالناس بتواتر ولا يمكن احدًا ان يحصى ما يجريه الناس من المظالم والتعديات والتجاديف والقباحات والآثام فيقولون ان كان الله لا يعلم هذه الشرور فليس بكل شيء عليمًا وبالتالي ليس الها وان كان يعلمها ولا يقدر على منعها فليس على كل شيء قديرًا وان قدر على ذلك ولم يردهُ لم يكن صالحًا ولا جوادًا وايها قلنا وجب انكار العناية او وجود الله نفسه وان كان الله يقدر ويريد منع الشرور فمن اين الشرور في العالم او لِمَ لا يمنعها . فهذا الاعتراض أورده أبيكوروس ومرقيون والمانيون وغيرهم ولنا في تفنيده اوجه عديدة

وقبل ان نرد هذا الاعتراض نقول قد قسم العلماء الشرور الى ثلثة انواع الشرور التي فوق الطبيعة وهي تناهي الخلائق ومحدوديتها والشرور الطبيعية وهي المصائب والخسائر المالية والامراض والاوجاع وما اشبه

والشرور الادبية وهي الخطايا ومخالفة الشرائع الالهية او البشرية واذ تقرر ذلك نقول

قد حل ترتوليانوس هذا الاعتراض ناسباً الشرور الادبية التي تصدر عنها الشرور الطبيعية الى طبع الحرية التي وهبها الله للانسان الاول ولم يكن يليق بهِ تعالى ان يخلقه من دونها او ان يقتسرها بعد ان منَّ بها وقال انه لم يكن مناسباً ان يخلق الله الانسان حرّاً ولا تعرض عليه سنة فخلقه كذلك فخالف ويخالف تلك السنة فكان ذلك مصدراً للشرور الادبية فكون الانسان حرّاً يطابق حكمة الله فتاتي الشر من ذلك لا ينافي صلاح الله وجوده فيعاقب الناس عن تلك الشرور الادبية بشرور طبيعية لمخالفتهم وذلك لا ينافي عدله ولا يجعله بغيضاً للناس

وحل كنجيوس الاعتراض فارضاً المبدا ان لا شيء من المصنوعات يمكن ان يكون غير متناهٍ وعدم التناهي في المخلوقات يوجب فيها الاختلاف والتنوع والفرق بينها لجمال العالم ولو كانت كلها من نوعٍ واحد لما كان العالم جميلاً وهذا الاختلاف والتنوع يصدر ان الشرور الطبيعية والادبية خاصة لضعف عقل الانسان وارادته لتناهيهما ولو اراد الله منع تلك الشرور يوجب احد ثلثة امور اما عدم اعطاء الله الانسان الحرية واما استخدامه تعالى قدرته على كل شي من منع سوء تصرف الانسان بحريتهِ واما وضع الانسان في محلٍ لا يكون لهُ من سبيل الى اختيار الشر والثلثة لا تليق بالله لان الحرية كمال كبير في الانسان ومنبع للاستحقاق ومن دونها لا فضل لاحدٍ واقتسارها يوجب ابطالها . فحل الاعتراض على

هذين الاسلوبين اثنى عليه بعضهم وتعقبه غيرهم .

وقال كثير من اللاهوتيين ان لا حاجة في حل هذا الاعتراض الّا الى ما يعلمه الوحي وهو ان الله خلق الانسان مستقيمًا ومعصومًا من المصائب وبعيدًا عن الشر فاثم وخالف وصية خالقه فتسلطت عليهِ المصائب فكان ذلك ينبوعًا للشرور الطبيعية وضعفت ارادته ومالت الى الشر فكان ذلك منبعًا للشرور الادبية وبالجملة جعلوا الخطية الاصلية سببًا لوجود الشرور الطبيعية والادبية في العالم وهذا الحل صحيح لكنهُ غير كافٍ لافحام الكفرة وناكري الوحي الصحيح فيلزم الالتجاء الى حل اٍخر للاعتراض : فقال عامة اللاهوتيين لاشك ان الله بكل شي عليم وعلى كل شي قدير وكان يستطيع ان يزيل الشرور ويمنعها واذا لم يصنع ذلك فلا يبطل ان يكون صالحًا وجوادًا بغير تناه وهوذا البرهان في كل نوع من الشرور. اما الشرور التي فوق الطبيعة فلا تسمى شرورًا الّا بالمجاز ويستلزمها حال الطبع المتناهي ولا يستطيع الله ان يجعل المخلوقات غير متناهية لانها تصبح الهة وهو لا يقدر ان يجعلها الهة لا لنقص في قوته بل لعدم اهليتها فذلك من المستحيلات والمتناقضات التي مر معنا الكلام ان الله لا يستطيع صنعها فلا اعتراض اذًا من هذه الشرور نعم كان لله ان يجعل الخلائق اكمل مما هي عليهِ لكنها ما دامت متناهية بقيت فيها الشرور المذكورة وقد اعطاها من الكمال ما اقتضتهُ حكمته وما كان كافيًا لغايتها فالغاية المقصودة من الساعة مثلًا ان تدل على الاوقات واما جعلها كبيرة او صغيرة فذلك موكولٌ على ارادة الصانع وغاية الانسان الحصول على

السعادة ويكفي لهذه الغاية ان تكون له القوة الكافية لادراكها ويتعلق بارادة الله ان يجعله اكثر كمالاً او اقل كمالاً بحيث تكون الوسائط كافية لادراكه الغاية المفروضة لهُ وكل ذلك من فضل الله وهو حرٌّ بهِ ولا يضاد صلاحهُ او جوده بشيءٍ عدم اعطاٰئِهِ الانسان اكثر مما اعطاه

اما الشرور الطبيعية فيمكن اعتبارها بنفسها وبالنسبة الى الناس فبنفسها ليست شرورًا وليس فيها شيءٌ يخالف قداسة الله او جوده فالنار مثلاً جيدة بنفسها ومفيدة بل لازمة لنا في امور كثيرة ولولاها لما وقينا غوائل البرد ولاذقنا طعم المطبوخات والماء ايضًا جيد بنفسه بل لازم للحيوة ومنافعهُ كبيرة وكم للطعام من المنافع وكم فيهِ من اللذة وكم حاجةٍ الى السيف وكم افاد ونجَّى فهذه وغيرها اذا لم تصدر للانسان شرًا فلا يحسبها احدٌ شرًا ولكن اذا احرقت النار انسانًا او بيتًا واذا غرق الماء انسانًا او حمل عقارًا واذا اضر الطعام شخصًا او اذا قتل بالسيف انسان تخيل لنا انها شرور ومن المعلوم انها ليست كذلك بنفسها ولا بكل نسباتها بل ببعضها فقط ولها من المنافع ما لا يستغني عنهُ فماذا يضاد جواد الله او يخالف صلاحه وجودها على ان الضر الذي تصدره فينا كثيرًا ما ياتي من عدم احتراسنا او من سوء استعمالنا لها فهي توقظ غالبًا اجتهادنا وسهرنا واذا استعملناها كما ينبغي كان لنا منها منافع كثيرة ولو كانت من اخص ما يعتبر مضرًا فان النبات والحيوانات المسمة قد يوخذ منها احيانًا دواءٌ مشفية فاذًا ليست بالنسبة الينا شرًا من كل وجه بل قد تكون مفيدة لنا ولخير العالم كله وما احسن ما قالهُ ماري اغوسطينوس (في ك ٢

في خصال المانيين راس٧) خلافاً لاحد المانيين الذي كان يقول ان العقرب شر بنفسه ولا منفعة منهُ وقد خلقهُ اله الشر « فماذا تجيبوني اذ اسألكم ما هو الشر الاَّ بان الشر ما كان ضد الطبع او ما كان مضراً او مفسداً او ما اشبه وقد ابنت غلطكم بهذا الا اذا شئتم ان تجيبوا على عادتكم الصبيانية ان النار والسم والوحوش الضارية وما اشبه هي شر... فاي انسان له اقل المام بالعلم لا يرى ان هذه تضر لعدم مناسبتها مزاج الجسد واذا ناسبته فلا تضر بل كثيراً ما تجدي بفوائد ليست بيسيرة فلو كان ذلك السم شراً بنفسه لقتل العقرب قبل كل شيءٍ والحال ان الامر بالعكس فانه لو سحب السم منها بحيلة ما لمات العقرب لا محالة فاذا ما كان شراً لجسدها فقدانه كان وجدانه في جسدنا شراً لهُ وما كان خيراً ان يوجد فيهِ كان خيراً لنا ان يفقد من جسدنا ... فنحن نعيش في الهواء واذا اطبقت علينا الارض او الماء اضرت بنا مع انه يوجد دبابات لا تحصى لا تعيش الاَّ بالماء وتحت الثرى فالسمك يموت في هذا الهوا والنار تحرق اجسادنا لكنها اذا استعملت كما ينبغي اوقتنا البرد ونجتنا من امراضٍ لا تحصى »

هذا ومن السهل علينا البرهان على ان كلما يعتبره الناس شراً ومضراً بالنسبة الى الانسان ايضاً لا يخالف جود الله وعنايته فان الذين يصابون بتلك المضرات لا يخلو من ان يكونوا اما اثمة واما ابراراً فالاثمة لا تشكي العناية بمعاقبتهم فالعقل نفسه يعلم بلزوم عقاب من يخالف السنة وقد ضل من نسب لله الجود ولم ينسب لهُ العدل وكثيراً ما استخدم الله

المصائب والنكبات اي الشرور الطبيعية لارجاع الاثمة اليه ونفعهم فتكون هذه الشرور مظهرة جوده ايضاً لاعدله فقط واما اذا كان المصابون ابرارًا فنزول المصائب بهم ايضاً لايخالف جود الله فالناس ولو عظم برهم لا يبرحون ضعفاء واحرارًا تستميلهم ملاذ العالم وكراماته فتلك المصائب والنوازل تردهم عن التعلق بالعالم وتغريهم بمحبة السماويات وتزيدهم فضيلة واستحقاقًا « من احبه الرب يودبهُ ويجلد البنين الذين يرضاهم » (عبرانية ص ١٢ عد٦) فهذه الشرور اذا تفيد الناس ابرارًا كانوا ام اشرارًا و بالتالي لاتخالف جود الله او صلاحه .

اما الشرور الادبية فليست من الله بل من ارادة الانسان المخالف الشريعة قال القديس يوحنا فم الذهب (خطبة ٥٩ في بشارة متى عد٢) نقول ان الله لم يصنع الشر فمن اين الشرور فسائلنَّ نفسك وعليَّ ان ابرهن انها ليست من الطبيعة ولامن الله ... ومن اين هي اذا هي مما هو ارادة او عدم ارادة ولكن من اين الارادة وعدم الارادة فالجواب هي منا ان الشر ليس الاَّ عدم الطاعة لله »والله لايفعل الشر بنا بل يترك الانسان يصنعه بارادتهِ فا لفعل في الخطية من حيث هو فعل طبيعي هو جيد و يساعد عليهِ الله واما كونهُ شرًا اي مخالفة للشريعة فهو فعل الانسان المريد المخالفة فالمضى مثلاً الى الكنيسة للصلوة او للسرقة هو فعل واحد طبيعي تساعد عليهِ عناية الله واما كونهُ خيرًا في الاول وشرًا في الثاني فذلك من ارادة الانسان التي يتركها الله تفعل بحريتها . فيشكونهُ تعالى بهذا الترك قائلين لماذا يترك الانسان يرتكب كل هذه الشرور مع قدرتهِ

على منعها لكنهم يضلون كثيراً الا انا نقر بان الله يستطيع ان يمنع كل الخطايا الاَّ اننا ننكر انهُ يلتزم من احد الوجوه بمنع الشرور طبيعية كانت او ادبية لانهُ لو وجد هذا الالزام لكان اما من قبل الخليقة اما من قبل الله فلا الزام من قبل الخليقة لان الشرور الطبيعية موسسة على نفس طبع الموجودات ومحدوديتها وحدوثها فان مرجعها الى فساد الموجودات المادية وانحلالها والى الالام والاوجاع التي توثر بنفسها فكما ان الخليقة لا يمكنها ان تطلب درجة من الكمال او شيئاً اخر يفوق اهلية طبعها هكذا لا يمكنها ان تقضي على الله او تلزمهُ بان يعصمها من الشر الطبيعي واما الشر الادبي اي الخطايا فموسس على الطبع ايضاً اي على امكان الطبع البشري ان يزيغ عن قاعدة الاداب ووجود الشر قائم في سوء استعمال الحرية واما العقاب الذي يتبع الشر الادبي فلا يلتزم الله بمنعهُ اذا كان الانسان المعاقب لا يحق لهُ ان يتشكى من الله بذلك والحال ان هذا هو الصواب والواقع لان الانسان اذ يرتكب الشر لا تعوزه القدرة ليعدل عنهُ او ليصنع خلافهُ ولا يجهل العقاب المفروض عليهِ ومع ذلك يقدم على اقتراف الاثم بارادتهِ وطواعيتهِ خلافاً لانذار ضميره وارشاد عقلهِ الواضح فاذا لا الزام على الله من قبل الخليقة لمنع الشرور الطبيعية او الادبية .

ثم لا الزام عليهِ تعالى من قبل صفاتهِ نفسها بمنع هذه الشرور فان الصفات التي لها محل في هذا الامر اربع وهي الجودة والقداسة والحكمة والعدل ولا الزام على الله من قبل احداها بمنع الشرور فلا من قبل الجودة لان جودة الله الخارجية تقوم بارادة الخير للناس ومنحهِ لهم وعدم منع

الشرور لا يزيل جودة الله وارادتهُ الخير للناس ولا يوخر الاحسانات المتوجبة والمناسبة لطبع الموجودات ولا يمسك الانسان عن نوال تلك الاحسانات بل يغريهِ بها واما القداسة فلا تلزم الله بمنع الشرور اذ لا يخالف قداستهُ تعالى الاقباحة الاثم الداخلية التي يرذلها الله في الناس وينهاهم عنها ويتهددهم بالعقاب ان ارتضوا بها ويعاقبهم فعلاً عليها بعد ارتكابها وماذا يخالف قداسة الملك اذا سنَّ شريعةً لخير مملكتهِ فخالفهُ بعض قومهِ فعاقبهم لذلك وهل من الزام عليهِ وان استطاع ان يعصمهم من المخالفة ويمنعهم عنها . ثم لا الزام على الله بمنع الشرور من قبل حكمتهِ الغير المتناهية فان جل ما تقتضيه هذه الحكمة فرض غاياتٍ مرتبة للموجودات وادراك تلك الغايات والحال ان حكمة الله تدرك غاياتها من خلق الناس دون منع الشرور فانهم ان صنعوا الخير وطاعوا الشريعة حصلت ثمار الفضائل وادركوا السعادة وتمجدت رافة الله بهم وان خالفوا بارادتهم عوقبوا باثمهم وتمجد عدل الله بهم واما العدل فيهِ تعالى فلا يلزمه بمنع الشرور فان هذه الصفة تقوم باجراء الثواب للمحسنين والعقاب على المخالفين والعقاب تابع للشر ويفترضهُ والله منعطف الى الثواب اكثر من العقاب ولا يعاقب انسانًا الاَّ كاستحقاقه فلا يلزمهُ عدلهُ بمنع الشر الادبي بل يلزمهُ بالمعاقبة عليهِ هذا ومن حيث ان وجود الخطية من وجود الشريعة « حيث ليس شريعة فليس هناك خطية » (رومية ص ٤ عد ١٥) ووجود الشريعة حسنٌ ولازم وحرية الانسان حسنة ولازمة للاستحقاق ومحدودية المخلوقات ملازمة طبعها فلهذا لا يكون

الزام على الله من قبل صفاتهِ ان يمنع الشرور الصادرة عن محدودية الطبيعة وعن حرية الانسان اللازمة وعن وجود الشريعة التي لا بد منها في الحالة المذكورة .

وان كانت احكام الله غير مدركة فمع ذلك يجسر الناس ان يبحثوا عنها في ديوان عقولهم ويعترضون اعتراضات اخرى فيقولون ان العناية تضاد سعادة الله وعزته ويوردون مثال الملك الذي لا يليق به ان يتنازل الى العناية بالامور الخسيسة والحقيرة . فرد هذا الاعتراض سهل فان مصدره بعقول اصحابه تصورهم الله كما يتصورون انساناً وشتان بين الله والانسان فان فعل الله واحد بسيط وبامر ارادته الواحد يدبر الكون بجملته وكل شيء فيه على حدته وقد ادرك ذلك الفلاسفة الوثنيون انفسهم خلافاً لابيكوروس ومنهم امنيوس فانه قال (في كتابه في التفسير) ان اصحاب هذا الراي يقيسون الله بالناس واورد لذلك مثال الشمس التي تنير الاجرام كلها بفعل واحد فعناية الله اذا بالخلائق لا تخالف سعادته ولا تنتقص عزته ولا تربكه في اعمالهِ وان كان خلق الاشياء الخسيسة والحقيرة لم يهن الله فولا تهينه العناية بها والملك لا يليق به التنازل الى الامور الدنيه لانها تشغلهُ عن المهام الكبيرة ولا محل لشيء من ذلك في الله

يقولون ايضاً ان عناية الله لا تتفق مع اهتمام الناس ومع تقديمهم الصلوات لطلب غوثه ونعمه لانهُ اذا كان الله يعتني بنا فما الفائدة من اهتمامنا ولِمَ نسالهُ في صلواتنا ما نعلم انهُ لابد ان يصنعهُ بعنايته . فاجيب

ان الله يعتني بنا وبالعالم كله لكنه يستخدم العلل الثانية وقد اراد الاَّ برزق الانسان دون عمل ولهذا يلزم الانسان ان يهتم ويعمل وكما يلزمهُ الاهتمام يحرم عليه الافراط منه فسبيله ان يعمل كان لاعناية ويتكل على العناية فالاهتمام والتعب ياتيان بثمرة وعناية الله اقوى منهما فتبارك تارة وترذل اخرى كما يحسن لمشيئته تعالى مع التعلق احيانًا على ظروف العلل الثانية فانهُ تعالى يدبر الكون بعذوبة وقوة كما مرَّ واما الصلوات فدليل على عبوديتنا لله وتعبدنا لهُ كما تدل على عنايته بنا ايضًا فلو لم تكن لهُ عناية بنا فلمَ ابتهالنا اليه وهو قد حتم ان لايمنح بعض النعم الا لمن يسالهُ اياها وان منح احيانًا من دون سوال .

فيقولون ايضًا لو كان لله عناية بالناس لرافقها العدل المستلزم ثواب الابرار وعقاب الاشرار في هذه الحيوة ايضًا والحال اننا نرى العكس فكثيرًا ما نرى الابرار فقرآء تعساء مصابين والاشرار اغنياء سعداء ناجحين وقد صرح بذلك الكتاب اذ قال ايوب (ص ٢٢ عد ٧) « لماذا يحيي المنافقون » وقال ارميا ص ١٢ عد ١ « لماذا تسعد طريق الاثمة » فاذًا الله لايعنيه امر الناس

فاجيب اولاً ان ليس كل من يظهرون للناس ابرارًا يكونون كذلك حقيقة ويصدق على كثيرين قول المخلص ياتون بثياب الحملان ومن داخلهم ذئاب خاطفة هذا وقد قيل في الامثال ص ٢٤ ان البار يسقط سبع مراتٍ في النهار وقال ماريوحنا (في رسالته الاولى ص ١ عد ٨) « ان قلنا ان ليس لنا خطية نضل نفوسنا » فمن يحقق لنا ان الذين نراهم

ابرارًا لم يكونوا خفية ارتكبوا كبائر تستوجب ذلك العقاب بالفقر او المصائب والخطايا العرضية تستحق العقاب ايضًا . ثانيًا اننا كثيرًا مانعتبر الابرار تعساء لفقرهم اولحلول النوائب بهم ولايكونون كذلك فانهم لايعتبرون خيرات الارض وتكون لهم تعزيات وافرة ويكونون اوفر سرورًا من الاغنياء واصحاب التنعم والنجاح . ثالثًا ان مصائب الابرار كثيرًا ما تكون نافعة لهم لحفظ التقوى والنمو في الفضيلة وكثيرًا ما يظنون هم ايضًا ان ما حل بهم مصيبة ولايكون الامر كذلك بل مقدمة لسعد ونجاح فلو راى ايٌّ كان منا يوسف بن يعقوب اسرائيل يتشاور اخوته على قتله او ينزلونه في الجب او يبيعونهُ او يسجن عند فوطيفار على ما كان به من البرارة والقداسة لحسب كل ذلك مصيبة كبرى حلّت بانسان بار مع انها كانت مقدمة لاستيلائهِ على مصر ووقاية اهلها واهله من الجوع وكذا لو راى احدنا مار يوسف الاعذر الذي نعيدله في هذا النهار معذبًا بتلك الهواجس اذ يرى العذراء الكلية القداسة حبلى ومهمًا بتخليتها ومشفقًا عليها لبرارتها لقال لامحالة ما هذه المصيبة لهذا البار ولكن ذلك لم يكن الا اسعد حظ ليوسف في ان يعرفهُ الملك كون العذراء حبلى من الروح القدس وستلد مخلص العالم ويكون هو ابًا ومربيًا له وهكذا كثيرًا ما يعتبر الناس امورًا من المصائب ومن انزلت بهم يظنونها كذلك وتكون حقيقة منافع وفوائد. رابعًا انه يلزمنا ان نعتبر دائمًا وجود حيوة اخرى عليها المعوّل وان « اوجاع هذه الحيوة لاتوازي المجد العتيد ان يظهر فينا » كما يقول الرسول وكقوله « ان كنا نرجوا المسيح في هذه الحيوة فقط نحن اشقى الناس » (قرنتية اولى ص ١٥)

فهذا في مصائب الابرار

واما توفيق الاشرار فلا برهان منه ايضًا خلافًا لعناية الله واولاَ ان الاشرار يسمون سعداء لغناهم وشرفهم وملاذهم والحال ان ذلك جميعهُ قد يكون فيهم للتعاسة والتعب من قبل اهتماماتهم المفرطة وحسد الناس لهم وتعذيب ضمائرهم وعدم وصولهم الى مرغوباتهم ثانيًا ان سعادة الانسان في هذه الحيوة لا تتعلق بكثرة المال والخيرات بل براحة الضمير ولا راحة ولا سلامة للمنافقين يقول الرب فهل كان اكثر حظا وسعادة من هامان وزير احشوروش ومدبر اموره ومع ذلك كان يقلقهُ ويزعجهُ ويحرمهُ ذوق لذة نجاحه عدم قيام مردخاي اليهودي لهُ عند مروره او هل كان اعظم سوددا من اخاب الملك ومع ذلك كان يحرمهُ الاكل والنوم عدم اعطاء نابوتا كرمهُ لهُ فكان نابوتا اوفر حظا وسرورًا بكرمه الحقير من اخاب بملكه . ثالثًا اذا منح الله الاثمة التوفيق فلا يلام حنوه الوالدي بهِ لانهُ يستدعي احيانًا الى محبته بالاحسان من لا تنجح به صرامة عدله . رابعًا وان راى الله الاثمة لا يتوبون ولا ينجح بهم الاحسان فمع ذلك قد يكون لهم اعمال حسنة يجزيهم عنها بخيرات هذه الدنيا وحدها وبهذا المعنى قال في المرائين « الحق اقول لكم انهم قد اخذوا اجرهم » متى ص٦ عد ٢ . خامسًا ان الله يظهر عدلهُ في الاثمة المصرين في الحيوة الاخرى فتدبير الله لا يتوقف على هذه الحيوة بل يمتد الى الحيوة الاخرى

اما تشكيات الابرار الواردة في الكتاب فمصدرها غيرتهم على مجد الله لا انكارهم لعنايته كما يظهر من باقي اقوالهم فضلاً عن ان ترك الاثمة احيانا

في اثمهم يكون عتاباً لهم هذا ولم يكن الابرار ابداً تعساء والاثمة سعداء
في هذه الحيوة بل كثيراً ما كان الابرار سعداء وناجحين في هذه الحيوة
كما نرى في مثال نوح ولوط وابراهيم وداود واكثر الملوك الذين ذكروا
في اسفار الملوك الاربعة فان من اتقوا الله منهم طال ملكهم ونجحوا
واستراحوا فيه وبعكسه من اغضبوا الله وقد عاقب الله بعضهم عند ارتكابه
اثماً ثم غفر لهُ ووفقهُ عند توبتهِ اليهِ كما جرى لداود الملك والحاصل ان
الله يعامل الناس في هذا الشان معاملة تبين لهم وجود حيوةٍ اخرى
فيعاقب تارةً على الاثم ويعفو تارة ولو عاقب على كل شر واثاب كل
صلاح في هذه الحيوة لظهر ان لا حيوة اخرى ولو ترك كل ثواب وعقاب
لظهر ان لا عناية لهُ بالناس ولحكمته في ذلك مقاصد لا يدرك جميعها
عقلنا الضعيف وقد تدرك بعضها كما قدمنا ذكره

النتيجة انهُ قد تبرهن مما قدمناه في القسم الاول عناية الله بالمخلوقات
كافةً وبكل منها لاسيما الناس بادلةٍ عقلية وكتابية لا سبيل الى انكار
شيءٍ منها وازدادت هذه الحقيقة تاييداً بردنا جل ما يعترض بهِ من
ينكرونها خلافاً لها وظهر منزها عن كل ريبٍ ان الله يعتني بنا في كل
امرٍ وانهُ يلزمنا ابداً تادية الشكر لرافتهِ واهتمامهِ بنا اهتماماً والدياً ويلزمنا
ان نستفيد من كلما يحل بنا من المصائب اونناله من التوفيقات والمواهب
فان ذلك لا يمكن ان يكون الا بارزاً من يده المقدسة ولخيرٍ ولنفعٍ لنا
لانهُ اذا امتحننا بمصائب فلا يخلو من ان نشعر بضميرنا اما اننا ابرار واما
اننا اثمة فان كنا ارتكبنا الاثم ترتب علينا ان نحسب تلك المصائب عقوبةً

لاثمنا وتنبيهاً لنا لنرعوي اليهِ بالتوبة والاستغفار عما فرط منا من الذنوب وان شعرنا باننا ابرار امامه تعالى وجب علينا ان نعتبر تلك المصائب بارزة من يد الله لزيادة استحقاقنا وفضيلتنا او لتنقيتنا من جريرة بعض خطايا خفيفة ولزمنا في كل حالٍ ان نتحمل تلك المصائب بصبر جميل وبالتسليم لمشيئته تعالى التي لاتشاء الا الخير لنا وكذا ان كنا اغنياء او موفقين او مستريحي البال او حاصلين على مواهب فلا يخلو من ان نشعر بضميرنا اننا ابرار او اثمة فان كنا ابرارًا لزمنا ان نشكر الله على نعمه ومواهبه التي منَّ علينا بها دون استحقاقنا وان نوقن انه منَّ علينا بتلك الخيرات ليغرينا بزيادة محبته وبحفظنا وصاياه وتقدمنا بالفضيلة واذاقتنا منذ هذه الحيوة طعم الخيرات الروحية والسماوية وان كنا اثمة توجب علينا ان نعتبر اننا حصلنا على تلك الخيرات او ذلك التوفيق لترك الله لنا لننغمس بخير هذه الحيوة وملاذها او انهُ منَّ علينا بذلك ليستدعينا الى اصلاح سيرتنا والرجوع اليـه بالتوبة حتى اذا لم نلبِّ دعوته اضاع ما لنا وخيرنا واعدَّ لنا عقابًا اليمًا او ان نفتكر باننا صنعنا احيانا بعض حسنات واعمال صالحة واغظناه احيانا باثام كبيرة فيريد ان يمنحنا اجر تلك الاعمال الصالحة في هذه الحيوة ليعاقبنا على الاثام في الحيوة الاخرى فكذا يلزم كلٌّ منا ان يتصور حالته وينسبها سعيدة كانت او تعيسة وهذه هي الحقيقة والواقع كما يعلمنا يقيننا بالله المثيب الابرار والمعاقب الاشرار.

واما نظرًا الى الكد والاجتهاد في مشاغلنا واعمالنا الزمنية الجائزة مع

وجود عناية الله المقررة فنحن في ذلك بين طرفين متضادين ينبغي ان نتحاشى الوصول الى احدهما فلا ينبغي ان نفرط الاهتمام والعناية بمشاغلنا واعمالنا بل ينبغي ان نهتم الاهتمام اللازم متكلين على عناية الله ولا ينبغي ان نترك كل اهتمام لترزقنا وتدبرنا العناية الربانية وحدها وعليهِ فلا يحل لنا ان تشغلنا مهامنا واعمالنا عن اداءِ فروضنا كما ينبغي لله من سماعنا القداسات بموجب وصية الكنيسة ومن تقديمنا الصلوات في كل صباح ومساءٍ لله قياماً بعبوديتنا وتعبدنا له تعالى وطلباً لعونه وغوثه فيما نحتاجه وعلينا ان لا نعتمد في اعمالنا على حذاقتنا وحكمتنا بل ان نتكل على الله الذي لا يخيب المتكلين عليهِ ويلزمنا ان نطلب اولاً ملكوت الله وبره وكلما بقي نزداده من سخائهِ تعالى وان نكرس في كل يوم ولو وقتاً قليلاً للعناية والاهتمام بنفسنا ولا ان نصرف الاوقات كلها في العناية والاهتمام بالجسد وبما للعالم فاذا سلكنا هذا المسلك الحسن الذي يامرنا به الله والذي تقتضيه عنايته نولنا جزاءَ ذلك الملكوت السماوي الذي اعده لنا واعتنى بنا كل هذه العناية ليبلغنا اليهِ لكيما نكون شركاءَ في مجده كما اترجي ذلك لكم كافةً ولجميع الناس ولي بنعمة الآب الخ.

خطبة

القاها في الاحد السادس من الصوم في ٢٢ اذار سنة ٧٤

في مساعدة الله وحرية الانسان

ابي حتى الان يفعل وانا افعل . يوحنا ص ٥ عد ١٧

اني في خطبتيَّ الماضيتين تكلمت في خلق الله للعالم في الزمان وفي عنايتهِ تعالى بمخلوقاتهِ فبقي امرٌ واحدٌ من هذه المادة وهو مساعدة الله او اسعافه على افعال الناس فوجب ان يكون مادة كلامي في هذا المساءَ ومن حيث ان هذه المساعدة الالهية يظهر للغير المتبصر جيداً انها تضاد حرية الانسان او تنقضها وقد اتخذ بعضهم من ذلك سبيلاً الى انكار حرية الانسان او مساعدة الله له في اعماله فوجب اذاً قسم خطبتي هذه الى قسمين اتكلم في الاول منهما على مساعدة الله مثبتاً لها بالبرهانات العقلية والكتابية وفي الثاني على حرية الانسان مبرهناً وجودها وموفقاً بين مساعدة الله وسلامة حرية الانسان وهذا المبحث رفيع ودقيق ومشكل فيستلزمه الاصغاءَ فاصغوا على حميد عادتكم واستمدوا التنوير من الروح القدس الخ .

القسم الاول

ان المراد من المساعدة اسعاف الله المخلوقات على ابراز افعالها او هي اشتراك القدرة الالهية بافعال الفواعل المتناهية وجل كلامنا في المساعدة على افعال البشر . قد قسم العلماءَ هذه المساعدة اولاً الى طبيعية وفائقة الطبيعة فالفائقة

الطبيعة هي المساعدة التي لا يمنحها الله بموجب شرائع الطبيعة بل حسب ايثاره واستحقاقات المسيح الوسيط بين الله والناس وهذه المساعدة تسمى نعمة ولا يكون الفعل خلاصياً ومستحقاً الثواب الابدي من دونها وللنعمة اقسام وفروع ومباحث طويلة ليس الان وقت الكلام فيها بل الذي في قصدنا انما هو الكلام في المساعدة الطبيعية على افعال الناس الطبيعية كالمشي والاكل والكلام الخ مع قطع النظر عن نسبتها الى الخلاص والحيوة الابدية وان ترتب علينا ان نوجه افعالنا كلها لهذه الغاية .

ثانياً تقسم المساعدة الى ما كانت بواسطة وما كانت بغير واسطة فالاولى منح القوة على الفعل دون الاشتراك به وقت فعله فكذا يساعد صانع الساعات بواسطة صنعه الساعة في الدلالة على الاوقات والسياف على الجرح بواسطة صنعه السيف والثانية الاشتراك بالفعل لدى عمله كرجلين يسحبان شيئاً معاً او كفرسين يجران مركبة .

ثالثاً الى طبيعية وادبية فالطبيعية ما كانت بقوةٍ طبيعية موثرة بالفعل كمسك معلم الكتابة يد المتعلم وتحريكها لتصوير الحروف والادبية ما كانت بالتحريض والحث والاغراء بعمل شيء ما . تقسم رابعاً الى عامة وخاصة فالعامة هي المساعدة على مجموع الافعال دون مراعاة كل فردٍ منها والخاصة المساعدة على كل عمل بمفرده وعلى حدته

فمساعدة الله على افعال الخلائق بعمومها لا ريب بها ولكن باية مساعدة يساعدنا الله فهذا موضوع الخلف لا بين العلماء الكاثوليكيين والغير الكاثوليكيين فقط بل بين العلماء الكاثوليكيين بعضهم مع البعض ايضاً

فقال دورندوس ان مساعدة الله تكون بواسطة اي ان الله اعطى قوة الفعل وبواسطتها تصدر الافعال وهو يحفظ تلك القوة لتصدر افعالها بقوتها واختيارها دون شيء من قبل الله وخالفه الباقون فقالوا ان الله يساعد على الافعال دون واسطة واختلفوا في شرح هذه المساعدة فقال مولينا ان مساعدة الله ترافق فقط القوة على العمل كفرسين يجران مركبة وانها عامة وشائعة ومجردة عن اصدار هذا الفعل او غيره وان الارادة هي التي تعين الافعال وتجزم عليها فترافقها مساعدة الله في العمل فقط . وقال الاغوسطينيون ان الله يساعد الآن في حال الطبيعة الساقطة على كل من افعال الناس لضعف ارادتهم واختيارهم من جرى الخطية الاصلية ولم يكن كذلك في حال البرارة قبل سقوط آدم اما العلماء التوماويون اي الذين يتباهون باتباع تعاليم ماري توما فقالوا ان الله يحرك ارادة الانسان الى كل فعل من افعالهِ ومساعدته تسبق حركة الارادة وتكون طبيعية وخاصة ومن دون واسطة . وقد حصر العلامة بللرمينوس (في ك ٣٠ راس ٤ في النعمة والاختيار) الآراء المرذولة بهذا الشان في رايين الاول راي من زعموا ان الناس يمكنهم ان يفعلوا افعالهم كلها دون احتياج الى اقل مساعدة من الله عامة كانت تلك المساعدة ام خاصة وهذا راي البيلاجيين الاراطقة والثاني راي من زعموا ان الله يفعل كل شيء في الانسان بالخصوص ودون واسطة بنوع ان العلل الثانية لا تفعل شيئًا بل يفعل الله بحضورها وهذا الراي مرذول ايضًا . وقال العلامة المشار اليهِ أن الصحيح المتوسط بين الرايين اي ان مساعدة الله

العامة على افعال الناس لازمة وكافية ولهذا فباثباتنا مساعدة الله على افعال الناس نعني المساعدة الطبيعية والعامة والتي دون واسطة ولنا في اثبات هذه المساعدة ادلة وبراهين عقلية وكتبية وهوذا بعضها .

ان ارادة الانسان المخلوقة يلزم ان تتعلق بالله بعملها ولا يكفي اخذها منه القوة على العمل بل يلزم ان تتعلق به ايضاً عند ابراز تلك القوة افعالها اي عند ممارسة القوة لان تلك الممارسة تكملها وتقدمها ولو كان هذا الكمال والتقدم من دون الله لاصبح الانسان حائزاً كمالاً لا اشتراك لله به وهذا ينافي حال الخليقة بالنسبة الى الخالق فاذاً يجب ان تتعلق الخليقة بخالقها بكل فعل وبالتالي تحتاج الى المساعدة من الله على كل عمل من اعمالها ثم ان حالة الفعل في المحدثات هي حالة وجودية وكمال حقيقي فموجود فاعل اكثر كمالاً من موجود لافعل له فالفعل اذاً كمال فلهذا اذا كان الله لا يساعد على هذا الكمال ولاسيما على اصدار المعلول البارز عن العلة الفاعلة بحرية فيكون لتلك العلة كمال ليس من الله ولا يتعلق به من احد الوجوه وهذا ينافي كونه تعالى مصدر كل كمال في مخلوقاتهِ وكونه سيداً لها ويعود ممكناً حينئذٍ وجود قوة تبرز مفعولاً دون ارادة الله ورضاه به وهذا مستحيل واضف الى ذلك ان فاعلية العلة الثانية تصدر من طبعها فلو كانت مستقلة عن الله بالنسبة الى فاعليتها وممارسة قوتها لامكن ان تكون مستقلة بالنسبة الى طبعها ايضاً في تلك الدقيقة التى تبرز الفعل فيها . ويويد ما مر ان سيادة الله المطلقة والسامية على الخلائق وافعالها كلها تستلزم خضوع الخلائق لاسيما الناطقة لله لا من حيث هي موجودة فقط بل من

حيث هي فاعلة ايضاً فكما ان للخلائق الوجود من غيرها اي من الله هكذا يلزم ان تكون متعلقة بهِ وغير مستقلة في افعالها ولوكانت مستقلة عن الله في افعالها لما كانت خاضعة له خضوعاً تاماً وهذا ينافي طبع الاله السيد السامي وطبع الخلائق المحدثة وهو بالتالي محال خاصة وان الموجودات لا قوة لها من نفسها على ان تحفظ وجودها او ان تنتقل من ثانية الى ثانية من دون حفظ الله لها وارادته ببقائها وان كانت لا توجد ثانية واحدة دون قوة الله فكيف تفعل من دونها والفعل اكثر من مجرد الوجود لانه يتضمن ويفترض الوجود وشيئاً اخر وهو العمل اي احداث شيء . قال العلامة بوصويت (في مقالته في الاختيار المطلق) « ان الله من حيث هو اول موجود فهو علة كل وجود دون واسطة ومن حيث هو الفاعل الاول فيلزم ان يكون علة كل فعل حتى يفعل الفعل فينا كما منحنا القوة على الفعل »

ونزيد ذلك ايضاحاً بقولنا انه لمن البين البديهي ان الله بكل شيء عليم فاذا لم يكن يساعد على افعال الخلائق لاسيما التي تفعل بحرية كالانسان فيتعذر وجود واسطة يمكننا ان نعرف بها كيف يعلم الله كل شي فان الله لا يمكن ان يكون كالناس مشاهداً منفعلاً فقط بما يحدثه الناس دون ان يكون له اشتراك به من احد الوجوه لان ذلك ينافي ربوبيته وسيادته السامية وكونه مصدراً لكل كمال وان سلمنا بما يقوله البعض بان واسطة علمه مراسيمه منذ الازل بان تفعل الخلائق تلك الافعال في الزمان كان ذلك اقوى حجة للاقرار بالمساعدة لان رسم الله اوامره فعل او لا يتميز عن

الفعل فما يكون امر به يكون فعله او ساعد على فعله لامحالة وتلك المساعدة على ما هو طبيعي في الفعل وكل ما هو طبيعي هو جيد واما الشر في الفعل فهو سلبي محض ومن ارادة الانسان كما سنبين وحيث ان القول بان واسطة علم الله هي مراسيمه من شانه ان يزيد الصعوبة من جهة سلامة الحرية مع وجود مراسيم الله فتبقى المساعدة احسن واسطة للعلم الالهي ومع صحة الراي القائل بان المراسيم واسطة للعلم تزداد المساعدة تاييدًا والحاصل انه في كل الاحوال لا مفر من التسليم بمساعدة الله على كل فعل ليُدرك ويتقرر علم الله بكل شي

ثم ان مساعدة الله لنا في كل عمل يشهد لنا بها ضميرنا فاننا كل ما صنعنا شيئًا حسنا او نجونا من خطر او صادفنا توفيقًا او فرجًا من كرب نرى نفوسنا نحمل على غير انتباه ايضًا الى اداءِ الشكر لله على مساعدتهِ تعالى وعونه لنا وعليه فيقيننا بمساعدة الله مغروس في طبعنا وهكذا كان في طبع الناس من اول العالم الى الان .

ولا يقل احد منكم انه اذا كان الله منحنا القوة وهي تعمل بنا دون مساعدة الله فيكون عمله اكثر كمالاً كما ان صانع الساعات يكون عمله اكثر كمالاً بمقدار ما تستغني عنه الساعة ولا تحتاجه في الدلالة على الاوقات لاني اجيب على ذلك منكرًا صحة التمثيل فان الصانع يلزمه ان يصنع الساعة بمقتضى رسوم الصناعة لتدل على الاوقات دون مساعدته وان لم يصنع كذلك دل على جهله وعدم مخبرته اما الله فلا يمكنه ولا يلزمه ان يجعل الموجود المحدث يبطل ان يكون محدثًا ولو في ممارسة قوته وفاعليته

فقط او لايحتاج الى مساعدة الله ويصبح مستقلاً غير متعلق باحد اذ يكون حينئذٍ محدثًا بالنظر الى طبعهِ وغير محدث بالنظر الى استقلاله وكون الشي محدثًا وغير محدث معًا هو مستحيل ولايصنع الله المستحيلات والمتناقضات.

واما شهادات الكتاب المقدس لهذه الحقيقة فاكثر من ان تحصى وتورد فنكتفي بالقليل منها من ايات العهدين. قد ورد في التكوين ص٢٤ ان اليعازار كان يصلي الى الله طالبًا اليهِ ان الصبية التي اعدها لاسحق تعطيه ماء ليشرب على البئر وتسقي جماله وذكر في ص ٣٢ ان يعقوب عند رجوعه من بين النهرين كان يسال الله ان ينجيه من يد اخيهِ عيسو لئلا ياتي فيضرب الام مع البنين وقال اشعيا النبي ص٢٦ عد١٢ يارب سلامًا تعطينا لان كل اعمالنا انت عملتها فينا وغير ذلك من ايات العهد القديم كثير جدًا واما من العهد الجديد فنكتفي بقول المخلص الذي استهللنا بهِ وهو ابي حتى الان يفعل وانا افعل ايضًا اي انهُ تعالى يساعدنا في كل فعل وبقولهِ بدوني لايمكنكم ان تعملوا شيئًا . وشعرة واحدة من رووسكم لاتسقط دون ارادة ابيكم . ومن منكم اذ يهتم يمكنهُ ان يزيد على قامتهِ ذراعًا واحدةً . وبهِ نحيي ونتحرك ونوجد . واني اقوى على كل شيءٍ بالذي يقويني الى غير ذلك من الايات المصرحة بهذه الحقيقة .

فقد اتضح اذًا ببرهانات العقل وشهادات الوحي ان الله يساعدنا في كل عمل من اعمالنا ولما كان اخص ما يعترض به خلافًا لهذه المساعدة هو كونها تثلم الحرية في الناس ولاتتفق معها فلهذا ناخذ اولاً في اثبات حرية الانسان ثم ناخذ في التوفيق بين المساعدة الالهية وهذه الحرية

ليتبين وجودهما وعدم نقض احداهما الاخرى

القسم الثاني

اننا نعتقد من الايمان ان الانسان البالغ التمييز حر مطلق الارادة بنوع انهُ يستطيع في افعالهِ الاختيارية ان يصنع شيئًا او لا يصنعهُ او يصنع ما يخالفه ولنا في اثبات هذه الحرية للانسان براهين كثيرة عقلية وكتابية لاشك اننا نرى جميعًا فرقًا بين الاعمال الحسنة والاعمال القبيحة وبين الاحسان والاساءة وبين الفضيلة والرذيلة ونمدح بعض الناس بحسن عملهم ونذم غيرهم لسوء صنيعهم فاذا لم تكن لنا الحرية بل كنا مضطرين او مجبرين على كل عمل من اعمالنا فكيف يمكن التفريق بين الاعمال الحسنة والاعمال القبيحة ومن اين لنا ان نمدح واحدًا او نذم اخر بصنيعهِ او ان نفضل واحدًا على غيره بهذا المعنى ومن حيث اننا موءمنون نعتقد بالله وبوحيهِ وبانهُ تعالى عادل فكيف يمكننا اذا لم يكن الانسان حرًّا ان نقول بعدل الله اذا اثاب الانسان على فضيلةٍ او عاقبهُ على رذيلة فاين الفضيلة والرذيلة واين الثواب والعقاب من انسان لا يتعلق عملهُ على ارادته ولا يُطلق لهُ ان يفعل اولا يفعل وان يفعل هذا العمل او ذاك بل هو مجبر على كلما يصنع . ثم ان الحكومات والرياسات روحية كانت او زمنية قد فرضت سننًا وشرائع وجزت من عملوا بها وعاقبت من خالفوها وهذا كان من اول العالم الى الان في كل مكان وعند كل قبيلة وامة وفي كل جماعة وعائلة ويدوم ما دام العالم وما دام اناسٌ فيه وكيف يمكن هذا ان كان

لاحرية للناس بل كان كل منهم مجبرًا على ما يصنع ومنذ بداية العالم الى الان والى ما دام العالم موجودًا كانت وتكون عقود وعهود واتفاقات بين افرادٍ وامم وحكومات وجماعات فاذا لم يكن الانسان حرًا مطلق الارادة فاي محل لتلك العقود او العهود وما المنفعة منها اذا كان الانسان لايملك ارادته ولا يفعل افعاله الان مضطرًا اليها او مجبرًا عليها لعمري ان العهد مع من كان كذلك كالعهد مع الحجر ان لايهبط الى اسفل مع طرحه من محل عالٍ او كالعقد مع الماء ان لاينحدر الى ما تحت .

ان كلامنا يشعر بنفسهِ انه حرٌ مطلق الارادة قادر ان يفعل وان لا يفعل وان يفعل هذا الفعل او غيره وهذا نختبره في كل دقيقة وعند كل عمل وهو ما يزيد الايضاح التباسًا لزيادة وضوحه وحسنا به ولا نرى ذلك بعقلنا فقط بل في عملنا ايضًا وقد نبتدي بعمل اوقول ونراه لايوافقنا او لنا منه غائلة او شائبة فنتركه او نعدل عنه الى غيره فكيف يمكننا ذلك لو لم نكن احرارًا او لو كنا مضطرين او مجبرين . قال العلامة بوصويت الشهير في مقالتهِ المار ذكرها « فليصغ كلٌ منا الى ضميره ويستشير نفسه فيشعر بانه حرٌ كما يشعر بانه عاقل ولعمري اننا نرى فرقًا كبيرًا بين ارادتنا ان نكون سعدآء وارادتنا ان نمضي الى التنزه فلا نستطيع ان نمنع نفسنا من الرغبة في ان نكون سعدآء ونشعر واضحًا اننا نستطيع ان نمنع نفسنا عن التنزه » ثم اننا نشعر بان من احسن الينا لزمنا معرفة احسانه ومن اسآ الينا نشعر بانهُ مفترٍ ولو لم نكن نعتقد عملاً ان في غيرنا الحرية كما هي فينا فاي محل كان لذلك واي فرق بين المسيء والمحسن.

على اننا نسال من ينكرون الحرية قائلين لماذا تفرضون شرائع ولماذا يحرض احدكم الاخر ويغريه بعمل ما ولماذا تغتاظون ممن اساء اليكم فان استمروا على انكارهم الحرية فاي جواب لهم على هذه المسائل لعمري لاجواب بل الخرس والافحام الاّ ان قالوا انهم مجبرون على ذلك لكننا نقول ان كانوا يعتبرون كلاًّ من الناس مجبرًا على ما يصنع فلما يفرقون بين كلام طفل مهين لهم وكلام رجل عاقل حتى يضحكوا من الاول ويغضبوا على الثاني فاذا لم تكن الحرية استوى الكلامان المذكوران وان قالوا انهم هم انفسهم مجبرون ايضًا على فرض الشرائع والتحريضات الخ قلنا فلمَ اذًا لاتفترضون شرائع او لاتحرضون البهائم او الغير العاقلين او الاطفال الخ.

اننا ننتقل من برهانات العقل الواضحة هذه الى اثبات الحرية بايات الكتاب المقدس الواضحة والكثيرة ايضًا فكلما في الاسفار المقدسة من الوصايا ومن الاوامر او النواهي جميعها تبين وتفترض كون الانسان حرًا مطلق الارادة والاّ اي اذا كان مجبرًا على كل ما يصنع فما المنفعة من تلك الوصايا واي محل لها لعمري انها تكون عبثًا وهدرًا والعياذ بالله ومن النصوص في اثبات الحرية نكتفي بايراد بعض الايات فقط قال في سفر العدد ص٣٠ « في اختيار المرء ان يفعل والاَّ يفعل » وقال في سفر الملوك ص٣ «اطلب ما تشا فاعطيك...لانك طلبت هذه الكلمة ولم تطلب الغنى او نفوس اعدائك بل طلبت الحكمة » فاذا الحكيم كان حرًا بما يطلب وكان يطلق لارادتهِ ان تطلب الغنى او نفوس الاعداء او الحكمة او غيرها وقال ابن سيراخ ص٢١ « من امكنهُ ان يخالف ولم يخالف »

وقال ايضاً « امام الانسان الحيوة والموت الخير والشر فما يرغب فيهِ يعطاهُ » ومن العهد الجديد نكتفي بقول المخلص « ان اردت ان تدخل الحيوة فاحفظ الوصايا.... ان شئت ان تكون كاملاً امضِ فبع مقتناك » متى ص ١٩ من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسه لوقا ص ٩ كم من مرة اردت ان اجمع بنيكِ كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا متى ص ٢٣. وقوله انتم في كل حين تقاومون الروح القدس ابركسيس ص ٧. وقول الرسول ألست حرًّا اولست رسولاً قرنتية اولى ص ٩ وقوله لانهُ جزم في قلبهِ ثابتًا ولم يضطره الامر بل هو مسلط على ارادته هناك ص ٧ فكل هذه الايات من الكتاب المقدس وكل ما فيه من الوصايا والاوامر وكلما يحواه من المدح لمن صنع حسنًا والذم لمن ساء المسعى جميعها تبرهن ان الانسان المميز مطلق الارادة حرٌّ.

فيقول بعضكم لما منح الله الانسان الحرية وهو يخطى بها ويغيظه وهي مصدر الشرور الادبية في العالم فاجيب ان لمنح الله الانسان الحرية اوجهًا كثيرة تقتضيه اولها اظهار قدرة الله وحكمته اذ يتبين من ذلك ان عنايته فعالة لا يوقفها شيء وارادته تصنع كلما يحسن لها ولو ترك الخلايق ان تعيش حرةً مخيرة فيفعل الناس كلما ارادوا ومع ذلك شاءوا ام ابوا لا يستطيعون تشويش نظام الغاية المفروض منذ الازل فلا يمكن ان يحدث ما لا يريده الله او لا يحدث ما يريده . ارادة مطلقة . كلما شاء الرب صنع فهو تعالى بذلك كمن كان لهُ طيور كثيرة يتركها تطير كيف شاءت ومع ذلك يجمع كلاً منها الى محله بحكمة لا تدرك . ثانيها تبيان

عدل الله اذ يطلق للناس ان يفعلوا ماشاءوا وهو يعاقب الاشرار و يثيب
الابرار دون محاباة وكذا تبيان صلاحه وجودته اذ لم يشأ ان ندرك
السعادة مجردةً عن اشتراكنا باستحقاقها بل ان نشترك بعمل التوصل
اليها مع مساعدتهِ ونعمتهِ وهذا يولينا شرفًا اكبر وفخرًا اعظم . ثالثها بيان
عظمته وغنى مواهبه فلو جعل تعالى مكيالاً او مقياسًا لما يجزي بهِ
عباده من الخيرات والنعم لما ظهرت عظمته بمقدار ظهورها بمنحهِ الناس
الحرية ليضاعف استحقاقهم ما قدروا وهو يزيدهم ابدًا غنى بالمواهب والنعم
فيشبه غنيًّا يفتح كنوزه للمساكين ليحملوا منها ما استطاعوا دون ان
يفرض لكل منهم كمية معينة وان كبيرة . رابعها ليظهر تعالى انه كفوءٌ لذاته
غنيٌّ عن كل شيء ولا يحتاج الى احد فالملوك و ولاة العالم يحاذرون شر
اعوانهم ومسوديهم فيربطونهم باقسامٍ ويسهرون على تصرفاتهم ويحتاجون
الى جنود وخدام ومحاكم ومجالس واما الله فيترك الناس وحريتهم ولا يقدر
احدٌ ان يصد امرهُ او يفر من وجهه او يستعصى عليه في اداء حقوقهِ
فانه كيفما تصرف الانسان باختيارهِ نفذت بهِ غايات الله اي اما تمجيد
عدله بعقابه واما تمجيد رأفته بثوابه دون ان يخسر من قبله شيئًا او يحتاج
الى احد بشيءٍ الا انه لرغبته في خلاص الناس ولرجحان رحمتهِ على
عدلهِ يامر بعمل الفضائل وينهى عن الرذائل و يهدد المخالفين ويعد
ويحرض المطيعين ولهذا ولد وتالم ومات حبًّا بالناس لكنه لم يمنع حريتهم
ان تفعل ما شاءت خامسها لتكون الحرية لكمال زينة العالم فان فيهِ
ما يَفعَل ولا يُفعَل بهِ وهو الله وما يُفعَل بهِ ولا يَفعَل بغيره بنفسه كالجوامد

فكان لازمًا ان يكون في العالم ما يَفعل ويُفعل بهِ كالانسان الحر وكذا
نرى في الوجود ما يَفعل بحرية وبقوة غير متناهية حتى ياتي بالشي من
العدم الى الوجود وهو الله ثم ما يفعل بقوة غيره وباضطرار كالجوامد
فكان لازمًا ان يكون ما يفعل بنفسه بقوة متناهية وباختيار وهو الانسان
فبكل هذه الوجوه تبين انه كان يحسن بالله ان يمن على الانسان بالحرية .

ولكن كيف يعطى الله الانسان شيئًا وهو يعلم انه يستعمله في
مضرة نفسه وفي اغاظة الله فاجيب ان كل ما مرَّ انفًا يصلح ان يكون
برهانًا وجوابًا على هذا الاعتراض اي انه تعالى صنع ذلك للاسباب التي
اوردناها ثم قولوا لي اذا تمسكنا بهذه القاعدة لاعمال الله فاي شيء منحناه
الله ولا نستطيع ان نستخدمه لمضرتنا او لم يكن ممكنا ان نتصرف بهِ سوء
التصرف او كان مفيدًا من كل وجهٍ . فهل انفع من الشمس في العالم
وكم من الفوائد لنا من نورها وحرارتها ومع هذا فكم اضرت وتضر احيانا
با لناس وبمقتناهم ومزروعاتهم ومواسمهم فهل تشكون من الله لخلقه
الشمس على موجب تلك القاعدة . وهذا الماء الذي لا نستطيع الحيوة
من دونه والجزيل النفع كم اضر وكم غرق فهل كان الاحسن ان يجففه
الله من العالم . وهذا الهوا الذي لا نعيش بدونهِ كم اضر وقتل بحمله
الابخرة ونقله مواد الامراض المعدية فهل الاحسن نفيه من العالم .
وذاك الطعام ولذاته المتنوعة كم قتل من الناس بالتخم وكم اضر فعلى
موجب تلك القاعدة لا ينبغي ان يكون في العالم مالي اقول هذا فعيناك
اللتان تنعمانك بمرأى العالم وتمنعانك من مخاطر عديدة ويداك الخادمتان

المطيعتان الامينتان ورجلاك المركبتان الطبيعيتان ولسانك الترجمان الامين والمعبر الفصيح عن كلما تشتهي فهذه الاعضاء جميعها قد تكون سببًا لمضرتك وواسطةً لاغاظة الله وعقابه لك لمساعدتها لك على ارتكاب اثم يهين الله او يهين الناس او يخل بشانك وبالجملة لاتكون دائمًا نافعة فهل نقول انه كان ينبغي ان يخلقك الله من دونها . والاولاد الذين يحفظون ذكر والديهم في العالم وبقاء النوع البشري فيهِ وهم اكبر معين لاهلهم وللجمهور واعظم تعزية للوالدين فهل لم يكن منهم من اغاظ او اتعب او قتل والديه او اضر بالجمهور فهل نقول اذًا على مقتضى تلك القاعدة انه لم يكن لازمًا وجودهم وازيد على ذلك قائلاً في تجسد المسيح في الارض سر الفداء العجيب والمنة التي لا توازيها منة هل كان نافعًا من كل وجهٍ ولكل من الناس والم يزد اثم كثيرين وعقابهم لاحتقارهم هذه النعمة فهل تشكو الله بسببها لمضرتها بكثيرين من قبل عملهم . وسر الاوخاريستيا هذا السر المحيي وعربون المحبة للناس الرافع الانسان الى ان يقتات بجسد خالقه ويتحد به كم اضر بمن تناولوه بدون استحقاق وكم زاد بدينونتهم وعقابهم فاذًا لو صحت تلك القاعدة المبطلة الحرية لاننا نستعملها لمضرتنا ولاغاظة الله ولو توجب على الله ان لايمن بذلك لهذا السبب لاتى علينا ان نقول انه لم يكن لله ان يخلق الشمس ولا الماء ولا الهواء ولا الطعام ولا الجسد واعضاءه وان لايتجسد وان لايعطي الناس جسده لياكلوه وهلم جرًا في كلما في العالم فلو كانت عطية الحرية او غيرها مما خلقه الله او انعم به مضرًا بنفسهِ لكنت اسلم بتلك القاعدة لكن المضرة من سوء الاستعمال فقط فمن

يلوم انسانًا اعطى غيره بارودةً ليحمي نفسه من عدوه او من الوحش وحرصه ان لا يستعملها لمضرة نفسه فاستخدمها بسوء صنيعهِ لقتل ذاته فما ذنب معطيها او هل يلوم ولد والده لانه اعطاه دراهم لينفقها في احتياج نفسه فانفقها على ما اوجب حبسه او هل يلوم ضيف مضيفه لانه دعاه الى مادبة فاخرة فافرط في اكلهِ وتخم او عليهِ ان يلوم نفسه فكذا يجب ان نفتكر بامر الحرية وعلى هذا المقياس ينبغي ان نقيسها ونوقن بانها خير منحة الله لنا وحذرنا من سوء استعماله فنستعمله باختيارنا لمضرتنا فينبغي ان نلوم نفسنا لا الله على عطيته

واما كون الحرية التي منَّ الله بها على الانسان قد يستخدمها الانسان لاغاظة الله واسخاطه فذلك شر الانسان لا شر عطية الله ويلزمنا اداء الشكر له تعالى لانه منحنا ما هو خير لنا وهو يعلم اننا نستخدمه احيانًا لاغاظتهِ ويصبر علينا في ذلك هذا وان الشر الذي نرتكبهُ بحريتنا لا ينقص شيئًا من مجده تعالى الداخل وهو عزَّ وعلا يعتاض عن الامتهان بوصاياه باظهار رحمتهِ اذا غفر وعدلهِ اذا عاقب .

فقد ثبت اذًا ان الانسان حر مطلق الارادة وان منح الله الانسان الحرية كان منة منهُ تعالى ولا يخالف احدى صفاته من احد الوجوه فلا شك اذًا بحرية الانسان كما تبين قبلًا ان لا شك ايضًا بمساعدة الله للانسان في افعالهِ ولكن كيف تتفق هاتان الحقيقتان اي مساعدة الله وحرية الانسان فما يساعد الله عليهِ يلزم ان يكون والحرية تستلزم الاستطاعة على الفعل وعدم فعله او فعل خلافه او غيره فهل نخضع

عمل الله لحرية الانسان او نجعله تابعًا لها وان قلنا ان المساعدة متقدمة عليهِ وفعالة فاين الحرية وكيف يستطيع الانسان ان يعمل خلافًا لما حتم الله منذ الازل ان يساعد على عمله . ثم كيف يُحسب شر الفعل على الانسان ولا يُمس عزَّ وعلا بشيء من ذلك الشر الذي يساعد على فعله فان كانت مساعدة الله متقدمة فهو اولى با لشر وان كانت مرافقة على الاقل فالشر متساوٍ بين الله والانسان فهذا ما يقوله الطبيعيون وهذا ما تستشكلون حله .

قد حل الاعتراض كثيرون باوجه واساليب كثيرة فقال بعضهم ان الارادة تستمر مع مساعدة الله حرة مطلقة لان مساعدة الله ليست شيئًا مطلوبًا اولاً بل شيء يرافق ارادة الانسان في اعمالها وهذا الزعم رده بلرمينوس في ك ٤ في النعمة والاختيار راس ١٤

وقال اخرون ان مساعدة الله تكون من جهة المفعول لا من جهة الارادة ولذلك لا يحرك الله الارادة ولا يجبرها ولا يفعل بها بل يساعدها على ابراز عملها الذى فعله كما اذا اخذ رجل يجر حجرًا فشاركه اخر بجره وقالوا ان الله الزم نفسه بهذه المساعدة وهو يفعل لان الارادة تفعل ولا يعكس وان هذا لا يخالف سيادة الله واستقلاله لانهُ بارادته جعل الارادة حرة وجزم منذ الازل ان يساعد الارادة الفاعلة بحرية فيكون تعلقه تعالى بارادته وجزمه الازلي لا بارادة الانسان .

وقال العلماء التوماويون اي الذين يفتخرون باتباع اراء ماري توما ان المساعدة الالهية تفعل مع الارادة الحرة لا من وجه منحها القوة على

العمل فقط بل من حيث انها تحركها وتحملها وتجعلها تجزم على الفعل كما قدمنا فتقبل الارادة هذه المساعدة بحسب استعدادها وتستخدمها بحرية وعليه فتكون ارادة الله العلة الاولى وقد حتم تعالى منذ الازل ما يريد ان يكون من الافعال واما الافعال الحرة فلم يحتم بها الاَّ بعد ان سبق علمهُ باستعداد الارادة الحرة وما تجزم عليهِ ولهذا تستمر حرية الانسان سالمة وارادة الله نافذة في كل ما يشاء لان ارادة الانسان تفعل ما تشاء وما راها الله لسابق علمه فاعلة اياه باختيارها وارادته تعالى تساعدها على الفعل من حيث هو طبيعي بحسبما راى استعدادها منذ الازل قال ماري توما (مختصر اللاهوت راس ١٣٩) « ان الله يحرك الاشياء بحسبما يخص طبعها » وهذا الراي يعلم بهِ كثيرٌ من العلماء الكاثوليكيين.

الاَّ ان الراى الاتي ذكره يعلم بهِ كثيرون منهم ايضاً وهو انسب لحل الاعتراضات وايسر فهماً وقال اصحابهُ ان مساعدة الله على الافعال الحرة هي طبيعية ودون واسطة بما انها تجعل القوة على الفعل اهلاً للعمل وتبين لها ما يلزم ان تختاره وتساعدها على اختياره لكنها تكون مجردة بالنظر الى حقيقة ابراز الفعل او اهماله بنوع ان مساعدة الله لا تسبق فتحرك الارادة تحريكاً طبيعياً على العمل ولا تحملها عليهِ بل تكون بمنزلة شرط لابد منهُ في العمل وتترك الارادة تجزم على ما تصنع باختيارها ويكون في سلطان الارادة ان تستخدم كما تحب المساعدة التي هي مجردة بالنظر الى انواع الافعال وافرادها وعلى هذا الراي يكون اختيار العمل والجزم عليهِ متعلقاً بارادة الانسان الحرة التي هي ربة افعالها والمساعدة لا تجعلها

تعزم وتختار ما تصنع بل تكون لها بمنزلة شرط ضروري بالاطلاق بنوع انه من دون هذا الشرط لا تبرز الارادة فعلاً ما ولا تختار شيئاً والحاصل انهم جعلوا المساعدة الالهية بمنزلة النور للاعمال التي تستلزم النور في صنيعها فكما ان الانسان لا يستطيع ان يقرا او يخيط ثوباً او ان يكتب خلواً من النور هكذا لا يستطيع ان يفعل شيئاً خلواً من مساعدة الله وكما ان ذلك النور يمكن الانسان ان يستخدمه بما شاء مثلاً لان يقرأ او يكتب او يعمل عملاً اخر وان يقرأ او يكتب اشعاراً عشقية او صلوات زوحية هكذا يمكنه ان يستخدم مساعدة الله على الافعال من حيث هي طبيعية لما شاء من اعمال صالحة او شريرة بحسب اختيار ارادته وعلى ذلك تكون المساعدة من قبل الله لازمة ولا بد منها ولا يستغنى عنها في كل فعل وتستمر الارادة حرة سالمة تصنع ما تشا بامداد المساعدة الالهية .

فهذه الاعتبارات الاخيرة تبين لنا حل الجزء الاخر من الاعتراض وهو لم يحسب الشر على ارادة الانسان ولا يحسب شيء منه على الله الذي يساعد الارادة على الفعل الاثمي ايضاً لان مساعدة الله عامة ومجردة عن التاثير بانواع الافعال وافرادها وارادة الانسان هي التي تختار ما تستخدم به تلك المساعدة التي لا بد منها في تلك الافعال فالله لا يمكن الا وان يساعد على تلك الافعال لان ذلك من الكمال وهو يلزم ان يكون مصدر كل كمال وان تتعلق خلايقه به في كلما تصنع لكنه يساعد على الافعال من حيث هي افعال طبيعية والافعال من حيث هي افعال طبيعة لا فرق فيها بين جيد وردي بل جميعها جيدة الا ترون ان المشي للكنيسة للصلوة

اولسماع القداس والمشي للسرقة او لارتكاب غير ذلك من المعاصي هو
مشي واحد لا فرق فيه من حيث هو فعل طبيعي ولكن الفرق هو من
حيث ان الفعل فعل ادبي اي كونه صالحًا او طالحًا اي مطابقًا لقاعدة
الاداب والوصايا او مخالفًا لها وفي هذا يقوم الشر وهذا هو فعل
الارادة لا فعل مساعدة الله الذي يريد ان تكون افعال الناس اجمع
طبق قاعدة الاداب ووصايا سنّتهِ بل انه يعد ويهدد الناس لتكون
اعمالهم بموجب هذه القاعدة ومن خالفها منهم عاقبه بالهلاك ومن عمل
بها جزاه بالسعادة الخالدة هذا وان الخطية من حيث هي عدم السلوك
بمقتضى قاعدة الاداب فتقوم حقيقة في سلب مجرد اي في سلب او
نفي الاستقامة في الفعل او في عدم مطابقته لقاعدة الاداب واما الشيء
الوضعي او المادي في الخطيئة وهو استعمال الحرية فهو شيء جيد طبعًا
وعليهِ فقط يساعد الله بادع الطبيعة واما الخطيئة فيرذلها ويعاقب عليها
ولا يصنع فيها الأَتركه الانسان الخاطي يستخدم باختياره الحرية التي منحه
اياها وقد كان منحها لازمًا . ولا يلام الله البتة بسوء استخدام الانسان
لها كما ابنا قبلا وعليهِ فلا يكون الله البتة مساعدًا على الاثم . واي اثم
او دنس يلتحق بنور الشمس لاستخدام الانسان له بارتكاب اثمٍ او هل
نقول ان ذلك النور كان مضرًا وغير لازم لان بعض الناس يستخدمه
لشرٍ واما الافعال الجيدة ادبيًا فان الله لا يساعد عليها مساعدة
طبيعية فقط بل مساعدة ادبية ايضا بحثه واغرآئهِ ومواعيده بالخير
والسعادة لمن يصنعها فاذًا مساعدة الله على افعال الناس الحرة لا تخالف

قداسته وقد اتضح مما مرَّ قبل هذا ان هذه المساعدة لا تثلم حرية الانسان ولا تضادها بشيء وقد برهنا في القسم الاول لزوم المساعدة الالهية وفي مبادي القسم الثاني وجود الحرية في الانسان فاذاً قد اتضح وثبت مقصدنا بتمامهِ اي ان الله يساعد على جميع الاعمال وان الانسان حرٌّ مطلق الارادة وان هاتين الحقيقتين لا تخالف احداهما الاخرى بل تتفقان معاً .

فلم يبقَ علينا الا ان نرد بعض الاعتراضات الكتابية التي يوردها تباع لوثاروس وكلوينوس مدافعة عن زعمهم بان الانسان فقد بالخطية الاصلية الحرية والاختيار المطلق .

فجل ما يعترضون بهِ بالاستناد الى الكتاب ان الانسان اضاع اختياره المطلق بارتكاب ادم خطية المخالفة لوصيتهِ تعالى والحال انه واضح من الكتاب المقدس باثر ذكر تلك الخطية ان الاختيار المطلق بقي للانسان من بعدها فانه من المعلوم ان خلق الله الانسان على صورتهِ ومثالهِ من اكبر الادلة على حريتهِ فلو كانت تقتاده شهواته واميا له كالبهائم ولا يتسلط على ارادتهِ فهل كان يشبه الله لا لعمري ومع ذلك نرى الله يقول بعد الخطية انه خلقه على صورته فقد قال في ص ٥ عد ١ من سفر التكوين « فهذا كتاب تواليد ادم في يوم خلق الله الانسان على شبه الله عملهُ » وقال في عد ٣ هناك « اما ادم فعاش ماية وثلثين سنةً وولد ولداً على صورته ومثاله ودعى اسمه شيت » فلو كان ادم اضاع حريته وبطل ان يكون على صورة الله ومثاله بعد خطيئتهِ لكان هذا القول كاذباً والعياذ بالله وقال ايضاً في ص ٤ عد ٧ لقاين

« اليس انك لو احسنت بفعلك لكنت تقبل وان فعلت سوءًا فالخطية للوقت في الباب حاضرة لكن الشهوة لها تكون باختيارك وانت تتسلط عليها » . ولما اراد الله ان يعاقب الناس بالطوفان لخطيتهم استبقى نوحًا لانه كان « رجلاً بارًا كاملاً باجيا لهِ ومشى مع الله » (كما يقال في ص٦ من التكوين عد ١٠) واهلك الباقين بالطوفان لاثمهم وكيف يستبقي بعضًا ويهلك بعضًا لو كانوا فقدوا جميعًا الاختيار المطلق لانه اي عدل يبيح عقاب انسان لم يكن حرًا بما يصنع . ومن بعد الطوفان نهى الله عن قتل الانسان لانه مصنوع على صورة الله اذ قال في ص ٩ من التكوين عد٦ « ومن يهرق دم الانسان يهرق دمه لان الانسان خلق على صورة الله » فاذا هذه الصورة لم تمحها الخطية من الانسان وان شوشتها ولم تفقد حريته وفي ص ٢٠ عد٤ و٦ غفر الله لابيملك لاخذه سارة لانهُ اخطأ عن جهل ولو لم يكن الانسان حرًا لما كان فرق في اثمهِ عن جهل او عن خبث اذ يكون مضطرًا في الحالين فهذه الايات وغيرها من سفر التكوين ذاته الذي ذكر بهِ سقوط ادم واذا طالعنا باقي الاسفار المقدسة فنجدها مشحونة من الايات المثبتة حرية الانسان واختياره المطلق منها قول الله في سفر التثنية ص ٣٠ عد١١ بعد ان انزل الشريعة لليهود على يدي موسى « ان هذه الشريعة التي اوصيك بها اليوم ليست ارفع منك ولا بعيدة عنك ولا هي في السماء ليمكنك القول من يستطيع منا ان يصعد الى السماء لياتينا بها فنسمع ونفعلها ... فهي قريبة منك جدًا في فمك وفي قلبك لتعمل بها .... فاني استشهد اليوم السماء والارض على اني جعلت

امامكم الحيوة والموت البركة واللعنة فاختار الحيوة فتحيى » فما يكون معنى هذه الايات اذا لم يكن اليهود احرارًا ومطلقي الارادة ونكتفي بهذه الآيات وبالايات الموردة قبلاً لاثبات بقاء حرية الانسان بعد الخطية الاصلية خلافًا لزعم لوتاروس وكلوينوس .

يعترضون ايضًا بتلك الآيات الواردة في الكتاب والتي يتبين منها ان الله يفعل الافعال بنا لقوله « الله الذي يفعل كل شيء بكل احدٍ » قورنتية اولى ص ١٢ عد ٦ وكقولهِ « ان جميع افعالنا فعلتها بنا » اشعيا ص ٢٦ عد ١٢ وقولهِ انا افعل ان تسلكوا بوصاياي « حزقيال ص ٣٧ عد ٢٧ . فاجيب ان هذه الآيات ما يثبت مساعدة الله في افعالنا وليست ما ينفي الحرية والاختيار المطلق ولا ريب بان الله يصنع فينا كل خيرٍ الّا انه لا يفعله من دوننا ولهذا يحرضنا على ان نعمل نحن ايضًا بايات لا تحصى منها قولهُ « ارجعوا اليَّ » زخريا ص ١ عد ٣ « اعملوا لكم قلبًا جديدًا » حزقيال ص ١٨ عد ٣١ « اميتوا الان اعضاكم ... واخلعوا الانسان العتيق مع تصرفاتهِ والبسوا الانسان الحديث » كولوسايس ص ٣ عد ٥ ويونب من يقاومون دعوته كقوله « دعوت فابيتم » امثال ص ٢ عد ٢٤ « انتم في كل حين تقاومون الروح القدس » ابركسيس ص ٧ عد ٥١ . فما معنى هذه الاوامر وهذه التونيبات ان كان الله يفعل بنا كل شيء وليس لارادتنا ان تصنع شيئًا باختيارها وحريتها وقد اوضح الرسول مشاركة ارادتنا لنعمة لله بالعمل اذ قال « قد تعبت اكثر من جميعهم ولست انا بل نعمة الله معي » .

قورنثية اولى ص ١٥ عد ١٠ بل لو لم يكن للانسان اختيار مطلق او لم يكن يمكنهُ ان يصنع شيئاً الا وهو مجبرٌ عليهِ او مضطرٌ اليهِ لما كان محل لشيء من الوحي والاسفار المقدسة لانه ما الفائدة من التعليم او الاوامر لمن لا يمكنه ان يصنع الا ما يحمله الاضطرار عليه ولمن يصنع الله بهِ كل شيء وهو لا يصنع شيئاً

والحاصل اولادي الاعزاء انكم قد تحققتم ان الله يساعدنا في كل عمل من اعمالنا مساعدة طبيعية الا انهُ يساعدنا ايضاً مساعدة ادبية على افعال الفضيلة والخير بواسطة حثه واغرائه لنا بالاعمال الصالحة ووعده بالثواب الابدي لمن يواظب عليها وتهديده بالعقاب الاليم الخالد لمن يقترف افعال الشر ويساعدنا مساعدة فائقة الطبيعة ايضاً بنعمتهِ على ان نعمل الاعمال التي نستحق بها الخلاص والملكوت الابدي ومن دون هذه المساعدة الفائقة الطبيعة لا يمكننا ان ننتصر على التجارب التي تعرض لنا في حيوة غربتنا في هذه الدنيا ولا يمكن اعمالنا الصالحة ان تستحق هذا الجزاء الفائق طبعنا الذي يجعلنا شركاء لله في مجده وورثة ملكوته ومشاهدين له وجهاً بازاء وجه . على ان هذه المساعدة الفائقة الطبيعة اي النعمة هي هبة مجانية من سخائهِ تعالى والا لما كانت النعمة نعمة وبعضها لا يهبها الله الا لمن يرغب فيها ويسا له تعالى اياها بواسطة الصلوات والتضرعات اليهِ والتذلل امامه الا انه لا يبخل على احد بالنعم التي تكون لازمة وكافية لخلاصه لانه يريد ان جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون . فقوموا اذاً باداء الشكر المتوجب لله لما منَّ بهِ من المساعدات والنعم على كل منا اذ

اراد ان يجعل نفسه شريكًا ومعضدًا ومؤيدًا ومساعدًا لنا في جميع اعمالنا ورفع مقام اعمالنا الصالحة المفعولة بنعمتهِ الى ان تستحق النظر اليه والتمتع به والشركة في مجده ومع ان صلاح تلك الافعال من جوده ولا يمكننا ان نفعلها دونه فقد بالغ في اجرها بهذا المقدار حتى جعل نفسه اجرًا لها انا هو اجرك العظيم كما قال لابراهيم فاي عاقل او متبصر لا تغريه عظمة اجر الاعمال الصالحة بان يجد ويكد بها ونرى كلاً منا يغتر لتحمل اعظم المشاق اذا راى الاجر عليها زائدًا قليلاً عن المعتاد واي اجر في الدنيا يساوي اجر الله لاعمالنا الصالحة الذي هو الملك السموي بالاشتراك معهُ بل امتلاك الله نفسه فما هي الدنيا بما فيها من اموالها وعقارها وقصورها وكل ماحوت بالنسبة الى هذا الاجر اجر الله العظيم واين هي من الملك الابدي في السماء والى متى نبقى جهلاء نرغب في شيء يسير من الدنيا عما هو اثمن من كل ما هو فيها بل اثمن من الوف دنيا مثل هذه الدنيا فما هي ملذات الارض وكراماتها وغناها بالنظر الى امتلاك الله نفسه في مالك خالد فلو ارتكبنا الاثم الذي يبعدنا عن الله لنحوز كل ما في العالم من ملاذ وكرامات واموال واملاك لكانت صفقتنا خاسرة ايضًا وفي معايضتنا غبن فاحش وبقينا جهلاء فما رايك اذًا بمن يقدم على مثل هذا الصنيع ليربح اقل من بارة من مليارات غنى العالم وليستقي نقطة واحدة من بحار ملاذها فنقول ما اجهل هذا ولكن تامل لعلك انت هو فبماذا تعتذر وبمَ تحتج هل تعوزك المساعدة فهي حاضرة من قبل الله طبيعية وادبية وفائقة الطبيعة مجانية بلا ثمن وان احتجت مساعدة اي نعمة اقوى وافعل واغنى فهي حاضرة لدى

الطلب اطلب تجد اسال تُعطَ اقرع يفتح لك او لعلك تعتذر بان ذلك ليس في مقدورك او لا سلطان لك عليه فارجع الى ما قدمتهُ لك من البراهين على حريتك واختيارك المطلق فتجد ان الامر بيدك وتحت مطلق تصرفك ومنوط بارادتك وان الله وضع امامك الحيوة والموت البركة واللعنة فاختر الحيوة فتحيى كما قال لك واختر البركة فتبارك واما ان اخترت بارادتك الموت واللعنة فتموت وتلعن موبدًا فانتبه انتبه اذًا من غفلتك واصنع ما تستطيع واسال الله ما لا تستطيع وهو يساعدك لتستطيع كما قال القديس اغوسطينوس فتاملوا اولادي بهذه الاعتبارات الموجزة الساطعة حقيقتها كالنور واعملوا بموجبها لتنجوا من الهلاك الابدي وتوهلوا الى الملك السموي واسا له تعالى ان يبلغنا جميعًا اليه بنعمة الاب الخ

عظة

الفاها في عيد بشارة العذراء في ٢٥ اذار سنة ١٨٧٤

في فوائد التجسد

انا هو الطريق والحق والحيوة يوحنا ص١٤ عد٦

ان الكنيسة المقدسة فرضت علينا ان نعيد اليوم لذكر بشارة سيدتنا مريم العذراء بان ابن الله يتجسد في حشاها كما روى هذه البشارة ماري لوقا في الاصحاح الاول من انجيلهِ حيث قال « في الشهر السادس ارسل جبرائيل الملاك من عند الله الى مدينة في الجليل تسمى ناصرة الى عذراء

خطيبة رجل اسمهُ يوسف من بيت داود واسم العذراء مريم » الى اخر ما سمعتموه متلوًا هذا النهار في الانجيل المقدس ففي هذا العيد السنة الماضية برهنت امكان تجسد ابن الله ولزومه وغايته وقد بقي امور كثيرة تتعلق بهِ فاقتصر هذا المساء على ذكر بعضها اي انني اذكر اخص فوائد التجسد وسوء مقابلة الناس لهذه الفوائد بانكارهم الاحسان بعد ان ابين عظمة هذه البشارة وسموها ولما كان كثير من سامعيَّ الاحباء يصنعون الرياضة الروحية فاحببت ان يكون اكثر كلامي الان ادبيًا وروحيًا .

فما اعظم هذه البشارة وارساليه هذا الملاك ولاعتبار ذلك يلزمنا التبصر باربعة امور سمو المرسل ومقام المرسل اليهِ وعظمة الامر المرسل له واعتبار الرسول فالمرسل هو الله اذ قال أُرسل جبرائيل الملاك من عند الله علة كل موجود وكلما يمكن ان يوجد وملك الملوك ورب الارباب . والمرسل اليهِ عذراء سامية بالفضائل حتى تسمت مريم اي مرتفعة من نسل مشاهير الرجال والاباء والانبياء والملوك وقد فاقت اجدادها اجمع شرفًا حتى لم يكن ولن يمكن ان يكون عذراء او احد الناس مشبهًا لها اومتوصلاً الى مقامها ورفعتها وقد لقبت شرف المسكونة وموطن الفضائل وقمة القداسة وزهرة النوع البشري . واما الامر المرسل له فلا يكفي كلامنا لبيان عظمتهِ فهو امرٌ يتعلق به خلاص النوع البشري باسره ويتحد بهِ ابن الله المساوي لابيهِ جوهرًا بالطبيعة البشرية ويرفعها الى مقامٍ سامٍ حتى تشاركه في ملكهِ ومجده ويهدي طريق الخلاص ويعلم الحق ويمنح الحيوة السرمدية ويعتق الناس من عبودية الخطية فلا اعظم ولا اعجب ولا انفع

من هذا الامر. واما الرسول فهو جبرائيل الملاك الذي هو احط مقاماً من العذراءَ التي أُرسل اليها نظراً الى المواهب والنعم لكنهُ اعظم منها نظراً الى سمو الطبيعة والخواص احد الملائكة الوقوف امام الله ابداً .

ان لوقا الانجيلي كان روى قبل خبر هذه البشارة خبر حبل اليصابات بيوحنا المعمدان بقولهِ « حبلت اليصابات وكتمت حالها خمسة اشهر قائلة هذا ما صنع بي الرب في الايام التي نظر اليَّ فيها لينزع عاري من بين بني البشر »فكان الانجيلي يقول انهُ لمن العجب ان امرأة عجوزاً عاقراً تحبل وتلد لكن الاعجب والاعظم هو ان عذراء تحبل بابن الله من غير فعل رجل و يولد منها و يصير انساناً مثلنا ولذا قد حق لاشعياء ان يقول ص ٩ عد٦ « ويدعى اسمهُ عجيباً » فلحصول الشيء العجيب يقتضي على ما قال ماري توما وجود منافاة ظاهرة يجهل صحيح سببها فاية منافاة اكثر من ان ماليء الاكوان بل من الاكوان فيهِ ينحصر في مستودع عذراء ومن لاتسعهُ سماء السماوات والارض يطبق عليهِ في حشاء بتول ومن هو اعظم من الملوك اجمع يصبح فقيراً و بالايجاز من هو اله يصير انساناً ويجمع في اقنوم واحد طبعين يبعد احدهما عن الاخر بعداً غير متناهٍ بمقدار ما يبعد الله عن الانسان وكيف لانتعجب اذا راينا الاله لم يصر انساناً فقط بل صار انساناً ذليلاً وحسب خاطئاً ومات كانهُ مجرم فهل يوجد من لا يتعجب اذا راى ملكاً يتنازل الى ان يتجسد في حشاء بعوضة ويولد منها ويموت عنها لينجي تلك البعوضة من الموت المحكوم عليها بهِ لعمركم اولادي ان الفرق بين الله والانسان اكثر منه بين الملك والبعوضة فهل العجب

من هذا نعم اعجب منهُ ان هذه البعوضة لا تعرف احسان الملك ولا تشكره
عليهِ بل اما تتناساه واما تجزيهِ عنه بالاساءة فيا للعجب العجاب الذي
نرى مثلهُ في كل يوم في الناس الذين يقترفون المآثم ولا يعرفون احسان
ابن الله بتجسدهِ لاجلهم ويجزونه هذه المجازاة السيئة ومع شدة اعجاب هذا
الامر قلما يوجد الآن من يتعجب منه لكثرة استطرافهِ بل ربما يتعجب
من انسان لا يقدم على هذا الجنون ونوضح ذلك باكثر بيان في كلامنا
على فوائد التجسد وسوء مقابلة الناس لها

القسم الاول

ان مجرد اتيان المخلص ليتجسد لاجلنا هو نعمة لا توصف ومنة لا تكيف
ويتبع ذلك نعم اخرى كبيرة وعظيمة ولكي نذكر بعضها نردها الى ثلث
اشار اليها بفمهِ الاقدس نفسه اذ قال « انا هو الطريق والحق والحيوة »
اي انه جعل نفسه لنا طريقاً بمثالهِ وحقاً بتعليمهِ وحيوةً بفدائهِ فهذه نعم
ثلث اولانا اياها بتجسدهِ وعليها مدار كلامنا هذا المساء . فاول نعمةٍ اذا
اولانا اياها المخلص بتجسده من اجل خلاصنا هي جعله نفسهُ وحيوتهُ
مثالاً نقتدي بهِ لنتوصل الى السعادة الابدية الى غايتنا الاخيرة آمنين .
ان كمال المعلولات يقوم بمشابهتها لعللها ونفوسنا معلولات القدرة الالهية
فكمالها قائم باقتدائها بابن الله المتجسد . قبل اتيان المخلص الى العالم متجسداً
كان في هذا الاقتداء صعوبتان الاولى من قبل معرفة الصورة الاصلية
التي يقتضي ان يكون عملنا مطابقاً لها وهي الله والثانية من قبل تصور

هذه الصورة في عقولنا للاقتداء بها في عملنا اي في ممارسة الفضيلة فالمسيح نقض بالتجسد الصعوبتين وكانتا كجبلين وثغر السياج المتوسط وجعل في نفسه طريقًا الى الحيوة والسعادة « انا هو الطريق »

فالصعوبة الاولى كانت ابدًا بين الله والناس من قبل كونه روحيًا وكونهم لحميين فكانوا يريدون الهًا منظورًا مشبهًا لهم وهذا كان السبب لعبادة الاوثان لا بين الامم فقط بل بين اليهود ايضًا احيانًا ففي بداية العالم اذ كان خلق الله لهُ جديدًا وكأنه محسوس فقل من الناس من عبد غير اله الحق . وكذا كان بين اليهود لما كان يرشدهم نهارًا بعمود الغمام وليلاً بهِ مضيئًا الّا انهم لمّا نسوا بمرور الايام ذكر الالوهية عبدوا الاوثان ليكون لهم الهٌ يناسب فهمهم واذ لم يعودوا يرون الله بينهم واخذ يناجي موسى وحدهُ عبدوا العجل في البرية . كأنهم اضاعوا الههم ولم يعودوا يعلمون صورته الى ان ازداد الشر بعد ذلك فعبد كلٌّ من الامم شيئًا من المخلوقات المنظورة فرأى الله غلاظة القلب البشري وعدم تاثره الا بما كان محسوسًا ومنظورًا فرأف بالنوع البشري وارسل ابنه المساوي له جوهرًا فاخذ الابن جسدًا وصار بيننا محسوسًا ومنظورًا ومعلمًا ومنذرًا فازال هذه الصعوبة بتعريفه الناس بالله ليقتدوا بهِ اذ خضع الله لشهادة حواسهم واطلعهم على كمالاتهِ التي يميل الانسان بطبعهِ الى ان يتشبه بها وزادهم امرًا بذلك قائلاً كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي كامل هو وبين لهم باقواله وافعاله جود الله وصلاحه ورافته وباقي صفاته الالهية وكذا كان المسيح طريقًا بهذا المعنى ليسلك الانسان

به متشبهاً بالله وازال الصعوبة الاولى بقوة تجسده

اما الصعوبة الثانية وهي تعذر العقل البشري الضعيف عن ان يتصور صورة اله ليقتدي بها ممارساً عمل الفضائل الشاق قد ازالها المسيح بجعله نفسه طريقاً اي مثالاً لنا باظهاره الفضائل التى كان يمارسها متجسداً والانسان مستعد طبعاً للاقتدا ويحمل علي الخير الخاص اكثر من الخير العام وما يظهر له عملاً يتيسر له اختياره على ما كان غير ظاهر فاراد المسيح ان يكون لنا طريقاً ومثالاً باظهاره الفضائل والكمالات لنقتدي بها ونسير بهذا الطريق الى الحيوة وترك نفسه تتسلط عليه التجارب وينتصر عليها ليعلمنا الانتصار على صعوبات الفضيلة وتقدم الى معاناة الفقر ومثابرة الصوم والصلوة ومقاساة الآلام والاوجاع حبا بمجد الله وخير الناس ليتبعه البشر في هذا الطريق وقد جا في سفر المكابيين الاول ص ١٦ ان عساكر سمعان المكابي انتصرت على الاعدا وجدت في اثرهم فبلغت الى نهر فاحجمت لصعوبة معبره فاقتحمه سمعان عابراً بهِ فتيسر للعسكر اتباع قائده فكذا المخلص لما رايناه بطبعنا فقيراً صائماً ساهراً بصلوة الله متحملاً الجوع والتعب والاهانات والآلام والاوجاع لمجده فاقتدى به ملیونات من الصالحين و يلزم ان يقتدي به الجميع.

وبالحقيقة اولادي انه قبل ان يظهر المخلص في العالم كثرت الرذائل وفشى الفساد واستحوذ الجهل حتى عبد الناس الحجار واعشاب البساتين والبهايم وادعى بعض الناس انهم الهة. واما بعد مجيء المسيح وجعله نفسه طريقاً فلا يوجد مثل ذلك الا في اطراف العالم الذي كان قبل مجي

المخلص مقاماة الرذائل فاصبح مونعاً بزنابق الفضائل في كثيرين وكان الواجب ان يكون الجميع كذلك ولم يقدر الفلاسفة مع حذاقتهم ان يصنعوا مثل هذا الصنيع وان يغيروا وجه العالم كما غيره المسيح لانهم كانوا بشراً لا شيء بهم من اللاهوت الذي يجب الانسان ان يقتدي به ولانهم لم يبتدئوا يعملون ويعلمون كما ابتدأ يسوع يعمل ويعلم اي لم يجعلوا نفسهم طريقاً كما جعلها المسيح على ان المخلص لم يكن لنا طريقاً فقط بل جعل مسيره في الطريق يولي من يتبعه بهِ ايداً وعوناً وهكذا لم يبين لنا فقط ماهو الله لنقتدي بكمالاته بل سهل لنا هذا الاقتدا وازال الصعوبتين المذكورتين وحق له ان يقول « انا هو الطريق »

ان الله كان يدعو الناس في العهد القديم الى التشبه بالبهائم كقوله « أيها الكسلان امض الى النملة وتعلم طرقها » وكقوله « اسال البهايم فتعلمك وطيور السما فتنبئك كلّم الارض فتجاوبك » ايوب ص ١٢ عد ٧ واما الان فابن الله الذي صار انساناً يقول تعلموا بي فاني مثال امامكم وطريق لكم تعلموا مني فاني وديع ومتواضع القلب ولست طريقاً فقط بل انا الحق بنفسه ايضاً « انا هو الطريق والحق » ان الانسان بعد سقوط آدم لم تجرح ارادته فقط بل عقله ايضاً اذ تسلط عليه الجهل فكان يقتضي العلاج لعقله ايضاً وهذه هي النعمة الثانية التي منّ المخلص بها على الناس بتجسده والغاية الثانية المقصودة من التجسد وهي ان يعلمنا الحق ولكي يظهر الله وظيفة ابنه الثانية هذه للبشر ويحققها لهم نادى بها من السماء علانية قائلاً « هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سررت

فاسمعوا لهُ » متى ص ١٧ . فكانه يعطيه شهادة المثنة بهذا القول ولهذه الغاية كان هذا المعلم الالهي يقول انه الحق نفسه "انا هو... الحق" وكان يعلم علانية ليسمعه الجميع "انا لم اتكلم خفية" يوحنا ص ١٨

ان للمعلم بالحق صفتين لازمتين لا بد منهما وهما ان يعرف الحق وان يعرف ان يعلمه وهاتان الصفتان ظاهرتان في المعلم الالهي فالاولى وهي معرفة الحق من يجسران ينكرها على من هو منبع الحق وعلى المكنونة بهِ جميع ذخائر الحكمة والعلم . فما من احد يحسن الاخبار عن بلد اكثر ممَّن ولد وتربى فيها والابن كان منذ الازل في حضن الآب "الابن الوحيد الذي هو في حضن ابيه اخبر" يوحنا ص ١ عد ١٩ فمن كان يستطيع ان يعلمنا حقائق منزهة عن الريب نظير هذا المعلم الالهي . ان الفونس ملك اراكونا كان يقول ان من اراد ان يرقب بتدقيق حركات الكواكب ويخبر بها يلزمه ان يكون عاش طويلاً فيها فمن يمكنه ان يخبر عما في السما ويهدي طريقها اكثر من الابن الذي كان مع ابيه منذ الازل . ان الفلاسفة لما كانوا عاشوا في الارض فعلموا بمقتضى ما فيها ولم يستطيعوا ان يعلموا تعليمًا حقيقيًا وساويًا خلافًا لمن كان في حضن الاب فالصفة الاولى اذًا اللازمة للمعلم وهي معرفة الحق قد حازها معلمنا الالهي باسمى نوع ولهذا يلزمنا ان نسلك بتعليمه لنا الفضائل ومجانبة الرذائل وان نتبع هدايتهُ لنا طريق السماء ووسائل البلوغ اليها لانهُ ابن بجدتها وليس اخبر منهُ بها .

اما الصفة الثانية وهي ان يعرف ان يعلم الحق فظاهرة فيهِ ايضًا فكما هو

الحق بمعرفته حتى لا يمكن ان يغش به هكذا هو الحق بتعليمه حتى لا يمكنه ان يغش احدًا بهِ فكلام الله فعال بهذا المقدار حتى يصنع كلامه ما يقول « هو قال فكانت » حتى لو قال الكذب لاستحال حقًا لانهُ الحق ولانهُ ليس في فمهِ غش ولا كذب ويلزم ان نثق بما يقول اكثر مما تبصره اعيننا وتسمعهُ اذاننا وتجسه ايدينا لان حواسنا يمكن ان تُغش وتغلط واما هو فمنزه عن كل غش وغلط فهو اذًا يعرف الحق بنفسهِ ويعرف ان يعلمهُ وتعليمه بمنزلة ختم لا يحوي الحق فقط بل يطبعه ويظهره وكان المخلص « يعلِّم كمن له سلطان لا مثل الكتبة والفريسيين » متى ص ٧ . ان العالم قبل مجي المخلص كان في حالة يرثى لها من الجهل وكان للفلاسفة اراء متعددة متناقضة في جميع الحقائق وكان لكل منهم مدرسة يخالف من يتعلمون بها من تعلموا في مدرسة غيره ولم يكن في غير الوحي الموجود عند اليهود وحدهم مركز للحقائق او مرجع يرجع اليهِ بها فوحي اليهود كانت تفسيراتهم تشوشه وتشكله فاتى المخلص من السماء بتعليم الحق فجعل مركزًا ومرجعًا للحقائق والعلوم لاسيا الخلاصية ولم يكن بشر كفوًا لمثل هذا التعليم المنزل من السماء والمعلِّم بفم ابن الله نفسه . ان الملك فيلبوس المكدوني كان يقول انهُ يعتبر كون ارسطو معلمًا لابنهِ كاعتباره ملكه فكم يلزمنا ان نعتبر ولادتنا في ايام تعليم هذا المعلم الالهي الذي هو الحق بنفسه .

ان النعمتين المار ذكرهما من نعم التجسد عظيمتان ولكن النعمة الثالثة اعظم منهما اذ لم يكن المخلص لنا طريقًا ومعلمًا للحق فقط بل كان لنا حيوة ايضًا « انا هو الطريق والحق والحيوة » اي انهُ احيانا بتعليمهِ وموتهِ عنا

وفدانا من اسر الخطية والشيطان وانقذنا من الموت الابدي . ان النوع البشري كان قبل مجي المخلص خاضعاً لموتين موت الذنب اي الخطية وموت العقاب اي كان كل انسان يولد ملتطخاً بجريرة الخطية الاصلية وابن الغضب ومحكوم عليهِ بالبعد عن الله والسعادة وارادته وعقله مائلان الى الشر والخطايا الفعلية فيقترفها فيهلك ويفضي بهِ موت الذنب الى موت العقاب الابدي ولم يكن له مساعد في ذلك وكان الفداء للانسان يستحيل علي كل مخلوق ولو اجتمعت المخلوقات كلها معاً ولم يكن احد يجسران يشفع في الناس لان الذنب اهانة للعظمة الالهية كما اذا اهان احد الملك بنفسه لايجسر احد اعوانه ان يشفع بالمهين بل يطلب الجميع الانتقام منهُ اجلالاً للملك وليس هذا فقط بل ان شفاعة جميع المخلوقات المتناهية واحتمالها اي عذاب كان لم يكن كافياً لاصلاح الاهانة الملتحقة بعظمة الله الغير المتناهية وعليه فذلك الحكم على الانسان بموت الذنب والعقاب لم يكن ممكناً الفرار منهُ الا بان يفي عن تلك الجناية من هو اله كالله فابن الله الاقنوم الثاني من اللاهوت اراد ان يتجسد ويولد ويموت ليقدم هذا الوفاء عن الانسان ويكون حيوة للناس بعد موتهم ولهذا يقول « انا هو... الحيوة » فيالها من نعمة لا توصف ولا تدرك لاسيما اذا اعتبرنا انه كان يستطيع ان ينجينا من الجحيم ويتركنا في تعاسة الارض او ان يمنحنا على الكثير سعادة بمقدار ما يستحق طبعنا ولكن كلا بل رفعنا الى الاشتراك معهُ بملكه فلم يرد علينا حياتنا المفقودة فقط بل اعطانا حيوة ابدية وسعيدة كحياته فلو راينا ملكاً يطفي ضوء مصباحه لينجي فراشة من الاحتراق

لاستعظمنا واستكبرنا شفقته واذا جعل تلك الفراشة نسرًا يطير في الجو ياخذنا الانذهال والحيرة من عمله ولا نعود ندرك عظمة حبه لتلك الفراشة فهذه تصورات مخيلتنا وهي لا تقاس بشيء مع احسان ابن الله الذي يبعد عن الانسان اكثر من البعد بين الملك والفراشة ولم يحتمل ذلك الملك من اجلها ما احتمله المخلص من اجل الناس ولم يولها ما اولاه المسيح من افتداهم ثم ان ابن الله كان يكفيه لفداء الناس اقل شيء مما صنع بتجسده ولم يكن لازمًا لهذا الفداء الامه والتضحية بحيوته على الصليب فزاد على ما كان لازمًا ليزيدنا برهانًا على افراط محبته . روى بولس السنيري خبرًا قال ان روبرتوس ملك الانكليز جرح في احدى حروبه بسهم مسمم كما يقال انهم كانوا يصنعون في ذلك الوقت فاستحسن طبيبه ان يمتص احد الناس السم من محل جرحه فابى اعوانه وخدامه امتصاص السم خشية الموت به اما الملكة فمضت ليلاً خفيةً الى مضجع الملك واخذت تمتص السم من جرحه ويقال انه برأ وانها ماتت مفضلةً حيوة الملك على حيوتها ولا شك ان يثني عليها كل انسان ويستعظم احسانها الى الملك فمثل هذا الصنيع بل اعظم منهُ كثيرًا فعل ابن الله مع البشر اذ اراد ان يموت عنهم ليبرئهم من سم الخطية وينجيهم من الهلاك

فهذه الاعتبارات تظهر لنا شيئًا من النعم والفوائد التي اسبغها علينا مخلصنا بتجسده من اجلنا اذ جعل نفسه طريقًا نسير به مقتدين بمثل فضائلهِ وكمالاتهِ ومعلمًا يهدينا الحق وطريق السعادة دون خطر الغلط وحيوةً يحيينا بها بتجسده وموته فلنتبصر نحن ان كنا سلكنا بهذا الطريق

وصغينا لهذا المعلم الذي يعلم الحق وغنمنا هذه الحيوة التي اعدها لنا .

القسم الثاني

ان اولى نعم المخلص بالتجسد جعلهُ نفسهُ طريقًا لنا نسلك بهِ الى الحيوة فنحن بدلاً من ان نسلك بطريقهِ ونقتفي اثاره قد تناسيناه حتى لا اقول اننا كاننا ما عرفناه وعوضًا عن ان نضع الانجيل نصب اعيننا كالحك او كورقة رسم الاماكن التي يلاحظها مدير السفينة كل وقت وهو في سفره فربما كان من المسيحيين من لا ينظر الى الانجيل نظرة في كل سنة وهو سائرٌ في هذه الحيوة المملوة من المعاثر والمخاطر لا بل انهم يسيرون بطريق مخالف للطريق الذي انهجهُ المخلص ولا يقتدون به بل ينقضون عملهُ بجسارة ويقولون بلسان حالهم ما هو الانجيل ما هي سنة المسيح ما هي الوصايا اعطنا ملاذ اعطنا مالاً اعطنا شرفًا واعتبار اسم واترك لك الباقي كله يقراون ان المسيح ولد فقيرًا واحب الفقر والفقراء وتراهم كان المال معبودهم ولا فكر لهم بغيره يتلون في الانجيل ان المسيح صام اربعين يومًا لا يذوق شيئًا وتراهم يرون الصوم الى الظهر من اكبر المشاق والانقطاع عن اكل اللحم مما يهين رجلاً غنيًا ومعتبرًا يرون في الانجيل ان المسيح كان يصرف الليل ساهرًا بصلوة الله وتراهم هيهات ان يتلو كل منهم ولو مرة ابانا والسلام عند المنام والقيام يرون في الانجيل ان المسيح كان وديعًا ومتواضعًا وامر ان نتعلم منهُ الوداعة والاتضاع وتراهم متصلفين لا يحتمل احدهم كلمة صاحبه فاين الطريق الذي انهجهُ المسيح من هذا الطريق وماذا ينفع مثالهُ مثل

هولآء وكم يهينونهُ بذلك فان المسيح مات من اجلنا "تاركًا لنا مثالاً لنقتفي اثاره" بطرس ا ص ٢ عد ٢١ ومع ذلك كثيرًا ما نقتفي اثار ابليس عدوه الذي هو من البدء قتال الناس.

ونظرًا الى الحق الذي علمهُ المسيح وكان تعليمه النعمة الثانية من نعم التجسد المذكورة فنرى بعض المسيحيين يحتقرونه لا بعملهم فقط بل بقولهم ايضًا ان الحيوة بمقتضى تعليم المسيح لا اعتبار لها في هذه الايام بل تخالف تمدن العصر ولكي يكون الانسان معتبرًا يلزمهُ ان لا يكون متورعًا ولا عادلاً ولا مستمسكًا بفروض دينهِ كما علمها المسيح والاَّ فيكون عارًا فيا لله من هذا الجنون من علمه فالتعليم الانجيلي علمه ابن الله الذي كان في حضن الآب منذ الازل وهو الحق بنفسهِ وقد سلك بهِ وانهج طريقه أَلعله عتق او تغيرت الحقائق الازلية الغير القابلة التغير او قام اله اخر او سُنَّتْ شريعة اخرى منزلة من السماء. وهذا التعليم الخبيث الذي يجعل التعليم الصحيح عارًا وسخرية من قاله ومن علمه ومن تمسك بهِ غير اصحاب خلاعةٍ واشرار يهوون تحريرهم من كل شريعة ليستريحوا آمنين في ملذاتهم واساليب تصرفهم فمن من هولآء نقابلهُ بالاله المتجسد هل فُلتِر او روسو او غيرها فمن عرف او يعرف الحق اكثر من الله الذي علمهُ وعلى قول من نعتمد أَعلى قول الاله الذي نزل من السماء معلمًا ام على قول اناس اعمت عقولهم الكبريا او الملاذ او المطامع ومع هذا فلندع التعليم الموحى جانبًا مجاراةً ونبحث بنور العقل فقط عن الحق فاي عقل سليم يبيح صاحبهُ ان لا يعبد ربه الذي خلقهُ او لعل احدًا يتوصل الى الجنون بانكار الله نفسه

فلا اظن ان بيننا من هولاء المجانين واذا كنا نومن بالله فكيف ننكر التعبد له او لسنا نصدق الله نفسه بانهُ يطلب منا العبادة له فمن نصدق اذًا . فاي خادم يرضى عنهُ مخدومه وهو لا يخدمهُ بشي واي عبدٍ يشتريه مولاه ويريد ان يحتقره واي ابنٍ لا يتوجب عليه الاحترام والتكريم لابيه العل الله لانهُ اعلى من كل مخدوم ومولى واب اضاع حقهُ على عبيده او ما هو المطالب بهِ بفم ابنه نفسه فواعجبي كيف ان هولاء لايعتبرون غيرهم اذا عرفوا ان ليس فيه شعائر الدين ولا يثقون به ولا يفوضون اليه امورهم ومع ذلك يختارون لنفسهم ان يكونوا عادمي شعائر الدين والتقوى ويسنون للناس شريعة التمدن بان يكونوا خالين من الورع والعبادة والعمل بفروض المذهب

فيقول بعض هولاء يكفيني ان اعطي كلاً من الناس ما له من الحقوق عليَّ وان لا اخاتل ولا اغش ولا اضر باحدٍ فان كان ذلك صحيحًا فهو قسمٌ من الواجب ويبقى قسمٌ اخر وهو لله فهل الله وحده لاحق له عليك بشيء ولا يتوجب له عليك ان تخدمهُ وتتعبد له ثم هل تعلم كلما يمتد اليه قولك انك تعطي كلاً حقوقه ولا تضر باحد وهل تفعل حقيقةً ما تقول فليت كلامك صادق وكملهُ بتعبدك لله كما ينبغي قد قالوا ان التمدن اعطاء كل ذي حقٍ حقهُ وحيوة الانسان كما ينبغي وكما يرشده العقل فهل لا تعم هذه الفريضة الله او لاحق له عليك او لايرشدك العقل الى طاعته والخوف منهُ نعم ان لعقلك حقوقًا لانأباها ولا ننكرها ولك ان تستعملها ولكن اعلم ان لعقلك حدودًا كما له حقوق فما خضع لعقلك لك ان تتبصر به

وتستفيد منهُ ولكن فليجعلك هذا العقل نفسه تقر ان الله اعلم منك وتذعن لما يقوله الله ولا يتوصل اليهِ فهمك على ان هذا في حقائق المعتقد النظرية التي بعضها اعلى منك ويلزمك الاذعان لتعليم الله بهِ واما كلامنا الان في الحقائق العملية وهي لا تفوق عقلك فاستشر بها .

وليتك نقف على الفتور وحدهُ ولا تخالف الحق الذي علمهُ المسيح في الباقي وتعمل بشريعتهِ ولكن ما اقل الذين يعملون في هذه الايام بمقتضى الحق الذي علمهُ المسيح فقل لمحب انتقامٍ ان المسيح يامر بالصفح والغفران وقد صلي من اجل صالبيهِ فان احتشم قال لا ارغب في الانتقام بل في تعويض شرفي واصلاح شاني فيستر بهذا البرقع مخالفته لسنة المسيح والله لا تخفى عليهِ خافية وان قلت لطماعٍ لا تضرر بغيرك واحفظ فروض العدل وعامل قريبك كنفسك كما يعلم المسيح فان احتشم قال ان البيع سباق والناس لا تصدق الحق ومن قال الصحيح لم يستطع ان يبيع شيئًا ولا بد من الحيلة وما اشبه من الاجوبة وكذا يرتكب الخداع او الكذب بواسطة السمسار او غيره كأن الله لم يحرم الا الخطف او السرقة الظاهرة وان كان غير محتشم قال اعطني صوفًا وخذ غدًا خروفًا وما اشبه من عبارات الحمق والسفاهة. واذهب الى شهواني وقل له انكفَّ عن الفحشاء واترك العشق وازل المعاثر التي تلقيها للناس لان المسيح نهى عن النظر نفسه مع شهوة الى المراة فان كان غير محتشم قال مالي ولهذا المنهي وكثيرون يصنعون ما اصنع او اعتذر بانهُ في غض شبابه وانهُ لا يملك نفسهُ للانكفاف عن ذلك ولكن هل فرق المسيح بين شاب وشيخ عندما ذكر

هذه الوصية الطبيعية او هل يبخل بنعمته لمن يطلبها بانجاد ضعفه ويجد حقيقةً في استئصال ملكاته السيئة واذكر لمثل هولآء اسم الاماتة او الصوم او التورع او المثابرة على التاملات العقلية في كل يوم فيضحك من ذلك ويفتكر ان كل هذا يضاد تمدنهُ او يقلل اعتباره بين اقرانه . لا يثقلنَّ على مسامعكم ما اقول فانهُ لا يعم الجميع لكنهُ من سوء البخت يصدق على كثيرين واذا كان موقف مثل هذا الموقف لا يبيح التصريح بالحق فمتى يُصرَّح به واذا كنت من على المنبر لا اونب من يستحق التونيب وابين غلطهُ فمتى اقوم بفروضي بهذا الشان لعمري اولادي ان عمل من يفوه بالاعتذارات المذكورة ويصنع ما يعتذر عنهُ ليس بعمل مسيحي حقيقي بل عمل انسان يريد ان يعيش كما يبتغي وكما يحب غير مبال بالحق الذي نزل المخلص من السمآء الى الارض ليعلمهُ ويكرز به ويفرض لهُ سنة ووصايا فالمسيح علَّم نوعين من الحقائق نظرية وهي اكثر ما يتضمن في قانون الايمان كالاعتقاد بانهُ اله واحد بثلثة اقانيم وان الابن ولده الآب منذ الازل ثم تجسد من العذرآء في الزمان ومات من اجل خلاصنا على الصليب ثم قام وصعد الى السماء بالمجد وان الروح القدس منبثق من الآب والابن وما اشبه والنوع الثاني هو الحقائق العملية كالتعبد لله واكرام الوالدين والنهي عن السرقة والزنآء وما اشبه فحقائق النوع الاول يسلم بها كل كاثوليكي واما الحقائق العملية فكثيرون يعتقدونها نظريًا ولا يسلكون بموجبها عمليًا مع ان النوعين تعليم معلم واحد وكما هو صادق في الاولى هو صادق في الثانية والذي قال انا والاب واحد هو الذي قال من نظر

الى امراة الخ فلمَ نصدق القول الاول ونعتقد بوجبهِ ونكذب بالقول الثاني ولا نعمل بهِ فكما ان الاول حق هكذا الثاني وكما نحن نجاهر باتباع المسيح في اعتقادنا الحقائق النظرية هكذا يلزم ان نجاهر بعملنا بمقتضى الحقائق العملية فهذا ما يجعلنا مسيحيين حقيقيين وكم من الاهانة للمخلص اذا كنا لا نعمل بتعليمهِ وما يكون النفع من تلك الوصايا والاوامر وما اقبح ادعاء من يعرف ان المسيح علم حقائق راهنة وهو ينصب كرسي" تعليم آخر قبالة كرسي" الله يعلّم من فوقهِ ان من لا يعيش بحسب روح العالم ويحتقر تعليم المخلص لا يكون متمدنًا ولا عاقلاً فما افظع هذه الجسارة وما اسوأ هذه المكافاة التي يكافي بها الخطاة معلمهم الالهي ولكن المكافاة مكافاتهُ وسيشعر بها عن قرب من كانت هذه الحال حالهُ ان كان لا يرعوي عنها ويذعن لتعليم المخلص لا بعقلهِ فقط بل بعملهِ ايضاً

واما نظرًا الى الحيوة التي اراد المسيح ان يمنحناها بتجسده وبموته عنا فالاثمة كانهم يقولون له خذ الحيوة فنحن عنها متنزلون واعطنا الموت فاننا فيه راغبون لانه يقول لهم ان شئت ان تدخل الحيوة فاحفظ الوصايا فيقولون اقلما يكون بعملهم لانشاء حفظ الوصايا ولا دخول الحيوة وبالتالي اننا نرغب الموت بمخالفاتنا ونفضله على الحيوة افليس الامر كذلك او هل بهِ من اشكال فاذًا ايّ جنون روحي" هو هذا ان نبدل الحيوة بالموت طائعين والى متى نبقى في هذه الحماقة ولا ننتبه اليها .. ثم ان الاثمة يكافون المخلص عن الحيوة التي وضعهم في طريقها وكسبها لهم بوجهين اي في منع الاستفادة منها وبتجديد اسباب موته المستفادة به

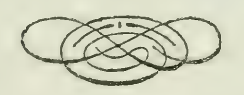
الحيوة بواسطة خطاياهم فجل ما عمله المسيح بمنحنا الحيوة هو رفع الخطية وازالتها « هذا هو حمل الله الرافع خطايا العالم » وهذه هي الغاية الاولى المقصودة من التجسد وهذا محور اقوال المخلص وافكاره اما المسيحي الذي يخطي فيخالف ذلك ويعاند المخلص في مقصده مريداً ثبوت الخطية في العالم وحذف المفعول الاول للفدآ ومنع الفائدة من تجسد ابن الله وبالجملة احرام نفسه نعم المخلص والازدرآ بالحيوة التي وهبها له بموته وتفضيل الظلمة على النور والموت على الحيوة

واما الوجه الثاني وهو تجديد اسباب موت المخلص فظاهر ايضاً لاسيما بقول الرسول « يصلبون ابن الله ثانية في نفوسهم » عبرانية ص٦ عد٦ فالصلب ثانية ليس هو الصلب الاول وصلب الاثمة ابن الله في نفوسهم ليس الصلب على الجلجلة وعليه فتفهم الآية بمعنيين الاول انهم يصنعون ما تجسد وصلب المسيح دفعاً له وهو الخطية بنوع انه لو لم يكن موت المسيح مرة كافياً لمحو كل الخطايا لوجب ان يصلب كلما ارتكب انسان الاثم كما كان كهنة العهد العتيق يجددون المحرقات كلما تجددت الخطايا . والثاني ان فعل الخطية يغيظ المسيح اكثر من كل ما احتمله من الآلام لاجلنا حتى لو وضعنا في كفة ميزان جميع ما قاساه المسيح في تجسده وحياته والامه كلها ووضعنا في الكفة الاخرى خطية واحدة مميتة لرجحت تلك الخطية في اغاظة المسيح اكثر من كل ما كابده على الارض ولهذا اننا لم نجدد صلبه فعلاً عند الخطية فيكون تجديده بنوع يساوي الفعل الذي صلبه به اليهود

فيا ما اعظم واقبح شر الخطية ومع ذلك يقول الخطاة اي شر هي
و يرتكبونها دون مبالاة بنكرانهم جميل ابن الله واتباعهم الضلال بعد
تعليمهم الحق واختيارهم الموت بعد تقديم الحيوة لهم فلا اجد الفاظًا اعبر
بها عن جسامة هذه الغباوة والجسارة . قد ورد في تاريخ حروب
الفلمنك ان احد الجنود الاوغاد حكم عليه با لشنق فعلق فاخذت
الشفقة عليه احد رفقائه فقطع الحبل بعد ان تركهُ الجلاد وتدارك صحة
ذلك المشنوق الى ان تحالي فاركبه فرسهُ وفر هاربًا بهِ اما الجندي المحكوم
عليه فعلم بان مخلصه يحمل بعض الدراهم فسولت لهُ نفسهُ اخذها فذبحه
بالسيف نفسه الذي قطع به حبل مشنقته طمعًا باخذ دراهمهِ فصنيع
هذا الجندي الوبش يشمأز منه كلكم وهو اقل شرًا من صنيع كل خاطٍ
منكم يرتكب اثمًا ثقيلاً مغيظًا بهِ ابن الله الذي انقذه بموته من الموت .
قال ماري اغوسطينوس اذا اثم كافر استحق جهنم واما اذا اثم مسيحيٌ
فيستحق جهنم مصنوعة بالخصوص له لعظمة احسانات المسيح اليه
وفظاعة اساته . ان النعمة التي اعطيها الملائكة لم تكن مرشوشة بهذا
الدم الالهي فعمل المسيحي باثمه بعد فدائه شرٌ من عمل ابليس وجنوده إذ
عصوا ربهم ولم يكن مات من اجلهم وبالجملة ان فظاعة اثم المسيحي
الاثيم لايدركها هو الان ولربما ظن في شرحها مبالغة ولكن سيأتي وقت
لايعلمهُ يرى فيه بنور الابدية قباحة صنيعه فيندم ولا يفيده الندم
ويتذكر حينئذٍ ان المسيح كان طريقه فضل سالكًا طريق الاثم وكان
معلمه الحق فمشي في طريق الضلال الذي قاده فيه عقله اواميا له وكان

حيوة لهُ فسعي للموت محتقرًا الحيوة فبلغ الى الموت الابدي الذي لا انقضاء له ولا مناص منه ولا حيوة بعده فيقاسي من الغم والندم والعذاب ما كان يكفي تحمله دقيقة لموته لكنه لا يموت ولا ينقضي عذابه الى الابد

فمن منكم اولادي يجسر ان يختار لنفسه هذه الحال التعيسة ويطوح بنفسه بهذه المخاطر المفضية الى الهلاك المؤبد فالآن الآن اختيار الحالة المقبلة ووقت الفرار من التعاسة الخالدة فمن الان منذ هذه الدقيقة ارعووا عن اثمكم واتخذوا المسيح طريقًا تسيرون بهِ مقتدين بفضائلهِ ومعلمًا تتعلمون منهُ الحق وتعملون به واغنموا الحيوة التي كسبها لنا بتجسده وموته واستشفعوا بمريم والدة الله التي اتخذ ابن الله جسده المقدس من دمها الطاهر وجعلها امًا له واولاها حقوق الام عليه فلا يرد شفاعتها بل يمنحنا بتوسلاتها النعم اللازمة لخلاصنا والمبلغة لنا الى السعادة الابدية التي اترجاها لكم ولجميع الناس ولحقارتي بشفاعة هذه السيدة الكلية الاقتدار وبنعمة الآب الخ .



حاشية ان لسيادته مواعظ وخطبًا اخرى عديدة القاها في مدة عمل الرياضات الروحية في كنائس بيروت وفي فرص اخرى وبعضها لم يوخذ لها رسم وبعضها اخذ رسمهُ لكن لم يبيض ولعله يظهر مطبوعًا في وقت اخر .

رسالة رعائية

من سيادة المطران يوسف الدبس مطران بيروت
الى ابناء ابرشيته بالاجمال

رسالـة رعائيـة

من المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت
الى ابناء ابرشيته بالاجمال

ايها الابناء الاحباء

عدا اننا بعد ان نهديكم جميعًا اجمالاً وافرادًا البركات الالهية نقول. ان فروض وظيفتنا الرعائية والدعوة المقدسة التي دعينا بها الى الاهتمام بخلاص نفوسكم تندبنا ان نقوم بها مجتهدين وان نعلم وننصح ونهذب ونونب وبالجملة ان نبذل كل ما في وسعنا لتكونوا انتم ابناء الله كاملين كما ان اباكم الذي في السماء كامل هو . وجميعكم تعلمون ان الزمان تغير وان عصرنا هذا قد فشا فيه الفساد وكثرت اسباب الشر وانتشر الفتور في تادية فروض المذهب وقل عند كثيرين الاعتبار للدين وزاد عدد المضلين واشتد ميل الناس الى الخلاعة واستطراق الخصال السيئة ورجح اختيارهم من الامور الحديثة ما كان فاسدًا وسيئًا على اختيارهم ما كان مهذبًا وصالحًا وكل هذا جعل وظيفة الرعاة الروحيين وكل من عليهم الاهتمام بغيرهم كاباء الاولاد وامهاتهم اكثر ثقلاً واوفر صعوبةً فازدياد اسباب الشر يلجيء هولاء جميعًا الى مضاعفة اجتهادهم وعنايتهم برعاياهم واولادهم بالمحافظة عليهم من الاثم ومن تعود الخصال السيئة وبهدايتهم اقوم سبيل وردهم عن المعاطب وتحذيرهم من المعاثر وعليه

فاذ نتامل نحن بهذا الموقف المخيف ونتذكر ما يلقيه الينا من الفروض نرتعد فرقًا ونحمل الى الرغبة الحارة في بذل مجهودنا لتوقيتكم اسباب الشر وغوائل الفساد انتم ابناء ابرشيتنا الاحباء الذين القيت على مناكبنا الضعيفة اعباء العناية والاهتمام بخلاص نفوسكم . ولهذا لايمكننا الآن نوجه وقتًا بعد وقت كلامنا اليكم تارةً خاصًا وتارةً عامًا قيامًا بفروضنا وطلبًا لافاداتكم الروحية فان كلمة الله لا تذهب عبثًا والكلام الذي تسمعونه او تتلونه ليس لي بل هو كلام الله اليكم بواسطة حقارتي وان كنت غير اهل فانه تعالى القائل لرسلهِ وبهم لجميع روساء بيعتهِ من سمع منكم فقد سمع مني . ولستم انتم با لمتكلمين ولكن روح ابيكم هو المتكلم فيكم فكلامي هذا وان برز من شخصي فليس كلام شخصيتي بل كلام السلطان الذي اعطانيه الله سيدي لبنيانكم فهذا يبين لكم وجه كلامي الآن وكيف ينبغي ان تقبلوهُ

عد٢ ان اهم امر اخاطبكم بهِ واول وصية احرصكم على المحافظة عليها انما هما التمسك بعرى ايماننا الكاثوليكي المقدس فالايمان ايها الابناء الاعزاء هو اس الخلاص وبدونه لايستطيع احد ان يرضي الله بل هو اس حيوة الناس كما ينبغي فمن دون اعتقاد الانسان حقائق راهنة يستسير بموجبها لا يكون مركز ولا رابط لما يقول ولا لما يفعل . وعليه فكما ان البناء لايمكن ان يقوم في الجو غير راكز على اساس هكذا حيوة الانسان بما انه انسان وخلاصه لايمكن ان يكون دون مبادي راهنة يسند عمله اليها وهذه المبادي هي التي نعبر عنها بالايمان او الدين . ان

الله نفسه بخلقه الانسان على ماهو عليه من الحرية وتناهي العقل وضعفه واختلاف نظره في واحد عما هو في الاخر لم يكن لهُ بدٌّ من ان يجعل للانسان دينًا اي يفرض له حدودًا ومبادي يهديه بعضها بنور عقلهِ وبعضها بنور وحيهِ لتكون مركزًا وطريقًا لعملهِ والاَّ لكان الله منَّ على الناس بالوجود والفهم والحرية وابقى عمله ناقصًا بل مضرًا فان اختلاف الفهم في الناس مع عدم وجود رابط او مركز ومع وجود التباين والتضاد في رغباتهم وصوالحهم يفضي الى منازعات ومضرات من الناس احدهم بالاخر ويشوش نظام العالم ولا يبلغ الله غايته من خلق الناس اذ يجعل كل منهم لنفسه غاية يستحبها ويخالف غيره بها ويبلبل نظام الهيئة الاجتماعية المعدّلها الانسان طبعًا وكل وسيلة غير الدين تكون قاصرة عن ضبط الناس وتقييدهم بفروضهم المترتبة عليهم لله ولغيرهم لان تلك الوسيلة ايتها كانت لا تكون الا خارجية وتمتد الى الافعال الظاهرة فقط ويبقى الانسان مستبيحًا ان يفعل ما شاء خفيةً ويستحل الخداع والمكر وكل فعلة رأى نفسه قادرًا على اخفائها فلا بد في الانسان اذًا من حاكمٍ وقاضٍ في داخلهِ ايضًا ينهيانه عما كان محرمًا ويقودانه بزمام باطن الى ما ينبغي عليه ان يعمله او يتحاشاه فهذا الزمام الباطن هو الدين وذلك الحاكم والقاضي الداخليان هما الضمير المقيد بفرائض الدين وقد عرف هذه الحقيقة جميع الشعوب والامم واعترفها وعلمها جميع الفلاسفة والاباء والعلماء والادباء نعم اختلفوا في حقيقة الدين لكنهم اجمعوا على انه لا بد من دين فذلك دليل صراح على ان هذه الحقيقة مرافقة الطبع البشري

لا تنفك عنه ولم يقم بانكارها الابعض حمقى الاعصر المتأخرة الذين ارادوا
ان يحرروا نفوسهم من شعائر الدين وفرايضه دون ان يدروا ان الانسان
يمكنه ان يتعرى من ثوبه ولكن لا يمكنه ان يتعرى من لحمهِ وعظامه
اريد ان اقول ان الانسان لا يمكن تعريته من الدين لانه شيء ملازم لطبعهِ
جعله فيه باري الطبيعة نفسها وعليه فمن تظاهر بخلع الدين تظاهر
بخلع خاصة جوهرية في الطبيعة الانسانية وكانه عرى نفسه مما هو به
انسان واراد التقرب من البهائم التي لا شريعة ولا دين لها ولا سوءال لها
على ماتفعل او تهمل ولا ضمير موبخ بها فالى هذه المنزلة الوضيعة يحط
نفسه من لا يحترم الدين او لا يعمل بفروضهِ او يسخر ويضحك منها حقًا
ايها الابناء الاحباء انه لا يمكن ان ينتشر مذهب من لا يعتبرون دينًا في
العالم ويدوم العالم عليه جيلاً بل لا بد من ان اولئك الفلاسفة الحمقى
ومن حازبهم يعرفون بالاختبار فساد مباديهم وانها متلفة للهيئة الاجتماعية
فينقضون هم او خلفاوهم مباديهم الاولى وان لم ينتبهوا الى ذلك خرب
العالم بحروب وتعديات وخلع سلطات او عاجله الله باقامة الساعة

عد ٣ لا يكفي الانسان التمسك باي دين كان بل لا بد من الاستمساك
بالدين الصحيح فديننا الكاثوليكي المقدس هو الذي شهد الله لصحته
بالعجائب والنبوات التي لا يمكن ان يصنعها الا الله فهي بالتالي بمنزلة ختم
الهي لحقيقة الدين الذي صنعت اثباتًا له وهو الدين الذي شهد لصحته
مليونات من الشهداء من كل سنٍ وحال وقطرٍ باراقة دماهم حبًا بهِ
ولعدم انحرافهم عنه وهو الدين النقي المقدس الذي لا يوجد خير او

صلاح الا و يامر او يشير بهِ ولا يوجد شر او طلاح الا و ينهي عنه وهو الذي يستطيع ان يقيم البرهانات على قدمه منذ بداية العالم في الحال التي كان فيها قبل مجي المخلص ثم في الحال التي صار اليها بعده ولا يمكن ان يعين له مبتدع الا الله في العهد القديم والكلمة المتجسد في العهد الجديد ولا زمان ابتدأ فيه الا خلق الانسان وتجسد الفادي . ولا محل هنا لايراد البرهانات على صحة معتقدنا مطولة ومن احب واحتاج التطويل في هذا الشان فليطالع الكتب التي نتكلم فيه او قلما يكون الخطبة الاولى من خطبي في الصوم سنة ٧٣ فاستمسكوا ابناءي الاحباء بهذا الدين القويم الذي انعم الله عليكم ان تولدوا وتربوا فيه واسدوه تعالى شكرًا لا ينقضي لذلك ولا تكونوا متزعزعين مع كل ريح تعليم ولا يطغينكم احد بنحو من الانحاء تذكروا ابناء من انتم انتم ابناء اولئك الرجال الذين تشبثوا بهذا الايمان وساروا بضوءه منذ بزوغ انواره ولم تثنهم عنه الاضطهادات ولا المصائب ولا النكبات التي انزلها بهم الاراطقة والمشاقون والغير المومنين بل اراق كثيرٌ منهم دمهم حبًا بهِ ولم يغيرهم ولم يخمد حرارة عزمهم كرور الايام وتقلب الاحوال حتى استحقوا ان يشبههم روساء بيعة الله بورد بين الشوك و بصخرة لا تزعزعها امواج الكفر والبدع تذكروا كم تعب وكد النسطوريون والاوطاخيون والمونوتيليطيون في مبادي بدعهم ليطغوا اجدادكم فرجعوا بصفقة خاسرة وكم جد اليعاقبة ان يلقوا في القرون المتاخرة ايضًا زوان الضلال في عقول ابائكم فاقتلعوا زوانهم من بين حنطة التعليم الصحيح قبل ان

يمو ايضاً . تاملوا في ان الابروتسطنت يحاولون من نحو اربعين سنة ويبذلون كل ما في وسعهم ليطغوكم ويضلوكم ومع ذلك فاي نجاح لهم عندنا وهل استطاعوا بعد ان اضاعوا كل هذا التعب والمال ان يصطادوا منا غير انفار قليلين يمكننا ان نعدهم على اصابعنا وكم من مرة فمرة شرعوا يرتلون اناشيد الظفر لانهم ظنوا انهم كسبوا منا عيلات كاملة او قرى برمتها ومع ذلك لم يكملوا ترتيل نشيد سرورهم الا وانقلب السرور حزناً لان اولئك القوم المنغرين او المنخدعين او المغتاظين من روسائهم لامرٍ ما انتبهوا الى انخداعهم وارعووا للحال عن غلطهم ورجعوا الى ايمانهم تائبين وكاد الابروتسطنت يعتريهم اليأس من اضلال شعبنا او بعضه . ثم كم تعب ويتعب الفرماسون واصحاب المذاهب الكفرية في ان يضلوا اناساً منا ومع هذا كم واحداً منا استطاعوا ان يطغوا ومن يجسر ان يظهر نفسه بيننا مصاباً بهذا الجنون فواصلوا اذاً فخركم الى النهاية وداوموا التمسك بالحق وحافظوا على هذا الشرف الذي اورثه لكم اباوكم واجدادكم ولا تضيعوا في ايامكم ما حفظه قدماوكم من ايام المخلص والرسل الى الان فهذا هو الشرف الحقيقي المبلغ الى الخلاص الابدي شرف الايمان المقرون بالاعمال الصالحة . واذا كان رجال اصحاب مطامع او مآرب فاسدة ابتدعوا اموراً لينجوا من تاديبات او ليتمتعوا بملذات او ليدركوا كرامات وتابعهم اخرون حملهم مثل هذه المقاصد السيئة او هم منغرون او منخدعون فماذا يعنينا منهم واي نفع لنا بمتابعتهم ولماذا ندع نفوسنا نخدع بدينار لنخسر مليار ونترك الحق ونتشبث

با الباطل ونستبدل النعم بالنقم والخلاص با لهلاك

عد ٤ على انه لا يكفي ايها الابناء الاحباء الاستمساك با لدين وكون ذلك الدين صحيحًا بل لا بد من العمل بفروض الدين فان وصاياه وفروضه لم توجد لنتفقه بمعرفتها فقط والاّ لكان الاحسن لفقاهتنا علم الطبيعة وعلم الارض وعلم الفلك وما اشبه بل وجدت لنعمل بموجبها ايضًا وتكون دستورًا لافعالنا ولا يكفي ان نعلمها ونسمعها فقط فليس الذين يسمعون الناموس ابرارًا امام الله بل العاملون بالناموس يتبررون فاي نعم ان وصايا الدين او الايمان بعضها نظري كالاعتقاد بان الله واحد في ثلثة اقانيم وان ابن الله تجسد وافتدانا وكان بناسوته ذا اقنوم واحد الهي وذا طبعين الهي وبشري وما اشبه وبعضها عملي كالوصايا الامرة بالتعبد لله وتكريم الوالدين او الناهية عن القتل والزنا والسرقة وهلم جرًا لكن الوصايا النظرية وان كفي للخلاص اعتقادها الاَّ انه لا يقتضي ان يكون الايمان بها مجردًا بالكلية بل يلزم ان يحملنا على افعال الفضائل مثلاً اعتقاد وحدانية الله يحملنا على تعظيمه واتجاهنا اليه اكثر من كل شيء سواهُ والتهيب والتوقير له وايماننا بتجسد ابن الله من اجل خلاصنا يحملنا على المحبة والشكر لهُ اذ اخلى نفسه آخذًا صورة العبد من اجلنا وحمل على نفسه خطايانا ليفي لله عنها بتقدمة حيوته كفارةً عنا لينقذنا من اسر الموت والشيطان ويرفعنا الى الاشتراك بملكه ومجده واعتقادنا انه اقرن طبعه الالهي مع طبعنا البشري بوحدة الاقنوم يحملنا على التعجب والانذهال من فرط محبتهِ لنا حتى اتحد بطبعنا الحقير والهه

ورفع استحقاقه الى ان يكون الهيًّا لوحدة الاقنوم فيه ليفي عنا بهِ ويفتح لنا بذلك كنوز النعم والمواهب كما يحملنا على اسدائه شكرًا لا ينقضي وهلم جرًّا في باقي الوصايا النظرية. امَّا الوصايا العملية فمن الواضح والمستغني عن البيان انها وجدت لنعمل بها ونقوم سلوكنا على موجبها وهذه غايتها وعلى هذا مدارها وكذا يلزم ان يكون اعتقادنا تعاليم ديننا ومعرفتنا بوصاياه. والاَّ فما النفع من معرفة عبدٍ ارادة سيدهِ وهو لا يعمل بها بل يخالفها فلو جهلها لكان اقل اثمًا وما الفائدة من معرفة احد سكان المملكة شرائعها وهو لا يخضع لها ولا يؤدي مفروضاتها وهل يرضى منه ذاك التصرف ولاة المملكة. ان كثيرًا من شبان عصرنا خاصةً يتباهون بكونهم كاثوليكيين ولا يحتملون ان يظنهم احد من غير ذلك المذهب لكن معرفتهم بتوحيد الله وتثليث اقانيمه كمعرفتهم بان الارض متحركة حركتين سنوية ويومية ومعرفتهم بتجسد ابن الله وافتدائه الناس كمعرفتهم بكون الشمس ثابتة لا حركة لها الا على محورها ومعرفتهم بان المسيح ذا اقنوم واحد وطبعين ومشيئتين كمعرفتهم بعدد سكان الكرة او عدد احدى الممالك فلا شك بان معارفهم هذه المذهبية حسنة ونافعة وهي بمنزلة اساس ونحمدهم عليها ولكن اين المنفعة التامة اذا وضعنا الاساس ولم نبنِ شيئًا عليهِ فهل يقينا الاساس وحده برد الشتا وحر الصيف او ما يعيبنا الناس اذا وضعنا اساس بيتنا الابدي وبقينا في عمرنا لم نبنِ عليهِ شيئًا. قد قلت غير مرة انكم انتم انفسكم تعتبرون من كان دينًا تقيًا وتركنون اليهِ وتعتمدون عليه في مشاغلكم ومصالحكم وتزدرون بمن احتقر فروض دينهِ ولا تثقون بهِ

فاوجدوا في نفوسكم ما تطلبونه وتستحبونه في غيركم . ان العمل بالوصايا الروحية قوة للروح فكما نهتم بقوت جسدنا الفاني يلزمنا الاهتمام بقوت نفسنا بعمل ما يامر او يشير بهِ ايماننا المقدس فثابروا اذاً على الاعمال الصالحة وجملوا نفوسكم بالتقوى والفضائل وتدرعوا بسلاح الله الذي هو الصلوات وتناول الاسرار المقدسة وحافظوا على عادات ابائكم واجدادكم التقوية كالحضور للقداس في اكثر الايام لاسيما ايام الاحاد والاعياد فان سماع القداس فيها فرض وكالاعتراف وتناول القربان الاقدس بتواتر وكالصلوات في كل يوم وكالمحافظة على الاصوام والقطائع الا لعلل واضحة مثبتة بشهادة الطبيب وكالاشتراك بالاخويات الروحية والاجتماعات الخيرية المشتهرة فان ما يعطى فيها يقرض لله وقد علمنا المخلص ان نعتبره مالاً نخزنه في السماء لا يصل اليه سارق ولا سوس وحقق لنا ان اسقاء كاس ماء بارد باسمه لا يضيع اجره . حقاً اولادي ان احسن مال ينفقه الاغنياء وابقاه وانفعه انما هو ما يصرفونه لوجه الله ولعمل الخير فان ذلك لا يخولهم الاجر من الله فقط بل يكون زكوة عن مالهم ايضاً فيحفظه الله لهم وينميهِ و يزيده هذا وان صرفهم من مالهم لعمل خير يحبب الناس اليهم ويزيدهم اعتباراً عالمياً ايضاً ولا اكره ولا اثقل على الناس من غني بخيل يحشد المال ولا يغيث محتاجاً بشي و يشق عليه ان يصرف درهماً في عمل الخير فيمن الله عليه بالمال وهو يابى ان يصرف قليلاً منه لوجهه الكريم تاملوا بما يصنعه مسيحيو البلاد المتمدنة كاوروبا وامريكا وكم لهم من الاجتماعات النافعة للناس وكم من اعمال الخير نعم انهم اكثر منا

عددًا وغنى الآن اعمالهم واحتياجاتهم اكبر ايضًا فالنسبة واحدة بين عددهم وغناهم واحتياجاتهم وبين عددنا وغنانا واحتياجاتنا

عدد ٥ لا يلزمنا ان نعمل الفضائل فقط بل يلزمنا باقوى حجة ان نتجنب الرذائل ايضًا وان نهرب من كل خطية كما نهرب من الافعى وان نعتبرها سمًا قتالاً لنفسنا وقد قتلت خطية واحدة ارتكبها ابوانا الاولان النوع البشري كله وسببت موت ابن الله على الصليب وهي عداوة لله وشتيمة له في وجهه كما يقول الرسول ولا منفعة منها في هذه الحيوة ايضًا فقولوا لي من رايتموه اغتنى من سلوكه في طريق الاثم او من ثبت غناه وما تصدره بعض الخطايا من الملاذ لا تعتبر لذة حقيقة لسرعة زوالها وتخليفها للحال تعب الضمير وتعذيبه المر هذا مع قطع النظر عن العذاب الابدي في دركات الجحيم حيث دودهم لا يموت ونارهم لا تطفا . ان من اثر حقيقة الابتعاد عن الخطايا لزمه الابتعاد عن اسبابها والا فيذهب تعبه سدى وكده ضياعًا فلا يمكن ان توضع النار في الحرج ولا يحترق كما يقول الحكيم ومن احب الخطر باد فيه ومتى وجد السبب او العلة وجد المسبب او المعلول كيف لا ونفسنا خضراء امارة بالشر ميالة اليه ومن شاء التحصن من الكبائر لزمه الحذر من الصغائر وقد جاء في الكتاب ان من تهاون بالصغائر يسقط رويدًا رويدًا بالكبائر وعلينا ان نتسلح بالصلوة لنقوى على مقاومة حيل المحال وقد جعل المخلص الصلوة دواء موقيًا من الوقوع في التجارب اذ قال صلوا لئلا تدخلوا في التجارب واكتفى بهذه العبارة الساذجة والموجزة في هذه

المادة الواضحة والاعنيادية

عد٦ ان البعض منا لا يكفي لخلاصهم ان يبعدوا عن الشر ويصنعوا الخير بنفسهم فقط بل يلزمهم ان يبعدوا غيرهم ايضاً عن الشر ويجعلوه يصنع الخير كاباء الاولاد وامهاتهم فقد اوضحت انفاً ايها الابناء الاعزاء ما اسوأ العصر الذي نحن فيه وما اكثر اسباب الشر والفساد بين اهله فان لم تحرصوا على تربية اولادكم وترقبوا سيرتهم وتنظروا في ترددهم بين الناس وتجتهدوا على تعليمهم عند معلمين كاثوليكيين اتقياء سرى الفساد في عروق اولادكم وتمكن فيهم على صغرٍ وشب معهم وكانوا لكم متعبة ونقمة وعاراً مكان ان يكونوا لكم راحة وسنداً وفخراً فتخسرونهم وتلقون نقمة الله وغضبه لاهمالكم تربيتهم كما ينبغي . ومما يستحق الرثاء والملام ان البعض منكم خاصة في القرى يهملون تعليم اولادهم ليلا يدفعوا للمعلم في كل شهر قرشين او ثلاثة قروش مع انهم يصرفون اكثر من هذه القيمة اضعافاً لما لا طائل له ومع ان هذه القيمة وازيد منها يحصل الوفر بها في ملابس الولد وقوته واحذيته وثمن الادوية له اذا كان مقيماً في المكتب هذا حتى نكلم مثل هولاء كلاماً يناسبهم ونتغاضى عن ذكر الفوائد الكبرى التي تحصل للولد واهله من تعليمه وعن ذكر الالزام الشديد المترتب على الوالدين بتعليم اولادهم . قد روى ان رجلاً سأل احد الفلاسفة القدماء ما النفع لابني اذا علمته العلم فاجابه الفيلسوف كفى من النفع انه اذا جاس في المحضر لم يجالس حجر على حجر اشار بذلك الى ان الانسان اذا لم يتعلم كان كحجر فاهمال تعليم الاولاد اذاً

غلط كبير وعلى حد هذا الغلط ارسال بعض الاباء اولادهم الى مدارس الابروتسطنت لانهم يتعلمون فيها مجانًا ولطمعهم في وفر الشهرية المار ذكرها ولا يدرون ان بخلهم بتلك القيمة الزهيدة يسبب لهم ولاولادهم اضرارًا كبيرة روحية وخاصة لان اولئك الاولاد الذين يتمسكون بتعليم الابروتسطنت لا يبقون على مذهب الابروتسطنت وحده بل يتقدمون عادةً الى خلع شعائر الدين والامتهان بالوصايا وان كانت الهية واستطراق الرذايل . ومن هذا القبيل ترك بعض الاباء اولادهم وسبيلهم فلا يعلمونهم اصول الديانة ولا السيرة بخوف الله والتقوى ولا يسالونهم عن اعتراف ولا عن تناول ولا عن ترددات مشككة ولا يبحثون عمن يعاشرون ولا عن اية كتب يطالعون ولا اية اجتماعات يحضرون فيربى اولادهم على الفتور في تأدية فروض مذهبهم وعلى مخالفة وصايا الله والكنيسة وتفسد خصالهم ويتبعون الضلال ويتصلون غالبًا الى اهانة والديهم والى اجلاب الحزن والعار عليهم ويهلك اخيرًا الاولاد لسوء سيرتهم والوالدان لاهمالهما وكسلهما . فملافاةً لهذه الفوائد ننبه ونذكر اباء الاولاد بالوصايا الالهية والكنايسية التي تأمرهم بتربية اولادهم بخوف الله والتقوى وتعليمهم قواعد ديانتنا المقدسة ويلزمهم ايضًا تعليمهم القراءة والكتابة فقد صار مستقبحًا في هذا العصر وجود انسان يجهلها ويعلموهم ايضًا العلوم او احدى الصنائع او الحرف بحسبما توذن بهِ حالهم كما اننا نذكر الجميع بالحرم الكنايسي المبرز قبلاً على من يطالع كتب الابرونسطنت او يعلم اولاده في مدارسهم ومكاتبهم ونناشد اباء الاولاد ان لا يبخلوا بنفقة شي على تعليم

اولادهم حيث لا توجد مدارس كاثوليكية مجانية فان ما ينفقونه لا يفقر ولا يزيد فقراحد ويستعيضونه مضاعفاً لا من قبل القيام فقط بفرض عليهم يجزيهم الله على ادائه بل من قبل النفع ايضاً الذي يكون للاولاد والوالدين من تعلمهم ونامرهم لا نحن بل ربنا ان يحرصوا على سيرة اولادهم ويوقوهم الفساد الطامي في هذا العصر ويتشددوا عليهم لدى الاقتضآء بمواظبة الاعتراف وتناول القربان المقدس وسماع القداس وحفظ سائر وصايا الكنيسة المقدسة وينهوهم عن معاشرة الاشرار والسفهآء وعن تلاوة الكتب المحرمة والدخول في الجمعيات السيئة والاجتماعات الخطرة ليكسبوا نفوسهم ونفوس اولادهم وينجوا من الهلاك والخزي والعار

عد٧ ونزيد على ذلك نظراً الى البنات بالخصوص انه من فروض الوالدين السهر والتيقظ على سيرة بناتهم وتربيتهن باكثر ادب واحتشام ومنعهن من الحضور في المراسح والمحاضر الخطرة ومن معاشرة الرجال بدالة او في خلوة ولو كنّا مخطوبات لهم فان فساد العصر ادخل العادات السيئة بمعاشرة الشبان للبنات المخطوبات بدالة اوخلوة خلافاً لما جرت عليه عوائدنا الحميدة ولما مشي عليه قدماونا ولما امرت به كتب طقوسنا في ان لا يواجه الخطيب خطيبته واذا اقتضى ففي حضرة والديها. وما هو اكثر خطراً وقد تكررت بهِ اوامر المرحوم سالفنا واوامرنا وصدر في السنة الماضية امر حكومة لبنان الجليلة بمنعه منعاً شديداً هو اختلاط الشبان والشابات للشغل معاً في معامل الحرير واقامة الشابات في المعامل التي في مدينة بيروت نفسها ولو لم يكن في تلك المعامل فعلة الا النسآء

لانه لايجهل احد ما اعظم الخطر من اقامة شبان وشابات للاشتغال معاً وليس الخطر الاخر اقل من الاول في اقامة الشابات في بيروت وجولانهن في الازقة اوقات البطالة وترددهنَّ مع شبان من مذاهب مختلفة وقد تكررت الحوادث المكدرة في الجبل وعليه فباسطرنا هذه نامر الامر الجازم ونحتم الحتم المبرم بقدر ما لنا من السلطان على جميع ابناءٓ ابرشيتنا والخاضعين لولايتنا ولو موقتاً بان لا تشتغل البنات في معامل بيروت ولا في المعامل التي بعض فعلتها على الدواليب رجال وان لا يشتغل الشبان في المعامل التي بعض فعلتها نساءٓ في بيروت او في باقي الاماكن ونريد ان وصيتنا هذه تكون فريضة دائمة في هذه الابرشية وتمتد لاالى معامل الحرير فقط بل الى كل معمل اختلط في الشغل فيهِ الرجال والنساءٓ في مكان واحد للحرير كان ام لخلافه

عدد ٨ ومما يلزمكم ايضاً التوقير والاكرام لابائكم الروحيين لاسيما الخوارنة المقيدين بخدمتكم الروحية والمطالبين بتادية الحساب المدقق لله عن نفوسكم واكثر الخوارنة هم في العازة وسوء الحال لقلة المعاش او الجعل المفروض لهم وبالخصوص للصعوبة في استحصالهِ فمن هم الخوارنة ايها الابناءٓ الاحباءٓ الا اناس منكم كرسوا نفوسهم لله ولخدمتكم في الروحيات ومنعتهم وظيفتهم هذه من الاشتغال بمشاغل عالمية لتحصيل قوتهم وكسوتهم وكثير منهم اصحاب عيال ايضاً ولا دخل لهم من جهة اخرى ولا ملك لهم يعيشون بريعه فهل يحل ان تنكروا على فعلة الله هولاءٓ اجرتهم وتمطلوا دفع ما يقتاتون ويكتسون بهِ فمن اين

يعيشون وبمَ يشتغلون وانتم تدفعون لخدمة اجسادكم اجرتهم في كل شهر فوق معاشهم افما يترتب عليكم ان تدفعوا لخدمة نفوسكم ما يعيشون بهِ وايليق ان يستحصل منكم شي يسير مثل هذا بواسطة الحكومة العالمية وما هي عشرون او ثلثون قرشاً في السنة لاجير نفوسكم فقل في القرى من يدفع اكثر من هذه القيمة الزهيدة لخوريه عن عيلته في السنة كلها واما في المدينة فما هي مابة او مايتا قرش من احد التجار في السنة لما لا طائل له فلمَ يبخل بُعضهم بذلك لخدمته ولنوالهم البركة في بيوتهم وعمل يديهم فمن حيث ان ذلك لوجه الله ولخادم الله فيجزي الله عنه اضعافاً. ان الكاهن ولو مهما كان تقياً ومحتقراً المال فلا يبرح من لحم ودم يطلب ما يقيته ويقيم باوده والطبع البشري نفسه يجعله يتهاون بتادية فروضه متى راى نفسه من جهة يكد ليلاً ونهاراً ويعرض نفسه للاخطار حين الامراض ذات العدوى ويعذبها بالسهر وقت وقوفه على الدنفين وراى نفسه من جهة اخرى لا ينال ما يبسر لـه معاشه وكسوة جسده بحسب مقامه فيلزم ان يكون ملكاً حتى لا يعتريه الفشل او الكسل على الاقل ونعم ان الاجرة شي ثانوي بالنسبة الى الكاهن ولكن القوت والكسوة لابد منهما وقد قال المخلص لتلاميذه كونوا في ذلك البيت تاكلون من عندهم وتشربون لان الفاعل يستحق طعامه ولا تنتقلوا من بيت الى بيت . ونعم اني لا اقبل عذر احد كهنتي اذا قال قصرت في خدمتي لقلة معاشي لكني ارق لمثل هذا واشفق عليه في باطني وكما انه من فروضي ان آمر الكهنة بالقيام

بفروض خدمتهم هكذا من فروضي الاهتمام بما يقيم باودهم ولكنت اود كثيرًا لو كانت اوقاف لمعاش الكهنة وكان للكنائس ما يقيم بلوازمها واعالة خدامها ليعيش خادم المذبح من المذبح ولكن ما العمل حيث لا يوجد في الكنيسة مايقيم بالمذبح نفسه فهل نترك المذبح دون خادم او نستخدم الخادم دون القوت والكسوة او ادفع لهم من حاصلات الكرسي الاسقفي وهم نحو تسعين خورنية فلا اقدر على ذلك الّا اذا بعت عقارات المائدة الاسقفية لا كفيهم بعض سنين وماذا نصنع بعدها فلهذا لا وسيلة لي بهذا الامر الا تحريك ما اعهده بكم من الغيرة والمعروف والطاعة لتادية كهنتكم المعاش المرتب لهم حيث يوجد ترتيب مخصوص ولتكرم عليهم بيد سخية حيث لا يوجد جعل معين خاصة بعد تنبيه افكاركم بهذا الكلام المسهب ولعل التقصير في هذا الامر كان من جانب البعض وفي بعض المحلات لعدم الانتباه الى هذا الخصوص وعشمي ان بيانه يقوم مقام الامر بهِ ونسأله تعالى ان ييسر في هذه الابرشية وفي باقي ابرشيات طائفتنا بوسائل للحصول على معاشات الخوارنة دون ان يتذللوا للشعب من اجلها فيذهب اعتبارهم ومهابتهم او يجافوه بطلبها فيتعرضون للتقولات ويصبحون مكروهين او يخدمون دون معاش او بمعاش قليل فيملون ويكسلون فان الخوري اذا لم يكن محتاجًا الى رعيته في معاشه كان اكثر اهابة وتجردًا واقل مراعاة للخواطر في ما لله وكان لمطرانهِ اطول باع في التشديد عليه للقيام بواجباته حق القيام وعلى اصحاب عمل الخير ومن يحبون ان يوقفوا للبران يوقفوا على هذا العمل الخيري الذي اضحى في هذا العصر اكثر

لزوماً فان فيه ملاقاة الفقر وزيادة اخرى في مجد الله . ولكنت احب لو امكن سكان بعض الخورنيات ان يجمعوا دفعة واحدة مبلغاً من الدراهم يشترون بهِ عقاراً لمعاش خوريهم او يربطونه على عقار للاقامة بذلك.

عدد٩ قد استطرقت عندنا عادات مزعجة وبعضها سيئ ايضاً ومنها ما بقي من الايام السالفة لكنه لم يكن فيها خطراً ومستهجناً بمقدار ما اصبح في هذه الايام لتبدل الظروف ومنها ما استجد في هذا العصر وقد اعتاد الاساقفة في المشرق ان يامروا ويرشدوا لابطال العادات المستهجنة والمزعجة وان خلت من الاثم غالباً وكثيراً ما تضجر الجمهور من هذه العادات يشكي من ثقلها وازعاجها واحبَّ نسخها ولكن لم يشاء كل من الناس البداية بابطالها محافظة على شأنهِ وخشية تقولات الغير المدركين لئلا ينسبوهُ بذلك الى البخل او الشح او غيرهما وكثيراً ما سمعنا اناساً يهوون صدور امرٍ من احدى السلطتين الروحية او المدنية في تهذيب هذه العادات وقد طلب الينا كثيرون من اكابر ابرشيتنا ومعتبريها ان نرشد الى تهذيبها واخص هذه العادات ما يتعلق باحتفالات الدفن من النعوات والندب والحداد وما اشبه وما يتعلق باحتفالات الاعراس كالدعوات والمراسح وما شاكل ذلك وما يتعلق بعيادة المرضى والزيارات خاصةً في ايام الاعياد وقد استحسنا تهذيب هذه العادات في ابرشيتنا على ما ياتي ونحثكم ونناشدكم جميعاً الى العمل بهِ

عدد١٠ فنظراً الى احتفالات الدفن نقول اولاً كثيراً ما ارتبك اهل الميت في النعوة اي الدعوة الى حضور الجنازة فان استدعوا اقاربهم

جميعا وكل من اتصل نسبه بهم كان ذلك ثقلاً عليهم وعلى المدعوين
وان استدعوا بعضًا دون بعض كان ذلك حاملاً على العتاب ممن لم يدعوا
فلهذا كان الاولى والاحسن ان يتعين من يدعون من اقارب الميت
لحضور الجنازة ونرى ان هؤلآء الاقارب لا يلزم ان يكونوا الا
الادنين اي الاب والام والاخوة والاخوات والاعمام العمات
والاخوال والخالات خاصة لان حكومتنا اللبنانية منعت قبلاً اجتماعات
العالميين وقت الدفن . على ان اقارب الميت يمكنهم بعد الدفن ان
يرسلوا اعلامات النعوة لمن شاؤا من الاهل والاقارب والاصحاب
والمعارف ليحضر من شآء منهم للتعزية واما استدعآء الكهنة للجنازة فامر
حميد ومستلزم ابقآء العادة عليهِ لانه لو جرى منعهم لا ل ذلك مع
الفتور في فروض المذهب في هذا العصر الى تنقيص بعض الناس
بحسنة القداسات التي توزع للكهنة عند الدفن عن نفس الميت فيبطئون
او يعرضون عن هذه الحسنات النافعة لنفس الميت او موزعيها

ثانيًا قد جرت العادة لاسيما في القرى ان يقدم للآتين الى الجنازة
الشربات والقهوة والسيكارات او الاراكيل والطعام ايضًا ولا يخفى ما
في ذلك من الازعاج لاهل الميت الذين يكون الحزن مستحوذًا عليهم
ويلزمهم فوق همهم الاهتمام بملاطفة الناس وتقدمة المشروبات والماكولات
لهم وتعيين الخدام اللازمين لذلك وكثيرًا ما حصل العتاب والملام اذا
جرى الاغفال عن احد وقد يكون اهل الميت فقرآء ففوق خسارتهم
الميت يلزمهم تحمل خسارة مالية باهظة لهذا الاحتفال فاي ذي ذوق

سليم يستحسن ازعاجًا او خسارة كذا لاناس مصابين فلهذا نحث ونغري ابناء ابرشيتنا بان يبطلوا هذه العادة المزعجة وان لا يقدموا في وقت النعوات شيئا من المشروبات اوالماكولات اينها كانت اي لا يقدم اهل الميت السيكارات ولا الشبقات ولا الاراكيل ولا الشربات ولا القهوة ولا شيء من الماكل لاي كان سواء كان من الاكليروس او العامة من الرجال او من النساء وعلى من يحضرون في النعوات ان يمتنعوا من تناول شي من ذلك تسهيلاً لنسخ هذه العادة. واما في القرى حيث اعتاد السكان ان يدعوا الكهنة والمنعين الى الاكل في بيوتهم فلا باس بذلك اذ ليس ثقل على اهل الميت وهم يتكافئون في هذا با لتبادل

ثالثًا انه قد جرت العادة خاصة في القرى انه اذا توفي انسان ولو طفلاً او عجوزًا بلغت التسعين من عمرها وضعوا الجثة في محل واجتمع حولها جم غفير من النساء وكلما اتى قوم من النساء او الرجال اكثر والعويل والصراخ وحضرت ندابات يندبن الميت ويعددن لا صفاته فقط بل صفات كل عزيز قوم توفي ولو من سنوات بحضرة اقاربه او قريباته فلا يزدن اهل الميت فقط تفجعًا بل يجددن احزان الموتى منذ اعوام و ينتخبن في الذكر من كان يستحق اكثر حزنًا وكثيرًا ما اغمي على اهل الميت الحاضر او الميت قبلاً من قبل هذا الندب المفجع واولئك النساء يبقين حول الجثة طول مدة بقائها فوق الارض ومما يحمل على العتاب مفارقة احدى القريبات الجثة وقتًا طويلاً او مجانبتها استنشاق رائحة النتانة الامر المضر بالصحة ايضًا واذا حان اوان تشييع جثة الميت من البيت اكثر النساء والرجال ايضًا

العويل والصراخ والهتاف والضوضاء حتى منع ذلك الكهنة احيانًا من تلاوة صلوات وضع البخور واقلق افكارهم وافكار الحاضرين فهل من يستحسن بقاء هذه العادة المستهجنة في هذا العصر وهل من لا يرى مضراتها باهل الميت وغيرهم او ليس الاحسن والايسر والافضل انه اذا توفي انسان باي عمر او مقام كان يوضع في محل مخصوص اي في حجرة من الدار او في بيته نفسه ويجلس اهله في حجرة اخرى او في بيت اخر من بيوت الاقارب او الجيران فياتي الناس يعزونهم والاحسن أن يكون الرجال في محل والنسا في اخر وما الفائدة من الصراخ والعويل والندب والندابات واين اللياقة من ذلك كله وعلى من يحضرون للتعزية ان لا يكثروا من كلمات التوني ومن ذكر الميت وصفاته فان ذلك يهيج الاشجان ولا يخمد الاحزان وتثقل المجاوبة على اهل الميت والاليق من كل وجه ان يكون الجناز في الكنيسة الاّ لداعٍ كبير وعند وضع نعش الميت في الكنيسة لا ينبغي ان تجلس النسا حوله ولا ان يرافقنه الى القبر ولو كنّ من الاقارب الادنين سوآء كان ذلك في المدينة او القرى ولا ينبغي ان يحمل النعش او التابوت على الراحات فوق الروؤس لان كثيرًا ماافضى الى سقوط التابوت بالجثة فينبغي حمله على الاكتاف او بين الايدي

رابعًا قد اعتاد كثيرون ان يصنعوا لموتاهم الاعزآء توابيت ثمينة اذ يوشحونها بالمخمل او غيره من اقمشة الحرير والزين والزهور وان ينزلوا معهم الى القبر بعض المصاغ او الامتعة او الملابس الثمينة والحال

ان ذلك يذهب ضياعاً وهدراً لا ينتفع احد به مع انه ينتفع باستبقائه الاقارب او الفقراء او غيرهم فالصواب والاولى الاقتصار عن هذا التلف وان لا تتفاوت نفقة التابوت الخمسماية قرش على الكثير ولو مهما كان الميت عزيزاً او غنياً او شريفاً وان لا ينزل معه في القبر الا ملابسه المعتادة مع الكفن بحسب العادة

خامساً اما الحداد فقد اعتادوا ان يجعلوه مدة طويلة خاصة اذا كان الميت عزيزاً وكانوا في مدة اربعين يوماً لا يحلق الرجال ذقونهم ولا تغسل النساء رؤوسهنّ ويلبسون الاسود ويمتنعون من الزيارات الا للتعزية بميت وبعضهم يمتنعون من اكل الحلواء او اطعامها وكانوا قبلاً لا يغسلون اثوابهم مدة الاربعين يوماً وكانت نساء الاكابر يذهبن الى المدفن ليلاً ويكثرن هناك الولولة والنوح ولا يصنع الحداد اقارب الميت الادنون فقط بل العائلة كلها ومن اتصل نسبها بهِ بنوع انه اذا كانت العيلة متعددة ومتصلة نسباً بعيال اخرى فلا ينقطع الحداد فهل من شي اثقل من هذه الامور كلها وما المنفعة منها نعم قد اعتادوا منذ القديم اظهار الحزن ببعض امارات خارجة وبعمل المناحات ولكن تفاوت قومنا حدود مناسبة ذلك في عصرنا ووضعوا على انفسهم ثقلاً لا منفعة منه بل لا يخلو من غوائل وخسائر وياباه تمدن العصر فلهذا نحثكم ونغريكم بما نراه حسناً ومناسباً وهو ان لا تتفاوت مدة الحداد ثلاثة اسابيع عند الاقارب ونصف سنة عند اهل بيت الميت اذا شاؤوا وان لا يلبس الحداد بهذه المدة الا الاقارب الادنون اي الاب والام والاخوة والاخوات

والاعمام والعمات والاخوال والخالات واولاد هولاء ونسائهم وقد اعتادوا انه
اذا مات شريف او رجل ممتاز شارك سكان المحل اهل الميت بالحداد
بعض ايام اعتبارًا لهم فلا باس بذلك وكذا عند الحضور للجنازة او التعزية
لا بأس ان يلبس الحاضرون من الرجال والنسآء ما يدل على الحداد
وكفى لو كان ذلك عصابة سودآء في اليد او على الراس او غطآء اسود
للنسآء كما يكفي ذلك في حداد اهل الميت المدة المذكورة وان شآوا
لبس الاسود هذه المدة كلهـا فلا باس ولكن لا ينبغي ان يمتنع الحادون
من حلق روسهم او ذقونهم ولا من غسلها او غسل اثوابهم ولا من الزيارات
في غير العرس ولا ان يحرموا نفوسهم شيئًا من الاطعمة الجائز تناولها
وقد اعتادوه في غير وقت الحداد ولا ينبغي ان تمضى النسآء ليلاً الى
المدافن لاجل اي سبب كان وكذا لا ينبغي ان يمضين الى القبر نهارًا في
الايام التالية الدفن كالثالث والسابع كما يسمونها

سادسًا واما زيارات التعزية فمن امكنه صنعها يوم الدفن
فليصنعها حينئذٍ ومن لم يتمكن او لم يشآء صنعها في يوم الدفن
فليصنعها في مدة الاسابيع الثلاثة بعده واذا انقضت الاسابيع الثلاثة
فيكون فات وقتها ومن لزمته زيارة كذا وكان له منها مانع او عذر
فكفي ان يحرر تحرير تعزية مبديًا عذره والاولى ان تكون زيارات التعزية
في ايام معلومة لا في كل يوم من ايام الحداد فيمكن اهل الميت ان
يعينوا يومين في كل اسبوع من الاسابيع الثلاثة لقبول هذه الزيارات
ويمكن المعزين ان يحضروا في ايام الاحاد والاعياد الواقعة في تلك

المدة للتعزية فان انشغال اهل الميت بقبول الزيارات في ايام معلومة ولو الزائرون كثيرين اخف من انشغالهم كل يوم بقبول الزيارات ولو قليلة والمصاب يلزم الوفر في ازعاجه وفي كل هذه الزيارات لا ينبغي تقديم شي من الماكولات او المشروبات لمن حضر واني القرى من محل على مسافة ساعتين عن محل الميت الا من كانوا من الاقارب او في حكمهم مودة فلا باس في ان يقدم لهم الاكل اذا اطالت مدة مكثهم عند اهل الميت واما من حضر وامن محل ابعد من مسافة ساعتين فيمكن ان يقدم لهم ما يشربون او ياكلون في زيارة التعزية لا في وقت الدفن واما في المدينة فلا ينبغي تقديم شيء عند زيارات التعزية الا اذا كانوا من الاقارب وحضروا من محل بعيد اوكان محل نزولهم عند عائلة الميت . واما الكهنة فليس عليهم زيارة التعزية الا اذا استدعوا بل لا يليق بهم ان يحرروا تحارير التعزية ايضاً لان ذلك يحسب اشارة الى طلب حسنة القداسات وقد نهينا كهنتنا عن ذلك بمنشور وجهناه اليهم وتحارير التعزية من اي كانت لا جواب لها كما اصطلحوا حسناً على هذا .

عد ١١ ونظراً الى احتفالات الخطبة والزواج فلا نقصد ابطال الفرح المرتب فيها فان هذا معتاد من اقدم الايام وما برحت العادة عليه في كل محل . بل نقصد تهذيب بعض اصطلاحات غير حسنة دخلت في ذلك فنقول اولاً انه يباح كل انسان اراد ان يعقد عقد الخطبة والزواج ان يصنع دعوة لذلك او لا ومن اثر ان يدعو كان حراً باختيار من يستدعي من اقاربه او اصدقائه واذا لم يدعُ الا اقاربه الادنين ومن في حكمهم من اصدقائه فلا ينبغي ان يلومه احد في ذلك

ومما يستهجن في هذه الدعوات دعوة بعض الفقراء او القليلي الثروة جمًا غفيرًا وارادتهم ان يتشبهوا بالاغنياء فينفقون على ذلك ما لا تحتمله حالهم فيكون تبذيرًا مضرًا فننصح من كانوا على مثل هذه الحال ان لا يقدموا على دعوات ونفقات كهذه لاضرارها بهم

ثانيًا اما المصاغ والملابس التي تعد للعروس غالبًا فلا يمكن حصرها بمقياس واحد بل يراعى فيها المقام والغنى فلا يليق باحد المعتبرين الاغنياء ان يحذو حذو عامة الناس فيما يقدمه لعروسه ولا يليق بالفقراء واواسط القوم ان يتشبهوا في هذه الامور بالاغنياء فان هذا التشبه لا يوصلهم الى صفهم بل يحط بحالهم عما تكون عليه من الانحطاط فيصبحون اضحوكة للناس واذا انفقوا جزءًا كبيرًا مما يملكون على حلى وملابس نسائهم فيفوتهم رغد العيش وراحته. ومن اسباب كبار المضار في بلادنا ارادة سفلة الناس ان يتشبهوا باواسطهم والاواسط بالاغنيا والمتمولين لا في ما ذكرنا فقط بل ببناء البيوت واثاثها ونوع معيشتهم وما اشبه فعلى كل ان يكتفي بحالته ويقنع بها ويسوي بين صرفه ودخله

ثالثًا واما في مراسح الاعراس فقد اعتادوا خاصةً في القرى امورًا يضحك منها كما يسمونه التراويد والقول على المغنى والمجافاة فيه وعمل القيمات وما اشبه مما يفضي غالبًا الى الخصومة والسبات وقد كادت هذه الملاعب تنتسخ وينبغي السرعة في كمال نسخها. والذي هو اهم من هذا ويلزم ابطاله لحرمته ايضًا هو رقص النساء بحضر من الرجال في الاعراس وغيرها فنعم ان ذلك كان من قديم الايام وقد رقصت الصبية ابنة هيروديا

امام هيرودوس وجلسائه لكن رقصها افضى الى قطع راس يوحنا المعمدان البار وقد زادت في هذا العصر حرمة الرقص لزيادة الفساد في الخصال وفرة المعاثر والشكوك ومن لا يرى كبير خطر في اجتماع شبان وشابات مقرون بالاغاني العشقية وو بعض الات الموسيقي وبشرب المسكرات فلا شك اذاً ان منه خطراً وانــه يخالف الادب والحشمة واكثر مخالفة منه رقص رجل وامراة معاً على عادة الاوروباويين ولهذا لا يمكننا السكوت عن مذمته وبيان اخطاره واخلاله بالادب اقلها يكون بالنسبة الى ذوقنا الشرقي ونناشد اصحاب العيال المسيحيــة ان لا يستبيحوا لانفسهم عادات كهذه ولا يأذنوا اولادهم ومن يتعلقون بهم ان يتعلموا او يستعملوا الرقص الرجال مع النسآء او النسآء بمرأى من الرجال وقد كان من عادة شيشرون الخطيب ان يقول « انــه لا يرقص مميز الاّ ان يجن » وقد نهينا في منشور اخر في السنة الماضية عن احضار المغنيات الى اجتماعات الاعراس والولائم وايام الاعياد والمواسم . واماً تقديم المشروبات والماكولات في دعوة الخطبة والزواج فغير ممنوع لانه معرض فرح ولكن يلزم ابطال ما يسمونه الصباحية و وقعة الاشبين والاشبينة لانه يتخللها ما لا يليق

رابعاً اننا نحب ان يعلم ابنا ابرشيتنا في شان الخطبة ثلاثة امور الاول ان الخطبة اذا عقدت وبين الخطيبين مانع قرابة دموية او نسبية الى الوجه الثامن او مانع اخر من الموانع المبطلة الزواج ولم تحلل قبلاً كانت الخطبة باطلة وكانها لم تنعقد لانه اذا كان المانع المبطل يبطل الزواج

فباولى حجة يبطل الخطبة ولهذا من رام ان يعقد خطبة لزمه قبل عقدها نوال الحل من المانع . الثاني انه وان كان بين علماء الشريعة الكنائسية اختلاف في الشروط التي تفرض عند وضع العربون او علامة الخطبة هل هي صحيحة وملزمة او لا كالشرط ان من ترك خطيبته لزمه رد العلامة ثلاثة اضعاف او اربعة او اداء مبلغ كذا فقال بعضهم انها ملزمة لان الخطبة كباقي العقود وقال اخرون هي غير ملزمة لانها تنتقص في الحرية والرضى اللازمين في الزواج فمع ذلك محكمتنا الكنائسية تبعًا للديوان البطريركي تتمسك لدى العمل بالراي الثاني اي ان هذه الشروط غير ملزمة ولا يعتد بها عند فسخ الخطبات بل تعتبر كانها لم توضع فلا يعتمدن احد عليها . الثالث ان الخطبة اذا لم تعقد امام احد الكهنة وان كانت بنفسها صحيحة وملزمة ذمةً الّا اننا في المحكمة الكنائسية الخارجة لا نسمع دعواها ولا نعتد بها لان ما لم يصنع امام الكنيسة خارجًا لا تلتزم الكنيسة ان تحاميه في محكمتها الخارجة وتجبر على العمل بهِ . وحيث انه كثيرًا ما وقع مثل هذه الحوادث في محكمتنا فاثرنا التنبيه اليها في هذه الرسالة العامة دفعًا لمضرة احد بجهله هذه الاصول التي نجري عليها .

عد ١٢ واما في عيادة المرضى فقد علم كل ذي ذوق سليم ان بيننا في ذلك عادات مزعجة لنفس المرضى واهلهم فان المريض تلزمه الراحة وعدم انشغال البال ويثقل عليه غالبًا كثرة الكلام وكثرة الناس في محله تفضي الى فساد ما في الهوا فيزداد تضررًا بصحتهِ عدا ما اعتاد عموم الناس لاسيما النساء ان يقدمه من المشورات الطبية مع انه لا يكون

لهن اقل المام بالطب ومن ذكر المجربات مما يزيد تشويش افكار المريض واما اهله فيكونون منشغلي البال بهِ منكدي العيش فان تكاثرت الناس لعيادة مريضهم وكان يلزمهم ان يقدموا لهم ولو المشروبات والاراكيل والتتون وحدها فيزيد تنكيد عيشهم وارتباكهم ويضطرهم الامر الى خسارة ان كانوا من الفقرآء علاوة على اجرة الاطبآء وثمن الادوية وتعطيل شغل المريض فلهذا نعرض ونحث ابناء ابرشيتنا اولاً بانه عند عيادة المرضى لا يقدم للزائرين شي من المشروبات او الماكولات حتى ولا الاركيلة او السيكارة وعلى الزائرين ان لا يتناولوا شيئاً من ذلك ولو قدمهُ اهل المريض. ثانياً ان لا يتحرش احد الزائرين لمقابلة المريض بنفسه الاَّ ان يرغب المريض في ذلك او ان يكون الزائر من الاقرباء الادنين او الاصدقاء المخلصين او تكون له مخبرة بالطب او اقتضى ذلك شاغل لا بد فيه من مكالمة المريض ومن دخل على مريض لا ينبغي ان يكثر عليه الاسئلة ولا يحدثه بما يكدره او يشغل فكره او يسبب له ازعاجاً ولا يطيل المكث عنده. ثالثاً لا يمكننا ان نترك هذا المعرض دون ان ننبه اهل المرضى الى الفكر الفاسد المستحوذ على عقول بعض السذج والمغفلين الذين يتشاءمون من اعتراف المريض او من منحه سر المسحة المقدسة فياخرون المريض او الخوري نفسه عن القيام بهذه الفروض وكثيراً ما يفوت وقتها وقد يكون ذلك وسيلة لهلاك المريض لانه لم يعترف في وقت يستطيع فيه ان يعترف كما ينبغي ولهذا يلزم كل واحد متى شعر بمرض ولو قليل الثقل ان يبادر الى معالجة نفسه بالاعتراف

وتناول القربان المقدس قبل معالجة جسده بالدوا واذا راى المرض اشتد عليه واتصل الى درجة من الخطر فليطلب نوال سر المسحة الاخيرة والقربان المقدس زادًا اخيرًا ويلزم اهله حثه على ذلك واغراه بهِ مبينين له ان ليس منه مضرة ولا خطر بل منفعة وسلامة فان من مفاعيل سر المسحة رد المريض الى الصحة ان اراد الله

عد ١٣ واما الزيارات في ايام الاعياد والمواسم في المدينة خاصة فمزعجة كثيرًا ومضرة احيانًا بالصحة فمن لزمته زيارات كثيرة في يوم واحد لو تناول في كل بيت شيئًا واحدًا مما يقدم للزائرين لحصل له تلبك في معدته او مضرة اخرى اذ لا بد في كل بيت في الاعياد من تقديم الشربات غالبًا والحلويات المعروفة بالتطلي ثم القهوة دائمًا عدا الاراكيل والسيكارات وقد اعتبر بعضهم ان كثرة الالحاح على الزائر بتناول كل شي من ذلك هي من المعروف واللياقة فمن يستطيع ان يتناول مثلاً عشرين كاس شراب وعشرين ملعقة تطلي وعشرين فنجان قهوة اذا صنع عشرين زيارة في يوم واحد ولا تنا له مضرة فالاولى والاطبق للصواب الاقتصار عن هذه التكليفات كلها او على الاقل يقتصر عدم الالحاح على الزائر بتناول شي وان تكون زيارات الاعياد وردها مطلقة بنوع ان لا يكون عتاب او ملام على من لم يزر او لم يرد الزيارة في الاعياد لاسيما في بيروت حيث لا يمكن التفرغ للزيارات وردها ايامًا عديدة

عد ١٤ فهذا ايها الابناء الاحباء ما قضت علينا فروض وظيفتنا الرعائية ان نرشدكم به ونبينه لكم وننبهكم اليه ونغريكم ونحرضكم على العمل

بهِ طلبًا لخلاص نفوسكم وتوقية لكم من الشر ومن اسباب الضلال والاثم ورغبة في تجميلكم بالعادات الحسنة واملنا انكم على حميد عادتكم تمتثلون اوامرنا الخلاصية وتحترمون ارشاداتنا التقوية وتعملون بنصائحنا الابوية وتحريضاتنا الادبية ونسألهُ تعالى وهو خير مسئول ان يسبغ عليكم جميعًا وفور نعمه ويمدكم بعظيم الائه ويحفظكم في ايمانه الكاثوليكي المقدس وييسر لكم العمل بفروضه ويصونكم من التجارب الصعبة ومن شر المضايق والمقاومين لكم في ايمانكم لبيان هلاكهم وحياتكم وان يحفظ بنيكم اولادكم ويسهل لكم تربيتهم بمخافته وعبادته ويقيهم من الضلال وسوء الخصال الطامي في العالم في هذا العصر وان يجبل بناتكم ونساءكم بالعفاف والطهر والادب وان يفيض عليكم جميعًا خيراته الروحية والزمنية ايضًا كما يحسن لمشيئته المقدسة والفعالة وان يحل بركاته التعميمة في بيوتكم وعمل يديكم وان يتحنن على الفقراء والبائسين منكم ويتراف على الارامل والايتام وان يمد المكروبين بفرجه والمحزونين بتعزياته واخيرًا اسأله وهو على كل شي قدير ان ييسر لي اداء فروض وظيفتي بينكم ويقدرني على عمل الخير لكم ويوهلني الى ان اقول عندما يحسن لمشيئته ان يتوفاني الى رحمته ذلك القول الذي شرفه الاله المتجسد بفيه الاقدس وهو « يا ابتاه هولاء الذين اعطيتنيهم لم يهلك منهم ولا واحد » وعربونًا لذلك جميعه اكرر استمطار غوث البركات الالهية من العلى لكم ولعيالكم جميعًا

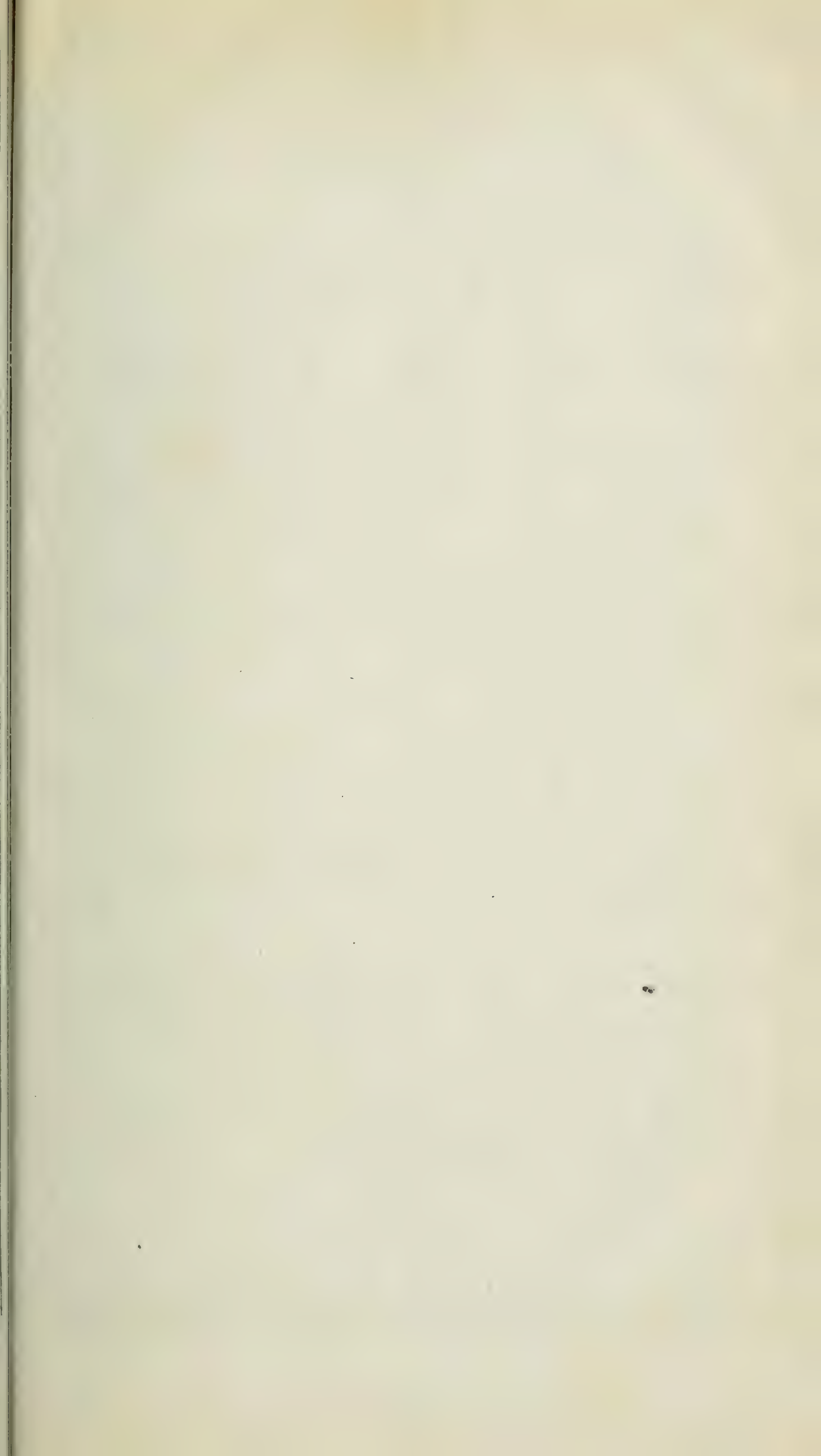
الحقير

يوسف الدبس

مطران بيروت

تحريرًا في غرة ك ٢ سنة ١٨٧٥





منشور

من المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت
الى كهنة ابرشيته بالاجمال

البركة الالهية تشمل حضرة اولادنا كهنة ابرشيتنا جميعا الاكرمين
غب ابداء وفور اشواقنا الى استماع اخباركم المسرة نقول ان فروض
وظيفتنا الرعائية تضطرنا ان نوجه ارشاداتنا اليكم وقتاً بعد وقت تنبيهاً
لكم للقيام بفروضكم المقدسة الثقيلة وتشديداً لكم في المحافظة عليها وانتم
تعلمون انه يلزمني السهر عليكم في تكميل واجباتكم والاهتمام بواسطتكم
بخلاص رعاياكم وعليه فانا مسئول امام الله اولاً عنكم وانتم مسيئولون اولاً
كلٌ عن رعيته بنوع ان كل نفس تربحونها للخلاص يجزيكم الله عنها اعظم
جزاء وكل نفس تهلك لتوانيكم وكسلكم يطلب الله دمها منكم ويقضي على
نفسكم بالعذاب الابدي لهلاكها فهذه الحقيقة المرعية والواضحة بنور
العقل والمصرح بها في الوحي يكفي ذكرها ولو كثر تكرارها لارتعاد
فرايص كل منا ولافراغ كل واحد من الاكليريكيين الملقي اليهم الاهتمام
بالنفوس غاية جده ومجهوده في الحرص على اداء فروض وظيفته المقدسة
بالتدقيق. ان الوقوع في يد الله الحي لمخيف جداً فتعاطينا مع الله وهو
ديّاننا ونحن وكلاؤه وقهارمة اسراره وشغلنا في تخليص نفوس هي عروسات
له وقد شراها بدمه الكريم نفسه فان هلكت واحدة منها ذهب دمه
هدراً من قبلها بتوانينا وان خلصت واحدة منها بفعلنا قدمناها له عروساً

تملك معه الى الابد وتشفع بنا وقد جعلنا بمنزلة منارة تهدي وسراج يضيء
لاهل العالم فان لم نكن كذلك بطل مقصده منا ورذلنا وان اضحى نور
العالم الذي هو انتم ظلامًا فا لظلام كم يكون وان فسد الملح المعد لاصلاح
العالم فماذا يصلحه وبما ينتفع بالملح فلا يصلح للارض ولا للمزبلة بل
يطرح خارجًا ويداس من الناس وقد آمر ان يظهر خدامه بين العالم
كالنيرات فان امسوا عمود ظلام فماذا يبقى للعالم الآن يتسكع بديجور
الضلال ويخبط خبط عشواء في ليل الاثم فيقع في حفرة الهلاك مع
قايده فيصح فيهما القول الالهي اعمى يقود اعمى فيقعان في حفرة افما ترهبكم
هذه الحقائق الجلية او ما يحملكم الخوف على اداء فروضكم اذا لم يغركم
عظم الاجر والثواب بالقيام بها

بنيّ ان اشتداد الداء واحتداده يلزم بمضاعفة الدواء وكذا نرى
حذاق الاطباء يضاعفون كمية الكينا اذا وجدوا العليل اطبقت عليه
الحمى ويكثرون البحث والجد في العلاجات اذا وجدوا المرض خطرًا
واسبابه متعددة وانتم تعلمون ان العالم احتدت واطبقت فيه حمى الاثام
في هذا العصر وتعددت اسباب فساده وضلاله فضاعفوا الصلوة عن
الاثمة والضالين واجعلوا الجميع يثابرون عليها فهي كينا امراض الروح
واكثروا السهر والاجتهاد في انقاذ ابناء رعاياكم من الضلال والاثم
وابحثوا عن اسباب امراضهم الروحية لتزيلوها وعن العلاجات الفعالة
لتستعملوها في مداواتهم . واذا كنا نرى الاعداء اقبلوا الينا من كل جانب
ليرموا شعبنا بنبال طعنهم بعقائد ديننا ليضلوه عن طريق الحق او ليصموا

قلوب شباننا بسهام اغرايهم بالاثم وعدم اعتبار شعائر الدين افيليق بكم بل ايحل لكم انتم قواد هذا المعسكر المحطاط بالاعدا ان تتراخوا او تكلوا او تتباطوا عند معمعة الحرب لتحسبوا كمية المعاش او لتندبوا عدم الحصول عليه والوصول اليه فالمعاش لازم خاصة للفقراء منكم لكنه امر تابع وعرضي وقد حرضت ابناء رعاياكم على دفعه لكم برسالتي الموجهة الان اليهم فاعرفوا ان تميزوا الجوهري من العرضي والاصل من التبع واوقنوا بان الرب نصيب ميراثكم واجركم العظيم وهو ديانكم العادل ولا يقبل امامه الاعتذار بقلة المعاش

قد قلت غير مرة واكرر قولي الان انه يلزمكم انتم اولاً ان تمتلكوا التقوى والقداسة والبرارة ليمكنكم ان تبثوها في غيركم والاّ فعبثًا تتعبون في ان تعطوا ما لا تملكون واذا حسن كلامكم وقبح عملكم لا سمح الله لم يكن لكلامكم ثمرة بل افسدها وعطلها قبح العمل فهو اقوى من القول واذا لم يساعد الله كلامنا بنعمته لم يبرز مفعولاً فكل قوتهِ منه وكيف يساعد الله كلام انسان اسخطه وجاهر بالعداوة له او كيف ينسب كلامك لله وانت بمعزل عنه لاثمك وهو يقول لضميرك اما للخاطي فقال الله لماذا تاخذ شهاداتي بفيك. اننا اذا راينا انسانًا منفجعًا لفقده وحيدًا له في شرخ شبابهِ حملنا على الحزن والنوح معهُ حقيقة واثر بنا ذلك المشهد اي تاثير واما اذا راينا شابًا يشخص في التراجاديا فقدان اب لوحيده هيج بنا تارةً الضحك وقد يهيج بنا تارةً استفزاز دموعنا ولكن حالما نتامل ان الشاب المذكور ليس بحزين حقيقةً نعود الى السرور ولا يبقى فينا اثر للحزن

فهكذا هي حال الكهنة في ارشادهم فمن كان منهم مالكاً التقوى حقيقة فاذا ارشد الناس اليها اثر كلامه بهم حقيقة واستمر اثره واما من كان منهم متصنعاً بالبرارة فاذا حرض عليها ولو افصح في عبارته واجاد في براعته هيج البعض الى الضحك والسخرية بهِ وان اثر كلامه في احد كان تاثيره موقوتاً عابراً لانه اذا تامل الناس بعمله وقابلوه بقوله زالت قوتــه وخرج الناس من محل خطابه متهقهين وكانهم لم يسمعوا شيئاً فيذهب تعبه هدراً وكلامه سدى فاذاً ان شئتم كما هو فرض عليكم تمليك الناس القداسة فملكوها انتم فيكم واذا اردتم اداء واجباتكم برد الناس عن المآثم والخطايا فليرتدعنها من كان منكم لاسمح الله متوحلاً بها واذا شئتم ان يكون اولادكم الروحيون حارين في عباداتهم عاملين بوصايا مذهبهم متشبثين عرى عقائد ايمانهم فكونوا انتم متوقدين بالغيرة على مجد الله والمدافعة عن الايمان المقدس والعمل بوصاياه وبالايجاز اعملوا اولاً ثم علموا كما صنع مخلصكم وانهج امامكم هذا الطريق

ان جل ما يساعدكم على القيام بفروضكم انما هو العلم اللازم لكم والذي لا يمكنكم كسبه دون الجد في الدرس والكب على المطالعة ولا يمكنني الاَّ ان الوم بعضكم بعد ان بلغني مرات انهم ليسوا متوانين في الدرس الغير المفروض فقط بل في المفروض ايضاً بمنشورنا السابق وقلما يحضرون في اجتماعات الدرس العام المامور ان تكون في يوم من كل اسبوعين ولا استبيح ان احسب هولاء او بعضهم يحتقرون الرباط اليومي المفروض بذات الفعل على المخالف فريضة الدرس المذكورة فلمثل هذا الاحتقار يلزم خدر ضمير مميت

ولا اشك بان احدًا منكم يتصل الى هذا الحد من التعاسة على انني انتهز
هذه الفرصة لاوضح دفعًا لسيئي التاويلات ان الرباط اليومي المذكور
لا يباح احد الكهنة ولو مهما كان تصريفه وتفويضه ان يحل منه في منبر
التوبة بنوع ان الكاهن الذي تهامل الاسبوع كله عن الدرس المفروض
او لم يحضر جمعية الدرس لغير عذر معقول لا يمكن احد الكهنة ان يحله
من الرباط المطلق عليه في اول يوم من الاسبوع التالي ما لم يجرِ عليه
تاديب المنع عن القداس في ذلك النهار والّا اي لوساغ حل كاهن
كذا لانفتح باب لمخالفة الفريضة بان يهمل الكاهن الدرس او الحضور
الى الجمعية ثم يعترف ويحل قبل القداس يوم رباطه فعلى ذلك يضحى
هذا التاديب كانه لا شي وحيث اني اعتبر ان الخطب والمواعظ التي
القيتها في السنين الثلاث السالفة في كنيسة بيروت ايام الصوم توافق
كثيرًا لارشاد ابناء عصرنا لان اكثرها في ايضاح العقائد الاساسية
وفيها كثير من الارشادات الروحية والمباحث التي يلزمكم العلم بها لتجيبوا
المنكتين والمتعنتين وقد طبعت هذه الخطب والمواعظ وتجدد الان
طبع اكثرها فلهذا يصل لكل منكم نسخة منها برفق هذه الاسطر وآمركم ان
تطالعوا هذا الكتاب بتانٍ وتجعلوه مادة درسكم مدة ما فهو يغني عن
مطالعة الكتب الذمية في اتمام فريضة الدرس وليقدم كل كاهن وصلت
اليه نسخة من هذا الكتاب خمسة قداسات بحسب نيتي وحسناتها
بدل ثمن الكتاب

ولما كان شرح التعليم المسيحي لابناء رعاياكم من اخص واجباتكم وكان

كتيب التعليم الجاري استعماله موجز العبارة مقتصر الشرح وقد طبع حديثاً كتاب تعليم مستوفٍ ليس فيه التطويل الممل ولا الايجاز المخل وهو الكتاب الذي الفه الاب يوسف بيسو احد المرسلين العازاريين. فمن هذا الكتاب ايضاً يصل لكل منكم نسخة فليقدم كل بدل ثمنها قداسين بحسب نيتي ويلزمكم ان تاخذوا باستعمال هذا الكتاب دون غيره في اتمام فريضة شرح التعليم المسيحي ايام الاحد فتتلون في كل احد فصلاً منه او فصلين مضيفين الى كلام الكتاب شرحاً يناسب عقول سامعيكم بحسب علم كل منكم ثم تكررون عند نهاية الشرح ايراد خلاصة ما تلوتموه على السامعين ليتبجن في عقولهم وكذا تصنعون الى نهاية الكتاب فاذا انتهى عدتم ثانية الى بدايته. وتذكروا انكم مسئولون امام الله وامامنا عن معرفة اولاد رعاياكم اصول الديانة وقواعدها الجوهرية فعدا تعليمكم لهم ذلك كرروا الحث والتنبيه الى آباء الاولاد وامهاتهم ليعلموهم في بيوتهم منذ اول ادراكهم سن التمييز الصلوة الربية وسلام العذراء وقانون الايمان ووصايا الله ووصايا بيعته وافعال الايمان والرجاء والمحبة والندامة والشرايط اللازمة لصحة الاعتراف وكيفية تناول القربان الاقدس كما ينبغي وحرصوا معلمي المكاتب ليعلموا الاولاد ذلك وحيث لا يوجد معلم كافٍ فعلى خوري الرعية ان يذهب مرتين في الاسبوع لتعليم الاحداث اصول الديانة وشرحها لهم بحسبما يناسب فهمهم وهذا عمل خير كبير ولهُ اجر عظيم عند الله وقد راينا رجالاً من اكابر العلماء باشروا هذه الوظيفة بجدٍ واستحبوا ممارستها في كل فرصة جامعين الاولاد وشارحين لهم اصول الديانة بحسب درجة

فيهم تارةً في الكنايس وتارةً في البيوت او الساحات ايضاً فان العمدة في تثقيف سيرة الانسان هي غالباً على تربيته صغيراً بخوف الله والتقوى

انني مرسل لكم الان برفق هذه الاسطر نسخاً من الرسالة الرعائية التي حررتها لابناء هذه الابرشية بالاجمال وقد ضمنتها ارشادات روحية وبعض تهذيبات ادبية وتحريضات على اصلاح بعض العوائد كما ترون في الرسالة المذكورة فعلى كل خوري رعية منكم ان يتلو هذه الرسالة في كنيستهِ عند اجتماع الشعب فيها دفعة واحدة اذا امكنه او دفعتين اذا كان الوقت ضيقاً ليكونوا جميعاً عالمين بفحواها وعليكم ايضاً ان تحافظوا عليهم ليعملوا بموجبها . اي ابذلوا مجهودكم في ان تجعلوهم متمسكين بايماننا الكاثوليكي المقدس ومؤدين فروضه ومحافظين على وصاياه الخلاصية ووصايا الكنيسة ايضاً وامنعوهم من تلاوة الكتب والكراسات والصحائف المحرمة تلاوتها والمتكلمة خلافاً لهذا الايمان القويم وانهوهم عن المداخلة مع اصحاب المذاهب الكفرية والاراتيكية في كلما يمس الايمان او يكون منه خطرٌ قريب لمخالفتهِ ومن رايتموه يحاول زرع زوان الضلال بين رعاياكم اجنبياً كان ام وطنياً بتبشير او بفتح مكتب او بتحريضات فقاوموه بشجاعة وغيرة بالوسائل الجائزة واعلموني بامره . وانصحوا اولاً من علمتم انه يرتكب اثماً مميتاً لاسيما اذا كان معثرة لغيره وبعد ذلك وبخوه على سوء صنيعهِ واذا استعصي مرضه على علاجكم فارفعوا الامر اليَّ لاعالجهُ بما يلهم الله اليه ويلاحظ كلٌّ منكم ابناء رعيته هل يتأخر احد عن الاعتراف وهل يفوت احدهم سماع القداس في يوم امر بهِ وهل يحفظون

وصية القطاعة والصوم ومن وجدتموه مذنبًا بذلك نبهوه وو بخوه وارقبوا
اصلاحه ولا تدعوا الفتور يستحوذ عليهم فانهم يتقدمون فيه اخيرًا الى
احتقار الوصايا الالهية والكنائسية ويتصلون الى الخلاعة التامة والهلاك بعدها
وحرضوهم على الصلوة صباحًا ومساء وشددوا الاخويات الروحية وحيث
انكم غالبا مرشدوها فدققوا في المحافظة على فروضها . ونبهوا اباء الاولاد
الى الزاماتهم بان يربوا اولادهم بخوف الله والتقوى ويمنعوهم من المعاشرات
الردية والتلاوات المحرمة والمداخلات الخطرة وان يعلموهم القراءة والكتابة
عند معلمين كاثوليكيين واجتهدوا في منعهم من ادخالهم مدارس الابروتسطنت
ومكاتبهم وحرضوا الاباء والامهات بالسهر على بناتهم كما ذكرت لهم في الرسالة
وابذلوا اجتهادًا مخصوصًا في منع البنات من الشغل في معامل بعض فعلتها
شبان او في معامل بيروت ومنع الصبيان عن الشغل كذلك مع البنات
وداركوا هذا الامر في وقته اي عند استئجار فعلة المعامل دون انتظار تجديد
الامر كل سنة بهذا الخصوص وامنعوا النساء من الرقص بمرأى من
الرجال ونبهوهن في كل فرصة الى تحريم ذلك وبالجملة كونوا اشداء
شجعانًا خاصة في محكمة التوبة فانكم حينئذٍ قضاة بين الله والناس وما
تسامحتم به لهم انقصتموه من حقوق الله فلا تهابوا ولا تجبنوا في ما لله ولا
تريدوا ان تسترضوا الناس بعدم محافظتكم على حقوقه تعالى وحقوق
وظيفتكم . لا تفرقوا بين كبير وصغير ورفيع ووضيع وغني وفقير في
تكميل واجباتكم وكونوا متوقدين بالغيرة على مجد الله وخلاص النفوس
وبالغوا في ملاحظة المرضى والدنفين بكل جهد فذاك هو وقت اكتساب

النفوس في هذا العصر الذي قل فيهِ من نرجو خلاصهم بغير اعمالهم في ذلك الوقت الاخير

ونظرًا الى ماذكرته في الرسالة من تهذيب العادات فلاحظوا سلوك ابناء رعاياكم بمقتضى تحريضاتنا لهم بهذا الخصوص فان معاد ذلك لخيرهم وراحتهم وتخفيف بعض اثقال لا منفعة منها بل منع بعض مضرات وخسائر كما هو بيّن من الرسالة المذكورة واما ما ذكرته فيها من عدم لياقة حضوركم لتعزية من لم يدعكم الى جنازة ميته فهذا يقتضيه الادب والاحتشام لان التعزية من دون دعوة لاتحمل الاَّ على طلب مضمر لحسنة القداسات والحاجة اليها لاتسوغ طلبها وخاصة لان العالميين في هذا العصر يحتقرون كاهنًا يطالب هو حسنة القداسات دون حق المطالبة بها واقل لياقة من ذلك الحضور الى الجنازة من دون دعوة ولا يحسبون ذلك الا تطفلاً مخلاً بالادب ولهذا نامركم جميعًا الامر الجازم طلبًا لحسن سمعتكم ان لايحضر احدكم الى جنازة دون طلب اليه الاَّ جنازة الفقرآء الذين يجنزون ويدفنون مجانًا وامرنا هذا يعم اولادنا قسوس الرهبنات لانهم يخضعون بهذا الشان لفرائض مطارين الابرشيات

واخيرًا نساله تعالى ان يقوم خطواتكم للبلوغ الى غاية دعوتكم وان ييسر لكم تكميل فروضكم ويمدكم بمواهبه ونعمه لاتخلصوا نفوسكم فقط بل لتربح تجارتكم بالنفوس ارباحًا مضاعفة على الوزنات التي أئتمنتم عليها وان يكلل متاعبكم الروحية بالنجاح والظفر وان يجزيكم عنها بالمجد

الخالد وان يجعل تكرار منحي اياكم بركاته الالهية عربونًا لذلك
تحريرًا في غرة ك ٢ سنة ٧٥

الحقير

يوسف الدبس

مطران بيروت

ان الرياضات الروحية التي اعتدنا ان نامركم بعملها في اول الصوم قد استحسنا في هذه السنة تاجيلها الى ايام الصيف والخريف اذ يكون حينئذ عملها ايسر

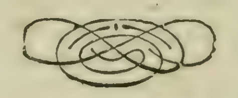


فهرست

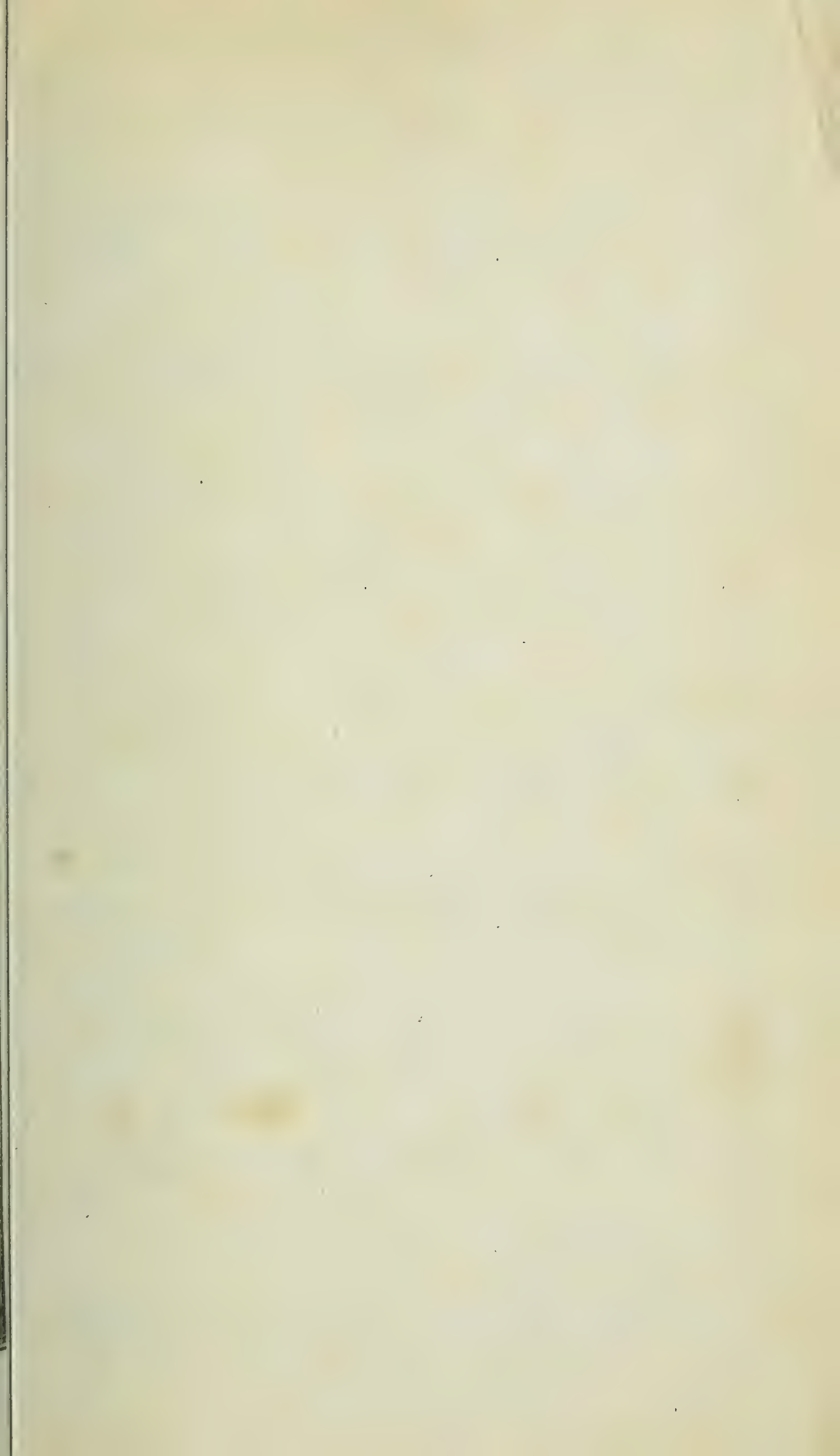
القسم الاول

صفحة

القسم الثاني



تنبيه قد وقع غلط بالطبع في اعداد بعض صفحات القسم الثاني فان العدد مكرر فيها من ٦٣ الى ٨٧ ولذلك ترى في فهرستهِ خطبتين بعدد واحد اعني ٦٣ وكذلك قد جعل لصفحات الرسالة الرعائية ومنشور الكهنة الموضوعين في آخر هذا الكتاب اعداد خاصة اي انه أُبتدئ في كلٍ منها بعدد (١) على ان كل ذلك لا يخل بحسن ترتيب الكتاب فضلاً عن انه لا يخفى على ذي نباهة .



اصلاح غلط



وجه	سطر	خطا	صواب
٢٩	١٩	بالأثام بمقدار ما	بالاثام يخففها بمقدار ما
..	٢٠	العنا	العناد
٣٠	١٢	ونزول...فلاخطر	وتزول ... فلاحظ
٣٦	٦	انفضل	انفصل
٣٧	١٥	نوجب	توجب
١٠٣	٣	هوان	بطلان
...	٤	وان	ان
١٠٦	١٨	كانب	كانت
١١٣	١٣	الناموس	الناس
١١٨	١٣	يجب	يحب
١٨٤	٢	اولو	لو
٢٢١	١	لكن	لكل

قسم ثان

وجه	سطر	خطا	صواب
٤٤	٧	اذ	اذا
٥٨	٦	وكنت	وكتب
..	٨	اتوضحوا	ان توضحوا
٧٩	١	الى	ان
٧٨	٣	بالتائج	بالنتائج
٩١	١٨	مطلقين	منطلقين
٩٨	٩	اليس صنع	اليس الذي صنع
..	١٤	توقد	وقد
١١٤	١٤	الزوبا	الروءيا
١٢٢	٩	فكذ	فكذا
١٨٦	٥	استطرافه	استطراقه

